رواية من عالم كوزمير

هل يمكن هزيمة الشر الذي حكم لآلاف السنين؟

#1
مؤلف الكتب الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

MISTBORN

وليدو الضباب



براندون ساندرسون

ترجمة: محمود عاطف



MISTBORN

وليـــدو الضبـــاب

ساندرسون، براندون
وليدو الضباب : رواية/ براندون ساندرسون.
ترجمة : محمود عاطف.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2024.
432 صفحة، 20 سم.
ردمك : 978-977-820-173-4
ا- القصص الأمريكية.
أ- عاطف ، محمود (مترجم).
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 19400 / 2023
الطبعة الأولى : أغسطس 2024.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

Published in agreement with JABberwocky Literary Agency, Inc.
through Bears Factor Literary Agency, FZC.
Copyright © 2006 by Dragonsteel, LLC
New material and illustrations copyright © 2016 by Dragonsteel, LLC
All rights reserved.

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 201000405450+ – 201001872290+
بريد إلكتروني: info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com
• إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى **الناشرين**.
©جميع الحقوق محفوظة، وأيُ اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

وليدو الضباب

تأليف
براندون ساندرسون

المجلد الثاني

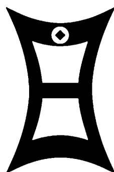
ترجمة

محمود عاطف

تم تجهيز هده النسخة بواسطة:

أشرف غالب

جميع الحقوق محفوظة ©





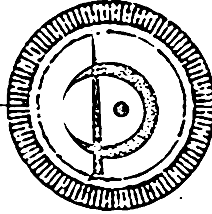
أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

في البداية، كان هناك من لا يعتقدون أن الأعماق تُشكِّل خطرًا جسيمًا، ليس عليهم على الأقل، ومع ذلك فقد جلبت في أعقابها وباءً رأيته يُصيب كل جزءٍ من الأرض تقريبًا. وقد وقفت الجيوش حائرة القوى حيال ذلك الوباء حتى إن المدن الكبرى ضعفت أمام قوته الجبارة بينما فسدت المحاصيل الزراعية، والأراضي أصابها البوار.

هذا هو الشيء الذي أحاربه، هذا هو الوحش الذي يجب أن أهزمه. أخشى أن يكون الأوان قد فات؛ حيث حلَّ الكثير من الدمار بالفعل لدرجة أنني بتُّ قلقًا على بقاء البشرية.

هل هذه حقًّا هي نهاية العالم كما تنبأ بها الكثير من الفلاسفة؟

الفصل الثاني والعشرون



شرعت ڤين تقرأ: «وصلنا إلى تيريس في بداية هذا الأسبوع، ولا بُدَّ لي من أن أقول إنني وجدت المناظر الطبيعية في الريف شديدة الروعة؛ حيث تقف الجبال الشامخات في الشمال -بقممِها المُغطاة بالجليد ومُنحدراتها الحرجية- مثل الآلهة الساهرة فوق هذه الأرض الخصبة المُخضرة. أرضي في الجنوب سهلية بالكامل تقريبًا، أعتقد أنها ستبدو أقل كآبةً إذا كان هناك القليل من القِمم الجبلية لإضفاء التنوع على معالم الأرض.

غالبًا ما يُكرِّس الناس أنفسهم هنا لأعمال الرعي، على الرغم من أن الزراعة وقطع الأشجار من المهن المألوفة أيضًا. إنها منطقة ريفية بسيطة جدًّا. يبدو غريبًا أن مكانًا زراعيًّا بشكلٍ لافتٍ مثل هذا يمكن أن يكون مهد النبوات واللاهوتيات التي يقوم عليها العالم بأسرِه الآن.

اخترنا مجموعة من العتَّالين التيريسيين لإرشادنا عبر الممرات الجبلية الوعرة، ولكن هؤلاء الرجال ليسوا رجالًا عاديين. يبدو أن القصص الشائعة صحيحة: فبعض الرجال التيريسيين يمتلكون قدرات مذهلة ومثيرة للاهتمام للغاية.

بطريقةٍ ما، يمكنهم تخزين قوتهم لاستخدامها في اليوم التالي. قبل أن يناموا في الليل، يقضون ساعةً مُستلقين على فراشهم، وخلال تلك الساعة تتجلى علامات الضعف البالغ على مظهرهم، كما لو أنهم استحالوا عجائز يتجاوز عمرهم نصف قرنٍ تقريبًا، ومع ذلك عندما يستيقظون في صباح اليوم التالي، يصبحون أشداء مفتولي العضلات تمامًا. يبدو أن قوتهم هذه لها علاقة بالأساور المعدنية والأقراط التي يرتدونها دائمًا.

يُسمَّى زعيم العتَّالين راشك، وهو رجلٌ قليل الكلام إلى حدٍّ ما، لكن بريكس، بفضوله الدائم، تعهَّد لنا باستجوابه على أمل اكتشاف كيفية تحقيق هذا التخزين العجيب للقوة بالضبط.

سنبدأ غدًا المرحلة الأخيرة من رحلتنا؛ بزيارة جبال تيريس البعيدة، على أمل أن أجد هناك السلام لنفسي ولبلدتنا الفقيرة».

عندما قرأت نسختها من المذكرات، توصلَّت ڤين سريعًا إلى عدة استنتاجات؛ أولها أنه أصبح لديها اعتقادٌ راسخٌ بأنها لا تهوى القراءة. لم يلتفت سازد لشكاواها، وادعى فقط أنها لم تتدرَّب على ذلك بما فيه

الكفاية. ألا يستطيع أن يرى أن القراءة ليست مهارة عملية بقدر القدرة على حمل خنجرٍ أو استخدام الألومانسي؟

ومع ذلك، فقد واصلت القراءة اتباعًا لأوامره؛ حتى تثبت بعناد أنها تستطيع ذلك. كانت العديد من كلمات المذكرات صعبةً عليها، وتعيَّن عليها أن تقرأ في جزءٍ منعزلٍ من قصر رينو بحيث يمكنها تهجي الكلمات مع نفسها بصوتٍ عالٍ، في محاولةٍ لفك رموز أسلوب الكتابة العجيب للورد الحاكم.

أدت مواصلة القراءة إلى استنتاجها الثاني: لقد كان اللورد الحاكم أكثر تذمُّرًا أكثر بكثيرٍ مما يُسمح به لإله. فعندما لم تعجَّ صفحات المذكرات بالملاحظات المملة حول رحلات اللورد الحاكم، مقابل ذلك عجَّت بالتأملات الداخلية والترُّهات الأخلاقية المُطوَّلة، حتى تمنَّت ڤين لو لم تجد الكتاب أصلًا.

تنهَّدت واستراحت على كرسيها المصنوع من الخيزران. هبَّ نسيمٌ ربيعيٌّ باردٌ على الحديقة بالأسفل، مرورًا بجدول النافورة الصغير عن يسارها. كان الهواء رطبًا بشكلٍ مريحٍ، بينما ظلَّلتها الأشجار من شمس الظهيرة. كونها أصبحت من النبلاء -حتى ولو من النبلاء المُزيَّفين- جعلها تحظى ببعض الامتيازات بالطبع.

سمعت وَقْع أقدامٍ خافتٍ خلفها. لقد كان بعيدًا، لكن ڤين تعوَّدت في الآونة الأخيرة على حرق القليل من القصدير طوال الوقت. استدارت، واختلست نظرةً من فوق كتفها.

قالت بمفاجأة: «سبوك؟» بينما كان الفتى ليستيبورنز يسير في طريقه عبر الحديقة. سألت: «ما الذي تفعله هنا؟»

جمُد سبوك، واحمرَّ وجهه خجلًا. قال: «كنتُ مع دوكس ولم يقل لي أننا سنأتي إلى هنا».

سألت ڤين: «دوكسون؟ إنه هنا أيضًا؟» ربما لديه أخبار عن كيلسير!

أومأ سبوك، واقترب. ثم قال بلهجته العامية: «سنحصل على أسلحة بعد فترة».

تشتَّت ڤين: «لا أفهم شيئًا».

أوضح سبوك، وهو يكافح للتحدُّث بدون لهجته: «كنا بحاجة إلى إنزال بعض الأسلحة الأخرى؛ لذلك جئنا لتخزينها هنا لبعض الوقت».

قالت ڤين، وهي تنهض وتعدِّل هندامها: «آه، يجب أن أذهب لرؤيته».

بدا سبوك مضطربًا فجأة، واحمرَّ وجهه خجلًا مرة أخرى، بينما أمالت ڤين رأسها، وسألت باستنكار: «هل هناك شيءٌ آخر؟»

بحركةٍ مفاجئةٍ، مدَّ سبوك يده إلى سترته وأخرج شيئًا. أشعلت ڤين البيوتر تلقائيًّا، لكن ما أخرجه لم يكن سوى منديل باللونين الوردي والأبيض. دفع به سبوك نحوها.

أخذته ڤين بتردُّد: «لماذا تمنحني هذا؟»

احمرَّ وجه سبوك مرةً ثالثة، ثم استدار واندفع بعيدًا. راقبته ڤين يرحل وهي تشعر بالحَيْرة. نظرت إلى المنديل. كان مصنوعًا من أشرطة الدانتلَّة الناعمة، ولكن يبدو أن هناك شيئًا غير اعتيادي في ذلك الأمر.

تفكَّرت وهي تضع المنديل داخل جعبتها: «هذا الفتى غريبٌ حقًّا». ثم التقطت نسختها من المذكرات، وبدأت في شقِّ طريقها نحو الحديقة. تعوَّدت على ارتداء الفساتين لدرجة أنها انتبهت بالكاد لمنع احتكاك الطبقات السفلية من الفستان بالفرش أو بالحصى.

تفكَّرت مرة أخرى عندما وصلت إلى مدخل حديقة القصر دون أن يعلق فستانها بفرعٍ واحدٍ: «أعتقد أن هذه مهارة قيِّمة في حد ذاتها». ثم دفعت الباب الزجاجي متعدد الألواح وأوقفت أول خادمٍ رأته.

«هل وصل السيد ديلتون؟» سألت باستخدام الاسم الوهمي لـ ودوكسون؛ حيث لعب دور أحد التجار الذين يتعامل معهم رينو داخل لوثاديل.

أجاب الخادم: «نعم، يا سيدتي، إنه في اجتماع مع اللورد رينو».

تركت ڤين الخادم يذهب. ربما كان بإمكانها الدخول إلى الاجتماع، لكنه سيبدو تصرُّفًا خاطئًا. فلم يكن لدى السيدة ڤاليت أيّ سبب يدعوها لحضور اجتماع تجاري بين رينو وديلتون.

عضَّت ڤين على شفتها السفلى وهي تُفكِّر. لقد أخبرها سازد أنه يجب عليها دائمًا أن تحافظ على المظاهر؛ لذا قالت لنفسها: «حسنًا، سأنتظر. ربما يستطيع سازد أن يخبرني ماذا ينتظر مني ذلك الفتى المجنون أن أفعل بهذا المنديل».

انطلقت إلى المكتبة العلوية، وحافظت على رسم ابتسامة لطيفة مهذبة على شفتيها، بينما تحاول داخليًّا تخمين ما يتحدَّث عنه رينو ودوكسون. مهمة إنزال السلاح مجرد ذريعة. فلم يكن دوكسون ليأتي شخصيًّا من أجل شيءٍ تافهٍ إلى هذا الحد. ربما يكون كيلسير قد تأخَّر عن ميعاده. أو ربما تلقَّى دوكسون أخيرًا اتصالًا من مارش، فمن المفترض أن يعود شقيق كيلسير -جنبًا إلى جنب مع مساعدي المُلتزمين الجُدد- إلى لوثاديل قريبًا.

تفكَّرت بانزعاج: «كان من بإمكان دوكسون ورينو أن يُرسلا في طلبي». فغالبًا ما استقبلت ڤاليت الضيوف مع عمها.

هزَّت رأسها. على الرغم من أن كيلسير وصفها بأنها عضو كامل من أعضاء الفريق، فإنه من الواضح أن الآخرين ما زالوا يعتبرونها مجرد طفلة. كانوا ودودين ومُتقبِّلين لها، لكنهم لم يُفكِّروا في احتوائها وسطهم. ربما كان ذلك غير مقصود، لكن ذلك لم يجعلها أقل شعورًا بالإحباط.

انبعث الضوء من المكتبة أمامها. من المؤكَّد أن سازد يجلس بالداخل لترجمة آخر حزمة من صفحات المذكرات. رفع رأسه لأعلى عندما دخلت ڤين، فابتسم وأومأ لها باحترام.

لاحظت ڤين: إنه لا يرتدي نظارات هذه المرة أيضًا. لماذا ارتداها لتلك الفترة القصيرة من قبل؟!

قال لها: «مرحبًا بالسيدة ڤين»، وهو ينهض من مكانه ويُحضر لها كرسيًّا. ثم سألها: «كيف تسير دراستك للمذكرات؟»

نظرت إلى الصفحات التي تحملها في يدها بشكلٍ فضفاضٍ وأجابت: «أظن أن الأمور على ما يُرام. لا أفهم لماذا عليّ أن أُزعج نفسي بقراءة تلك المذكرات. لقد أعطيت نسخًا إلى كيل وبريز أيضًا، أليس كذلك؟»

قال سازد وهو يضع الكرسي بجانبه مكتبه: «بالطبع، ولكن السيد كيلسير طلب من كل فرد من أفراد الفريق قراءة هذه الصفحات. أعتقد أنه محقٌّ في ذلك. كلما زاد عدد العيون التي تقرأ هذه الكلمات، زاد احتمال اكتشافنا للأسرار المخبأة بداخلها».

تنهَّدت ڤين قليلًا، وهي تلمُّ فستانها وتجلس. لقد كان الفستان ذو اللونين الأبيض والأزرق جميلًا، وعلى الرغم أنه مُصمَّم للاستخدام اليومي، فإنه كان أقل فخامةً قليلًا من تلك الفساتين التي ترتديها في الحفلات.

قال سازد وهو يجلس: «يجب أن تعترفي يا سيدتي أن النص مذهل. هذا العمل هو حلم كل الحفظة؛ لأنني أكتشف أشياء عن ثقافتي لم أكن أعرفها حتى!».

أومأت ڤين. «لقد وصلت للتو إلى الجزء الذي يصلون فيه إلى تيريس». على أمل أن يحتوي الجزء التالي على عددٍ أقل مِن قوائم التوريد. بصراحة، بالنسبة لإله الظلام الشرير، فإنه بالتأكيد ممل للغاية.

تحدَّث سازد بحماسٍ غير معهود: «نعم، نعم. هل رأيتِ ما قاله، كيف وصف تيريس بأنها أرض «الخصوبة الخضراء»؟ تتحدَّث أساطير الحفظة عن هذا. أصبحت تيريس الآن عبارة عن سهولٍ قطبيةٍ مُتجمِّدةٍ بشكلٍ قذرٍ، بحيث لا يستطيع أن يعيش هناك أيّ نوعٍ من النباتات تقريبًا، ولكنها يومًا ما كانت خضراء جميلة، كما تقول المذكرات».

تفكَّرت ڤين: «خضراء جميلة. لماذا يكون اللون الأخضر جميلًا؟ لن يختلف الأمر إذا كانت هناك نباتات زرقاء أو أرجوانية. يبدو هذا الأمر مريبًا».

ومع ذلك، بقي هناك شيءٌ ما حول تلك المذكرات يجعلها تشعر بالفضول، وهو الشيء الذي يتكتَّم عليه سازد وكيلسير بشكلٍ غريبٍ. قالت ڤين بحذر: «لقد قرأت للتو الجزء الذي يلتقي فيه اللورد الحاكم ببعض العتَّالين التيريسيين. تحدَّث عن كيفية استيقاظهم أقوياء خلال النهار لأنهم يتركون أنفسهم يضعفون في الليل».

أصبح سازد فجأةً أكثر هدوءًا. «نعم، بالفعل».

سألته: «هل تعرف شيئًا عن هذا؟ هل يتعلَّق هذا بكونك أحد الحفظة؟»

ردَّ سازد: «إنه كذلك، ولكن يجب أن يظلَّ هذا سرًّا على ما أعتقد. لا يعني ذلك أنكِ لستِ جديرةً بالثقة يا سيدة ڤين، ولكن كلما قلَّ عدد الذي يعرفون عن الحفظة، قلَّ انتشار الشائعات عنا. من الأفضل أن يعتقد اللورد الحاكم بأنه دمَّرنا تمامًا، كما سعى في الألف سنةٍ الماضية».

هزَّت ڤين كتفيها. «حسنًا، نأمل ألا تكون أيّ من الأسرار التي يريدنا كيلسير أن نكتشفها في هذا النص مرتبطةً بالقوى التي يمتلكها التيريسيون؛ لأنه إذا كان الأمر كذلك، فلن أفهم أيّ شيءٍ على الإطلاق».

صمت سازد.

قالت ڤين بلا مبالاة، وهي تُقلِّب الصفحات التي لم تقرأها: «آه، حسنًا. يبدو أنه استغرق في الحديث عن التيريسيين. أظن أنني لن أستطيع تقديم الكثير من المساعدة عندما يعود كيلسير».

قال سازد ببطء: «كلامك صحيحٌ، حتى لو كنتِ تقولين ذلك بطريقة ميلودرامية قليلًا».

ابتسمت ڤين ابتسامةً خافتةً.

قال سازد مُتنهِّدًا: «حسنًا، أعتقد أنه لا ينبغي أن ندعكِ تقضي الكثير من الوقت مع سيد بريز».

استفسرت ڤين: «أولئك الرجال المذكورون في المذكرات. هل هم من الحفظة؟»

أومأ سازد، وأوضح: «ما نُسمِّيهم اليوم بالحفظة، كانوا أكثر شيوعًا في ذلك الوقت، ربما أكثر شيوعًا من الضبابيين بين النبلاء المعاصرين. يُطلق على فننا اسم «الفيروكيمياء». وهو فنٌّ يمنح القدرة على تخزين خواص مادية معينة داخل قطعٍ معدنيةٍ».

عبست ڤين، وسألته: «هل تحرق المعادن أيضًا؟»

ردَّ سازد وهو يهزُّ رأسه: «لا، يا سيدتي. الفيروكيميائيون ليسوا مثل الألومانسيين. نحن لا «نحرق» المعادن، بل نستخدمها كمستودع، يمكن لكل قطعة معدنية، حسب الحجم وطبيعة السبيكة، تخزين خاصية مادية معينة. يُخزِّن الفيروكيميائيون أيّ خاصية، ثم يعتمدون على هذا الاحتياطي في وقتٍ لاحقٍ».

- «أيّ خاصية؟ مثل القوة؟»

أومأ سازد. «جاء في النص أن العتَّالين التيريسيين يجعلون أنفسهم أضعف خلال المساء، ويُخزِّنون القوة في أساورهم المعدنية لاستخدامها في اليوم التالي».

تفحَّصت ڤين وجه سازد، ثم قالت له: «لهذا السبب ترتدي الكثير من الأقراط!»

ردَّ: «نعم، يا سيدتي». ثم مدَّ يده ليشمِّر عن ساعديه. تحت ردائه كان يرتدي أساور حديدية سميكة حول ذراعيه. وأوضح: «أحتفظ ببعض احتياطاتي مخفية بعيدًا عن الأنظار، لكن ارتداء العديد من الخواتم والأقراط وغيرها من المجوهرات كان دائمًا جزءًا من ثقافة تيريس. حاول اللورد الحاكم من قبل أن يفرض حظرًا على التيريسيين لمنعهم من لمس أو حيازة أيّ معدن. في الواقع، حاول أن يجعل ارتداء القطع المعدنية امتيازًا للنبلاء دون (السكا)».

عبست ڤين، ثم قالت: «هذا غريب، قد يعتقد المرء أن النبلاء لن يرغبوا في ارتداء القطع المعدنية؛ لأن ذلك سيجعلهم أكثر عرضة للألومانسي».

ردَّ سازد: «صحيح، ولكن لطالما كانت الموضة في الإمبراطورية تتمثَّل في تزيين ملابس المرء بالمعدن. لقد بدأ الأمر -فيما أظن- برغبة من اللورد الحاكم في إنكار حق التيريسيين في لمس المعادن. بدأ هو نفسه في ارتداء الخواتم والأساور المعدنية، ولا يزال النبلاء يقلِّدونه في أمور الموضة. في الوقت الراهن، غالبًا ما يرتدي الأثرياء القطع المعدنية كرمزٍ للقوة والتفاخر».

قالت ڤين: «يبدو هذا حُمقًا».

ردَّ سازد: «هكذا هي الموضة دائمًا يا سيدتي. بغض النظر، فشلت المحاولة، فالعديد من النبلاء يرتدون الخشب المطلي فقط ليبدو وكأنه معدن، وتمكَّن التيريسيون من الصمود أمام سخط اللورد الحاكم بشأن هذه المسألة؛ لأنه من المستحيل عمليًّا عدم السماح للمُرافِقين والخدم بالتعامل مع المعدن، لكن هذا لم يمنع اللورد الحاكم من محاولة إبادة الحفظة».

- «إنه يخشاكم».

- «ويكرهنا أيضًا، ليس فقط الفيروكيميائيون ولكن جميع التيريسيين». ثم وضع سازد يده على الجزء غير المترجم من النص، وأردف: «آمل أن أعثر على هذا السر هنا أيضًا. لا أحد يتذكَّر لماذا يضطهد اللورد الحاكم شعب تيريس، لكنني أظن أن الأمر له علاقة بهؤلاء العتَّالين. يبدو أن زعيمهم راشك رجلٌ معاندٌ للغاية، كثيرًا ما يتحدَّث عنه اللورد الحاكم في روايته».

سألت ڤين: «هل ذكر الدين؟ ديانة تيريس؟ أيّ شيء عن النبوءات؟»

هزَّ سازد رأسه. «لا يمكنني الإجابة عن هذا السؤال يا سيدتي؛ لأنني لا أعرف أكثر مما تعرفين عن ديانة تيريس».

قالت ڤين: «لكنك تجمع كل ما له علاقة بالأديان. ألا تعرف عن دينك؟»

أجاب سازد: «لا، كما ترين يا سيدتي، لهذا السبب تم تشكيل الحفظة. منذ قرون، أخفى شعبي آخر نخبة من الفيروكيميائيين التيريسيين. كانت عمليات تطهير اللورد الحاكم لشعب تيريس عنيفةً للغاية. لقد حدث هذا قبل أن يبدأ برامج التربية».

تابع: «في ذلك الوقت، لم نكن مُرافِقين ولا خدمًا، لم نكن حتى مثل (السكا). كنا مجرد جنس يجب تدميره».

ثم استدرك: «لكن ثمة شيء ما منع اللورد الحاكم من القضاء علينا تمامًا. لا أعرف لماذا بالضبط، ربما اعتقد أن الإبادة الجماعية نوعٌ من العقاب الهين. على أيّ حال، لقد دمَّر ديننا بنجاح خلال القرنين الأولين من حكمه، وتم تشكيل منظمة الحفظة خلال القرن التالي، وكان أعضاؤها عازمين على اكتشاف ما فقدناه، ثم تذكُّره في المستقبل».

سألت: «باستخدام الفيروكيمياء؟»

أومأ سازد برأسه، ومرَّر أصابعه على السوار الذي يرتديه على ذراعه اليمنى. «هذا السوار مصنوعٌ من النحاس. يسمح بتخزين الذكريات والأفكار. يرتدي كل واحدٍ من الحفظة عدة أساور مثل هذا، مليئة بالمعرفة؛ الأغاني والقصص والصلوات والتاريخ واللغات. يُركِّز الكثير من الحفظة على مجال اهتمامٍ معينٍ، اهتمامي هو الدين، لكننا جميعًا نتذكَّر المجموعة بأكملها. إذا نجا واحدٌ منا حتى وفاة اللورد الحاكم، فسيكون بمقدور شعوب العالم استرداد كل ما فقدوه».

توقَّف، ثم أرخى كمه وأردف: «حسنًا، لم يضِع كل هذا، ولكن لا تزال هناك أشياء مفقودة».

قالت ڤين بهدوء: «دينك، ألم تجده بعد؟»

هزَّ سازد رأسه. «يشير اللورد الحاكم في هذه المذكرات إلى أن أنبياءنا هم الذين قادوه إلى بئر المعراج، ولكن حتى هذه معلومة جديدة بالنسبة لنا. ولكن بماذا كنا نؤمن؟ ومن كنا نعبد؟ ومن أين أتى أنبياء تيريس هؤلاء، وكيف تنبأوا بالمستقبل؟»

قالت ڤين: «أنا... آسفة».

- «سنواصل البحث يا سيدتي، أظن أننا سنعثر على الإجابات في النهاية. حتى لو لم نفعل ذلك، يبقى أننا قدَّمنا للبشرية بأسرها خدمة لا تُقدَّر بثمن. يدعونا الآخرون طيعين وخاضعين، لكننا حاربناه بطريقتنا الخاصة على الأقل».

أومأت ڤين وتساءلت: «إذن ما الأشياء الأخرى التي يمكنك تخزينها؟ القوة والذكريات. هل هناك أيّ شيء آخر؟»

رمقها سازد بنظرة، ثم ردَّ قائلًا: «لقد قلتُ الكثير بالفعل على ما أعتقد. أنت تفهمين آليات عملنا. إذا ذكر اللورد الحاكم هذه الأشياء في مذكراته، فلن تغيب عنكِ».

رفعت ڤين رأسها: «الرؤية، هذا هو سبب ارتدائك للنظارات لبضعة أسابيع بعد أن أنقذتني. لقد احتجتَ أن تكون قادرًا على الرؤية بشكلٍ أفضل في تلك الليلة عندما أنقذتني؛ لذلك استهلكت المخزون الخاص بك، ثم قضيت بضعة أسابيع بضعفٍ في الرؤية حتى تتمكَّن من إعادة التعبئة».

لم يرد سازد على تعليقها. التقط قلمه، وبدا واضحا أنه يعتزم على العودة إلى ترجمته. سألها: «هل هناك أيّ شيءٍ آخر يا سيدتي؟»

قالت ڤين وهي تشدُّ المنديل من جعبتها: «نعم، في واقع الأمر. هل لديك أيّ فكرة عن هذا؟»

- «يبدو أنه منديل يا سيدتي».

رفعت ڤين حاجبها باستنكار، وردَّت عليه: «مضحك للغاية، يبدو أنك قضيتَ وقتًا طويلًا مع كيلسير يا سازد».

قال بتنهيدة خافتة: «أعلم، أعتقد أنه أفسدني، لكن بغض النظر عن هذا، أنا لا أفهم سؤالك. ما الذي يُميِّز هذا المنديل بالتحديد؟»

قالت ڤين: «هذا ما أريد أن أعرفه. لقد أعطاني سبوك إياه قبل قليل».

- «آه، هذا منطقي إذن».

سألت ڤين: «ماذا؟»

أوضح سازد: «في مجتمع النبلاء، يا سيدتي، المنديل هو الهدية التقليدية التي يقدمها الشاب للسيدة الشابة التي يرغب في أن يتودَّد إليها بجدية».

بُهِتت ڤين، ونظرت إلى المنديل بصدمة. «ما هذا؟ هل هذا الفتى مجنون؟»

قال سازد مبتسمًا: «أعتقد أن معظم الشباب في مثل سنه مجانين إلى حدٍّ ما، ومع ذلك فهو أمرٌ متوقَّع. ألم تلاحظي كيف يُحدِّق إليكِ عندما تدخلين الغرفة؟»

- «لقد ظننته غريب الأطوار. بماذا يُفكِّر؟ إنه أصغر مني بكثير».

- «الولد في الخامسة عشرة من عمره يا سيدتي، هذا يجعله أصغر منكِ بسنة واحدة فقط».

قالت ڤين: «بل سنتين، لقد بلغت السابعة عشرة الأسبوع الماضي».

ردَّ سازد: «ولكنه ليس أصغر منكِ بكثير».

أدارت ڤين عينيها. «ليس لديّ وقتٌ لاهتماماته هذه».

قالت ڤين وهي تقف وتُعدِّل هندامها: «بالطبع، شكرًا لك».

***

وجدت دوكسون جالسًا على مكتب الضيوف، يكتب بهدوء على قصاصة من الورق، وأمامه كومة من الوثائق مُنظَّمة بدقة على سطح المكتب. كان يرتدي زي النبلاء التقليدي، ويبدو دائمًا أكثر ارتياحًا في هذه الملابس من الآخرين. كان كيلسير متأنِّقًا، وبريز نظيفًا ومُترفًا، لكن دوكسون وحده... الذي بدا طبيعيًّا في هذا الزي.

رفع بصره إليها عندما دخلت. «ڤين، أنا آسف. كان عليّ أن أرسل في طلبك، لسببٍ ما افترضتُ أنكِ بالخارج».

قالت وهي تُغلق الباب خلفها: «كثيرًا ما أخرج هذه الأيام، ولكنني مكثت في المنزل اليوم، فقد أصبح الاستماع إلى ثرثرة النبلاء أثناء تناول وجبات الغداء أمرًا مزعجًا بعض الشيء».

ردَّ دوكسون مبتسمًا: «أستطيع أن أتخيَّل. تفضَّلي بالجلوس».

أومأت ڤين برأسها، وهي تتجوَّل عبر الغرفة. كان المكان هادئًا ومُزيَّنًا بألوانٍ دافئةٍ وأعمالٍ خشبيةٍ عميقةٍ. ورغم وجود الأضواء بالخارج إلى حدٍّ ما، لكن دوكسون قد أغلق الستائر بالفعل وأخذ يعمل على ضوء الشموع.

سألت وهي تجلس: «هل هناك أيّ أخبارٍ من كيلسير؟»

قال دوكسون واضعًا أوراقه جانبًا: «لا، لكن هذا أمرٌ متوقَّعٌ. لم يكن ليبقى في الكهوف لفترة طويلة؛ لذا فإن إرسال رسول خلفه سيكون أمرًا سخيفًا بعض الشيء، فبصفته ألومانسيًّا، يمكنه العودة قبل رجلٍ يمتطي حصانًا. على أيّ حال، أظن أنه سيتأخَّر بضعة أيام. فنحن نتحدَّث عن كيل، رغم كل شيء».

- «قد يُتوقَّع منكِ، يا سيدتي، أن تُقدِّري الفرص التي تأتي في طريقك. ليس الجميع محظوظين جدًّا».

توقَّفت ڤين، وحدَّثت نفسها: «إنه خصي أيتها الحمقاء». ثم قالت بصوتٍ عالٍ: «سازد، أنا آسفة، أنا...».

لوَّح سازد بيده مُقاطِعًا: «إنه شيءٌ لم أعرفه بما يكفي لأفتقده يا سيدتي. ربما أنا محظوظ، فالحياة في عالم الإجرام تجعل من الصعب عليك تكوين أسرة؛ لهذا كان السيد المسكين هاموند بعيدًا عن زوجته لشهور».

- «هل هام مُتزوِّج؟»

أجاب سازد: «نعم، بالطبع. كذلك السيد يادين على ما أعتقد. إنهم يحمون عائلاتهم من خلال فصلهم تمامًا عن الأنشطة السرية لعالم الإجرام، لكن هذا يستلزم قضاء فترات طويلة من الوقت بعيدًا عنهم».

سألت ڤين: «ومن أيضًا؟ بريز؟ دوكسون؟»

- «السيد بريز... متمحورٌ حول ذاته قليلًا بحيث لا ينشغل بتكوين أسرة، على ما أعتقد. لم يتحدَّث السيد دوكسون عن حياته العاطفية، لكنني أظن أن هناك شيئًا مؤلمًا في ماضيه. وهذا ليس غريبًا بالنسبة إلى فلاحي مزارع (السكا)، كما قد تتوقَّعين؟»

سألت ڤين باستغراب: «دوكسون من فلاحي المزارع؟»

أجاب سازد: «بالطبع، ألا تقضين وقتًا في التحدُّث مع أصدقائك يا سيدتي؟»

أصدقاء! لديّ أصدقاء! لقد كان هذا إدراكًا غريبًا.

أردف سازد: «على أيّ حال، يجب أن أتابع عملي، يؤسفني أن أنشغل عنكِ، ولكنني أوشكت على الانتهاء من الترجمة...».

أومأت ڤين برأسها، ثم جلست صامتةً للحظة. لم تقضِ وقتًا طويلًا مع دوكسون كما قضت مع كيلسير وسازد، أو حتى هام وبريز. ومع ذلك، بدا رجلًا طيبًا، متزنًا جدًّا وذكيًّا للغاية. وفي حين أن معظم الآخرين أسهموا بنوعٍ من القوة الألومانتيكية للعصابة، إلا أن دوكسون كان ذا أهمية خاصةً بسبب قدراته التنظيمية بكل بساطة.

عندما يلزم الأمر شراء شيءٍ ما -مثل فساتين ڤين- تأكَّد أن دوكسون سيُنجز ذلك. عندما يلزم الأمر استئجار مبنى، أو شراء الإمدادات، أو الحصول على تصريح، فإن دوكسون سيتكفَّل بذلك. لم يكن على الجبهة، يحتال على النبلاء، ويُقاتل في الضباب، ولا يُجنِّد الجند. لكن بدونه، اشتبهت ڤين في أن العصابة بأكملها ستنهار.

قالت لنفسها: «إنه رجلٌ لطيفٌ. لن يُمانع إذا سألته». ثم سألت بصوتٍ عالٍ: «دوكس، كيف بدا بالنسبة لك العيش في مزرعة؟»

ردَّ عليها: «همم؟ المزرعة؟»

أومأت ڤين. «لقد نشأتَ في إحدى المزارع، أليس كذلك؟ أنت من فلاحي (السكا)؟»

أجاب دوكسون: «نعم، أو على الأقل كنت كذلك. كيف بدا بالنسبة لي العيش فيها؟ لا أعرف بما أردُّ عليكِ يا ڤين. لقد كانت حياة شاقة، لكن معظم (السكا) يعيشون حياة شاقة. لم يُسمح لي بمغادرة المزرعة أو حتى الخروج من مُجمَّع الأكواخ بدون إذن. كنا نأكل بانتظام أكثر من الكثير من هؤلاء (السكا) المُشرَّدين في الشوارع، لكننا عملنا بجد مثل أيّ عامل بالمصانع، أو ربما أكثر».

تابع: «المزارع مختلفة عن المدن، هناك كل لورد هو سيد نفسه. نظريًّا، يمتلك اللورد الحاكم (السكا)، لكن النبلاء يؤجرونهم منه،

ويُسمح لهم بقتل ما يشاءون. على كل لورد فقط أن يلتزم بتحقيق العوائد المطلوبة من محاصيله».

قالت ڤين: «يبدو أنك... لا تملك أيّ عواطف حيال تلك الفترة».

هزَّ دوكسون كتفيه: «لقد مرَّ وقتٌ طويلٌ منذ أن عشتُ هناك يا ڤين. لم أعرف وقتها أن المزرعة مؤلمة للغاية. كانت مجرد حياة، فلم نكن نعرف أيّ شيءٍ آخر أفضل. في الواقع، أصبحت أعرف الآن أنه من بين لوردات المزارع، كان لورد مزرعتنا متساهلًا إلى حدٍّ ما».

- «ولماذا غادرت إذن؟»

توقَّف قليلًا. ثم أجاب بصوتٍ حزينٍ: «وقع حدثٌ ما. أنتِ تعلمين أن القانون ينص علي أن اللورد يمكنه أن يعاشر أيّ امرأة من (السكا) تتوق إليها نفسه؟»

أومأت ڤين برأسها. «عليه فقط أن يقتلها بعدما يقضي حاجته منها».

قال دوكسون: «أو بعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ. المهم أن يكون ذلك بسرعة كافية بحيث لا تستطيع أن تلد أيّ أطفال مُهجَّنين».

سألته: «هل اغتصب اللورد امرأة تحبها إذن؟»

أومأ دوكسون برأسه. «أنا لا أتحدَّث عن ذلك كثيرًا، ليس لأنني لا أستطيع، ولكن لأنني أظن أنه لا جدوى من ذلك. لستُ الرجل الوحيد من (السكا) الذي فقد أحد أفراد أسرته بسبب رغبة أحد اللوردات أو حتى لامبالاته. في الواقع، أراهن أنه الصعب العثور على واحدٍ من (السكا) لم يُقتل شخصٌ يحبه على يد الطبقة الأرستقراطية، هكذا تسير الأمور دائمًا».

سألت ڤين: «من كانت؟»

أجاب: «فتاة من فتيات المزرعة. كما قلتُ لكِ، قصتي ليست فريدة من نوعها. أتذكَّر... التسلُّل بين الأكواخ في الليل لقضاء الوقت معها. تحايل المُجمَّع بأكمله؛ لإخفائنا عن الخوليّ وباقي رؤساء العمال. لم يكن من المفترض أن أكون بالخارج بعد حلول الظلام، كما تعرفين. لقد تحديتُ الضباب لأول مرة من أجلها، وبينما اعتبرني الكثيرون أحمق لأنني أريد الخروج ليلًا، تغلَّب آخرون على خرافاتهم وشجَّعوني. أعتقد أن الرومانسية هي التي ألهمتهم. لقد ذكَّرتُ أنا وكارين الجميعَ بأن هناك شيئًا نعيش من أجله».

تابع: «عندما اغتصب اللورد ديفينشاي كارين، أُعيدت جثتها في صباح اليوم التالي لتُدفن. شيءٌ ما... قد مات في أكواخ (السكا). غادرتُ المزرعة مساء اليوم التالي. لم أكن أعرف أن هناك حياةً أفضل، لكنني لم أستطع البقاء، ليس مع عائلة كارين هناك، ولا مع اللورد ديفينشاي الذي يراقبنا ونحن نعمل...».

تنهَّد دوكسون وهو يهزُّ رأسه. تمكَّنت ڤين أخيرًا من رؤية بعض المشاعر في وجهه. قال: «أتعرفين؟ يدهشني أحيانًا أننا حتى نحاول. مع كل ما فعلوه بنا -الموت، والتعذيب، والآلام- ظننتُ أننا سنتخلَّى عن أشياء مثل الأمل والحب، لكننا لم نفعل ذلك، ما يزال (السكا) يقعون في الحب، وما زالوا يحاولون تكوين عائلات، وما زالوا يعانون. أعنى، ها نحن... نقاتل في حرب كيل الصغيرة المجنونة، ونقاوم إلهًا نعرف أنه سيذبحنا جميعًا في النهاية».

جلست ڤين صامتةً تحاول استيعاب هول ما وصفه للتو. «أظن أنك قلت إن لورد مزرعتك كان طيبًا».

ردَّ دوكسون: «أوه، لقد كان كذلك. نادرًا ما كان اللورد ديفينشاي يضرب أتباعه من (السكا) حتى الموت، ولم يتخلَّص من كبار السن إلا عندما خرج التعداد السكاني تمامًا عن السيطرة، إنه يشتهر بسمعة لا

تشوبها شائبةٌ بين النبلاء. ربما تكونين قد رأيتِه في بعض الحفلات. لقد كان في لوثاديل مؤخرًا خلال الشتاء بين مواسم الزراعة».

شعرت ڤين بقشعريرة. «دوكسون، هذا مروِّع! كيف يمكنهم أن يتركوا وحشًا مثل هذا بينهم؟»

عبس دوكسون، ثم انحنى إلى الأمام قليلًا، مستريحًا بذراعيه على سطح المكتب، ثم ردَّ عليها: «ڤين، كلهم هكذا».

قالت ڤين: «أعلم أن هذا ما يقوله بعض (السكا) يا دوكس، لكن الناس في الحفلات ليسوا كذلك. لقد التقيت بهم ورقصت معهم. دوكس، الكثير منهم أناسٌ طيبون. لا أعتقد أنهم يدركون مدى فظاعة الأشياء التي يتجشَّمها (السكا)».

نظر إليها دوكسون بتعبيرٍ غريبٍ، وسألها باستنكار: «هل ما أسمعه منكِ حقًّا يا ڤين؟ لماذا نحاربهم إذن في ظنك؟ ألا تدركين الأشياء التي يستطيع هؤلاء الناس -كل هؤلاء الناس- القيام بها؟»

قالت ڤين: «ربما يكونون قساةً ولامبالين، لكنهم ليسوا وحوشًا، ليسوا كلهم هكذا، ليسوا كلهم مثل لورد مزرعتك السابق».

هزَّ دوكسون رأسه. «أنتِ فقط لا ترينهم على حقيقتهم يا ڤين. يمكن للرجل النبيل أن يغتصب ويقتل امرأة من (السكا) ذات ليلة، ثم يكيل له النبلاء الآخرون الثناء على أخلاقه وفضيلته في اليوم التالي. (السكا) ليسوا بشرًا في نظرهم. النساء النبيلات لا يعتبرن الأمر خيانةً لهن عندما ينام أزواجهن اللوردات مع امرأة من (السكا)».

«أنا...» عجزت ڤين عن الكلام، وتردَّدت. كان هذا جانبًا من جوانب ثقافة النبلاء التي لم ترغب في مواجهته، ربما يمكنها أن تغض الطرف عن الضرب، لكن هذا...

هزَّ دوكسون رأسه. «أنت تتركينهم يخدعونكِ يا ڤين، مثل هذه الأشياء أقل وضوحًا في المدن بسبب بيوت الدعارة، لكن جرائم القتل لا تزال تحدث. تستغل بعض بيوت الدعارة النساء مدقعة الفقر لكنهن من ذوات الأصل النبيل. ومع ذلك، فإن معظمهم يقتلون عاهرات (السكا) بشكلٍ دوري لاسترضاء المُحقِّقين».

شعرت ڤين بقليلٍ من الوهن. ردَّت: «أنا... أعرف عن بيوت الدعارة يا دوكس، كان أخي يُهدِّدني دائمًا ببيعي لأحد تلك البيوت، لكن مجرد وجود بيوت الدعارة لا يعني أن كل الرجال يذهبون إليها. هناك الكثير من العمال الذين لا يتردَّدون على بيوت دعارة (السكا)».

قال دوكسون بنبرةٍ صارمةٍ: «النبلاء مختلفون يا ڤين، إنهم مخلوقاتٌ مروِّعة. لماذا لا أتذمَّر عندما يقتلهم كيلسير في ظنك؟ لماذا أعمل معه للإطاحة بحكومتهم في ظنك؟ يجب أن تسألي بعض هؤلاء الفتيان اللطفاء الذين ترقصين معهم عن عدد المرات التي ناموا فيها مع امرأة من (السكا) مع علمهم أنها ستُقتل بعد وقتٍ قصيرٍ. لقد فعلوا ذلك جميعًا في مرحلةٍ أو في أخرى من حياتهم».

طأطأت ڤين رأسها.

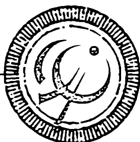
تابع دوكسون: «لا يمكننا فداؤهم يا ڤين». لم يبدُ شغوفًا بالموضوع مثل كيلسير، لقد بدا... مستسلمًا للأمر الواقع. أردف: «لا أظن أن كيل سيقنع حتى يموتوا جميعًا. أشكُّ في أننا يجب أن نصل إلى هذا الحد أو حتى أننا نستطيع ذلك، لكنني مثلًا سأقنع برؤية مجتمعهم ينهار».

جلست ڤين صامتة، وقالت لنفسها: «لا يمكن أن يكونوا جميعًا على هذا النحو، إنهم رائعون ومُميَّزون جدًّا. لم يسبق لـ إليند أن اغتصبَ أو قتلَ امرأةً من (السكا)...أليس كذلك؟!»

أنام بضع ساعاتٍ فقط كل ليلة. يجب علينا المضي قدمًا في سفرنا قدر ما نستطيع يوميًّا، ولكن عندما أخلد إلى الفراش أخيرًا، أجد النوم صعب المنال. الأفكار التي تزعجني أثناء النهار تتفاقم أكثر مع سكون الليل.

وفوق كل ذلك، أسمع أصواتًا مُدوية من الأعلى، نبضات قادمة من الجبال، تُقرِّبني مع كل نبضة.

الفصل الثالث والعشرون



قالت السيدة كليس بصوتٍ خفيضٍ: «يقولون إن وفاة الأخوين جيفنري كانت انتقامًا لمقتل اللورد إنترون». خلف مجموعة ڤين، أخذ الموسيقيون يعزفون على خشبة المسرح، ولكن الأمسية قد تأخَّرت، فلم يعد يرقص سوى عدد قليل من الناس.

تسبَّب الخبر في عبوس دائرة رواد الحفلات الذين يحيطون بالسيدة كليس. كان هناك حوالي ستة منهم، بما في ذلك ڤين ورفيقها ميلين دافينبلو، وهو وريثٌ شاب لأحد البيوت الصغيرة.

قال ميلين: «حقًّا يا كليس، بيوت جيفنري وتيكيل حلفاء. لماذا يقتل آل بيت تيكيل اثنين من نبلاء بيت جيفنري؟

هزَّت ڤين كتفيها. «لم يكن جيدًا جدًا». ثم حدَّثت نفسها: «هذا كل ما يهمك أن تسأل عنه يا ميلين؟ لقد مات الرجل وأنت تريد فقط أن تعرف ما إذا كان يعجبني أكثر منك أم لا؟»

قال تايدن، آخر رجل في المجموعة: «حسنًا، هو الآن يرقص مع الديدان».

ضحك ميلين على الدعابة ضحكة مفتعلة، أكثر مما يستحقه التعليق. بشكلٍ عامٍ، تركت محاولات تايدن للدعابة شيئًا مرغوبًا فيه. لقد بدا وكأنه من النوع الذي كان من الممكن أن يوجد في المنزل مع الأشرار من عصابة كامون أكثر من النبلاء في قاعة الرقص.

بالطبع، يقول دوكس إنهم جميعًا في أعماقهم هكذا. لا تزال محادثة ڤين مع دوكسون تُهيمن على أفكارها. عندما بدأت في العودة إلى حفلات النبلاء في تلك الليلة الأولى -الليلة التي كاد أن تُقتل فيها- فكَّرت كيف بدا كل شيءٍ مزيَّفًا. كيف نسيت هذا الانطباع الأصلي؟ كيف سمحت لنفسها بالتماهي معهم، لتبدأ في الإعجاب برزانتهم وروعتهم؟

الآن، ذراع كل نبيل تلتف حول خصرها تجعلها ترتجف، كما لو كانت تشعر بفساد قلوبهم. كم عدد (السكا) الذين قتلهم ميلين؟ ماذا عن تايدن؟ بدا وكأنه من النوع الذي يستمتع بقضاء لياليه مع العاهرات.

لكنها ما زالت تلعب دورها في اللعبة. لقد ارتدت أخيرًا فستانها الأسود هذا المساء، وشعرت -بطريقةٍ ما- بالحاجة إلى تمييز نفسها عن النساء الأخريات بألوانهن الزاهية وابتساماتهن المشرقة أغلب الأحيان. ومع ذلك، لم تستطع تجنُّب رفقة الآخرين. بدأت ڤين في اكتساب الثقة التي يحتاج إليها فريقها. سيشعر كيلسير بالرضا عندما يعرف أن خطته

قالت كليس: «لماذا حقًّا؟»، وهي تميل إلى الأمام بإيماءة تآمرية؛ مما تسبَّب في تأرجح كعكة شعرها الشقراء الضخمة؛ حيث لم تكن كليس تمتلك حس الموضة، ولكنها كانت مصدرًا ممتازًا للقيل والقال.

سألت كليس: «أتذكرون عندما تم العثور على اللورد إنترون ميتًا في حدائق تيكيل؟ حسنًا، بدا واضحًا أن أحد أعداء بيت تيكيل هو من قتله، لكن سبق وقدَّم آل بيت جيفنري التماسًا إلى تيكيل من أجل التحالف معهم. فيما يبدو أن فصيلًا داخل البيت اعتقد أنه إذا حدث شيءٌ ما لتأجيج غضب آل بيت تيكيل، فإنهم سيكونون أكثر استعدادًا للبحث عن حلفاء».

تساءل رينيه، رفيق كليس: «أتقولين إن آل بيت جيفنري تعمَّدوا قتل حليف تيكيل؟»، وقطَّب جبينه العريض مُتأمِّلًا.

ربَّتت كليس على ذراع رينيه. ونصحته قائلةً: «لا تقلق بشأن ذلك كثيرًا يا عزيزي»، ثم عادت بصبرٍ نافدٍ إلى المحادثة: «ألا ترون؟ بقتل اللورد إنترون سرًّا، كان بيت جيفنري يأمل في عقد التحالف الذي يحتاج إليه. وهذ من شأنه أن يمنحه حرية الوصول إلى مجاري تيكيل المائية التي تعبر السهول الشرقية».

قال ميلين بتمعُّن: «لكن فعلتهم جاءت بنتائج عكسية. اكتشف آل بيت تيكيل الحيلة وقتلوا أردوس وكالينز».

عقَّبت ڤين: «لقد رقصتُ مع أردوس عدة مرات في الحفلة الأخيرة». الآن مات؛ حيث تُركت جثته في الشوارع عند مدخل أحد أحياء (السكا) الفقيرة.

سألها ميلين: «حقًّا؟ هل كان جيدًا؟»

التي أعدَّها لبيت تيكيل كُلِّلت بالنجاح، ولم يكن هذا هو الشيء الوحيد الذي تمكَّنت من اكتشافه؛ حيث أصبح لديها عشرات المعلومات الصغيرة ذات الأهمية البالغة لجهود العصابة.

إحدى هذه المعلومات تتعلَّق ببيت ڤينتشر. كانت الأسرة تحصِّن نفسها تحسُّبًا لاندلاع حرب ممتدة بين البيوت. ومن بين الأدلة التي تدعم ذلك أن إليند حضر عددًا أقل بكثير من الحفلات مقارنةً بما كان يحضره من قبل. ولم تنشغل ڤين بهذا الأمر؛ لأنه عندما يجيء كان يتجنَّبها بشكلٍ عام، كما أنها لم ترغب حقًّا في التحدُّث إليه على أيِّ حال. فذكريات حديث دوكسون جعلها تعتقد أنها قد تواجه مشكلة في البقاء مُتحضِّرة حيال إليند.

سأل اللورد رينيه: «ميلين، هل ما زلتَ تُخطِّط للانضمام إلينا في لعبة شيلدري غدًا؟»

ردَّ ميلين: «بالطبع يا رينيه».

سأل تايدن: «ألم تعد بهذا في المرة الأخيرة؟»

ردَّ ميلين: «سآتي إليكم، حدث شيءٌ ما في المرة الأخيرة منعني من الحضور».

سأله تايدن: «ألن تخلف موعدك مرة أخرى؟ أنت تعلم أننا لن نستطيع اللعب ما لم يكن معنا رجلٌ رابعٌ. إذا كنت لن تأتي، فيمكننا أن نسأل شخصًا آخر...».

تنهَّد ميلين، ثم رفع يده إلى جانبه في إيماءة حادة. لفتت الحركة انتباه ڤين، فلم تسمع سوى نصف المحادثة فقط. نظرت عن جانبها، وكادت تنتفض مصدومةً عندما رأت مُلتزمًا يقترب من المجموعة.

حتى هذه اللحظة، تمكَّنت من تجنُّب المُلتزمين في الحفلات. بعد الصدفة الأولى التي جمعتها بأحد كبار الكهنة من طبقة (البريلان) قبل بضعة أشهر -والتحذير اللاحق من أحد المُحقِّقين-، كانت تخشي الاقتراب من أيٍّ منهم.

اقترب المُلتزم منهم مبتسمًا بطريقةٍ مخيفةٍ. ربما كانت ذراعاه معقودتين أمامه ويداه مطويتين داخل الأكمام الرمادية. ربما كانت الوشوم حول العينين، وجلده مُتجعِّدًا مع الشيخوخة. ربما كانت هذه هي الطريقة التي نظرت بها عيناه إليها، بدا الأمر وكأنه يستطيع أن يرى حقيقتها رغم تنكرها. لم يكن هذا مجرد رجلٍ نبيلٍ، بل كان مُلتزمًا؛ أيّ أنه أعين اللورد الحاكم ومُنفِّذ شريعته.

توقَّف المُلتزم أمام المجموعة. وسمته الوشوم حول عينيه كعضوٍ في فرع الأرثوذكسية، الذراع البيروقراطية الرئيسية للوزارة. نظر إلى المجموعة، وتحدَّث بنبرةٍ ناعمةٍ: «نعم؟»

أخرج ميلين بضع عملاتٍ معدنيةٍ، وقال وهو يُسلِّم النقود إلى المُلتزم العجوز: «أتعهَّد بلقاء هذين الرجلين في لعبة شيلدري غدًا».

بدا الأمر وكأنه سببٌ سخيفٌ لاستدعاء أحد المُلتزمين، أو على الأقل هذا ما اعتقدته ڤين، لكن المُلتزم لم يضحك ولم يُشِر إلى تفاهة الطلب. لقد ابتسم بكل بساطة، واختلس النقود في راحة يده مثل أيّ لص. قال: «أشهد على هذا يا لورد ميلين».

سأل ميلين الاثنين الآخرين: «أراضيان هكذا؟»

أومأ الرجلان.

استدار المُلتزم، ولم يعطِ ڤين نظرةً ثانيةً، بل ذهب بعيدًا. تنفَّست الصعداء، راقبته وهو يغادرهم.

انتبهت ڤين: «إذا دعاهم النبلاء ليشهدوا على أمور بهذه البساطة... فلا بُدَّ أنهم على دراية بكل ما يحدث في البلاط». كلما عرفت أكثر عن الوزارة، أدركت مدى براعة اللورد الحاكم في تنظيمها. إن هؤلاء المُلتزمين يشهدون على كل عقدٍ تجاري؛ لذا فقد كان على دوكسون ورينو التعامل مع المُلتزمين يوميًّا تقريبًا. فهم وحدهم من يمكنهم منح التصريح بالزواج أو الطلاق أو شراء الأراضي أو المصادقة على وراثة سندات الملكية. إذا لم يشهد المُلتزم على حدثٍ ما، فكأنه لم يحدث، وإذا لم يختم وثيقةً، فكأنها لم تكتب أيضًا.

هزَّت ڤين رأسها بينما تحوَّلت المحادثة إلى مواضيع أخرى. لقد كانت ليلة طويلة، وقد امتلأ عقلها بالمعلومات لتُدوِّنها في طريق عودتها إلى فيليز.

قالت وهي تضع يدها على ذراعه: «معذرة يا لورد ميلين»، على الرغم من أن لمسها إياه جعلها ترتجف قليلًا. «أعتقد أن الوقت قد حان لأغادر».

ردَّ عليها: «سأصطحبكِ إلى عربتكِ».

قالت بلطف: «لا داعي لذلك، أريد أن أستعيد نشاطي، ثم إن عليَّ أن أنتظر الرجل التيريسي على أيّ حال. سأذهب فقط للجلوس على طاولتنا».

قال وهو يهزُّ رأسه باحترام: «حسنًا».

تدخَّلت كليس: «اذهبي إذا كنتِ تريدين ذلك يا ڤاليت، لكنكِ لن تعرفي أبدًا الأخبار التي أعرفها عن الوزارة...».

توقَّفت ڤين. «أيّ أخبار؟»

لمعت عينا كليس، ونظرت إلى المُلتزم المبتعد عنهم. ثم همست: «المُحقِّقون يطنون مثل الحشرات. لقد ضربوا ضعف عدد عصابات لصوص (السكا) التي ضربوها عادةً في الأشهر القليلة الماضية. إنهم حتى لا يأخذون منهم سجناء لتنفيذ أحكام الإعدام فيما بعد، بل يقتلونهم جميعًا في الحال».

سأل ميلين مُتشكِّكًا: «كيف عرفتِ هذا؟» لقد بدا نبيلًا مستقيم الظهر، بحيث لا يمكنك أبدًا معرفة حقيقته.

قالت كليس مبتسمةً: «لديّ مصادري الخاصة. لقد وجد المُحقِّقون عصابة أخرى بعد ظهر هذا اليوم فقط. ومقرهم ليس ببعيدٍ عن هنا».

انتابت ڤين القشعريرة. لم يكونوا بعيدين عن ورشة كلوبز... لا، لا يمكن أن يكونوا هم. دوكسون والبقية أذكياء للغاية. حتى بدون وجود كيلسير في العاصمة، يمكنهم أن يبقوا بأمان.

بصق تادين: «اللصوص الملاعين! اللعنة على (السكا) الذين لا يعرفون مكانهم. ألا يكفيهم الطعام والملابس التي نُقدِّمها لهم عن النهب من جيوبنا؟»

قالت كارلي، زوجة تادين الشابة ببعبعة صوتها المعتادة: «إنه لأمرٌ مدهشٌ أن هذه المخلوقات يمكنها أن تعيش كلصوص. لا أستطيع أن أتخيَّل أيّ شخصٍ غير كفء لدرجة أنه يدع (السكا) تسرقه».

احمرَّ وجه تايدن، ونظرت إليه ڤين بفضول. نادرًا ما تحدَّثت كارلي باستثناء توجيه اللكمات لزوجها ببعض العبارات الجارحة، فلا بُدَّ أنه تعرَّض للسرقة. خدعة، ربما؟

بعد تخزين المعلومات للتحقيق فيها في وقتٍ لاحقٍ، استدارت ڤين، وهي حركة وضعتها وجهًا لوجه مع الوافدة الجديدة للمجموعة: شان إيلاريل.

تأنَّقت خطيبة إلبند السابقة، كما هو الحال دائمًا، وتجلَّى لمعان شعرها الطويل الكستنائي، بينما ذكَّر قوامها الرائع ڤين بمدى نحافتها. اتسمت شان بعجرفة كفيلة أن تجعل الشخص الواثق من نفسه مُذبذبًا، فقد كانت -كما بدأت ڤين تدرك- تجسيدًا لتصوُّر معظم الأرستقراطيين عن المرأة المثالية.

أومأ الرجال في مجموعة ڤين برؤوسهم احترامًا، وانحنت النساء تقديرًا لشرف أن تنضم إلى محادثتهن امرأةٌ مهمةٌ جدًّا. نظرت ڤين عن جانبها مُحاوِلةً الهرب، لكن شان وقفت أمامها مباشرةً.

ابتسمت شان، وقالت لرفيق ڤين: «آه، يا لورد ميلين، إنه لأمرٌ مؤسفٌ أن تكون رفيقتك في هذه الأمسية مريضةً. يبدو أنه لم يعد يتبقَّ لك سوى القليل من الخيارات».

احمرَّ وجه ميلين؛ لأن تعليق شان وضعه بذكاء في موقفٍ صعبٍ. هل يدافع عن ڤين، مع احتمالية أن يُثير بذلك حفيظة امرأة قوية جدًّا؟ أم يتفق، بدلًا من ذلك، مع شان، ومن ثَمَّ يُعرِّض رفيقته للإهانة؟

لقد سلك طريق الجبناء للخروج من المأزق: تجاهل التعليق، وقال: «سيدة شان، إنه لمن دواعي سرورنا أن تنضمي إلينا».

قالت شان بسلاسة: «حقًّا»، وعيناها تتقدان بالسرور وهي تنظر إلى انزعاج ڤين.

قالت ڤين في سرها: «أيتها المرأة الملعونة!». يبدو أنه كلما شعرت شان بالملل، بحثت عن ڤين وأحرجتها على سبيل التسلية.

استدركت شان: «ولكنني لم آتِ للدردشة، ورغم أن ذلك قد يكون غير لطيفٍ، فإنني لديّ حديث مع فتاة رينو، فهل ستعذروننا؟»

قال ميلين مُتراجعًا: «بالطبع، يا سيدتي. السيدة ڤاليت، شكرًا لكِ على صحبتكِ هذه الأمسية».

أومأت ڤين له وللآخرين، وهي تشعر وكأنها حيوانٌ جريحٌ تخلَّى عنه القطيع. إنها لم ترغب حقًّا في أن يجمعها اللقاء بـ شان في هذه الأمسية.

قالت ڤين بمجرد أن أصبحا وحدهما: «السيدة شان، أعتقد أن اهتمامك بي لا أساس له، فأنا لم أقضِ الكثير من الوقت مع إليند مؤخرًا».

ردَّت شان: «أعرف. يبدو أنني بالغتُ في تقدير كفاءتك يا فتاة، فقد ظننتُ أنه بمجرد أن تكتسبي حظوة لدى رجلٍ أكثر أهمية منك، فلن تتركيه يفلت هكذا من يديكِ بسهولة».

تفكَّرت ڤين: «ألا يجب أن تغار هذه المرأة؟ ألا يجب أن تكرهني لأنني أخذت مكانها؟» وقمعت ارتباكًا داخليًّا لأنها شعرت بلمسة لا مفر منها على مشاعرها كواحدة من ألاعيب شان الألومانتيكية.

ولكن لم تكن هذه طريقة النبلاء، ولم تكن ڤين شيئًا؛ تمويه مؤقت. كما لم تعد شان مهتمةً باستعادة عاطفة إليند، لقد أرادت فقط العثور على طريقة للرد على الرجل الذي أهانها.

قالت شان: «تضع الفتاة الحكيمة نفسها في وضعٍ يُمكِّنها من الاستفادة من الميزة الوحيدة التي تمتلكها. إذا كنتِ تظنين أن أيّ نبيلٍ مهمٍّ آخر سيهتم بك، فأنت مُخطئةٌ في تقديرك. يحب إليند أن يصدم البلاط؛ ولذا بطبيعة الحال اختار أن يفعل ذلك مع أقل النساء منزلةً

وثقلًا التي يمكن أن يجدها. اغتنمي هذه الفرصة، فلن تجدي شخصًا آخر قريبًا».

صرَّت ڤين على أسنانها ردًّا على الإهانات والألومانسي، من الواضح أن شان صنعت فنًّا من إجبار الناس على تحمُّل أيّ إساءة تسعى إلى توجيهها.

تابعت شان: «الآن، أحتاج إلى معلوماتٍ بخصوص نصوص معينة بحوزة إليند. تجدين القراءة، أليس كذلك؟»

أومأت ڤين باقتضاب.

قالت شان: «جيد، كل ما عليكِ فعله هو حفظ عناوين كتبه، لا تنظري إلى الأغلفة الخارجية، فقد تكون مُضلِّلة. اقرئي الصفحات القليلة الأولى، ثم أبلغيني بذلك».

- «وإذا قمتُ، بدلًا من ذلك، بإخبار إليند بما تُخطِّطين له؟»

ضحكت شان، وردَّت عليها: «عزيزتي، أنت لا تعرفين ما أُخطِّط له. وعلاوة على ذلك، يبدو أنكِ تحرزين بعض التقدُّم في البلاط. بالتأكيد أنت تعرفين أن خيانتي ليست شيئًا تجرئين حتى على التفكير فيه».

بعدها، ابتعدت شان، وجمعت على الفور مجموعة من النبلاء الذين أحاطوا بها. ضعفت تهدئة شان، وشعرت ڤين بإحباطها وغضبها يتصاعدان. كان هناك وقتٌ للهروب ببساطة، وقد انجرح كبرياؤها بالفعل بحيث لا تنزعج من إهانات شان وحدها. ومع ذلك فقد وجدت نفسها تتمنَّى العثور على طريقةٍ للرد هذه الليلة.

هوِّني على نفسك. هذا أمرٌ جيدٌ. لقد أصبحتِ بيدقًا في خطط البيوت الكبرى. ربما يحلم معظم النبلاء الأقل منزلةً بمثل هذه الفرصة.

تنهَّدت، وتراجعت نحو الطاولة الفارغة التي تقاسمتها مع ميلين. عُقدت حفلة هذه الأمسية في قلعة هاستينج المذهلة. كانت القلعة المرتفعة المستديرة المركزية محاطة بستة أبراج مساعدة، يقع كل منها على مسافة قصيرة من المبنى الرئيسي ويتصل به بواسطة جسورٍ مُعلَّقةٍ. زُيِّنت الأبراج السبعة بأنماطٍ متعرجةٍ ومنحنيةٍ من الزجاج المُلوَّن.

احتلت القاعة الطابق العلوي من البرج المركزي الشاسع. لحسن الحظ، منع نظام منصات البكرات الذي يُشغِّله (السكا) الضيوف النبلاء من السير على طول الطريق إلى القمة. لم تكن قاعة الرقص نفسها مدهشة كما زارت ڤين بعض القاعات الأخرى؛ مجرد غرفة مُربَّعة ذات أسقف مُقبَّبة وزجاج مُلوَّن في جميع أرجاء المنطقة.

تفكَّرت ڤين: «غريب! كيف يمكن للمرء بسهولة أن يشعر بالسأم، ربما هكذا يمكن للنبلاء القيام بأشياء فظيعة، لقد اعتادوا على القتل لفترة طويلة لدرجة أنه لم يعد يزعجهم بعد الآن».

طلبت من أحد الخدم أن يذهب لإحضار سازد، ثم جلست لتريح قدميها. حدَّثت نفسها: «أتمنى أن يسارع كيلسير بالعودة». فقد بدت العصابة، بما في ذلك ڤين، أقل حماسًا في غيابه. لم يكن الأمر أنها فقدت الرغبة في العمل، ولكنّ ذكاء كيلسير المتقد وتفاؤلها دائمًا ما ساعدها على الحفاظ على حيويتها.

رفعت ڤين بصرها بشكلٍ عابرٍ، لتقع عيناها على إليند ڤينتشر واقفًا على بُعد مسافةٍ قصيرةٍ، يتحدَّث مع مجموعة صغيرة من النبلاء الشباب. جمدت. أراد جزءٌ منها الهروب والاختباء. تمنَّت لو استخفت تحت الطاولة والفستان وكل شيء.

لكن العجيب أنها وجدت جزء ڤاليت أقوى. حدَّثت نفسها: «عليّ أن أتحدَّث معه، ليس بسبب شان، ولكن لأن عليّ أن أكتشف الحقيقة. كان دو كسون يُبالغ. لا بُدَّ أنه يُبالغ».

متى أصبحت تصادمية إلى هذا الحد؟ حتى عندما وقفت، شعرت ڤين بالاندهاش من تصميمها الراسخ. عبرت قاعة الرقص؛ تتفحص فستانها الأسود لفترة وجيزة وهي تمشي. بينما قام أحد رفاق إليند بالنقر على كتفه، وأومأ برأسه نحو ڤين. استدار إليند، وانسحب الرجلان الآخران.

قال وهو تقف أمامه: «مرحبًا يا ڤاليت، وصلتُ متأخرًا، لم أكن أعرف حتى أنكِ هنا».

كاذب! بالطبع كنتَ تعرف. لن تُفوِّت ڤاليت حفل هاستينج. كيف تطرح عليه السؤال؟ كيف تسأله؟ قالت: «لقد كنت تتجنَّبني».

- «الآن، لن أقول ذلك. لقد كنت مشغولًا فحسب. قضايا البيت، كما تعلمين. إلى جانب ذلك، لقد حذرتكِ من أنني وقح، و...» قطع كلامه وسألها: «ڤاليت؟ هل كل شيءٍ على ما يُرام؟»

أدركت ڤين أنها تشهق قليلًا، وشعرت بالدموع على خدها. قالت لنفسها وهي تكفكف دموعها بمنديل ليستيبورنز: «أيتها الحمقاء! ستفسدين مكياجك!»

قال إليند بقلق: «ڤاليت، أنت ترتجفين! هيا، دعينا نذهب إلى الشرفة ونحصل على بعض الهواء النقي».

تركته يقودها بعيدًا عن أصوات الموسيقى وأحاديث الناس، ودخلا في الجو الساكن المظلم. كانت الشرفة -إحدى الشرفات العديدة البارزة من أعلى برج هاستينج المركزي- فارغة، بينما شكَّل فانوسٌ حجري واحد جزءًا من السور، واصطفت بعض النباتات بذوقٍ رفيعٍ على الزوايا.

طاف الضباب في الهواء، منتشرًا كما هو الحال دائمًا، على الرغم من أن الشرفة تُعدّ قريبة بما يكفي من دفء القلعة، بحيث بقي الضباب ضعيفًا، ومع ذلك لم يُعِر إليند للأمر اهتمامًا، فهو -مثل معظم النبلاء- يرى الخوف من الضباب خرافة حمقاء من خرافات (السكا)، والتي كانت تفترض ڤين أنها صحيحة.

سألها إليند: «ما هذا؟ حسنًا، سأعترف، كنت أتجاهلك. أنا آسف. لم تكوني تستحقين ذلك، أنا فقطِ... حسنًا، بدا الأمر وكأنكِ كنت تتلاءمين جيدًا مع البلاط لدرجة أنكِ لم تكوني بحاجة إلى شخصٍ مثيرٍ للمتاعب مثل..».

سألته ڤين: «هل سبق لك أن نمت مع امرأة من (السكا)؟»

صمت إليند، متفاجئًا. «هل هذا كل ما في الأمر؟ من أخبركِ بهذا؟»

جدَّدت ڤين سؤالها: «هل فعلت؟»

صمت إليند.

يا إلهي! إنها حقيقة.

قال إليند وهو يُحضر لها كرسيًّا: «اجلسي».

قالت ڤين وهي تجلس: «هذا صحيح، أليس كذلك؟ لقد فعلتها، لقد كان محقًّا، كلكم وحوش».

«أنا...»، مدَّ يده على ذراع ڤين، لكنها سحبت ذراعها بعيدًا، فقط لتشعر بدمعة تتدحرج على وجهها ثم تُبقِّع فستانها. مدَّت يدها، ومسحت عينيها؛ ليتلطَّخ المنديل بالمكياج.

قال إليند بهدوء: «لقد حدث ذلك عندما كنتُ في الثالثة عشرة من عمري. اعتقد والدي أن الوقت قد حان لأصبح «رجلًا». لم أكن أعرف حتى إنهم سيقتلون الفتاة بعد ذلك يا ڤاليت، صدِّقيني لم أكن أعرف».

سألته: «وبعد ذلك؟»، وتصاعد غضبها، «كم فتاةً قتلت يا إليند ڤينتشر؟»

- «لا أحد! لم يتكرَّر ذلك مطلقًا يا ڤاليت. ليس بعد أن اكتشفت ما حدث في المرة الأولى».
- «هل تتوقَّع مني أن أصدِّقك؟»

ردَّ إليند: «لا أعرف. انظري، أعرف أنه من المألوف بالنسبة لنساء البلاط أن يصفن كل الرجال بأنهم مُتوحِّشون، لكن عليكِ أن تُصدِّقيني، نحن لسنا جميعًا هكذا».

قالت ڤين: «قيل لي إنك كذلك».

- «مِمَّن؟ نبلاء الريف؟ إنهم لا يعرفوننا يا ڤاليت، هم فقط يشعرون بالغيرة منا لأننا نتحكَّم في معظم أنظمة القنوات، وقد يكون لديهم الحق في ذلك، ولكن غيرتهم هذه لا تجعلنا بالضرورة أناسًا مُروِّعين».

سألت ڤين: «ما النسبة المئوية؟ كم من النبلاء يفعلون هذه الأشياء؟»

أجاب إليند: «ربما الثلث، لست مُتأكِّدًا، إنهم ليسوا من النوع الذي أقضي وقتي معه».

رغبت في أن تُصدِّقه، وهذه الرغبة كان ينبغي أن تجعلها أكثر تشكُّكًا. ولكن بالنظر إلى هاتين العينين -العينين اللتين لطالما رأتهما صادقتين جدًّا- وجدت نفسها متأرجِّحة. ولأول مرة يمكنها التذكُّر، دفعت همسات رين بعيدًا تمامًا، وصدَّقت ببساطة.

همست: «الثلث». هذا كثيرٌ جدًّا، لكنه أفضل من أن يكونوا جميعهم كذلك. مدَّت يدها لتكفكف دمعها، ونظر إليند إلى منديلها.

سألها بفضول: «من أعطاكِ هذا؟»

قالت ڤين: «أحد الخُطَّاب».

- «هل هو الشخص الذي أخبركِ بهذه الأشياء عني؟»

قالت ڤين: «لا، بل شخصٌ آخر. قال لي... إن جميع النبلاء -أو بالأحرى جميع النبلاء في لوثاديل- أناسٌ مُروِّعون. وأخبرني أيضًا أن نساء البلاط لا يعتبرن الأمر خيانةً لهن عندما ينام رجالهن مع عاهرات (السكا)».

نخر إليند، وردَّ عليها: «إذن، مُخبركِ هذا لا يعرف النساء جيدًا. أتحداكِ أن تجدي سيدةً لا تتضايق عندما يداعب زوجها امرأة أخرى، سواء كانت من (السكا) أو النبيلات».

أومأت ڤين برأسها، وأخذت نفسًا عميقًا، وهدَّأت نفسها. شعرت بالسخافة... لكنها شعرت أيضًا بالسلام، بينما ركع إليند بجانب كرسيها، ولا يزال قلقًا بشكلٍ واضحٍ.

قالت: «إذن، والدك هو واحد من الثلث؟»

احمرَّ وجه إليند خجلًا في الضوء الخافت، وأحنى رأسه. ثم ردَّ قائلًا: «إنه يحب كل أنواع العشيقات، سواء من (السكا) أو من النبيلات، فالأمر سيان بالنسبة له. ما زلت أفكِّر في تلك الليلة يا ڤاليت. أتمنى... لو لم أعرف».

قالت: «لم يكن خطأك يا إليند. كنتَ مجرد فتى في الثالثة عشرة من عمره يفعل ما يقوله له والده».

نظر إليند بعيدًا، لكنها بإمكانها أن ترى بالفعل الغضب والذنب في عينيه. قال بهدوء: «يجب على شخصٍ ما أن يمنع حدوث هذا النوع من الأشياء»، ومع ذلك، ذهلت ڤين من حدة صوته.

حدَّثت نفسها: «هذا رجلٌ يهتم، رجلٌ مثل كيلسير، أو مثل دوكسون. رجلٌ طيب. لماذا لا يرون ذلك؟»

أخيرًا، تنهَّد إليند، ونهض على قدميه، ثم سحب كرسيًّا لنفسه. جلس، وأراح كوعه على السور، ومرَّر يده عبر شعره الأشعث. وعلَّق: «حسنًا، ربما لستِ السيدة الأولى التي أبكيتها في حفل، لكنكِ أول من أبكيتُ من النساء واهتممتُ لأمرها بصدق. لقد وصلت مهاراتي النبيلة إلى أعماقٍ جديدةٍ».

ابتسمت ڤين، وقالت وهي تتكئ إلى الوراء: «لستَ أنت، لقد كانت... بضعة أشهرٍ قليلةٍ من الاستنزاف الشديد. عندما اكتشفت هذه الأشياء، لم أتمكَّن من تقبُّلها بالكامل».

قال إليند: «الفساد في لوثاديل يحتاج إلى التعامل معه. اللورد الحاكم لا يرى ذلك، ولا يريد حتى أن يرى».

أومأ ڤين برأسها، ثم نظرت إلى إليند، وسألته: «على أيّ حال، لماذا كنتَ تتجنَّبني بالضبط في الآونة الأخيرة؟»

احمرَّ وجه إليند مرة أخرى. «لقد ظننتُ فقط أنه بات لديكِ ما يكفي من الأصدقاء الجدد لإبقائكِ مشغولةً».

- «ما الذي يُفترض أن يعنيه هذا الكلام؟»

قال إليند: «لا أحبُ الكثير من الأشخاص الذين تقضين وقتك معهم يا ڤاليت، لقد تمكَّنتِ من الانخراط بشكلٍ جيدٍ مع مجتمع لوثاديل، وأجد عمومًا أن الألاعيب السياسية تُغيِّر الناس».

ردَّت ڤين: «من السهل عليك قول ذلك. خاصةً عندما تكون في قمة النظام السياسي، يمكنك حينها أن تتجاهل السياسة، فبعضنا ليس محظوظًا جدًّا».

- «ربما».

قالت ڤين: «علاوة على ذلك، أنت أيضًا تمارس الألاعيب السياسية تمامًا مثل الآخرين. أم أنك ستحاول أن تخبرني أن اهتمامك الأوليّ بي لم يكن بسبب رغبتك في نكاية والدك؟»

رفع إليند يديه. «حسنًا، يمكنك اعتبار ذلك عقوبةً مستحقةً. كنتُ أحمق ومُغفلًا. شيء معتاد في العائلة».

تنهَّدت ڤين، وجلست هادئةً وهي تشعر بالهمس اللطيف للضباب على وجنتيها المُبلَّلتين بالدموع. لم يكن إليند وحشًا. لقد صدَّقته على هذا الأساس. ربما كان أحمق، لكن بات لكيلسير تأثيرٌ واضحٌ عليها. فقد بدأت تثق بمن حولها، ولم يكن هناك من تريد أن تثق به أكثر من إليند ڤينتشر.

وبعدما وجدت الأمر لا يرتبط مباشرةً بـ إليند، رأت أن أهوال العلاقة التي تجمع بين النبلاء و(السكا) يمكن التعامل معها بشكلٍ أسهل، حتى لو كان ثلث النبلاء يقتلون نساء (السكا)، فمن المحتمل أن شيئًا ما يمكن إنقاذه في هذا المجتمع. لن يتعيَّن تطهير النبلاء، رغم أن هذا كان نهجهم. كما أصبح على ڤين التأكُّد من أن هذا النوع من الأشياء لا يحدث، بغض النظر عن سلالة الشخص نفسه.

تفكَّرت ڤين: «يا إلهي! بدأت أفكِّر مثل الآخرين. يبدو الأمر أشبه بأني أعتقد أنه يمكننا تغيير الأشياء».

نظرت إلى إليند، الذي جلس وظهره إلى دوامات الضباب وراءه. بدا مكتئبًا.

تفكَّرت ڤين شاعرةً بالذنب: «لقد استدعيتُ ذكريات سيئة بالنسبة له. لا عجب أنه يكره والده كثيرًا». تاقت نفسها إلى فعل شيءٍ ما يجعله يشعر بالتحسن.

قالت لتلفت انتباهه: «إليند، إنهم مثلنا تمامًا».

توقَّف قليلًا، ثم سألها: «ماذا؟»

ردَّت ڤين: «فلاحون (السكا). لقد سألتني عنهم من قبل. كنت خائفةً؛ لذلك تصرَّفت مثل أيّ نبيلة لائقة، لكن بدت عليك خيبة الأمل عندما لم يكن لديّ المزيد لأقوله».

انحنى إلى الأمام، وسألها: «إذن، هل قضيت وقتًا مع (السكا)؟»

أومأت ڤين. «الكثير من الوقت، الكثير جدًّا بالنسبة إلى عائلتي، ربما لهذا السبب أرسلوني إلى هنا. كنتُ أعرف بعض (السكا) جيدًا. رجل أكبر سنًّا على وجه الخصوص. لقد فقد شخصًا، امرأة كان يحبها، لمجرد أن رجلًا نبيلًا أراد امرأة جميلةً تُرفِّه عنه ذات مساء».

سألها: «حدث هذا في مزرعتك؟»

هزَّت ڤين رأسها بسرعة، وأجابت: «لقد هرب وجاء إلى أراضي والدي».

سأل إليند متفاجئًا: «وأنتم خبَّأتموه لديكم؟ من المفترض أن يتم إعدام (السكا) الهاربين!»

قالت ڤين: «لقد حفظتُ سره، لم أكن أعرفه لفترةٍ طويلةٍ، لكن... حسنًا، يمكنني أن أتعهَّد لك بهذا يا إليند: لقد كان حبه قويًّا مثل حب أيّ رجلٍ نبيل. أقوى من معظم هؤلاء الرجال هنا في لوثاديل بالتأكيد».

سأل إليند مُتلهِّفًا: «وماذا عن الذكاء؟ هل بدوا... مُتخلِّفين؟»

قاطعته ڤين: «بالطبع لا، أود أن أقول لك يا إليند ڤينتشر أنني عرفت الكثير من (السكا) أكثر منك ذكاءً. قد لا يكونون متعلِّمين، لكنهم ما يزالون أذكياء، كما أنهم ساخطون».

سألها: «ساخطون؟»

قالت ڤين: «بعضهم يسخطون من الطريقة التي يُعاملون بها».

- «هم يعرفون إذن؟ يعرفون عن الفوارق بيننا وبينهم؟»

ردَّت ڤين: «وكيف لا يعرفون»، ومدَّت يدها لمسح أنفها بالمنديل، ومع ذلك توقَّفت مُنتبِهةً إلى مقدار المكياج الذي لطَّخت به المنديل.

قال إليند: «خذي هذا»، وسلَّمها منديله الخاص، ثم سألها: «أخبريني المزيد. كيف تعرفين هذه الأشياء؟»

ردَّت ڤين: «أخبروني بها، لقد وثقوا بي، أعرف أنهم ساخطون لأنهم يتذمَّرون من حياتهم التي يعيشونها، وأعرف أنهم أذكياء بسبب الأشياء التي يخفونها عن النبلاء».

سألها: «مثل ماذا؟»

أجابت ڤين: «مثل شبكة الأنفاق السرية. يساعد (السكا) الهاربين على التنقُّل في القنوات من مزرعة لأخرى، والنبلاء لا يلاحظون ذلك لأنهم لا ينتبهون أبدًا لوجوه (السكا)».

- «هذا مثيرٌ جدًّا للاهتمام».

تابعت ڤين: «بالإضافة إلى ذلك، هناك عصابات اللصوص. أظن أنه لا بُدَّ أن يكون هؤلاء (السكا) أذكياء إلى حدٍّ ما إذا كان بإمكانهم الاختباء من المُلتزمين والنبلاء، ونهب البيوت الكبرى على مرأى ومسمع من اللورد الحاكم».

علَّق إليند: «نعم، أعرف. أتمنَّى أن أتمكَّن يومًا من مقابلة أحدهم؛ لأساله كيف يختبئون جيدًا، يجب أن يكونوا أناسًا رائعين».

كادت ڤين تتحدَّث أكثر، لكنها أمسكت لسانها. ربما قلتُ الكثير بالفعل.

نظر إليها إليند، وقال لها: «أنتِ رائعةٌ أيضًا يا ڤاليت. كان يجب أن أتأكَّد أولًا أفضل من أن أفترض أنهم قد أفسدوكِ. ربما ستتمكَّنين أنتِ من إفسادهم بدلًا من ذلك».

ابتسمت ڤين.

قال إليند وهو يقف على قدميه: «ولكنني بحاجة إلى المغادرة. لقد جئت بالفعل إلى حفل الليلة لغرض مُحدَّد. سيلتقي بعض أصدقائي معًا».

تفكَّرت ڤين: «هذا صحيح! كان واحدٌ من الرجال الذين التقى بهم إليند من قبل - أولئك الذي اعتقد كلٌّ من كيلسير وسازد أنه من الغريب أن يتصادق معهم- من آل بيت هاستينج».

وقفت ڤين كذلك، وسلَّمت إليند منديله، ولكنه لم يأخذه، بل ردَّ قائلًا: «قد ترغبين في الاحتفاظ به. لم يكن الغرض من إعطائه لكِ وظيفيًّا بحتًا».

خفضت ڤين بصرها نحو المنديل. عندما يريد أحد النبلاء أن يتودَّد إلى سيدة بجدية، فإنه يعطيها منديلًا.

قالت: «أوه!»، وهي تسحب المنديل مرة أخرى، «شكرًا لك».

ابتسم إليند، واقترب منها، ثم قال: «هذا الرجل الآخر أيًّا كان من هو، قد سبقني بسبب حماقتي. ومع ذلك، أنا لست من الحماقة لدرجة أنني

سأفوِّت الفرصة لمنحه القليل من المنافسة». غمز، وانحنى قليلًا، ثم عاد نحو قاعة الرقص الرئيسية.

انتظرت ڤين قليلًا، ثم تقدَّمت للأمام وتسلَّلت عبر مدخل الشرفة. التقى إليند بالاثنين نفسهما اللذين قابلهما من قبل من بيت ليكال وهاستينج، الخصوم السياسيين لـ بيت ڤينتشر. توقَّفوا للحظة، ثم سار الثلاثة نحو بئر سلم على جانب الغرفة.

تفكَّرت ڤين وهي تنزلق مرة أخرى إلى القاعة: «هذا الدرج يؤدي إلى مكانٍ واحدٍ فقط. الأبراج المساعدة».

- «السيدة ڤاليت؟»

انتفضت ڤين، واستدارت لتجد سازد يقترب منها.

سألها: «هل نحن جاهزون للذهاب؟»

انتقلت ڤين إليه بسرعة. «اللورد إليند ڤينتشر اختفى للتو أسفل ذلك الدرج مع أصدقائه من بيت ليكال وهاستينج».

ردَّ سازد: «هذا أمرٌ مثيرٌ للاهتمام، ولكن مهلًا يا سيدتي... ما الذي حدث لميكاجك؟!»

قالت ڤين: «لا تهتم بذلك. أعتقد أنني يجب أن أتبعهم؟»

سأل سازد: «هل هذا منديلٌ آخر يا سيدتي؟ لقد كنتِ منهمكة».

- «سازد، هل تسمعني؟»

- «نعم، يا سيدتي. أفترض أنه يمكنكِ اتباعهم إذا كنت ترغبين في ذلك، لكنكِ ستكونين واضحةً إلى حدٍّ ما. لا أعلم إن كانت هذه هي أفضل طريقة للحصول على المعلومات».

قالت ڤين بهدوء: «لن أتبعهم علانية، سأستخدم الألومانسي، لكنني أحتاج إلى إذنك للقيام بذلك».

توقَّف سازد. «أفهم، كيف حال جانبك؟»

أجابت ڤين: «لقد شُفي منذ فترةٍ طويلةٍ، لم أعد ألاحظ ذلك الآن».

تنهَّد سازد، ثم قال: «جيد جدًّا. على أيّ حال، كان السيد كيلسير يعتزم بدء تدريبك بجدية مرة أخرى عندما يعود. فقط توخي الحذر. أعتقد أن هذا شيءٌ سخيفٌ أن أقوله لوليدة ضباب، لكن عليّ أن أسألك ذلك على أيّ حال».

قالت ڤين: «سأفعل، سألتقي بك عند تلك الشرفة هناك بعد ساعة».

ردَّ سازد: «أتمنَّى لكِ التوفيق يا سيدتي».

اندفعت ڤين مرة أخرى نحو الشرفة. دارت حول الزاوية، ثم وقفت أمام السور الحجري والضباب خلفها. الفضاء الجميل الملتف. «إنه طويل جدًّا!» هكذا تفكَّرت وهي تمدُّ يدها إلى جعبتها وتخرج قارورة معدنية. ابتلعتها بنفاد صبر وأخرجت حفنة صغيرة من العملات المعدنية.

ثم، وبمنتهى السعادة، قفزت على السور وألقت بنفسها في الضباب المُظلم.

منحها القصدير الرؤية بينما داعبت الرياح فستانها. ومدَّها البيوتر بالقوة عندما أدارت عينيها نحو الجدار، الذي يشبه الدعامة، الممتد بين البرج والقلعة الرئيسية. أعطاها الفولاذ الطاقة عندما ألقت عملة معدنية إلى الأسفل، وأرسلت بها في الظلام.

ترنَّحت في الجو. وتسبَّبت مقاومة الهواء في رفرفة فستانها، حتى شعرت وكأنها تحاول سحب كومة من القماش خلفها، لكن الألومانسي قويٌّ بما يكفي للتعامل مع ذلك. كان برج إليند هو البرج التالي؛ لذا احتاجت إلى الصعود إلى الجسر المُعلَّق الذي يمتد بين الجدار والبرج المركزي. أشعلت ڤين الفولاذ، ودفعت نفسها لأعلى قليلًا، ثم ألقت

عملة أخرى في الضباب خلفها. عندما أصابت الجدار، استخدمته لتُطلِق نفسها للأمام.

اصطدمت بجدارها المستهدف بدرجةٍ منخفضة، خفَّفت طيات القماش من تأثير الصدمة، لكنها تمكَّنت من الإمساك بحافة الجسر العلوية. كان من الممكن أن تواجه ڤين العادية مشكلةً في سحب نفسها على الجدار، لكن ڤين الألومانسية تدافعت بسهولة على الجانب.

انحنت في فستانها الأسود وأخذت تتحرَّك بهدوء عبر الجسر المُعلَّق. لم يكن هناك حراس، لكن البرج الذي أمامها احتوى على نقطة حراسة مُضاءة في قاعدته.

تفكَّرت: «لا يمكن المضي قدمًا في هذا الاتجاه»، ورفعت بصرها لأعلى بدلًا من ذلك. يبدو أن البرج يشتمل على عدة غرف، اثنتين منها مضاءة. أسقطت ڤين عملة معدنية وقذفت بنفسها لأعلى، ثم سحبت إطار نافذة وجذبت نفسها لتهبط برفق على حافة النافذة الحجرية. أُغلقت المصاريع في الليل، وكان عليها أن تميل للأمام، وتشعل القصدير لتسمع ما يجري في الداخل.

- «... الحفلات دائمًا ما تستمر حتى وقتٍ متأخِرٍ من الليل. سنضطر على الأرجح إلى تمديد خدمتنا».

قالت لنفسها: «الحراس!»، قفزت ودفعت الجزء العلوي من النافذة، التي اهتزت عندما صعدت إلى جانب البرج. أمسكت بقاعدة حافة النافذة التالية وسحبت نفسها.

قال صوتٌ مألوفٌ من الداخل: «... لست آسفًا على تأخُّري». إليند. «لقد كانت أكثر جاذبية منك يا تيلدن».

ضحك صوتٌ ذكوري. «إليند ڤينتشر الجبَّار، أخيرًا وقع أسير وجهٍ جميلٍ».

قال إليند: «إنها أكثر من مجرد ذلك يا جاستس، إنها طيبة القلب. لقد ساعدت (السكا) الهاربين في مزرعتها، أظن أنه ينبغي علينا إحضارها للتحدُّث معنا».

تحدَّث رجلٌ بصوتٍ عميقٍ: «مستحيل، انظر يا إليند، لا أمانع إذا كنت تريد التحدُّث عن الفلسفة، حتى إنني سأشاركك بحق الجحيم بعض المشروبات عندما تفعل ذلك، لكنني لن أسمح لأشخاصٍ عشوائيين بالانضمام إلينا».

قال جاستس: «أنا أتفق مع تيلدن، يكفي خمسة أشخاص».

ردَّ صوت إليند: «انظر الآن، لا أعتقد أنك منصف».

قال صوتٌ آخر بألم: «إليند...».

قال إليند: «حسنًا، تيلدن، هل قرأت الكتاب الذي أعطيتك إياه؟»

ردَّ تيلدن: «لقد حاولت، إنه عسير الفهم بعض الشيء».

قال إليند: «ولكنه جيد، أليس كذلك؟»

ردَّ تيلدن: «جيد بما في الكفاية، أستطيع أن أستوعب لماذا يكره اللورد الحاكم ذلك كثيرًا».

علَّق جاستس: «أعمال ريدالفين أفضل. إنها أكثر إيجازًا».

قال صوتٌ خامسٌ: «لا أقصد أن أكون مُخالفًا. ولكن هل هذا كل ما سنفعله؟ سنقرأ؟»

سأل إليند: «ما المشكلة في القراءة؟»

ردَّ الصوت الخامس: «إنها مملة بعض الشيء».

تفكَّرت ڤين: «أصبتَ الرأي».

سأل إليند: «مملة؟ أيها السادة، هذه الأفكار -هذه الكلمات- هي كل شيء. لقد عرف هؤلاء الرجال أنهم سيُعدمون بسبب كلماتهم. ألا يمكنكم الإحساس بشغفهم؟»

قال الصوت الخامس: «الشغف نعم، أما الجدوى فلا».

قال جاستس: «يمكننا تغيير العالم، اثنان منا ورثة بيوتهم، والثلاثة الآخرون في موقع الوريث الثاني».

قال إليند: «يومًا ما سنكون في موضع المسؤولية. إذا طبقنا هذه الأفكار: العدالة، والدبلوماسية، والاعتدال، فيمكننا ممارسة الضغط حتي على اللورد الحاكم نفسه!»

نخر الصوت الخامس. «قد تكون وريثًا لبيتٍ قويٍ يا إليند، لكن بقيتنا لسنا على القدر نفسه من الأهمية. من المحتمل ألا يرث تيلدن ولا جاستس أبدًا. ولا أقصد الإهانة، ولكن ليس لـ كيفوكس تأثيرٌ كبيرٌ، لا يمكننا تغيير العالم».

ردَّ إليند: «يمكننا تغيير الطريقة التي تُدار بها بيوتنا. إذا توقَّفت البيوت عن التنازع فيما بينها، فقد نتمكَّن من اكتساب بعض القوة الحقيقية في الحكومة، بدلًا من مجرد الانصياع لأهواء اللورد الحاكم».

وافقه جاستس، وقال: «كل عام يضعف النبلاء. أتباعنا من (السكا) هم ملك اللورد الحاكم، وكذلك أرضنا. يُحدِّد مُلتزموه من يمكننا أن نتزوج، وبأيّ شيءٍ يمكننا أن نؤمن، حتى إن ملكية قنواتنا الرسمية له. وقتلة الوزارة يقتلون الرجال الذين يتحدَّثون بصراحة أو أولئك الذين ينجحون أكثر من اللازم. هذه ليست طريقة للعيش».

قال تيلدن: «أنا أتفق معك في هذا، تبدو ثرثرة إليند بشأن عدم التوازن الطبقي سخيفة بالنسبة لي، لكن يمكنني أن أرى أهمية تشكيل جبهة مُوحَّدة أمام اللورد الحاكم».

علَّق إليند: «بالضبط، هذا ما علينا أن...».

همس صوتٌ: «ڤين!»

انتفضت ڤين، وكاد تسقط من حافة النافذة من فرط الصدمة.

نظرت حولها بحذر.

همس الصوت: «فوقك».

رفعت بصرها؛ لتجد كيلسير مُعلَّقا بحافة نافذة أخرى فوقها مباشرة. ابتسم، وغمز لها، ثم أومأ برأسه لأسفل نحو الجسر المُعلَّق أدناه.

نظرت ڤين مرة أخرى إلى غرفة إليند بينما كان كيلسير يهبط عبر الضباب بجانبها. أخيرًا، دفعت نفسها وتابعت كيلسير لأسفل، مستخدمة عملتها المعدنية نفسها لإبطاء هبوطها.

قالت بلهفة وهي تهبط: «لقد عدتَ!»

ردَّ كيلسير: «عدتُ اليوم بعد الظهيرة».

- «وما الذي تفعله هنا؟»

- «أتفقَّد أمور صديقنا هذا. لا يبدو أن الكثير قد تغيَّر منذ آخر مرة».

- «آخر مرة؟»

أومأ كيلسير برأسه. «لقد تجسَّست على تلك المجموعة الصغيرة عدة مرات منذ أن أخبرتِني عنهم. ما كان يجب أن أزعج نفسي، فهم لا يُمثِّلون أيّ تهديد. مجرد مجموعة من النبلاء يجتمعون للشرب والمناقشة».

- «لكنهم يريدون الإطاحة باللورد الحاكم!»

قال كيلسير ساخرًا: «ليس الأمر كذلك! إنهم يفعلون فقط ما يفعله النبلاء. يُخطِّطون لتحالفات. ليس من المستغرب أن يبدأ الجيل القادم في تنظيم التحالفات المستقبلية لبيوتهم قبل وصولهم إلى السلطة».

ردَّت ڤين: «هذا مختلف».

سأل كيلسير باستنكار: «حقًّا؟ أكنتِ نبيلة لفترة طويلة من الوقت بحيث يمكنكِ معرفة ذلك بالفعل؟»

احمرَّ وجه ڤين، بينما ضحك كيلسير، ووضع ذراعه حول كتفيها بطريقةٍ وديةٍ. «أوه، لا ترسمي هذا الوجه. يبدو أنهم فتيان طيبون بما يكفي، مقارنةً بالنبلاء. أعدكِ ألا أقتل أيًّا منهم، حسنًا؟»

أومأت ڤين.

- «ربما يمكننا إيجاد طريقة لاستخدامهم. فهم يبدون أكثر انفتاحًا من غيرهم. أنا فقط لا أريدكِ أن تُصابي بخيبة أمل يا ڤين. إنهم ما يزالون نبلاء. قد لا يكون ذلك خطأهم، لكنه لا يُغيِّر من طبيعتهم».

تفكَّرت ڤين: «تمامًا مثل دو كسون. يفترض كيلسير أسوأ ما في إليند». لكن هل لديها حقًّا أيّ سبب لتوقُّع خلاف ذلك؟ لخوض المعركة مثل كيلسير ودوكسون، ربما من الأكثر فاعلية -والأفضل نفسيًّا- افتراض أن كل أعدائهم كانوا أشرارًا.

سألها كيلسير: «بالمناسبة ماذا حدث لمكياجك؟»

ردَّت ڤين وهي تُفكِّر في حديثها مع إليند: «لا أريد أن أتحدَّث عن ذلك». وحدَّثت نفسها: «لماذا كان عليّ البكاء؟! يا لي من حمقاء!

وما هذه الطريقة التي صرحت بها بهذا السؤال عن نومه مع نساء (السكا)!

هزَّ كيلسير كتفيه. «حسنًا إذن، يجب أن نذهب. أشكُّ في أن الفتى ڤينتشر ورفاقه سيتناقشون في أيّ شيءٍ ذي أهمية».

صمتت ڤين.

أوضح كيلسير: «لقد استمعتِ إليهم في ثلاث مناسبات مختلفة يا ڤين. يمكنني أن أُلخِّص لكِ مناقشاتهم إذا كنتِ تريدين».

قالت بتنهيدة: «حسنًا، لكني أخبرت سازد أنني سأقابله مرة أخرى في الحفلة».

ردَّ كيلسير: «بإمكانك الذهاب، إذن. أعدك ألا أخبره أنك تتسلَّلين خلسةً وتستخدمين الألومانسي».

قالت ڤين دفاعًا عن نفسها: «لقد أخبرني أنه يمكنني فعل ذلك».

- «هو من أخبرك حقًّا؟»

أومأت ڤين.

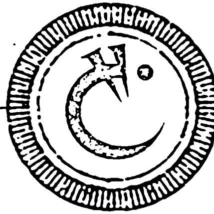
قال كيلسير: «إنه خطئي، عليكِ أن تطلب من سازد أن يُحضر لكِ عباءةً قبل أن تغادري الحفل. الرماد يغطي الجزء الأمامي من فستانك بالكامل. سألتقي بكِ مرة أخرى في ورشة كلوبز. اطلبي من العربة أن تنقلكِ أنتِ وسازد إلى هناك، ثم تابعا سيركما خارج المدينة، هذا سوف يحافظ على المظاهر».

أومأت ڤين مرة أخرى، وغمز لها كيلسير، ثم قفز من على الجدار، ليغرق في الضباب.

في النهاية، يجب أن أثق بنفسي. لقد رأيت رجالًا فقدت أنفسهم القدرة على إدراك الخير والحقيقة، ولا أظن أنني واحدٌ منهم. ما زلت أرى الدموع في عيني طفلٍ صغير فأشعر بالألم بسبب معاناته.

إذا فقدتُ هذه القدرة يومًا ما، فسأعلم أنني قد تجاوزت الأمل في الخلاص.

الفصل الرابع والعشرون



كان كيلسير موجودًا في الورشة عندما وصلت ڤين وسازد إلى هناك. جلس مع هام وكلوبز وسبوك في المطبخ، مستمتعين بشراب الليل المتأخِّر.

قالت ڤين بشوقٍ وهي تدلف من الباب الخلفي: «هام! لقد عدتَ!»

ردَّ بسعادة رافعًا كأسه: «أجل».

- «يبدو أنك ذهبت إلى الأبد!»

قال هام بنبرةٍ جادةٍ: «أتخبرينني عن ذلك!».

قهقه كيلسير، ونهض ليُعيد ملء كأسه. «لقد سئم هام بعض الشيء من لعب دور الجنرال».

تذمَّر هام وهو يتمدَّد: «كان عليّ أن أرتدي زيًّا رسميًّا». إنه يرتدي الآن سُترته وسرواله المعتاد. تابع: «حتى (السكا) في المزارع لا يتعيَّن عليهم تحمُّل هذا النوع من التعذيب».

قالت ڤين وهي تجلس: «جرِّب ارتداء فستان رسمي لبعض الوقت». لقد نظَّفت الجزء الأمامي من فستانها، ولم يكن يبلغ نصف السوء الذي كانت تخشاه. لا يزال الرماد المسود يظهر قليلًا على القماش الغامق، وكانت الألياف خشنة من الاحتكاك بالحصى، ولكن لا يمكن ملاحظة كليهما إلا بصعوبة.

ضحك هام، وقال: يبدو أنكِ تحوَّلتِ إلى شابةٍ لائقةٍ أثناء غيابي».

قالت ڤين بينما ناولها كيلسير كأسًا من النبيذ: «بالكاد».

صمتت قليلًا، ثم أخذت رشفة من الكأس.

قال سازد، وهو يتخذ مقعدًا لنفسه: «السيدة ڤين متواضعة يا سيد هاموند، لقد أصبحت بارعةً جدًّا في فنون البلاط. أفضل حتى من العديد من النبلاء الحقيقيين الذين عرفتهم».

احمرَّ وجه ڤين خجلًا، وضحك هام مرة أخرى. قال لها: «التواضع يا ڤين؟ من أين تعلَّمتِ خصلةً سيئةً كهذه؟»

ردَّ كيلسير: «ليس مني بالتأكيد»، وقدَّم كأسًا من النبيذ إلى سازد. رفع الرجل التيريسي يده في إيماءة رفضٍ مهذبةٍ.

قال هام: «بالطبع لم تحصل عليها منك يا كيل. ربما علَّمها إياها سبوك. يبدو أنه الوحيد في هذه العصابة الذي يعرف كيف يُبقي فمه مُغلقًا دائمًا، أليس كذلك يا فتى؟»

احمرَّ وجه سبوك. من الواضح أنه يحاول تجنُّب النظر إلى ڤين.

تفكَّرت ڤين: «سأضطر إلى التعامل معه في وقتٍ ما، ولكن... هذه الليلة. عاد كيلسير، وإليند ليس قاتلًا. هذه ليلة للاسترخاء».

تردَّد وَقْع أقدامٍ على الدرج، وبعد لحظة دخلَّ دوكسون إلى الغرفة. «حفلة؟ ولم يرسل لي أحد؟»

ردَّ كيلسير: «حسبناك مشغولًا».

أضاف هام: «علاوة على ذلك، نحن نعلم أن لديك مسؤوليات أهم بكثيرٍ جدًّا من الجلوس والسُّكر مع مجموعة من الأوغاد مثلنا».

قال دوكسون بمرح وهو يصبُّ لنفسه كأسًا: «يجب على شخصٍ ما أن يدير شئون هذه العصابة». توقَّف مؤقتًا، ونظر إلى هام بعبوس، ثم قال: «هذه السُّترة تبدو مألوفة...».

ابتسم هام. «مزَّقت أكمام معطفي الرسمي».

صاحت ڤين بابتسامة: «غير ممكن!»

أومأ هام برأسه، وبدا راضيًا عن نفسه.

تنهَّد دوكسون، واستمر في ملء كأسه. «هام، هذه الأشياء تُكلِّف مالًا».

ردَّ هام: «كل شيءٍ يُكلِّف مالًا، لكن ما هو المال؟ تمثيلٌ مادي للمفهوم المُجرَّد للجهد. حسنًا، كان ارتداء هذا الزي الرسمي لفترة طويلة جهدًا رهيبًا. وأود أن أقول إنني وهذه السُّترة قد عُدنا لبعضنا الآن».

أدار دوكسون عينيه فقط. في الغرفة الرئيسية، انفتح الباب الأمامي للورشة ثم أُغلق، وسمعت ڤين صوت بريز وهو يُحيِّي المُتدرِّب الذي يقف للحراسة.

قال كيلسير، وهو يتكئ بظهره على خزانة: «بالمناسبة يا دوكس، سأحتاج شخصيًّا إلى بعض «التمثيلات المادية لمفهوم الجهد». أود استئجار مستودع صغير لإجراء بعض اجتماعات المُخبرين».

ردَّ دوكسون: «يمكن ترتيب ذلك على الأرجح، بافتراض أننا نبقي ميزانية خزانة ملابس ڤين تحت السيطرة، أنا...» قطع كلامه، ونظر إلى ڤين، وسألها: «ماذا فعلتِ بهذا الفستان أيتها السيدة الشابة؟»

احمرَّ وجه ڤين، وانكمشت في كرسيها. ربما أبدو ملحوظةً أكثر قليلًا مما كنت أعتقد...

قهقه كيلسير، وقال له: «قد تضطر إلى التعوُّد على الملابس المتسخة يا دوكس؛ لأن ڤين ستعود إلى واجباتها كوليدة ضباب اعتبارًا من هذا المساء».

علَّق بريز، وهو يدخل المطبخ: «هذا مثيرٌ للاهتمام. هل لي أن أقترح عليها أن تتفادى محاربة ثلاثة مُحقِّقين فولاذيين في وقتٍ واحدٍ هذه المرة؟»

ردَّت ڤين: «سأبذل قصارى جهدي».

سار بريز إلى الطاولة واختار مقعدًا لنفسه بسلوكه المُميَّز. رفع الرجل البدين عصاه، مشيرًا نحو هام، وقال: «أرى أن فترة استراحتي الفكرية قد انتهت».

ابتسم هام، وردَّ قائلًا: «فكَّرتُ في بعض الأسئلة اللعينة أثناء غيابي، وكنتُ أقوم بحفظهما من أجلك فقط يا بريز».

قال بريز: «أكاد أموتُ من فرط الترُّقب»، وأدار عصاه نحو ليستيبورنز. «سبوك، مشروب».

هرع سبوك وأحضر لبريز كأسًا من النبيذ.

علَّق بريز وهو يتسلَّم المشروب: «إنه فتى رائع. لا أحتاج سوى أن أدفعه بضع دفعات ألومانتيكية. لو أن بقيتكم هكذا أيها الأوغاد، لكنتم متعاونين للغاية».

عبس سبوك، وقال بلهجته العامية الشرقية: «من الأفضل عدم اللعب مع أشخاصٍ مثل هذا».

ردَّ بريز: «ليس لديّ أيّ فكرة عما قلته للتو يا فتى؛ لذا سأتظاهر ببساطة أنه كان كلامًا متماسكًا، ثم أنتقل إلى أمرٍ آخر».

قال كيلسير لـ سبوك بلهجته: «لا تقلق بشأن ما يفعله. إنه أمرٌ لا يستحق اهتمامك».

ردَّ سبوك بإيماءة: «ربما أنت مُحقٌّ فيما تقوله».

لم يفهم بريز شيئًا، فسألهما بضيق: «عمَّ تثرثران؟»

قال سبوك مُتحدِّثًا إلى كيلسير: «إنه يرغب في أن يبدو ذكيًّا، إنه يتلاعب بالناس لمجرد رغبته هذه».

وافقه كيلسير: «إنه دائمًا ما يفعل ذلك».

ابتسم هام، وأضاف باللهجة العامية الشرقية أيضًا: «إنه غير واثقٍ من نفسه. أعتقد أن رغبته هذه ناتجة عن خوفه من أنه ليس ذكيًّا».

تحوَّل بريز إلى دوكسون بسخطٍ، وقال: «أظن أن رفاقنا فقدوا عقولهم أخيرًا يا صديقي العزيز».

هزَّ دوكسون كتفيه، وبدا وجهه جامدًا تمامًا، ثم قال -باللهجة نفسها التي لا يفهمها بريز- كلامًا على شاكلة ما قالوه: «أعتقد ذلك».

جلس بريز مذهولًا، وانفجرت الغرفة في الضحك. أدار بريز عينيه بغضب، وهزَّ رأسه وأخذ يغمغم حول طفولية العصابة الزائدة.

كادت ڤين تختنق وهي تشرب نبيذها من فرط الضحك. ثم سألت دوكسون الذي يجلس بجوارها: «ماذا قلتَ للتو؟»

اعترف دوكسون: «لستُ متأكِّدًا، لقد بدا ذلك صحيحًا».

قال كيلسير: «لا أظن أنك قلت شيئًا يا دوكس».

علَّق سبوك: «أوه، لقد قال شيئًا، ولكنه لم يكن يعني أيّ شيء».

ضحك كيلسير، ثم قال: «دائمًا ما يكون الأمر كذلك. لقد اكتشفتُ أنه يمكنك تجاهل نصف ما يخبرك به دوكس دون أن يفوتك الكثير، ربما باستثناء الشكوى العرضية من أنك تنفق كثيرًا من المال».

ردَّ دوكسون: «مهلًا! مرة أخرى، هل يجب أن أشير إلى أن شخصًا ما يجب أن يكون مسؤولًا؟ بصراحة، الطريقة التي تهدرون بها الأموال...».

ابتسمت ڤين. حتى شكاوى دوكسون بدت لطيفة. جلس كلوبز صامتًا بجانب الجدار الجانبي، يبدو مُتجهِّمًا كما هو الحال دائمًا، لكن ڤين رأت طيف ابتسامةٍ خافتةٍ على شفتيه. نهض كيلسير وفتح زجاجة نبيذ أخرى، وأعاد ملء الكؤوس كما أخبر العصابة عن استعدادات جيش (السكا).

بدت ڤين... راضية، وبينما كانت تشرب نبيذها، لاحظت الباب المفتوح المؤدي إلى الورشة المظلمة. تخيَّلت، للحظة، أنها تستطيع أن ترى شخصًا في الظل؛ فتاة نحيفة خائفة، مرتابة، ومضطربة، وشعرها قصير أشعث، بينما ترتدي قميصًا بسيطًا متسخًا وبنطالًا بُنيًّا.

تذكَّرت ڤين تلك الليلة الثانية لها في ورشة كلوبز، عندما أطلَّت من ورشة العمل المُظلمة، وشاهدت الآخرين يتبادلون الحديث في وقتٍ متأخِّرٍ من الليل. هل تلك الفتاة التي تجلس الآن هي حقًّا الفتاة نفسها التي كان تختبئ في الظلام البارد، وتراقب مظاهر الضحك والصداقة بحسدٍ خفيٍّ، لكنها لا تجرؤ على الانضمام إليها؟

أدلى كيلسير ببعض التعليقات الطريفة للغاية مما أثار الضحك في الغرفة بأكملها.

تفكَّرت ڤين بابتسامة: «أنت على حق يا كيلسير. هذا أفضل».

لم تكن مثلهم بعد، ليس تمامًا. على مدى ستة أشهر لم تستطع إسكات همسات رين في رأسها، كما لم تستطع أن ترى نفسها أبدًا على القدر نفسه من الثقة التي يتمتَّع بها كيلسير، لكنها... استطاعت أخيرًا أن تفهم، على الأقل قليلًا، سبب تصرُّفه بالطريقة التي يتصرَّف بها.

قال كيلسير وهو يسحب كرسيًّا ثم يجلس عليه بطريقة عكسية: «حسنًا، يبدو أن الجيش سيكون جاهزًا في الموعد المُحدَّد، ومارش في موقعه. نحتاج إلى المضي قدمًا بهذه الخطة. ڤين، هل لديك أيّ أخبار من الحفلات؟»

ردَّت: «بيت تيكيل على وشك الانهيار. الحلفاء ينفضون من حولهم، والانتهازيون يقتربون منهم. يتهامس البعض بأن الديون والخسائر التجارية ستجبر آل تيكيل على بيع قلعتهم بحلول نهاية الشهر. لا توجد طريقة يمكنهم من خلالها الاستمرار في دفع الضرائب التي يفرضها اللورد الحاكم على قلعتهم».

قال دوكسون: «هذا يقضي فعليًّا على بيتٍ كبيرٍ بأكمله من بيوت العاصمة الكبرى. سيتعيَّن على معظم نبلاء بيت تيكيل -بما في ذلك الضبابيون ووليدو الضباب- الانتقال إلى المزارع الخارجية لمحاولة تعويض خسائرهم».

علَّق هام: «هذا جيد». فكلما زاد عدد بيوت النبلاء التي يتم إقصاؤها خارج العاصمة، سهل الاستيلاءُ عليها.

عقَّب بريز: «ولكن ما يزال هناك تسعة بيوتٍ كبرى في العاصمة».

قال كيلسير: «لكنهم بدأوا يقاتلون بعضهم بعضًا في ظُلمة الليل. إنهم على بُعد خطوةٍ واحدةٍ فقط من إعلان الحرب. أظن أننا سنرى هجرة

جماعية تبدأ هنا قريبًا، فأيّ شخصٍ غير مستعد للمخاطرة بالتعرُّض للاغتيال بسبب نفوذه في لوثاديل سيغادر العاصمة لبضع سنوات».

قالت ڤين: «البيوت القوية لا تبدو خائفةً للغاية، ما زالوا يُنظِّمون الحفلات على أيّ حال».

ردَّ كيلسير: «أجل، وسوف يستمرون في فعل ذلك حتى النهاية. تختلق الحفلات أعذارًا رائعة للالتقاء بالحلفاء ومراقبة الأعداء. حروب البيوت سياسية في المقام الأول؛ ولذلك فهي تتطلَّب ساحات قتالٍ سياسية».

أومأت ڤين.

قال كيلسير: «هام، نحن بحاجة إلى مراقبة حامية لوثاديل. هل ما زلت تُخطِّط لزيارة جهات اتصالك العسكرية غدًا؟»

أومأ هام، ثم أوضح: «لا يمكنني أن أعدك بأيّ شيء، لكن يجب أن أتمكَّن من إعادة تكوين بعض العلاقات. أعطني القليل من الوقت، وسأعرف ما الذي سيفعله الجيش».

ردَّ كيلسير: «جيد جدًّا».

قالت ڤين: «أود أن أرافقه».

توقَّف كيلسير قليلًا، ثم سألها: «ترافقين هام؟»

أومأت ڤين. «لم أتدرَّب مع أحد (السفَّاحين) حتى الآن، ربما يستطيع هام أن يعلِّمني بعض الأشياء».

قال كيلسير: «أنت تعرفين بالفعل كيف تحرقين البيوتر، لقد تدرَّبنا على ذلك».

ردَّت ڤين: «أعلم». كيف يمكن أن تشرح له؟ لقد مارس هام حرق البيوتر حصرًا؛ لذا فلا بُدَّ أنه أفضل من كيلسير في ذلك».

قال بريز: «كُفَّ عن مضايقة الفتاة. ربما سئمت من الحفلات والرقصات. دعها تذهب لتكون قنفذ شوارع عاديًّا مرة أخرى لبعض الوقت».

ردَّ كيلسير وهو يدير عينيه: «حسنًا». صبَّ لنفسه كأسًا آخر، ثم قال: «بريز، إلى أيِّ مدى يمكن أن يدير رجالك من (المُهدِّئين) الأمور جيدًا إذا تركتهم لفترة قصيرة؟»

هزَّ بريز كتفيه، وقال: «أنا، بالطبع، أكثر أعضاء الفريق فاعلية، لكنني قمتُ بتدريب الآخرين جيدًا؛ بحيث يمكنهم تجنيد (السكا) بدوني، خاصةً بعدما أصبحت القصص التي تتردَّد حول الناجي شائعة جدًّا الآن».

قال دوكسون عابسًا: «نحن بحاجة إلى التحدُّث عن ذلك بالمناسبة يا كيل، لستُ متأكِّدًا مما إذا كنتُ معجبًا بحالة التصوف الشائعة عنك وعن المعدن الحادي عشر».

ردَّ كيلسير: «يمكننا مناقشة ذلك لاحقًا».

سأل بريز: «لماذا تسأل عن رجالي؟ هل أصبحت مؤخرًا غيورًا جدًّا من حسي العالي بعالم الموضة لدرجة أنك قرَّرت التخلُّص مني؟»

قال كيلسير: «يمكنك قول ذلك، كنتُ أفكِّر في إرسالك لتحلّ محل يادين في غضون بضعة أشهر».

سأل بريز متفاجئًا: «أحلّ محل يادين؟ هل تقصد أنني أقود الجيش؟»

قال كيلسير: «ولِمَ لا؟ أنت رائعٌ جدًّا في إعطاء الأوامر».

ردَّ بريز: «من الخلف يا عزيزي، أنا لا أقف أبدًا في المقدمة. أنت تعني أن أكون جنرالًا. هل لديك أيّ فكرة عن مدى سخافة ذلك؟»

قال كيلسير: «فقط فكِّر في الأمر. يُفترض أن تنتهي عملية التجنيد في الغالب بحلول ذلك الوقت؛ لذلك قد تكون أكثر فاعلية إذا ذهبت إلى الكهوف وتركت يادين يعود للتنسيق مع جهات اتصاله هنا».

عبس بريز: «ربما أفعل».

قال كيلسير وهو ينهض من مكانه: «بغض النظر عن ذلك، لا أظن أن لديّ ما يكفي من النبيذ تقريبًا. فلتكن فتًى طيبًا يا سبوك، واركض إلى القبو من أجل الحصول على زجاجة أخرى».

أومأ الفتى برأسه، وتحوَّلت المحادثة إلى مواضيع أخف. أراحت ڤين ظهرها على كرسيها، وشعرت بدفء موقد الفحم على جانب الغرفة، مسرورة بالاستمتاع فقط بلحظة سلام دون أن يكون عليها القلق أو القتال أو التخطيط.

حدَّثت نفسها وهي تُمرِّر أصابعها على قرطها بشكلٍ عابرٍ: «لو تسنَّى لـ رين أن يعرف شيئًا كهذا، ربما لاختلفت الأمور بالنسبة له، ولنا أيضًا».

***

غادر هام وڤين في اليوم التالي لزيارة حامية لوثاديل. بعد عدة أشهر من لعب دور النبيلة، ظنَّت ڤين أنه سيبدو غريبًا أن ترتدي ملابس الشارع مرة أخرى، ولكن لم يحدث ذلك حقًّا. صحيح، كان الأمر مختلفًا بعض الشيء، فلم يكن عليها أن تقلق بشأن الجلوس بشكلٍ لائقٍ أو المشي بحيث لا يلامس فستانها الجدران أو الأرضيات المتسخة، ومع ذلك لا تزال الملابس البسيطة تبدو طبيعيةً بالنسبة لها.

ارتدت بنطالًا بُنيًّا بسيطًا وقميصًا فضفاضًا أبيض اللون، مطويًّا عند الخصر، مع سترة جلدية فوقه. وقد ربطت شعرها المُطوَّل تحت غطاء

الرأس. ربما ظنَّ المارة العابرون أنها ولد، على الرغم من أن هام لم يهتم بالأمر برمته.

وفي الحقيقة لم يكن الأمر مهمًّا على الإطلاق، ولكن ڤين اعتادت على أن يكون هناك أشخاصٌ يتفحصَّونها ويُقيِّمونها، لكن لم يكلف أحدٌ في الشارع نفسه عناء إلقاء نظرة عليها أصلًا. عمال (السكا) المنهكون، والنبلاء الأدنى غير المبالين، حتى (السكا) رفيعو المستوى مثل كلوبز، كلهم تجاهلونها تمامًا.

تفكَّرت ڤين: «كدتُ أنسى ما كان عليه الحال عندما كنتُ غير مرئية». لحسن الحظ، فإن السلوكيات القديمة -إحناء الرأس في أثناء المشي، والابتعاد عن طريق الناس، وتقويس ظهرها لجعل نفسها غير ملحوظة- عادت إليها بسهولة. بدا تحوّل ڤين إلى واحدة من (السكا) المنتشرين في الشوارع بسيطًا مثل تذكُّر لحنٍ قديم ومألوف اعتادت أن تدندنه.

تفكَّرت ڤين وهي تسير بجوار هام: «هذا في الحقيقة مجرد تنكُّر آخر. مكياجي عبارة عن طبقة خفيفة من الرماد، تم تمسيدها بعناية على خدي. وثوبي عبارة عن سروال، تم تلطيخه ليبدو قديمًا ومهترئًا».

إذن من كانت حقًّا؟ ڤين قنفذ الشوارع؟ أم ڤاليت السيدة النبيلة؟ أم أنها ليست واحدة من الاثنتين؟ هل يعرف أصدقاؤها من تكون حقًّا؟ هل تعرف هي نفسها حقًّا؟

قال هام، وهو يسير بجوارها بسعادة: «آه، لقد افتقدتُ هذا المكان». بدا هام سعيدًا دائمًا؛ لم تتخيَّله مستاءً قط رغم ما قاله عن الفترة التي قضاها في قيادة الجيش.

قال، مُلتفتًا إلى ڤين: «هذا غريبٌ نوعًا ما». لم يمشِ بنفس جو البؤس الحذر الذي جسَّدته ڤين، لا يبدو أنه يهتم حتى إنه يبرز عن (السكا) الآخرين. أردف: «ربما لا ينبغي أن أفتقد مكانًا كهذا، أعني لوثاديل أقذر مدينة وأكثرها ازدحامًا في الإمبراطورية النهائية، ولكن هناك أيضًا شيءٌ ما هنا...».

سألت ڤين: «هل هذا هو المكان الذي تعيش فيه عائلتك؟»

هزَّ هام رأسه. «إنهم يعيشون في مدينة أصغر بعيدًا عن العاصمة. زوجتي خيَّاطة هناك، إنها تخبر الناس أنني أعمل في حامية لوثاديل».

- «ألا تفتقدهم؟»

قال هام: «بالطبع أفتقدهم. إنه أمرٌ صعبٌ، لا يمكنني سوى قضاء بضعة أشهر فقط معهم في كل مرة أزورهم فيها، ولكن الأمر هكذا أفضل. إذا تعرَّضت للقتل في إحدى العمليات، فسيواجه المحقِّقون صعوبةً في تتبُّع أثر عائلتي. إنني حتى لم أخبر كيل نفسه بالمدينة التي يعيشون فيها».

سألت ڤين: «هل تعتقد أن الوزارة ستكلف نفسها هذا القدر من المتاعب؟ أعني أنك حينئذٍ ستكون ميتًا بالفعل».

ردَّ هام: «إنني ضبابيٌّ يا ڤين. هذا يعني أن جميع ذريتي سيكون لديهم بعض الدم النبيل. قد يُصبح أبنائي وأحفادي من بعدهم ألومانسيين؛ لذا فعندما يقتل المُحقِّقون الضبابي، فإنهم يتأكَّدون من القضاء على ذريته أيضًا. يتمثَّل السبيل الوحيد للحفاظ على سلامة عائلتي في الابتعاد عنهم».

قالت ڤين: «ألا يمكنك التوقُّف عن استخدام الألومانسي!»

هزَّ هام رأسه. «لا أعرف ما إذا كان بإمكاني فعل ذلك».

- «بسبب القوة؟»

قال هام بصراحة: «كلا، بل بسبب المال. (السَّفاحون) أو (الأذرع البيوترية)، كما يُفضِّل النبلاء أن يُسمّوهم، هم أكثر الضبابيين المطلوبين. يمكن أن يقف (السفَّاح) الكفء ضد نصف دزينة من الرجال العاديين، كما يمكنه رفع المزيد عن غيره، والتحمُّل أكثر، والتحرُّك أسرع من القوى العاملة العادية. هذه الأشياء تعني الكثير عندما يتعيَّن عليك إبقاء فرق عملك صغيرة العدد. اجمع اثنين أو ثلاثة من (قاذفي العملات) مع خمسة أو ستة من (السفَّاحين)، وستحصل على جيشٍ صغيرٍ مُتنقِّل. يدفع الرجال الكثير من المال مقابل مثل هذا النوع من الحماية».

أومأت ڤين. «يمكنني أن أرى كيف يكون المال مغريًا».

- «إنه أكثر من مجرد إغراء يا ڤين. لا يتعيَّن على عائلتي العيش في مساكن (إلسكا) المكتظة، ولا عليهم أن يقلقوا بشأن الموت جوعًا. زوجتي تعمل فقط لمواكبة المظاهر؛ لكنهم يعيشون حياةً طيبةً، مقارنة بـ (السكا). بمجرد أن أحصل على ما يكفي من المال، سنبتعد عن نطاق السيادة المركزية. هناك أماكن في الإمبراطورية النهائية لا يعرفها الكثير من الناس، أماكن يمكن لرجلٍ لديه ما يكفي من المال أن يعيش فيها حياة النبلاء، أماكن يمكنك فيها التوقُّف عن القلق والاستمتاع بالعيش فحسب».

- «هذا يبدو... جذَّابًا».

أومأ هام برأسه، واستدار ليقودها إلى شارعٍ أكبر باتجاه بوابات العاصمة الرئيسية. تابع: «في الواقع، لقد استلهمتُ هذا الحلم من كيل. هذا ما قال دائمًا أنه يريد أن يفعله. أتمنَّى فقط أن أكون أكثر منه حظًّا...».

عبست ڤين، وتساءلت: «يقول الجميع إنه كان ثريًّا، لماذا لم يغادر؟»

ردَّ هام: «لا أعرف، دائمًا ما كان هناك عملية أخرى، وكل عملية أكبر من سابقتها. أظن أنه عندما تكونين زعيمةَ عصابةٍ مثله، ستدمنين اللعبة رغمًا عنكِ. سرعان ما أصبح المال لا يهمه كثيرًا. وبعد ذلك، سمع أن اللورد الحاكم يحتفظ بسرٍّ لا يُقدَّر بثمنٍ في حرمه الآمن. لو كان قد غادر هو وماري قبل تلك العملية... لكن، حسنًا، لم يفعلوا ذلك. لا أعرف، ربما لم يكونوا ليشعروا بسعادة إذا عاشوا حياةً ليس فيها ما يدعو للقلق».

بدا أن هذه الفكرة تثير اهتمامه، ويمكن أن ترى ڤين سؤالًا آخر من «أسئلته» التي تدور في ذهنه.

أظن أنني عندما أكون زعيمة عصابة مثله، سأُدمن اللعبة رغمًا عني...

عادت هواجسها السابقة. ماذا سيحدث إذا استولى كيلسير على العرش الإمبراطوري لنفسه؟ لا يمكن أن يكون بقدر السوء الذي عليه اللورد الحاكم، لكنها... قرأت المزيد والمزيد من المذكرات. لم يكن اللورد الحاكم طاغيةً على الدوام. بل إنه كان رجلًا صالحًا ذات مرة، رجلًا صالحًا ضلَّ طريقه.

قالت لنفسها بقوة: «كيلسير مختلف، سيفعل الصواب دائمًا».

ومع ذلك تشكَّكت. قد لا يفهم هام، لكن ڤين رأت الإغراء. على الرغم من فساد النبلاء، كان هناك شيءٌ مسكر في المجتمع الراقي. انبهرت ڤين بالجمال والموسيقى والرقص. لم يكن افتتانها مثل كيلسير؛ فلم تهتم بالألاعيب ولا الحيل السياسية، لكنها تفهَّمت السبب الذي جعله يتردَّد في مغادرة لوثاديل.

لقد دمَّر هذا التردُّد كيلسير القديم، لكنه أنتج مخلوقًا أفضل. كيلسير آخر أكثر تصميمًا وأقل أنانية، أو هكذا تأمل ڤين.

بالطبع، قد كلَّفته خططه من قبل أيضًا المرأة التي أحبها. ألهذا السبب يكره النبلاء كثيرًا؟

سألت: «هام؟ هل دائمًا ما كره كيلسير النبلاء؟»

أومأ هام برأسه. «ولكن، كراهيته ازدادت لهم الآن».

– «إنه يخيفني أحيانًا، يبدو أنه يريد قتلهم جميعًا، بغض النظر عن هويتهم».

قال هام: «أنا قلقٌ بشأنه أيضًا. هذا الشيء المُسمَّى بالمعدن الحادي عشر... يكاد يكون كما لو أنه يحاول من خلاله أن يُدشِّن نفسه كواحدٍ من القديسين». توقَّف ثم نظر إليها، وأردف: «لا تقلقي كثيرًا. لقد تحدَّثنا أنا وبريز ودوكس بالفعل عن هذا الأمر. سنواجه كيل، لنرى ما إذا كان بإمكاننا كبح جماحه قليلًا. إنه حسن النية، لكنه يميل إلى المبالغة في بعض الأحيان».

أومأت ڤين. أمامهم، انتظرت الصفوف المزدحمة المعتادة الإذن بالمرور عبر بوابات العاصمة. سارت هي وهام بهدوء أمام المجموعة المهيبة؛ حيث يُرسل العمال إلى المرافئ، بينما يخرج الرجال للعمل في أحد المصانع الخارجية على طول النهر أو البحيرة، كما ينتظر أيضًا صغار النبلاء الذين يرغبون في السفر. وعلى الجميع أن يكون لديهم أسباب وجيهة لمغادرة العاصمة؛ حيث يتحكَّم اللورد الحاكم بصرامة في السفر داخل مملكته.

قالت ڤين في سرها: «أيها المساكين!»، وهي تمر بمجموعة من الأطفال المستضعفين الذين يحملون فُرشًا ودِلاءً، ربما تكون مهمتهم

هي تسلق الجدار لتنظيف الأُشْنة[1] التي يُخلِّفها الضباب على الحواجز.

وفي الأمام، بالقرب من البوابات، قام ضابط بشتم ودفع رجلٍ من (السكا) خارج الصف. سقط العامل على الأرض بقوة، لكنه تمكَّن أخيرًا من الوقوف على قدميه مرة أخرى والزحف إلى نهاية الصف. إذا لم يُسمح له بالخروج من العاصمة، فمن المحتمل أنه لن يتمكَّن من القيام بعمله اليومي؛ وعدم العمل يعني عدم الحصول على العملات الرمزية لشراء الطعام لعائلته.

تبعت ڤين هام بعد تخطي البوابات، مُتجهين إلى شارعٍ موازٍ لسور العاصمة، وفي نهايته يمكن لـ ڤين أن ترى مُجمَّعًا كبيرًا للمباني. لم تُدقِّق من قبل في مقر الحامية، فمعظم أفراد العصابات يفضلون البقاء على مسافة بعيدة منه. ومع ذلك، عندما اقتربوا، اندهشت بالمظهر الدفاعي. حيث ثُبِّتت مسامير كبيرة على الجدار الذي يُحيط بالمُجمَّع بأكمله. وقد كانت المباني بالداخل ضخمة ومُحصَّنة، بينما وقف الجنود على البوابات، يُحدِّقون إلى المارة بعدائية.

توقَّفت ڤين، وتساءلت: «هام، كيف سنصل إلى هناك؟»

قال وهو يقف بجانبها: «لا تقلقي، إنهم يعرفونني في الحامية. وعلاوة على ذلك، الأمر أقل فظاعة مما يبدو، فوجوه رجال الحامية مُتجهِّمة هكذا لترهيب الناس فقط. كما يمكنكِ أن تتخيَّلي، إنهم ليسوا محبوبين على الإطلاق. معظم الجنود هناك هم رجالٌ من (السكا) باعوا أنفسهم

(1) هي كائناتٌ عضوية تتألَّف من طحالب وفطريات تتعايش معًا. ويستطيع الطحلب أن يصنع طعامه الخاص بمساعدة ضوء الشمس. أما الفِطر فلا يستطيع تصنيع طعامه الخاص، غير أنه يمتص الماء بسرعة. وهناك نحو عشرين ألف نوع من الأُشْنة ينمو بعضها على التربة، لكن غالبيتها تنمو على الصخور أو لحاء الشجر.

للورد الحاكم من أجل حياةٍ أفضل. عند يقوم (السكا) بأعمال شغبٍ في مدينةٍ ما، عادةً ما تتعرَّض الحامية المحلية لهجومٍ شديدٍ من قِبل الساخطين، ومن هنا جاءت التحصينات».

- «إذن... تعرف هؤلاء الرجال؟»

أومأ هام برأسه. «أنا لستُ مثل بريز وكيل يا ڤين، لا يمكنني ارتداء الأقنعة ولا الادعاء. أنا فقط ما أنا عليه. هؤلاء الجنود لا يعرفون أنني ضبابي، لكنهم يعرفون أنني أعمل مع عصابات عالم الإجرام. لقد عرفت العديد من هؤلاء الرجال منذ سنوات. وقد حاولوا باستمرار تجنيدي معهم. عادةً ما يحالفهم الحظ في العثور على أشخاصٍ مثلي، من الذين هم بالفعل خارج التيار السائد في المجتمع، للانضمام إلى صفوفهم».

قالت ڤين بهدوء، وهي تجذب هام إلى جانب الطريق: «لكنك ستخونهم».

سأل هام: «أخونهم؟ كلا، لن تكون هذه خيانة. هؤلاء الرجال هم مرتزقة يا ڤين، لقد تم تجنيدهم للقتال، وسوف يهاجمون أصدقاءهم، بل حتى أقاربهم، في أيّ أعمال شغبٍ أو تمرُّدٍ. يتعلَّم الجنود استيعاب هذا النوع من الأشياء. قد نكون أصدقاء، لكن عندما يتعلَّق المرء بالقتال، فلن يتردَّد أيّ منا في قتل الآخرين».

أومأت ڤين ببطء. بدا ذلك... قاسيًا، لكن هكذا هي الحياة.. قاسية. هذا الجزء بالتحديد من تعليم رين لم يكن كذبة.

قال هام وهو ينظر إلى الحامية: «فتيان مساكين، كان بإمكاننا استخدام رجالٍ مثلهم. قبل أن أغادر إلى الكهوف، تمكَّنت من تجنيد القلة القليلة منهم الذين اعتقدت أنهم سيتقبَّلون الأمر. أما البقية... حسنًا، فلقد اختاروا طريقهم. إنهم -مثلي- يحاولون فقط منح أطفالهم

حياةً أفضل. الفرق الوحيد هو أنهم على استعداد للعمل لحسابه من أجل تحقيق ذلك».

التفت هام إليها مرة أخرى، وقال: «حسنًا، هل أردتِ بعض النصائح بشأن حرق البيوتر؟»

أومأت ڤين بلهفة.

قال هام: «عادة ما يسمح لي الجنود بمصارعتهم، يمكنك مشاهدتي وأنا أقاتلهم؛ احرقي البرونز لتري عندما أستخدم الألومانسي. أول وأهم شيءٍ ستتعلّمينه عن (الأذرع البيوترية) هو متى تستخدمين معدنك. لقد لاحظت أن الألومانسيين الشباب يميلون دائمًا إلى إشعال بيوترهم، معتقدين أنه كلما كانوا أقوى، كان ذلك أفضل. ولكن ليس عليكِ دائمًا أن تضربي بأقصى قوتك مع كل ضربة تُوجِّهينها للخصم».

تابع: «صحيحٌ أن القوة جزءٌ كبيرٌ من القتال، لكنها ليست الجزء الوحيد. إذا ضربتِ دائمًا بأقصى قوتك، فسوف تتعبين بشكلٍ أسرع وتُقدِّمين لخصمك معلوماتٍ حول حدود قوتك. يضرب المرء الذكي بأقصى قوته في نهاية المعركة، عندما يكون خصمه في أضعف حالاته. وفي معركة طويلة، مثل الحرب، يُعتبر الجندي الذكي هو من ينجو بنفسه لأطول فترةٍ ممكنةٍ. إنه ذلك المرء الذي يُجيد التحكُّم في ذاته».

أومأت ڤين وتساءلت: «لكن، ألا تتعب بشكلٍ أبطأ عندما تستخدم الألومانسي؟»

أجاب هام: «نعم. في الواقع، يمكن للمرء الذي لديه ما يكفي من البيوتر أن يستمر في القتال بأقصى كفاءة تقريبًا لساعات، لكن سحب البيوتر بهذه الطريقة يتطلَّب الممارسة، وسينفد المعدن عاجلًا أم آجلًا. وعندما يحدث ذلك، يمكن أن يقتلكِ التعب».

أوضح: «على أيّ حال، ما أحاول شرحه هو أنه من الأفضل عادة التغيير في شدة حرق البيوتر. إذا استخدمتِ قوة أكثر من اللازم، فمن الممكن أن تفقدي توازنك. لقد رأيت أيضًا (سفَّاحين) يعتمدون بشدة على البيوتر لدرجة أنهم يتجاهلون التدريب والممارسة. إن البيوتر يُعزِّز قدراتك الجسدية، ولكن ليس مهاراتك الفطرية. إذا لم تكوني تعرفين كيفية استخدام السلاح -أو إذا لم تتدرَّبي على التفكير بسرعة في خضم القتال- فستخسرين بغض النظر عن مدى قوتك».

ثم أردف: «عليّ أن أكون أكثر حذرًا مع الحامية؛ لأنني لا أريدهم أن يعرفوا أنني من الألومانسيين. ستندهشين من عدد المرات التي يكون فيها ذلك مهمًّا بالنسبة لي. راقبي كيف أستخدم البيوتر. لن أشعله من أجل القوة فقط، إذا تعثرت فسوف أحرقه لاستعادة توازني مباشرةً. عندما أراوغ، فقد أحرقه لمساعدتي على الابتعاد عن الطريق بشكلٍ أسرع قليلًا. هناك العشرات من الحيل الصغيرة التي يمكنكِ القيام بها إذا كنتِ تعرفين متى يتعيَّن عليك تعزيز ذاتك».

أومأت ڤين.

قال هام: «حسنًا، لنذهب إذن. سأخبر رجال الحامية أنكِ ابنة أحد أقاربي. يبدو أنكِ صغيرة بما يكفي مقارنةً بعمرك لدرجة أنهم لن يُفكِّروا حتى مرتين. راقبيني وأنا أقاتل، وسنتحدَّث بعد ذلك».

أومأت ڤين مرة أخرى، واقترب الاثنان من الحامية. لوَّح هام لأحد الجنود. «مرحبًا، بيفيدون. لقد حصلت على إجازة اليوم. هل سرتس في الجوار؟»

قال بيفدون: «إنه هنا يا هام، لكنني لا أعرف ما إذا كان هذا أفضل يوم للمصارعة...».

رفع هام حاجبه. «حقًّا؟»

تبادل بيفيدون النظر مع أحد الجنود الآخرين.

ثم قال للرجل: «اذهب لمناداة القائد».

بعد لحظاتٍ قليلةٍ، خرج جندي يبدو عليه الانشغال من مبنى جانبي، ولوَّح بيده بمجرد أن رأى هام. كان زيه يحمل بضعة أشرطة إضافية مُلوَّنة وتزيَّن كتفه ببضع قطع معدنية ذهبية اللون.

قال الوافد الجديد وهو يخطو عبر البوابة: «مرحبًا، هام».

ردَّ هام بابتسامة وهو يصافح الرجل: «مرحبًا، سرتس، أصبحت القائد الآن، ها؟»

قال سرتس بإيماءة: «منذ الشهر الماضي». توقَّف مؤقتًا، ثم نظر إلى ڤين.

قال هام: «إنها ابنة أخي، فتاة طيبة».

أومأ سرتس برأسه، ثم قال: «هل يمكننا أن نتحدَّث بمفردنا للحظة يا هام؟»

هزَّ هام كتفيه وترك نفسه ينجذب إلى مكانٍ أكثر عزلة بالقرب من أبواب المُجمَّع. سمح الألومانسي لـ ڤين باستيضاح ما يقوله الرجلان. تُرى ماذا كنتُ سأفعل بدون القصدير؟

قال سرتس: «اسمع يا هام، لن يمكنك الحضور للمصارعة لفترة من الوقت؛ لأن الحامية ستكون... مشغولة».

سأل هام باستنكار: «مشغولة؟ كيف؟»

أجاب سرتس: «لا يمكنني الإفصاح عن أيّ شيء، ولكن... حسنًا، يمكننا حقًّا استخدام جندي مثلك الآن».

- «للقتال؟»

- «نعم».

- «لا بُدَّ أن هناك أمرًا جِد خطير إذا كان يستدعي اهتمام الحامية بأكملها هكذا».

ظلَّ سرتس صامتًا للحظة، ثم تحدَّث مرة أخرى بنبرةٍ مكتومةٍ، بدا صوته هادئًا جدًّا لدرجة أنه كان على ڤين أن تُجاهد لسماعه.

همس سرتس: «تمرد، هنا في نطاق السيادة المركزية. وصلت إلينا الأخبار للتو. ظهر جيشٌ من متمردي (السكا) وهاجموا حامية هولستيب في الشمال».

شعرت ڤين بقشعريرة مفاجئة.

سأل هام: «ماذا؟»

قال الجندي: «لا بُدَّ أنهم جاؤوا من الكهوف هناك. آخر الأخبار التي سمعتها أن تحصينات هولستيب ما تزال صامدة، لكن يا هام هؤلاء ألف رجلٍ فقط. إنهم بحاجة ماسة إلى تعزيزات، ولن يصل (الكولوس) إلى هناك في الوقت المناسب. أرسلت حامية فالترو خمسة آلاف جندي، لكننا لن نترك الأمر لهم. يبدو أن عدد قوات المتمردين كبيرٌ جدًّا هذه المرة، وقد منحنا اللورد الحاكم الإذن بالذهاب إلى هناك لتقديم يد المساعدة».

أومأ هام برأسه.

- «إذن، ما رأيك؟ هذا قتالٌ حقيقيٌّ يا هام. معركةٌ حقيقيةٌ بأجرٍ باهظ، يمكننا حقًّا الاستفادة من رجلٍ بمهاراتك، سأجعلك ضابطًا على الفور، وأعطيك فرقتك الخاصة».

ردَّ هام: «أنا... يجب أن أُفكِّر في الأمر». لم يكن الرجل جيدًا في إخفاء مشاعره، وبدت مفاجأته مثيرة للشكوك بالنسبة إلى ڤين، لكن من الواضح أن سرتس لم يلاحظ ذلك.

قال سرتس: «لا تستغرق وقتًا طويلًا في التفكير. نحن نُخطِّط للخروج في غضون ساعتين».

ردَّ هام، وبدا في حَيْرةٍ من أمره: «سأفعل ذلك، دعني أذهب لإرجاع ابنة أخي إلى المنزل وإحضار بعض الأشياء. سأعود إليك قبل أن تغادر».

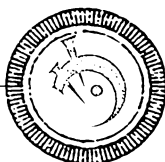
قال سرتس: «نِعم الرجل»، واستطاعت ڤين رؤيته يُربِّت على كتف هام.

حدّثت ڤين نفسها في رعب: «لقد انكشف أمر جيشنا، إنهم ليسوا مستعدين! كان من المفترض أن يضعوا أيديهم على لوثاديل بهدوء وبسرعة، وليس بمواجهة الحامية مباشرةً.

هؤلاء الرجال سوف يُذبحون! تُرى ماذا حدث؟»

لم يمت أحدٌ بيدي أو بأمرٍ مني إلا وتمنَّيت لو كانت هناك طريقة أخرى. ومع ذلك، ما زلت أقتلهم. أحيانًا، أتمنّى ألا أكون واقعيًّا لعينًا هكذا.

الفصل الخامس والعشرون



وضع كيلسير دورقًا آخر من الماء في حقيبته. وقال: «بريز، عدَّ قائمة بجميع المخابئ التي جنَّدنا فيها الناس معًا، ثم اذهب وحذِّرهم من أن الوزارة قد تُلقي قريبًا القبض على سجناء يمكنها التخلُّص منهم».

أومأ بريز برأسه، وأحجم هذه المرة عن الإدلاء بأيّ من تعليقاته الساخرة. ومن خلفه، أخذ المُتدرِّبون يتدافعون في ورشة كلوبز؛ لجمع وتحضير الإمدادات التي طلبها كيلسير.

- «دوكس، يجب أن تكون هذه الورشة آمنة ما لم يتم القبض على يادين. ضع ثلاثة من (العيون القصديرية) التابعين لـ كلوبز في نوبات مراقبة. إذا حدثت أيّ مشكلة، توجَّه إلى المخبأ السري».

أومأ دوكسون برأسه إقرارًا بذلك وهو يُعطي الأوامر على عجل إلى المُتدرِّبين. كان أحدهم قد غادر بالفعل؛ لتحذير رينو. اعتقد كيلسير أن القصر سيكون آمنًا، فقط مجموعة من القوارب التي غادرت من فيليز، دون أن يخطر ببال رجالها أن رينو جزءٌ من الخطة، بينما لن ينسحب

رينو إلا إذا في حالة الضرورة القصوى، سيتطَّلب اختفاؤه أن يبتعد هو وڤاليت عن مواقعهما المُعدَّة بعناية.

قام كيلسير بحشو مقدارٍ ضئيلٍ من حصص الإعاشة في حقيبته، ثم لفها على ظهره.

سأل هام: «وماذا عني يا كيل؟»

- «ستعود إلى الحامية كما وعدتهم، لقد كانت فكرة ذكية، فنحن بحاجة إلى مخبرٍ هناك».

عقد هام حاجبيه بقلق.

قال كيلسير: «ليس لديّ وقت لطمأنتك الآن يا هام. لن يجب عليك الخداع، فقط كن على طبيعتك واستمع».

ردَّ هام: «لن أنقلب على الحامية إذا ذهبت معهم. سأستمع، لكنني لن أهاجم الرجال الذين يعتبرونني حليفهم».

قال كيلسير باقتضاب: «جيد، لكنني آمل مخلصًا أن تجد طريقة لعدم قتل أيّ من جنودنا أيضًا. ساز!».

ردَّ سازد: «نعم، يا سيد كيلسير».

- «ما مقدار السرعة التي قمت بتخزينها؟»

احمرَّ وجه سازد قليلًا، وألقى نظرة خاطفة على العديد من الناس الذي يتدافعون حوله. «ربما ساعتين أو ثلاث ساعات، إنها من الخواص التي يصعب استجماعها».

قال كيلسير: «لن يكون ذلك كافيًا، سأذهب وحدي، سيتولَّى دوكس القيادة حتى أعود».

استدار كيلسير، ثم توقَّف فجأة. وقفت ڤين خلفه بنفس القميص والبنطال والقبعة التي ارتدتهم أثناء زيارتها للحامية، وقد حملت حقيبة مُعلَّقة على كتفها مثل حقيبته، ونظرت إليه بتحدٍّ.

قال: «ستكون هذه رحلة صعبة يا ڤين، لم تخوضي شيئًا كهذه الرحلة من قبل».

- «لا بأس».

أومأ كيلسير برأسه. سحب حقيبته من أسفل الطاولة، ثم فتحها وألقى على ڤين كيسًا صغيرًا من خرزات البيوتر، وتسلَّمت الكيس بدون تعليق.

- «ابتلعي خمسًا من تلك الخرزات».

- «خمسًا؟»

- «هذا في الوقت الراهن، إذا كنتِ بحاجة إلى المزيد، نادي عليّ حتى نتمكَّن من التوقُّف عن الركض؟»

سألت الفتاة: «الركض؟ ألن نستقل قاربًا؟»

عبس كيلسير. «ولماذا سنحتاج إلى قارب؟»

نظرت ڤين إلى الكيس، ثم أمسكت بكوبٍ من الماء وبدأت في ابتلاع الخرزات.

قال كيلسير: «تأكَّدي من وجود كمية كافية من الماء في هذه الحقيبة. خذي قدر ما تستطيعين». ثم تركها، وسار نحو دوكسون ووضع يده على كتفه. «تبقَّى على غروب الشمس قُرابة ثلاث ساعات. إذا أسرعنا بشدة، يمكننا أن نكون هناك بحلول ظهر الغد».

أومأ دوكسون برأسه، ربما يكون ذلك مبكرًا بما فيه الكفاية».

تفكَّر كيلسير: «ربما، تبعد حامية فالترو مسيرة ثلاثة أيام فقط عن هولستيب، حتى مع ركوب الخيل طول الليل، فلن يمكن للخيل

الوصول إلى لوثاديل في أقل من يومين. وبحلول الوقت الذي أصل فيه إلى الجيش، يكون...

من الواضح أن دوكسون يستطيع أن يرى القلق في عيون كيلسير.

قال: «في كلتا الحالتين، لم يعد للجيش فائدة لنا الآن».

ردَّ كيلسير: «أعلم ذلك، ولكن الأمر يتعلَّق فقط بإنقاذ حياة هؤلاء الرجال. سأُبلِّغكم بالأخبار بأسرع ما يمكن».

أومأ دوكسون برأسه.

استدار كيلسير، وأشعل البيوتر. أصبحت حقيبته فجأة خفيفة، كما لو كانت فارغة. «احرقي البيوتر يا ڤين، سنغادر حالًا».

أومأت برأسها، وشعر كيلسير بنبضٍ ينبعث منها. أمرها: «أشعليه!»، وسحب عباءتين ضبابيتين من حقيبته وألقى إليها بإحداهما. لبس العباءة الأخرى، ثم تقدَّم للأمام، وفتح الباب الخلفي للمطبخ. أشرقت الشمس الحمراء في السماء. توقَّف أفراد العصابة المحمومون للحظة، واستداروا ليشاهدوا خروج كيلسير وڤين من المبنى.

سارعت الفتاة إلى الأمام للمشي بجانب كيلسير. «أخبرني هام أنه يجب أن أتعلم استخدام البيوتر عندما أحتاج إليه فقط. قال إنه من الأفضل أن أكون دقيقة».

استدار كيلسير لمواجهة الفتاة، ثم قال: «هذا ليس وقت الدقة. ابقي بالقرب مني، وحاولي مواكبتي، وتأكِّدي تمامًا من أن مخزونك من البيوتر لا ينفد».

أومأت ڤين برأسها، وفجأة بدت مُتخوِّفة بعض الشيء.

قال كيلسير وهو يأخذ نفسًا عميقًا: «حسنًا، هيا بنا نذهب».

***

انطلق كيلسير في الزقاق في اندفاعٍ خارقٍ، تحرَّكت ڤين متقافزة؛ لتتبعه خارج الزقاق إلى الشارع. كان البيوتر يشتعل لهيبه بداخلها. ومع هذا الاشتعال، فمن المحتمل أن تستهلك جميع الخرزات الخمسة في غضون ساعة تقريبًا.

ازدحم الشارع بعمال (السكا) وعربات النبلاء. تجاهل كيلسير حركة المرور، وانطلق إلى وسط الشارع، محافظًا على سرعته الهائلة. تبعته ڤين التي تزايد قلقها بشأن ما أقحمت نفسها فيه.

حدَّثت نفسها: «لا يمكنني أن أدعه يذهب بمفرده». بالطبع، في المرة الأخيرة التي أجبرت فيها كيلسير على اصطحابها معه، انتهى بها المطاف شبه ميتة على فراش المرض لمدة شهر.

شقَّ كيلسير طريقه بين العربات، متجاوزًا المارة، ويقود مسار الشارع كما لو كان مُخصَّصًا له فقط. تبعته ڤين بأقصى ما تستطيع، حتى بدت الأرض ضبابيةً تحت قدميها؛ حيث يمر الناس بسرعة كبيرة جدًّا لدرجة أنها لا تتمكَّن من رؤية وجوههم. صاح البعض بعد مرورها بأصواتٍ منزعجةٍ. ومع ذلك، فقد اختنق صوت بعضهم على الفور، ملتزمين الصمت.

تفكَّرت ڤين: «العباءات، لهذا السبب نرتديها، لهذا نرتديها دائمًا. يعرف النبلاء الذين يرون العباءات الضبابية أن عليهم أن يبتعدوا عن طريقنا».

استدار كيلسير، وركض مباشرةً نحو البوابات الشمالية للعاصمة. وتبعته ڤين. لم يُبطئ كيلسير عندما اقتربا من البوابات، وبدأت صفوف الناس تشير إليهما. التفت حراس نقاط التفتيش بوجوهٍ مندهشةٍ.

قفز كيلسير.

سقط أحد الحراس المُدرَّعين على الأرض وهو يصرخ، بينما سحقه وزن كيلسير الألومانتيكي عندما اندفع زعيم العصابة فوقه. التقطت ڤين أنفاسها، وقذفت عملة معدنية لدعم نفسها قليلًا، ثم قفزت. تخلَّصت بسهولة من حارسٍ ثانٍ، كان ينظر بدهشة بينما يتلوَّى زميله على الأرض.

دفعت ڤين درع الحارس، وألقت بنفسها في الهواء. ترنَّح الرجل، لكنه بقي على قدميه، فلم تكن ڤين قريبةً من وزن كيلسير.

انطلقت من فوق الجدار، وهي تسمع صرخات متفاجئة من الحراس فوق الجدار. تمنَّت فقط ألا يتعرَّف عليها أحدهم. لم يكن ذلك محتملًا. فعلى الرغم من أن قبعتها تطايرت بعيدًا عنها وهي تُحلِّق في الهواء، فإنه من غير المُرجَّح أبدًا أن يربط أولئك الذي يعرفون ڤاليت سيدة البلاط بوليدة ضبابٍ ترتدي بنطالًا متسخًا.

رفرفت عباءة ڤين بشدة في الهواء العابر بينما أكمل كيلسير منحناه قبلها وبدأ في النزول، وسرعان ما لحقت به ڤين. بدا غريبًا جدًّا استخدام الألومانسي في ضوء الشمس. لم يكن طبيعيًّا حتى. ارتكبت ڤين خطأ النظر إلى الأسفل وهي تهبط. بدلًا من دوامات الضباب المريحة، رأت الأرض في الأسفل.

تفكَّرت بهلع: «يا له من ارتفاع!» لحسن الحظ، لم تكن مشوَّشة جدًّا لدرجة دفع العملة التي يستخدمها كيلسير للهبوط. أبطأت نزولها إلى مستوى يمكن التحكُّم فيه قبل أن ترتطم بالأرض المُغطاة بالرماد.

انطلق كيلسير على الفور بطول الطريق السريع. تبعته ڤين متجاهلةً التجار والمسافرين. الآن، بعد أن أصبحوا خارج العاصمة، تخيَّلت أن كيلسير قد يتباطأ، لكنه لم يفعل، بل أسرع أكثر.

فهمت فجأة أن كيلسير لم يكن ينوي السير أو حتى الركض إلى الكهوف،

لقد خطَّط للاندفاع إلى هناك.

تستغرق الرحلة أسبوعين عبر القناة. كم من الوقت قد تستغرق منهما؟ كانوا يتحرَّكون بسرعة رهيبة للغاية. بالتأكيد أبطأ من حصانٍ يعدو، ولكن لا يمكن للحصان أن يحافظ على مثل هذا العدو لفترة طويلة جدًّا بالطبع.

لم تشعر ڤين بالتعب وهي تركض. اعتمدت على البيوتر، بحيث لم يُصب جسدها إلا القليل من الجهد. بالكاد شعرت بوَقْع أقدامها على الأرض تحتها، ومع وجود مثل هذا المخزون الكبير من البيوتر، شعرت أنها تستطيع الحفاظ على سرعتها لفترة زمنية مناسبة.

لحقت بـ كيلسير، وهبطت بجانبه. «هذا أسهل مما كنت أظن».

ردَّ كيلسير: «إن البيوتر يُعزِّز توازنك، ولولا ذلك كنتِ ستتعثَّرين الآن».

تساءلت: «ماذا تعتقد أننا سنجد؟ أعني في الكهوف؟»

هزَّ كيلسير رأسه. «لا جدوى من الحديث. وفِّري طاقتك».

- «ولكنني لا أشعر بالتعب على الإطلاق!»

قال كيلسير: «سنرى ما ستقولينه خلال ست عشرةِ ساعة»، وتسارع أكثر عندما عبروا الطريق السريع، وركضوا في الممر الواسع بجانب قناة لوث-داڤن.

ست عشرة ساعة!

هبطت ڤين خلف كيلسير قليلًا؛ لتعطي لنفسها مساحة كبيرة للركض. زاد كيلسير من سرعتهم بحيث أصبحوا يسيرون بوتيرةٍ جنونيةٍ. لقد كان محقًّا، في أيِّ سياقٍ آخر، كانت ستتعثَّر خطواتها بسرعة على الأرض

غير المستوية. ومع ذلك، فمع الاسترشاد بالبيوتر والقصدير، تمكَّنت من البقاء واقفةً على قدميها، على الرغم من أن ذلك يتطلَّب مزيدًا من الانتباه مع حلول الظلام وظهور الضباب.

بين الفينة والأخرى، قذف كيلسير عملة معدنية وأطلق نفسه من قمة تل إلى أخرى، لكنه استمر في الركض بوتيرة ثابتة غالبًا، ملتصقًا بالقناة. مرَّت الساعات، وبدأت ڤين تشعر بالإرهاق الذي ألمح إليه كيلسير أنه سيُصيبها. حافظت على سرعتها، لكنها بشيءٍ ما تحت السطح، قاومت ما بداخلها، وتاقت للتوقُّف والاستراحة. وعلى الرغم من الطاقة التي يمدُّها به البيوتر، فإن جسدها كان يستنفد قوته.

لقد حرصت على عدم ترك إمداداتها من البيوتر تنفد. كانت تخشى أنه إذا حدث ذلك، فإن الإرهاق سيُصيبها بقوة لدرجة أنها لن تستطيع البدء مرة أخرى. أمرها كيلسير أيضًا بشرب كمية هائلة من الماء، رغم أنها لم تكن عطشى.

بات الليل أكثر ظُلمةً وهدوءًا، ولم يجرؤ أيّ من المسافرين على مواجهة الضباب؛ حيث استقلوا القوارب والزوارق التي ترسو ليلًا، بالإضافة إلى دخولهم معسكرات القناة العرضية، والتصقت خيامهم بعضها ببعض في مجابهة الضباب.

رأوا شبحين ضبابيين على طول الطريق، وتسبَّب أولهما في إصابة ڤين بهلعٍ رهيبٍ، بينما اجتازه كيلسير فقط، متجاهلًا تمامًا البقايا الفظيعة والشفافة للأشخاص والحيوانات التي تم ابتلاعها، بحيث أصبحت عظامهم تُشكِّل الآن الهيكل العظمي لشبح الضباب.

رغم كل ذلك، استمر في الركض. أصبح الوقت ضبابيًّا، وهيمن الركض على كل ما تفعله ڤين. تطلَّب التحرُّك الكثير من الانتباه لدرجة أنها

بالكاد تمكَّنت من التركيز على كيلسير الذي يسبقها عبر الضباب. استمرت في وضع قدمٍ على الأخرى، وظلَّ جسدها قويًّا، ولكنها في الوقت نفسه شعرت بالإرهاق الشديد. أصبحت كل خطوة تخطوها، أيًّا كانت سرعتها، تُمثِّل عبئًا عليها، وبدأت تتوق إلى الاستراحة.

لم يمنحها كيلسير استراحة. وواصل الركض، مُجبرًا إياها على الاستمرار، وحافظ على هذه السرعة المذهلة. أصبح عالم ڤين كيانًا أبديًّا من الألم القسري والوهن المتنامي.

تباطأت من حينٍ لآخر لشرب الماء أو لابتلاع المزيد من خرزات البيوتر، لكنها لم تتوقَّف عن الركض. بدا وكأنها... لا تستطيع التوقُّف. تركت ڤين الإرهاق يغمر عقلها. كان البيوتر المشتعل هو كل شيء، بينما لم تكن هي نفسها شيئًا.

فاجأها الضوء. بدأت الشمس تشرق وتلاشى الضباب، لكن كيلسير لم يترك الضوء يوقفهم. كيف يمكنه فعل ذلك؟ كان عليهم الركض. كان عليهم فقط... مواصلة... الركض...

***

سأموت!

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تخطر هذه الفكرة على بال ڤين أثناء الركض. في الواقع، ظلت الفكرة تدور في ذهنها، وتنقر في دماغها مثل الطائر الذي يلتقط الجيف. واصلت التحرُّك.

الركض.

تفكَّرت: «لشدّ ما أكره الركض، لهذا السبب عشتُ دائمًا في مدينة، وليس في الريف؛ حتى لا أضطر إلى الركض».

كان هناك شيءٌ ما بداخلها يدرك أن هذه الفكرة ليس لها أيّ معنى. ومع ذلك، فإن الوضوح لم يكن حاليًّا من الفضائل التي تتمتَّع بها.

حدَّثت نفسها: «أنا أكره كيلسير أيضًا. إنه يستمر في الركض فقط. كم مضى منذ شروق الشمس؟ دقائق؟ ساعات؟ أسابيع؟ سنين؟ أقسم أنني لا أعرف...

تباطأ كيلسير ليتوقَّف أمامها مباشرةً.

ذُهِلت ڤين لدرجة أنها كادت تصطدم به. تعثَّرت، وأبطأت من وتيرتها بشكلٍ محرجٍ، كما لو أنها نسيت كيف تفعل أيّ شيءٍ آخر غير الركض. توقَّفت، ثم حدَّقت إلى قدميها، مصعوقةً.

تفكَّرت: «هناك خطأ ما، لا أستطيع الوقوف هنا فقط، يجب أن أتحرَّك».

شعرت أنها تبدأ في التحرُّك مرة أخرى، لكن كيلسير أمسك بها. كافحت في قبضته، قاومت بضعف.

قال شيءٌ ما بداخلها: «الاستراحة، الاسترخاء. لقد نسيت ما هذا، لكنه لطيفٌ جدًّا...

قال كيلسير: «ڤين! لا تطفئ البيوتر. استمري في حرقه، وإلا ستفقدين الوعي!»

هزَّت ڤين رأسها، مشوَّشةً، وهي تحاول استيعاب كلماته.

صاح: «القصدير! أشعليه الآن!»

فعلت ذلك. اشتعل صداعٌ مفاجئ في رأسها كادت تنساه، واضطرت إلى إغماض عينيها عن ضوء الشمس الساطع. شعرت بألمٍ في ساقيها وقدميها، لكن التدفُّق المفاجئ للأحاسيس أعاد لها عقلها، رمشت بعينيها ونظرت إلى كيلسير.

سألها: «أفضل الآن؟»

أومأت برأسها.

قال كيلسير: «إن ما فعلتِه بجسدكِ مجحفٌ بشكلٍ لا يُصدق. كان يجب أن ينهار جسدك منذ ساعات، لكن البيوتر الذي لديكِ جعله يصمد. سوف تتعافين، حتى إنك ستتحسَّنين من خلال دفع نفسك بهذه الطريقة، ولكن عليك الآن فقط الاستمرار في حرق البيوتر والبقاء مستيقظة. يمكننا أن ننام لاحقًا».

أومأت ڤين برأسها مرة أخرى. تساءلت بصوتٍ متحشرجٍ: «لماذا.... لماذا توقَّفنا؟»

- «استمعي!»

فعلت كما أمرها. سمعت.. أصواتًا.. صرخات.

رفعت بصرها إليه، وسألته: «أهذه معركة؟»

أومأ كيلسير برأسه. «تقع مدينة هولستيب على بُعد ساعة أخرى تجاه الشمال، لكنني أعتقد أننا وجدنا ما جئنا من أجله بالفعل. تعالي».

أطلق سراحها، وألقى عملة معدنية وقفز فوق القناة. تبعته ڤين وهو يندفع صاعدًا تلة قريبة. تسنَّم كيلسير ذروة التلة، واختلس النظر من أعلى، ثم وقف مُحدِّقًا إلىٰ شيءٍ ما في اتجاه الشرق. ارتقت ڤين التلة أيضًا، ورأت المعركة بسهولة -كما كانت- من بعيد. انقلبت الرياح بحيث سمحت لأنفها بشم الروائح.

دم.. تلطَّخ الوادي في الخلف بدماء الجثث. لا يزال الرجال يقاتلون على الجانب الآخر من الوادي؛ حيث أُحيطت مجموعة صغيرة مُحطَّمة ترتدي ملابس غير متطابقة بجيشٍ أكبر بكثير يرتدي الزي الرسمي.

قال كيلسير: «لقد فات الأوان. لا بُدَّ أن رجالنا قد قضوا على حامية هولستيب، ثم حاولوا العودة إلى الكهوف، لكن مدينة فالترو لا تبعد سوى أيامٍ قليلةٍ فقط، وتضم حاميتها خمسة آلاف جندي. لقد وصل هؤلاء الجنود إلى هنا قبلنا».

حدَّقت باستخدام القصدير على الرغم من الضوء، حتى رأت ڤين أنه محق. كان الجيش الأكبر يرتدي زيًّا إمبراطوريًّا، واستنادًا إلى خط دماء الجثث، فقد نصبوا كمينًا لجنود (السكا) أثناء مرورهم. لم يكن لدى جيشهم أيّ فرصة في الإفلات من هذا الكمين. وبينما كانت تراقب، بدأ (السكا) في إعلان استسلامهم، لكن الجنود استمروا في قتلهم. حارب بعض الفلاحين المُتبقِّين بشكلٍ يائسٍ، لكنهم تساقطوا بنفس السرعة تقريبًا.

قال كيلسير بغضب: «إنها مذبحة، لا بُدَّ أن حامية فالترو قد تلَقَّت أوامر بإبادة المجموعة بأكملها»، ثم تقدَّم إلى الأمام.

هتفت ڤين: «كيلسير!»، وأمسكت بذراعه، «ماذا تفعل؟»

التفت إليها مرة أخرى. «لا يزال هناك رجالٌ، إنهم رجالي».

- «ما الذي تنوي أن تفعله؟ ستهاجم جيشًا بأكمله بمفردك؟ من أجل ماذا؟ لا يمتلك أتباعك المتمردون أيّ قدراتٍ ألومانتيكية؛ لذا فلن يتمكَّنوا من الهرب بسرعة، لا يمكنك إيقاف جيش كاملٍ يا كيلسير».

أفلت من قبضتها، لم يكن لديها القوة الكافية للصمود. ترنَّحت وسقطت على الأوساخ السوداء الخشنة، ليتبع ذلك ارتفاع سحابة من الرماد. بدأ كيلسير في الاندفاع من التلة نحو ساحة المعركة.

نهضت ڤين على ركبتيها، وقالت بهدوء وهي ترتجف من التعب: «كيلسير، نحن لسنا منيعين، أتذكر ذلك؟»

توقَّف.

همست: «أنت لست منيعًا، لا يمكنك إيقافهم جميعًا، لا يمكنك إنقاذ هؤلاء الرجال».

وقف كيلسير، وقبضتاه مشدودتان. ثم ببطء أحنى رأسه، بينما استمرت المذبحة على بُعد، رغم أنه لم يبقَ الكثير من المتمردين.

همست ڤين: «الكهوف. لا بُدَّ أن قواتنا تركت بعض الرجال وراءها، أليس كذلك؟ ربما يمكنهم أن يخبرونا لماذا فضح الجيش نفسه بهذه الطريقة. ربما يمكنك إنقاذ أولئك الذي بقوا في الخلف. من المُؤكَّد أن رجال اللورد الحاكم سيبحثون عن مقر قيادة الجيش، إذا لم يكونوا قد حاولوا فعل ذلك أصلًا».

أومأ كيلسير برأسه. «حسنًا. هيا بنا نذهب».

***

نزل كيلسير إلى الكهف. كان عليه أن يشعل القصدير ليرى أيّ شيءٍ في وسط هذا الظلام الدامس؛ حيث أُضيء الكهف فقط بقليلٍ من ضوء الشمس المنعكس من الأعلى. بدا خدش ڤين في الصدع أعلاه مدوِّيًا كالرعد بالنسبة لأذنيه المُعزَّزتين. أما في الكهف نفسه... فلم يكن هناك شيء.. لا صوت ولا ضوء.

تفكَّر كيلسير: «لقد كانت مُخطئة، لم يتخلَّف أحدٌ عن الجيش».

تنفَّس ببطء، محاولًا إيجاد منفذ لإحباطه وغضبه. لقد تخلَّى عن الرجال في ساحة المعركة. هزَّ رأسه متجاهلًا ما قاله له المنطق في هذه اللحظة. كان غضبه ما يزال طازجًا جدًّا.

سقطت ڤين على الأرض بجانبه، لم يكن شكلها أكثر من ظلٍّ لعينيه المُجهدتين.

هتف: «إنه فارغ»، وتردَّد صدى صوته في الكهف. «لقد كنتِ مخطئة».

همست ڤين: «كلا، هناك».

فجأة، استدارت وتدافعت على الأرض بخفة تشبه القطة. نادى عليها كيلسير في الظلام، صرَّ على أسنانه، ثم تتبَّع صوتها في الممرات.

- «ڤين! عُودي إلى هنا! لا يوجد شيء...

توقَّف كيلسير للحظة. بالكاد يمكنه أن يلمح بصيصًا من الضوء أمامه في الممر. «كيف رأت ذلك من بعيد بحق الجحيم؟»

لا يزال بإمكانه سماع ڤين أمامه. شقَّ كيلسير طريقه بحذرٍ أكبر، وهو يفحص مخزوناته المعدنية، خوفًا من أن يكون عملاء الوزارة قد نصبوا له فخًّا. وبينما كان يقترب أكثر من الضوء، نادى صوتٌ أمامه. «من هناك؟ قل كلمة السر!»

واصل كيلسير السير، وأصبح الضوء ساطعًا بدرجة كافية ليرى شخصًا ممسكًا برمح ومُظلَّلًا في الممر أمامه. انتظرت ڤين في الظلام رابضةً. نظرت إلى الأعلى بتشكُّك بينما مرَّ كيلسير. يبدو أنها قد تجاوزت استنفاد مخزون البيوتر، في الوقت الحالي، لكن عند التوقُّف أخيرًا للاستراحة، شعرت بذلك.

قال الحارس بقلق: «يمكنني سماعك!» بدا صوته مألوفًا بعض الشيء. «عرِّف نفسك».

أدرك كيلسير: «هذا هو النقيب ديموكس، واحدٌ منا، إنه ليس فخًّا».

أمر ديموكس: «قل كلمة السر!»

قال كيلسير وهو يخطو نحو الضوء: «لستُ بحاجة إلى كلمة سر».

أنزل ديموكس رمحه. «اللورد كيلسير؟ لقد جئتَ... هل هذا يعني أن الجيش قد انتصر؟»

تجاهل كيلسير السؤال، وسأله: «لماذا لا تحرس المدخل هناك؟»

- «اعتقدنا... أننا سنستطيع الدفاع عن أنفسنا بشكلٍ أفضل من خلال التراجع إلى المُجمَّع الداخلي يا سيدي. لم يتبقَّ الكثير منا هنا».

نظر كيلسير إلى الخلف نحو ممر الدخول. كم سيستغرق رجال اللورد الحاكم من الوقت حتى يجدوا أسيرًا مستعدًّا للتحدُّث؟ لقد كانت ڤين محقةً رغم كل شيء. نحتاج إلى نقل هؤلاء الرجال إلى بر الأمان.

اقتربت ڤين، وأخذت تتفحَّص الجندي الشاب بعيونها الهادئة. «كم عددكم هنا؟»

أجاب ديموكس: «نحو ألفين. لقد كنا مُخطئين يا سيدي، أنا آسف».

أعاد كيلسير النظر إليه مرة أخرى، وسأله: «مخطئون؟»

ردَّ ديموكس الذي احمرَّ خجلًا: «ظننا أن الجنرال يادين يتصرَّف برعونة؛ لذا بقينا في الخلف. اعتقدنا أننا يجب أن نكون مخلصين لك، وليس له، لكن كان علينا أن نذهب مع بقية الجيش».

قال كيلسير باقتضاب: «لقد هلك الجيش. اجمع رجالك يا ديموكس، نحن بحاجة إلى المغادرة الآن».

***

في تلك الليلة، بينما جلس كيلسير على جذع شجرة وتجمَّع الضباب من حوله، فقد أجبر نفسه أخيرًا على مواجهة أحداث اليوم.

جلس ويداه مشبوكتان أمامه، يستمع إلى آخر الأصوات الخافتة للجنود الذين استلقوا على فراشهم. لحسن الحظ، فكَّر أحدهم في إعداد المجموعة للرحيل السريع. كان لكلِّ رجلٍ مفرش وسلاح وطعام كافٍ لمدة أسبوعين. عزم كيلسير بمجرد أنه يكتشف ذلك الرجل بعيد النظر، سيمنحه ترقية عظيمة.

لا يعني ذلك أنه كان هناك الكثير من الأوامر بعد الآن، فقد اشتمل الألفَا رجلٍ الباقون على عددٍ كبيرٍ بشكلٍ محبطٍ من الجنود الذي كانوا -في الماضي أو في ريعان شبابهم- رجالًا حكماء بما يكفي ليروا أن خطة يادين مجنونة أو رجالًا صغارًا بما يكفي للخوف.

هزَّ كيلسير رأسه. ما أكثر القتلى! لقد حشدوا ما يقرب من سبعة آلاف جندي قبل هذا الفشل الذريع، لكن الآن معظمهم قتلى. يبدو أن يادين قرَّر «اختبار» الجيش من خلال مداهمة حامية هولستيب ليلًا. تُرى ما الذي دفعه لاتخاذ هذا القرار الأحمق؟

حدَّث كيلسير نفسه: «هذا خطئي أنا». لقد وعدهم بمساعدة خارقة للطبيعية. لقد دعاهم للإيمان به، وجعل يادين جزءًا من الفريق، وتحدَّث بشكلٍ عرضي عن القيام بالمستحيل. لا عجب أن يادين ظن أنه يستطيع مهاجمة الإمبراطورية النهائية مباشرة، بالنظر إلى الثقة التي منحها إياه كيلسير! لا عجب أن يذهب الجنود رفقة الرجل، بالنظر إلى الوعود التي قطعها لهم كيلسير!

الآن، لقد هلك الرجال، وكان كيلسير مسؤولًا عن ذلك. لم يكن الموت جديدًا عليه، ولا الفشل، ليس بعد الآن، لكنه لم يستطع التغلُّب على الالتواء في أمعائه. صحيحٌ أن الرجال ماتوا وهم يقاتلون الإمبراطورية النهائية، وهي ميتة تُعدُّ من أشرف الميتات التي يتمنَّاها جميع (السكا)،

لكن حقيقة أنهم ربما ماتوا وهم يتوقَّعون نوعًا من العناية الإلهية من كيلسير... كان ذلك أمرًا مزعجًا.

قال لنفسه: «كنت تعلَّم أن هذا سيكون صعبًا، لقد فهمت العبء الذي كان عليك أن تتحمَّله».

ولكن بأيِّ حقٍّ ادعى هذا؟ حتى أعضاء فريقه -هام وبريز والآخرون- افترضوا أن الإمبراطورية النهائية لا تُقهر. لقد تبعوا كيلسير بسبب إيمانهم به، ولأنه صاغ خططه في شكل عملية سطو. حسنًا، الآن مات راعي العملية؛ حيث تمكَّن أحد الكشافة الذين تم إرسالهم لتفقُّد ساحة المعركة، سواء إيجابًا أو سلبًا، من تأكيد خبر وفاة يادين. فقد وضع الجنود رأسه على رمحٍ بجانب الطريق بالإضافة إلى عددٍ من رؤوس ضباط هام.

انتهت العملية، لقد فشلوا، هلك الجيش.

لن يكون هناك تمرد ولا استيلاء على العاصمة.

سمع وَقْع خطى تقترب. نظر كيلسير إلى الأعلى متسائلًا عما إذا كان لديه القوة للنهوض. بينما تكوَّمت ڤين بجانب جذعه، نائمةً على الأرض الصلبة، ولم يكن هناك سوى عباءتها الضبابية لتستخدمها كوسادة. لقد أدَّى سحبهم الممتد للبيوتر إلى استنزاف طاقة الفتاة، فانهارت تقريبًا في اللحظة التي دعاها كيلسير لأخذ وقفة في تلك الليلة. تمنَّى أن يفعل الشيء نفسه، ولكنه كان أكثر منها خبرة في سحب البيوتر. سوف يتخلَّى عنه جسده في النهاية، إلا أنه يمكنه أن يصمد لفترة أطول قليلًا.

ظهر شخصٌ من الضباب يعرج باتجاه كيلسير. كان الرجل أكبر سنًّا من أيِّ شخصٍ جنَّده كيلسير. لا بُدَّ أنه كان جزءًا من التمرد في وقتٍ

سابقٍ، أحد أفراد (السكا) الذين كانوا يعيشون في الكهوف قبل أن يستولي عليها كيلسير.

اختار الرجل حجرًا كبيرًا بجانب جذع كيلسير، ثم جلس مُتنهِّدًا. كان من المدهش أن أحد العجائز تمكَّن حتى من مواكبة ذلك؛ حيث قاد كيلسير المجموعة بخطى سريعة، ساعيًا إلى إبعادهم قدر الإمكان عن مُجمَّع الكهف.

قال الرجل العجوز: «سينام الرجال نومةً مضطربةً، فلم يعتادوا على الخروج في الضباب من قبل».

ردَّ كيلسير: «ليس لديهم الكثير من الخيارات».

هزَّ الرجل العجوز رأسه. «لا أفترض ذلك». صمت للحظة، وعيونه المُسنة غير قابلةٍ للقراءة. تساءل: «أنت لا تعرفني، أليس كذلك؟»

توقَّف كيلسير، ثم هزَّ رأسه. «أنا آسف. هل قمتُ بتجنيدك؟»

- «بطريقةٍ ما، كنتُ أحد أفراد (السكا) في مزرعة اللورد ترستينج».

فتح كيلسير فمه متفاجئًا قليلًا، وأدرك أخيرًا وجود ألفة طفيفة حيال رأس الرجل الأصلع ووضعيته المُتعَبة، ولكنها لا تزال قوية إلى حدٍّ ما. «أنت الرجل الذي جلست معه في تلك الليلة. كان اسمك...

- «مينيس، بعد أن قتلتَ ترستينج، تراجعنا إلى الكهوف؛ حيث أخذنا المتمردون إلى هناك. غادر الكثير من الآخرين في النهاية؛ للبحث عن مزارع أخرى ينضمون إليها، بينما بقي البعض منا هنا».

أومأ كيلسير برأسه. وسأله وهو يشير نحو المُخيم: «أنت وراء كل هذا، أليس كذلك؟ تلك الاستعدادات؟»

هزَّ مينيس كتفيه. «البعض منا لا يستطيع القتال؛ لذلك نقوم بأشياء أخرى».

انحنى كيلسير إلى الأمام، وسأله: «ماذا حدث يا مينيس؟ لماذا فعل يادين ما فعله؟»

هزَّ مينيس رأسه فقط. ثم قال: «على الرغم من أن معظم الناس يتوقَّعون أن يتصرَّف الشباب كالحمقى، فإنني لاحظت أن التقدُّم قليلًا في السن يمكن أن يجعل الرجل أكثر حماقةً مما كان عليه في طفولته. يادين... حسنًا، لقد كان أحد أولئك الذين انبهروا بسهولة بك وبالسمعة التي أسبغتها عليه عند تعيينه قائدًا للجيش. لقد اعتقد بعض جنرالاته أنه قد يكون من الجيد منح الرجال بعض الخبرة العملية في ساحة المعركة، واعتبروا أن الإغارة الليلية على حامية هولستيب ستكون خطوة ذكية. ولكن يبدو أن الأمر كان أكثر صعوبة مما توقَّعوا».

هزَّ كيلسير رأسه. «حتى لو نجحوا فيما سعوا إليه، فإن فضح أمر الجيش سيفقده الفائدة بالنسبة لنا».

ردَّ مينيس بهدوء: «لقد آمنوا بك، اعتقدوا أنهم لن يفشلوا».

تنهَّد كيلسير، مستريحًا برأسه إلى الخلف، ومُحدِّقًا إلى الضباب المُتحرِّك. لقد ترك أنفاسه تزفر ببطء، واختلط هواؤه بالتيارات الهوائية أعلاه.

سأل مينيس: «إذن، ماذا سيحدث لنا؟»

قال كيلسير: «سنُقسِّمكم، ونُعيدكم إلى لوثاديل في مجموعاتٍ صغيرة؛ كي تنخرطوا وسط جموع (السكا)».

أومأ مينيس برأسه. بدا متعبًا، بالأحرى منهكًا لكنه لم يستسلم بعد. كان بإمكان كيلسير أن يتفهَّم هذا الشعور.

سأله مينيس: «هل ما زلت تتذكَّر محادثتنا في مزرعة ترستينج؟»

أجاب كيلسير: «إلى حدٍّ ما. لقد حاولتَ ثنيي عن إثارة المشاكل».

- «لكن هذا لم يمنعك».

- «إثارة المشاكل هي الشيء الوحيد الذي أجيده يا مينيس. هل تستاء مما فعلتُه هناك، ما أجبرتُك على ما أن تصبح عليه؟»

توقَّف مينيس للحظة، ثم أومأ برأسه. «لكن، بطريقةٍ ما، أنا ممتنٌّ لهذا الاستياء. ظننتُ أن حياتي قد انتهت. كنتُ أستيقظ يوميًّا مُتوقِّعًا أنني لن أمتلك القوة للنهوض، لكن... حسنًا، وجدتُ معنًى لحياتي مرة أخرى في الكهوف؛ لذلك فأنا ممتن لما فعلتَه».

تساءل كيلسير: «حتى بعد ما فعلتُه بالجيش؟»

نخر مينيس. «لا تُحمل نفسك فوق ما تطيق أيها الشاب، لقد ألقى هؤلاء الجنود بأيديهم إلى التهلكة. ربما تكون قد حفَّزتهم، لكنك لم تُقرِّر لهم ذلك».

ثم تابع قائلًا: «بغض النظر عن ذلك، هذا ليس أول تمرد لـ (السكا) يتم ذبحه. ليس ببعيدٍ على الإطلاق. بطريقةٍ ما، لقد أنجزت الكثير: حشدت جيشًا كبيرًا، ثم سلَّحته ودرَّبته بما يتجاوز ما يحق لأيّ شخصٍ توقّعه. سارت الأمور أسرع قليلًا مما توقَّعت، لكنك يجب أن تفخر بنفسك».

تساءل كيلسير: «أفخر؟»، ثم وقف للتنفس قليلًا عن انفعالاته، وأردف: «لقد كان من المفترض أن يساعد هذا الجيش في الإطاحة بالإمبراطورية النهائية، لا أن يقتل نفسه في معركة لا طائل من ورائها في وادي يبعد مسيرة أسابيع عن لوثاديل».

رفع إليه مينيس عابسًا: «الإطاحة بـ... هل توقَّعت حقًّا أن تفعل شيئًا كهذا؟»

قال كيلسير: «بالطبع، وإلا لماذا أحشد جيشًا كبيرًا كهذا؟»

ردَّ مينيس: «للمقاومة.. للقتال؛ لهذا جاء هؤلاء الفتيان إلى الكهوف. لم يكن الأمر يتعلَّق بالنصر أو الهزيمة، لقد كان الأمر يتعلَّق بفعل شيءٍ -أيّ شيءٍ- للنضال ضد اللورد الحاكم».

التفت كيلسير عابسًا. «هل توقَّعت أن يخسر الجيش منذ البداية؟»

تساءل مينيس: «ما النهاية الأخرى المحتملة هناك؟» وقف وهزَّ رأسه قائلًا: «ربما بدأ البعض يحلم بخلاف ذلك أيها الفتى، لكن اللورد الحاكم لا يمكن هزيمته، لقد نصحتُك ذات مرة بأن تختار المعارك التي تخوضها بعناية. حسنًا، لقد أدركت أن هذه المعركة تستحق القتال.

ثم أردف: «والآن، اسمح لي أن أُسدي لك نصيحةً أخرى يا كيلسير، أو يا أيها الناجي من هاتسين، عليك أن تعرف متى تستقيل. لقد أبليتَ بلاءً حسنًا، أفضل مما توقَّعه أيّ شخص. لقد قتل أتباعك من (السكا) حامية كاملة من الجنود قبل أن يتم حصارهم وتدميرهم. هذا هو أعظم انتصارٍ عرفته طائفة (السكا) منذ عقود وربما قرون، ولكن حان الوقت للانسحاب».

قال الرجل العجوز ذلك، ثم أومأ براسه باحترام، وبدأ في التراجع نحو وسط المخيم.

وقف كيلسير مذهولًا. أعظم انتصار عرفته طائفة (السكا) منذ عقود...

هذا ما حاربه، ليس فقط اللورد الحاكم، وليس فقط النبلاء، ولكنه حارب ألف سنةٍ من التكيُّف.. ألف سنة من الحياة في مجتمعٍ من شأنه أن يصف موت خمسة آلاف رجلٍ بأنه «أعظم انتصار». لقد باتت

الحياة بائسةً للغاية بالنسبة إلى (السكا) لدرجة أنهم اختزلوا حياتهم في البحث عن عزاء في الهزائم المُتوقَّعة.

همس كيلسير: «لم يكن ذلك انتصارًا يا مينيس، سأريك ما هو الانتصار».

أجبر نفسه على الابتسام، ليس بدافع السعادة، وليس بدافع الرضا. ابتسم رغم الحزن الذي شعر به لوفاة رجاله، ابتسم لأن هذا ما يفعله دائمًا. كانت هذه الطريقة التي أثبت بها للورد الحاكم ولنفسه أنه لم يُهزم.

كلا، لن ينسحب، ولم ينتهِ بعد.

ليس ببعيدٍ على الإطلاق.

نهاية الجزء الثالث



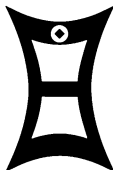
الجزء الرابع

الراقصون في بحر الضباب

تم تجهيز هده النسخة بواسطة:

أشرف غالب

جميع الحقوق محفوظة ©



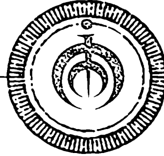
مكتبة ضـــاد الإلكترونية
t.me/twinkling4



أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

أشعر بالتعب الشديد.

الفصل السادس والعشرون



استلقت ڤين على سريرها في ورشة كلوبز، وشعرت بخفقان رأسها. لحسن الحظ، كان الصداع يتضاءل. ما تزال تتذكَّر صحوتها في ذلك الصباح الرهيب الأول، فقد كان الألم قويًّا لدرجة أنها بالكاد تستطيع التفكير، ناهيك عن الحركة. لم تكن تعرف كيف استمر كيلسير في التقدُّم؛ حيث قاد فلول جيشهم إلى مكانٍ آمنٍ.

كان ذلك قبل أكثر من أسبوعين، خمسة عشر يومًا كاملة ورأسها ما يزال يؤلمها. أخبرها كيلسير أن هذا جيد بالنسبة لها. وادعى أنها بحاجة إلى ممارسة «سحب البيوتر»، مع تدريب جسدها على العمل بما يتجاوز ما كان يظن أنه ممكن. وعلى الرغم مما قاله، فإنها شكَّكت في أن شيئًا مؤلمًا للغاية يمكن أن يكون «جيدًا» لها.

بالطبع، قد يكون امتلاكها مهارة أمرًا مفيدًا، يمكنها أن تعترف بهذا الآن بعدما توقَّف رأسها عن الخفقان قليلًا. تمكَّنت هي وكيلسير من الركض إلى ساحة المعركة في أقل من يومٍ واحدٍ، بينما استغرقت رحلة العودة أسبوعين.

نهضت ڤين، وتمدَّدت بتعب. لقد عادوا منذ أقل من يومٍ، في الواقع. ربما بقي كيلسير مستيقظًا نصف الليل وهو يشرح الأحداث لأفراد العصابة الآخرين. ومع ذلك، ابتهجت ڤين بالذهاب مباشرةً إلى الفراش. ذكَّرتها الليالي التي قضتها نائمةً على الأرض الصلبة بأن السرير المريح رفاهية بدأت تعتبرها أمرًا مفروغًا منه.

تثاءبت، وفركت صدغيها مرة أخرى، ثم ارتدت رداءها وشقَّت طريقها إلى الحمام. شعرت بالسرور عندما رأت أن متدرِّبي كلوبز قد تذكَّروا تحضير الحمام لها. أغلقت الباب ونزعت ثيابها وانزلقت إلى ماء الاستحمام الدافئ المُعطَّر برائحةٍ خفيفةٍ. هل وجدت هذه الروائح حقًّا كريهة؟ ستجعلها الرائحة أقل وضوحًا، وهذا صحيح، لكن بدا هذا ثمنًا ضئيلًا يجب دفعه لتخليص نفسها من الأوساخ والقاذورات التي علقت بها أثناء السفر.

ومع ذلك، ما زالت ترى الشعر الأطول مصدر إزعاج. لقد غسلته، ومشَّطته لفك العُقد والتشابكات، متسائلةً كيف يمكن لنساء البلاط أن يتحمَّلن هذا الشعر الممتد بطول ظهورهن. ما هي المدة التي يجب أن يقضوها في التمشيط والتزيُّن بمساعدة إحدى الخادمات؟ لم يصل شعر ڤين حتى إلى كتفيها بعد، ولكنها كرهت فكرة تركه يطول أكثر. كان شعرها يتطاير ويضرب وجهها عندما تقفز، ناهيك عن مدِّ أعدائها بشيءٍ يمسكون به.

بمجرد الاستحمام، عادت إلى غرفتها، مرتديةً ملابس مريحة، ثم شقَّت طريقها إلى الطابق السفلي. ضجَّت الورشة بأصوات المُتدرِّبين، بينما انشغل الخدم في الطابق العلوي، لكن المطبخ كان هادئًا. جلس كلوبز، ودوكسون، وهام، وبريز يتناولون وجبة الإفطار. واشرأبت أعناقهم عند دخول ڤين.

سألت ڤين بحدة: «ماذا؟»، وتوقَّفت عند المدخل. خفَّف الاستحمام من صداعها إلى حدٍّ ما، لكنه ما يزال هناك يخفق قليلًا في مؤخرة رأسها.

تبادل الرجال الأربعة النظرات. تحدَّث هام أولًا: «كنا نناقش للتو وضع الخطة، الآن بعد أن رحل صاحب العمل وجيشنا».

رفع بريز حاجبه. «وضع الخطة؟ هذه طريقة رائعة للتعبير عن الأمر يا هاموند. كنت سأقول «عدم جدوى الخطة» بدلًا من ذلك».

أومأ كلوبز موافقًا مع صوتٍ ناخرٍ، والتفت الأربعة إليها، على ما يبدو في انتظار رؤية رد فعلها.

تفكَّرت وهي تدخل الغرفة وتجلس على كرسي: «لماذا يهتمون كثيرًا برأيي؟»

سألها دوكسون وهو ينهض: «هل تريدين أن تأكلي شيئًا؟ قام خدم كلوبز بإعداد بعض الفطائر لنا...»

ردَّت ڤين: «أريد مِزْرًا».

توقَّف دوكسون ثم قال: «لا يمكن قبل الظهيرة».

قالت: «أريد مِزْرًا الآن، لو سمحت»، وانحنت إلى الأمام، وعقدت ذراعيها على الطاولة، وأراحت رأسها عليهما.

كان لدى هام الجرأة ليضحك ضحكةً مكتومةً. سألها: «سحب البيوتر؟»

أومأت ڤين.

قال: «سوف يمر».

تذمَّرت ڤين: «إذا لم أمت أولًا».

ضحك هام مرة أخرى، ولكن بدا هزله قسريًا. سلَّمها دوكسون كأسًا، ثم جلس، وهو ينظر إلى الآخرين. «إذن يا ڤين، ما رأيك؟»

قالت بحسرة: «لا أعرف، كان الجيش إلى حدٍّ كبيرٍ مركز كل شيء، أليس كذلك؟ أمضى بريز وهام ويادين جلَّ وقتهم في التجنيد، بينما عمل دوكسون ورينو على توفير الإمدادات. الآن بعد أن رحل الجنود... حسنًا، لا يترك لنا هذا سوى ما سيقوم به مارش مع الوزارة فضلًا عن هجمات كيل على النبلاء، ولا حاجة لنا في كلا الأمرين، لقد أصبح الفريق بلا فائدة».

ساد الصمت الغرفة.

قال دوكسون: «لديها طريقة فظة بشكلٍ مُحبطٍ في التعبير عن الأمر».

علَّق هام: «سحب البيوتر سيفعل ذلك بك».

سألت ڤين: «متى عدتِ على أيّ حال؟»

ردَّ هام: «الليلة الماضية، بعدما خلدتِ إلى النوم. أعادت الحامية الجنود المؤقتين في وقتٍ مبكرٍ، حتى لا يضطروا إلى الدفع لنا».

سأل دوكسون: «لا يزالون هناك إذن؟»

أومأ هام برأسه. «لملاحقة فلول جيشنا. لقد أعفت حامية لوثاديل قوات فالترو، الذين تعرَّضوا للضرب من القتال. لا بُدَّ أن غالبية قوات لوثاديل ستبقى بعيدًا لفترة طويلة؛ بحثًا عن المتمردين. يبدو أن عدة مجموعات كبيرة جدًّا انفصلت عن جيشنا وفرَّت قبل بدء المعركة».

غرقت المحادثة في فترة أخرى من الصمت. ارتشفت ڤين مِزْرها، وتجرَّعته بدافع الغيظ أكثر من أيّ اعتقاد بأنه سيجعلها تشعر بتحسُّن. بعد بضع دقائق سمعوا وَقْع خطى على الدرج.

اقتحم كيلسير المطبخ، ثم قال بمرحه المعتاد: «صباح الخير عليكم جميعًا، أرى الفطائر مرة أخرى. كلوبز، أنت حقًّا بحاجة إلى توظيف خادمات أكثر ابتكارًا من ذلك». على الرغم من التعليق، أمسك بفطيرة

أسطوانية الشكل وقضم قضمة كبيرة منها، ثم ابتسم بسرور وهو يصبُّ لنفسه شيئًا ليشربه.

بقي الفريق صامتًا. تبادل الرجال النظرات، بينما ظلَّ كيلسير واقفًا متكئًا على الخزانة وهو يأكل.

أخيرًا قال دوكسون: «كيل، نحن بحاجة إلى التحدُّث. لقد هلك الجيش».

ردَّ كيلسير بين القضمات: «نعم، لقد لاحظت ذلك».

قال بريز: «انتهت العملية يا كيلسير. لقد كانت محاولةً جيدة، لكننا فشلنا».

توقَّف كيلسير، ثم عبس، وأنزل فطيرته. وتساءل: «فشلنا؟ ما الذي يجعلك تقول هذا؟»

قال هام: «لم يعد هناك جيشٌ يا كيل».

ردَّ كيلسير: «كان الجيش مجرد جزء واحد من خططنا. لقد مررنا بنكسة، لكننا لم ننتهِ بعد».

قال بريز: «أوه، بحق اللورد الحاكم يا رجل! كيف يمكنك الوقوف مرِحًا للغاية هكذا؟ رجالنا قد ماتوا. ألا تهتم حتى؟»

ردَّ كيلسير بصوتٍ جادٍّ: «أنا أهتم يا بريز، لكن ما حدث قد حدث، يجب أن نتجاوز ذلك».

قال بريز: «بالضبط! يجب أن نتجاوز «عمليتك» المجنونة هذه. حان وقت الانسحاب. أعلم أنك لا تحب ذلك، لكنها الحقيقة البسيطة!».

وضع كيلسير طبقه على الطاولة. وهتف: «لا تُهدِّئ مشاعري يا بريز، لا تُهدِّئ مشاعري أبدًا».

توقَّف بريز، وفتح فمه قليلًا، ثم قال أخيرًا: «حسنًا، لن أستخدم الألومانسي، ولكن سأستخدم الحقيقة فقط. هل تعرف ما هو رأيي؟ أعتقد أنك لم تنوِ قط الاستيلاء على ذلك الأتيوم.

ثم أردف قائلًا: «لقد كنتَ تستخدمنا، وعدتنا بالثروة حتى ننضم إليك، لكنك لم تنوِ قط أن تجعلنا أثرياء. لقد فعلت كل هذا لإرضاء غرورك. الأمر لا يتعلَّق بشيءٍ سوى بأن تصبح زعيم العصابة الأشهر على الإطلاق. لهذا السبب تنشر كل هذه الشائعات وتقوم بكل هذه العمليات التجنيدية، لقد عرفت الثروة، والآن تريد أن تصبح أسطورة».

صمت بريز، واحتدت نظرات عينيه. وقف كيلسير عاقدًا ذراعيه، وينظر إلى أفراد العصابة. أشاح العديد منهم ببصرهم بعيدًا، وعيونهم الخجلى تُثبت أنهم قد فكَّروا فيما قاله بريز للتو. كانت ڤين واحدةً من هؤلاء. استمر الصمت، وجميعهم ينتظرون الإنكار من كيلسير.

تردَّد وَقْع خطى على الدرج مرة أخرى، واقتحم سبوك المطبخ. هتف الفتى: «انتبهوا وقوموا لتروا! هناك تجمُّع في ميدان النافورة!»

لم يتفاجأ كيلسير بالأخبار التي حملها الفتى.

قال هام ببطء: «تجمُّع في ميدان النافورة؟ هذا يعني...

قال كيلسير، وهو يقف بشكلٍ مستقيمٍ. «هيا بنا، علينا أن نذهب للمشاهدة».

***

قال هام: «أُفضِّل عدم القيام بذلك يا كيل. أتجنَّب هذه الأشياء لسببٍ ما».

تجاهله كيلسير. وسار في مقدمة أفراد العصابة، الذين كانوا جميعًا -حتى بريز- يرتدون ملابس وعباءات عادية. بدأ تساقط الرماد بشكلٍ

خفيفٍ، وتطاير فُتات طائش من السماء مثل الأوراق المُتساقطة من بعض الأشجار غير المرئية.

سدَّت الشوارع تجمُّعات كبيرة من (السكا)، معظمهم من عمال المصانع أو المطاحن. أدركت ڤين السبب وراء إطلاق سراح هؤلاء العمال وإرسالهم للتجمُّع في الميدان الرئيسي بالعاصمة.

عمليات الإعدام.

لم تذهب إليها من قبل. من المفترض أن يُدعى جميع الرجال بالعاصمة -سواء من (السكا) أو النبلاء- لحضور مراسم الإعدام، لكن عصابات اللصوص عرفت كيف تبقى مختبئة. دقَّت الأجراس من بعيد مُعلنةً عن بدء الحدث، وراقب المُلتزمون جوانب الشوارع. كانوا يذهبون إلى المصانع، والمطاحن، وورشات الحدادة، والمنازل العشوائية بحثًا عن أولئك الذين لم يستجيبوا للنداء، ويعاقبونهم بالموت. كان حشد هذا العدد الكبير من الأشخاص مهمة جسيمة، ولكن بطريقةٍ ما، أثبت القيام بهذه الأشياء مدى قوة اللورد الحاكم ببساطة.

أصبحت الشوارع أكثر ازدحامًا مع اقتراب عصابة ڤين من ميدان النافورة. كانت أسطح المباني مكتظة، والناس يملؤون الشوارع، وهم يتقدَّمون إلى الأمام.

لم يكن هناك فرصة لاستيعابهم جميعًا. فقد اختلفت لوثاديل عن معظم المدن الأخرى؛ حيث اشتملت على عددٍ هائلٍ من السكان. حتى مع وجود الرجال فقط، فليس هناك طريقة تُمكِّن الجميع من مشاهدة عمليات الإعدام.

ومع ذلك، فقد جاءوا على أيِّ حال، جزئيًّا لأنهم كانوا مُطالبين بذلك، وجزئيًّا لأنهم لن يضطروا إلى العمل أثناء المشاهدة، وجزئيًّا

-كما اشتبهت ڤين- لأن لديهم نفس الفضول المَرَضي الذي يمتلكه جميع الرجال.

مع ازدياد كثافة الحشود، بدأ كل من كيلسير ودوكسون وهام في فتح مسارٍ للعصابة عبر المتفرجين. حدَّق بعض (السكا) إلى العصابة بنظرات الاستياء، على الرغم من أن الكثير منهم كانوا ينظرون بعيونٍ غائمةٍ ومُمتثلةٍ. بدا البعض مُتفاجئًا، بل مُتحمِّسًا، عندما رأوا كيلسير، على الرغم من عدم ظهور ندوبه. تنحَّى هؤلاء الرجال جانبًا بتلهُّف.

في نهاية المطاف، وصل أفراد العصابة إلى الصف الخارجي للمباني المحيطة بالميدان. اختار كيلسير واحدًا، وأومأ إليه برأسه، بينما تقدَّم دوكسون للأمام. حاول رجلٌ عند المدخل منعه من الدخول، لكن دوكس أشار إلى السطح، ورفع إليه كيسًا من النقود بشكلٍ موحٍ. بعد بضع دقائق فقط، سيطر أفراد العصابة على السطح بأكمله لأنفسهم.

قال كيلسير بهدوء: «دخِّن علينا، من فضلك، يا كلوبز».

أومأ الحرفي المُتجهِّم برأسه، مما جعل أفراد العصابة غير مرئية للحواس البرونزية الألومانتيكية. سارت ڤين وانحنت بجانب حافة السطح، ويداها على السور الحجري القصير بينما كانت تمسح الميدان بالأسفل بعينيها. «هناك الكثير من الناس...».

قال هام وهو يقف بجانبها: «لقد عشتِ في المدن طوال حياتك يا ڤين. بالتأكيد رأيتِ حشودًا من قبل».

«نعم، لكن...» كيف يمكنها أن تشرح؟ كانت الكتلة المُتغيِّرة والمكتظة لا تشبه أيّ شيءٍ رأته من قبل. بدت شاسعة، لا نهاية لها تقريبًا؛ حيث تمتد على طول جميع الشوارع المُتفرِّعة عن الميدان

الرئيسي. التصق أفراد (السكا) ببعضهم بشكلٍ وثيقٍ لدرجة أنها تساءلت كيف تتوافَّر لهم مساحة للتنفُّس.

كان النبلاء في وسط الميدان، يفصلهم الجنود عن (السكا). وقد جلسوا بالقرب من ساحة النافورة المركزية، التي ترتفع خمسة أقدام فوق بقية الميدان. قام شخصٌ ما ببناء مقاعد للنبلاء، واسترخوا هناك، كما لو كانوا يحضرون عرضًا مسرحيًّا أو سباق خيل. وقد أحاط بالعديد منهم مجموعة من الخدم الذين يحملون مظلات واقية لحمايتهم من الرماد، لكنه كان يتساقط بشكلٍ خفيفٍ لدرجة أن البعض تجاهله ببساطة.

وقف المُلتزمون بجانب النبلاء؛ العاديون يرتدون الرداء الرمادي بينما المُحقِّقون يرتدون الرداء الأسود. ارتجفت ڤين. كان هناك ثمانية مُحقِّقين، تعلو أشكالهم الطويلة النحيلة فوق رؤوس المُلتزمين، لكن لم يكن الطول فقط هو ما يفصل بين المخلوقات الداكنة وأبناء عمومتها، كان هناك سمت، وضعية مُميَّزة يتسم بها المُحقِّقون الفولاذيون.

استدارت ڤين، وتفحَّصت المُلتزمين العاديين بدلًا من ذلك. تبختر معظمهم بأرديتهم الإدارية، فكلما ارتفعت مناصبهم، كان الرداء أفضل حالًا. حدَّقت ڤين، وحرقت القصدير، وتعرَّفت على وجهٍ مألوفٍ نسبيًّا.

قالت مُشيرة إليه: «هناك، هذا هو والدي».

رفع كيلسير رأسه، وتساءل: «أين؟»

أجابت ڤين: «في مقدمة المُلتزمين، الأقصرُ ذو الوشاح الذهبي».

غرق كيلسير في الصمت، وأخيرًا سألها: «هذا والدك؟»

سأل دوكسون وهو يُحدِّق: «من؟ لا يمكنني تمييز وجوههم».

قال كيلسير: «تيفديان».

سأل دوكسون بصدمة: «كبير الكهنة (البريلان)؟»

سألت ڤين: «ماذا؟ ومن هو ذاك؟»

ضحك بريز، وردَّ قائلًا: «كبير الكهنة (البريلان) هو رئيس الوزارة يا عزيزتي، إنه أهم مُلتزمي اللورد الحاكم. من الناحية العملية، هو أعلى مرتبةً من المُحقِّقين».

صمت ڤين مذهولةً.

غمغم دوكسون وهو يهزُّ رأسه. «كبير الكهنة (البريلان)، هذا فقط من شأنه أن يُشعركِ بالتحسُّن».

قال سبوك فجأةً مشيرًا إلى الأمام: «انظروا!»

بدأ حشد (السكا) في التدافع بخطى متثاقلة. افترضت ڤين أنهم كانوا ملتصقين للغاية بحيث لا يمكنهم التحرُّك، لكن يبدو أنها كانت مخطئة. بدأ الناس يتراجعون، وشكَّلوا ممرًّا كبيرًا يؤدي إلى المنصة المركزية.

ما الذي يجعلهم...

ثم شعرت به. ذلك الخدر القهري، مثل بطانية ضخمة تضغط عليها، تخنق أنفاسها، وتسلب إرادتها. أحرقت على الفور النحاس. ومع ذلك، كما حدث من قبل، أقسمت أنه بإمكانها أن تشعر بتهدئة اللورد الحاكم على الرغم من المعدن. شعرت به يقترب، مُحاولًا أن يُفقدها كل إرادة، كل رغبة، كل قوة عاطفية.

همس سبوك، رابضًا بجانبها: «إنه قادم».

ظهرت عربة سوداء يجرُّها زوجان من الخيول البيضاء الضخمة من شارع جانبي. تدحرجت في ممر (السكا)، تتحرَّك بشعورٍ... بالحتمية. رأت ڤين العديد من الأشخاص يتنحَّون جانبًا بسبب مرورها، واشتبهت في أنه إذا سقط رجلٌ في مسار العربة، فإنها ستسحقه حتى الموت دون أن تبطئ.

تراجع (السكا) أكثر قليلًا مع وصول اللورد الحاكم، واجتاحت موجة واضحة الحشد، حتى تداعت وضعياتهم لأنهم شعروا بقوته المُهدِّئة. تلاشى صخب الثرثرة والهمسات من الخلفية، وساد على الميدان الضخم صمتٌ مذهلٌ.

قال بريز: «إنه قويٌّ للغاية. حتى في أفضل حالاتي، لا يمكنني سوى تهدئة بضع مئات من الرجال. بالتأكيد يوجد هنا عشرات الآلاف من الناس!»

نظر سبوك إلى حافة السطح، وقال: «هذا يجعلني أرغب في السقوط، لمجرد الابتعاد...».

ثم توقَّف. وهزَّ رأسه وكأنه يستيقظ. عبست ڤين. شعرت بشيءٍ مختلفٍ. مبدئيًّا، أطفأت نحاسها، وأدركت أنها لم تعد تشعر بتهدئة اللورد الحاكم. هذا الشعور بالاكتئاب المُروِّع -بالفراغ وانعدام الروح- قد اختفى بشكلٍ غريبٍ. رفع سبوك بصره لأعلى، ووقف بقية أفراد العصابة بشكلٍ أكثر استقامة.

نظرت ڤين حولها. بدا (السكا) بالأسفل دون تغيير، لكنّ أصدقاءها... وقعت عيناها على كيلسير؛ حيث وقف زعيم العصابة شامخًا، يُحدِّق بحزمٍ إلى العربة التي تقترب، ونظرة تركيز تعلو وجهه.

أدركت ڤين: «إنه يُؤجِّج مشاعرنا، إنه يتصدَّى لقوة اللورد الحاكم». من الواضح أن كيلسير خاض كفاحًا مريرًا فقط لحماية فريقه الصغير.

تفكَّرت ڤين: «إن بريز محق، كيف يمكننا محاربة شيءٍ كهذا؟ إن اللورد الحاكم يُهدِّئ مائة ألف شخصٍ دفعة واحدة!»

لكن كيلسير واصل كفاحه. للحاجة المُلحة فقط، أشعلت ڤين نحاسها، ثم أحرقت الزنك ومدَّت يدها لمساعدة كيلسير؛ مما أدى

إلى إثارة مشاعر من حولها. شعرت وكأنها تسحب جدارًا هائلًا غير مُتحرِّك. ومع ذلك، فقد ساعدت بالتأكيد؛ لأن كيلسير استرخى قليلًا، ونظر لها بامتنان.

قال دوكسون: انظروا!»، ربما لم يدرك للمعركة غير المرئية التي حدثت من حوله. «عربات السجناء»، وأشار إلى مجموعة من عشر عرباتٍ كبيرةٍ مُخططَّةٍ تسير في الممر خلف اللورد الحاكم.

قال هام، وهو ينحني إلى الأمام: «هل تعرَّفت على أيّ شخصٍ فيهم؟»

ردَّ سبوك، وقد بدا عليه عدم الارتياح: «لا أرى شيئًا، هل أنت حقًّا تحرق النحاس يا عمي؟»

أجاب كلوبز بانفعال: «نعم، نحاسي مشتعل. أنتم آمنون، نحن بعيدون بما فيه الكفاية عن اللورد الحاكم بحيث لا نكترث بأيّ شيءٍ على الإطلاق. تلك الساحة هائلة».

أومأ سبوك، ومن الواضح أنه بدأ حرق القصدير. بعد لحظة، هزَّ رأسه. «لا يمكنني التعرُّف على أيّ شخص».

قال هام وهو يُحدِّق: «لم تكن حاضرًا في الكثير من عمليات التجنيد يا سبوك».

أجاب سبوك: «صحيح». على الرغم من بقاء لهجته العامية، لكن من الواضح أنه كان يبذل جهدًا كبيرًا للتحدُّث بشكلٍ طبيعيٍّ.

صعد كيلسير على الحافة، ورفع يده لتظليل عينيه، ثم قال: «أستطيع أن أرى السجناء. لا، أنا لا أتعرَّف على أيّ من هذه الوجوه. إنهم ليسوا جنودًا أسرى».

سأل هام: «من هم إذن؟»

أجاب كيلسير: «يبدو أن معظمهم من النساء والأطفال».

سأل هام، مذعورًا: «أهالي الجنود؟»

هزَّ كيلسير رأسه، وقال: «أشكُّ في ذلك، لم يكن لديهم الوقت الكافي للتعرُّف على جنود (السكا) القتلى».

عبس هام، وبدا مرتبكًا.

قال بريز بتنهيدةٍ هادئة: «أناس عشوائيون يا هاموند. مجرد أمثلة. إعدامات عشوائية تُنفَّذ لمعاقبة (السكا) بسبب إيوائهم المتمردين».

ردَّ كيلسير: «لا، ولا حتى ذلك. أشكُّ في أن اللورد الحاكم يعرف أو يبالي بأن معظم هؤلاء الرجال قد تم تجنيدهم من لوثاديل. ربما يفترض فقط أنه تمرد ريفي آخر. هذه... مجرد وسيلة لتذكير الجميع بأنه المهيمن على كل شيء».

تدحرجت عربة اللورد الحاكم على منصة في الساحة المركزية. توقَّفت العربة المشؤومة في وسط الميدان بالضبط، لكن اللورد الحاكم نفسه بقي بداخلها.

توقَّفت عربات السجناء، وبدأت مجموعة من المُلتزمين والجنود في تفريغها. استمر الرماد الأسود في التساقط بينما تم سحب المجموعة الأولى من السجناء -التي قاوم معظمها بشكلٍ ضعيفٍ- إلى المنصة المركزية المرتفعة. قام أحد المُحقِّقين بتوجيه العمل؛ حيث أشار إلى تجميع السجناء بجانب كلٍّ من نوافير المنصة الأربعة الشبيهة بالوعاء.

أُجبر أربعة سجناء على الركوع -واحد بجانب كل نافورة جارية- ورفع أربعة مُحقِّقين فؤوسًا مصنوعة من حجر السبج. سقطت الفؤوس الأربعة؛ لتقطع الرؤوس الأربعة. تُركت الجثث التي لا يزال الجنود يحتجزونها؛ لتنزف دماءها في أحواض النوافير.

بدأت النوافير تتوهَّج باللون الأحمر عندما تناثرت الدماء في الأجواء. ألقى الجنود الجثث جانبًا، ثم اقتادوا أربعة آخرين إلى الأمام.

نظر سبوك بعيدًا، مُشمئزًا. «لماذا... لماذا لا يفعل كيلسير شيئًا؟ أعني، لإنقاذهم؟»

قالت ڤين: «لا تكن مغفلًا. يوجد ثمانية مُحقِّقين هناك، ناهيك عن اللورد الحاكم نفسه. سيكون كيلسير أحمق إذا حاول أن يفعل أيَّ شيء».

حدَّثت نفسها: «لكنني لن أتفاجأ إذا فكَّر في الأمر». وتذكَّرت عندما كان كيلسير مستعدًّا للاندفاع وللتصدي لجيشٍ كاملٍ بمفرده. نظرت عن جانبها. بدا كيلسير وكأنه يجبر نفسه على التراجع -ويداه البيضاوان تتشبَّثان بالمدخنة بجانبه- لمنع نفسه من الاندفاع إلى أسفل لإيقاف عمليات الإعدام.

زحف سبوك إلى جزءٍ آخر من السطح حيث يمكنه أن يتقيأ دون أن يتناثر السائل الأصفر على الناس بالأسفل. تأوه هام قليلًا، وحتى كلوبز بدا حزينًا. راقب دوكسون بوقار، كما لو أن مشاهدة الإعدامات نوع من الصلوات، بينما هزَّ بريز رأسه فحسب.

لكن كيلسير... كان كيلسير غاضبًا؛ وجهه أحمر، وعضلاته مشدودة، وعيناه متقدتان.

أربعة قتلى آخرون، أحدهم طفل.

قال كيلسير: «هذا»، وهو يُلوِّح بيده غاضبًا باتجاه الميدان الرئيسي، «هذا هو عدونا، لا شفقة ولا رحمة هنا، ولا انسحاب. هذه ليست عملية بسيطة حتى يمكننا أن نُنحِّيها جانبًا عندما نواجه بعض التقلُّبات غير المُتوقَّعة».

أربعة قتلى آخرون.

طالب كيلسير: «انظروا إليهم!»، مشيرًا إلى المُدرجات المليئة بالنبلاء. بدا على معظمهم الملل، وبدا القليل منهم مستمتعًا، حيث تبادلوا النكات بعضهم مع بعض أثناء قطع الرؤوس.

قال كيلسير وهو يلتفت إلى العصابة: «أعلم أنكم تشكُّون في صحة ما أفعله. تظنون أنني كنتُ قاسيًا على النبلاء، لدرجة أنني أستمتع بقتلهم كثيرًا، لكن هل يمكنكم أن تروا بصدق هؤلاء الرجال يتضاحكون هكذا ثم تخبرونني أنهم لا يستحقون الموت بسيفي؟ أنا فقط أُحقِّق العدالة».

أربعة قتلى آخرون.

مسحت فين المُدرجات بعيون مُتلهِّفة مُعزَّزة بالقصدير. رأت إليند جالسًا وسط مجموعة من الشباب. لم يضحك أيٌّ منهم ولم يكونوا الوحيدين. صحيح أن العديد من النبلاء تعاملوا باستخفاف مع التجربة، لكن بدت هناك أقلية صغيرة منهم مذعورة.

تابع كيلسير: «بريز، لقد سألت عن الأتيوم. سأصدقك القول. لم يكن هذا هدفي الرئيسي أبدًا. لقد جمعت هذا الفريق لأنني أردتُ تغيير الأشياء. سنستحوذ على الأتيوم؛ لأننا سنحتاج إليه لتدعيم حكومة جديدة، لكن هذه العملية لا تتعلَّق بأن أصبح أنا أو إياكم أثرياء».

ثم أردف: «مات يادين، لقد كان حجتنا، وسيلة تُمكِّننا من أن نفعل شيئًا جيدًا بينما لا نزال نتظاهر بأننا مجرد لصوص. الآن وقد رحل، يمكنكم الانسحاب إذا أردتم. انسحبوا، لكن هذا لن يُغيِّر شيئًا. سيستمر النضال. سيموت الرجال، وستتجاهلون الأمر فقط».

أربعة قتلى آخرون.

قال كيلسير وهو يُحدِّق إلى كلٍّ منهم على حدة: «حان الوقت لوقف هذه المسرحية! إذا كنا سنفعل هذا الآن، فعلينا أن نكون صريحين وصادقين مع أنفسنا. علينا أن نعترف بأن الأمر لا يتعلّق بالمال. بل يتعلَّق بإيقاف كل ذلك»، وأشار إلى الساحة بنوافيرها الحمراء، وهي علامة مرئية على موت آلاف (السكا) البعيدين جدًّا لدرجة أنهم لا يستطيعون حتى معرفة ما يحدث هنا.

أضاف كيلسير بهدوء: «إنني أعتزم مواصلة القتال. أدرك أن بعضكم يُشكِّك في قيادتي. أعرف أنكم تعتقدون أنني كنتُ أقوم بالترويج لنفسي بين (السكا). وتتهامسون بأنني أريد أن أجعل من نفسي لوردًا حاكمًا آخر. تظنون أن ذاتي أكثر أهمية بالنسبة لي من الإطاحة بالإمبراطورية».

توقَّف قليلًا، ورأت ڤين الإحساس بالذنب في عيون دوكسون والآخرين. عاد سبوك للانضمام إلى المجموعة، ولا يزال يبدو مريضًا بعض الشيء.

أربعة قتلى آخرون.

قال كيلسير بهدوء: «أنتم مخطئون، عليكم أن تثقوا بي. لقد منحتموني ثقتكم عندما بدأنا هذه الخطة، على الرغم من مدى خطورة الأمر. ما زلتُ بحاجة إلى تلك الثقة! بغض النظر عما تبدو عليه الأمور، وبغض النظر عن صعوبة احتمالات نجاحنا، علينا مواصلة القتال!»

أربعة قتلى آخرون.

استدار أفراد العصابة ببطء نحو كيلسير. لم تعد مقاومة دفع اللورد الحاكم لمشاعرهم تبدو وكأنها كفاحٌ بالنسبة لـ كيلسير بعد الآن، على الرغم من أن ڤين تركت الزنك يتداعى.

تفكَّرت رغمًا عنها: «ربما... ربما... ربما يمكنه فعل ذلك». إذا كان هناك رجل يمكنه أن يهزم اللورد الحاكم، فإنه سيكون كيلسير.

قال كيلسير: «لم أختركم بسبب كفاءتكم يا رفاق، على الرغم من كونكم بارعين بكل تأكيد. لقد اخترتُ كل واحدٍ منكم على وجه التحديد لأنني أعلم أنكم رجالٌ ذوو ضمير. هام، وبريز، ودوكس، وكلوبز... أنتم رجالٌ مشهورون بنزاهة سمعتكم ومحبتكم للخير. أعلم أنه إذا كنتُ سأنجح في هذه الخطة، فإنني أحتاج إلى رجالٍ يهتمون حقًّا بما يجري حولهم».

أوضح: «كلا، يا بريز. الأمر لا يتعلَّق بالقطع الذهبية ولا بالمجد، ولكنه يتعلَّق بالحرب. الحرب التي نخوضها منذ ألف عام، تلك الحرب التي أعتزم نزع فتيلها. يمكنكم أن تمضوا إلى حال سبيلكم، إذا أردتم ذلك. أنتم تعلمون أنني سأترك أيًّا منكم يغادر -بدون طرح أيّ أسئلة أو إلحاق أيّ عواقب- إذا أراد المغادرة بالفعل».

ثم استدرك، وازدادت عيناه شراسة: «ولكن، إذا بقيتم، عليكم أن تتعهَّدوا بالتوقُّف عن التشكيك في سلطاتي. يمكنكم التعبير عن مخاوفك بشأن العملية نفسها، ولكن لن يكون هناك المزيد من الاجتماعات الهامسة حول قيادتي. إذا بقيتم، فإنكم ستتبعونني. مفهوم؟»

نظر في عيون أفراد العصابة، وحدًا تلو الآخر. وأعطاه كل واحدٍ منهم إيماءة موافقة.

قال دوكسون: «لا أعتقد أننا شكَّكنا فيك حقًّا يا كيل. نحن فقط... قلقون. وأعتقد أننا محقون في ذلك، لقد كان الجيش جزءًا كبيرًا من خططنا».

أومأ كيلسير برأسه شمالًا باتجاه بوابات العاصمة الرئيسية. وسأله: «ماذا ترى هناك يا دوكس؟»

- «بوابات العاصمة؟»

- «وما هو الاختلاف الذي طرأ عليها مؤخرًا؟»

هزَّ دوكسون كتفيه. «لا شيء غريب. هناك نقصٌ في المُوظَّفين قليلًا، لكن...».

قاطعه كيلسير: «لماذا؟ لماذا هناك نقصٌ في المُوظَّفين؟»

توقَّف دوكسون للحظة، ثم أجاب: «لأن الحامية غادرت؟»

ردَّ كيلسير: «بالضبط، يقول هام إن الحامية يمكن أن تلاحق فلول جيشنا لأشهر، ولم يبقَ منها سوى نحو عشرة بالمائة فقط من رجالها. وهذا أمرٌ منطقي، فقد أُنشئت الحامية بشكلٍ ما للتصدي للمتمردين. قد تبقى لوثاديل عرضة للخطر، لكن لا أحد سيهاجمها أبدًا. لم يفعل ذلك أحدٌ قط».

بقي أعضاء العصابة صامتين بينما بدأوا يفهمون.

قال كيلسير: «تم إنجاز الجزء الأول من خطتنا للاستيلاء على العاصمة، ألا وهو إخراج الحامية من لوثاديل. لقد كلَّفنا الأمر أكثر بكثيرٍ مما توقَّعنا، أكثر بكثيرٍ مما ينبغي. كنتُ أدعو الآلهة المنسية ألا يموت هؤلاء الفتيان. ولكن لسوء الحظ، لم يعد بإمكاننا تغيير ذلك الآن. يمكننا فقط استغلال الفرصة التي أتاحوها لنا».

تابع كيلسير: «لا تزال الخطة قيد التنفيذ. لقد غادرت قوات حفظ السلام الرئيسية العاصمة. إذا اندلعت حرب البيوت بشكلٍ جِدي، فسيجد اللورد الحاكم صعوبة في إيقافها. هذا بافتراض أن يريد ذلك فعلًا. لسببٍ ما، فإنه يميل إلى التنحّي جانبًا وترك النبلاء يقاتل بعضهم بعضًا كل مائة عام أو نحو ذلك. ربما يجد أن السماح لهم بدق أعناق بعضهم بعضًا يبقيه بمنأى عنهم».

سأل هام: ولكن، ماذا لو عادت الحامية؟»

ردَّ كيلسير: «إذا كنتَ محقًّا، فإن اللورد الحاكم سيدعهم يطاردون فلول جيشنا لعدة أشهر، مما يمنح النبلاء فرصة لتفريغ القليل من طاقاتهم المُتفجِّرة، لكنه سيحصد أكثر بكثيرٍ مما توقَّع. عندما تبدأ حرب البيوت تلك، سنستغل الفوضى للاستيلاء على القصر».

سأله بريز: «بأيّ جيش يا عزيزي؟»

قال كيلسير: «لا يزال لدينا بعض القوات. بالإضافة إلى ذلك، لدينا الوقت لتجنيد المزيد، لكن سيتعيَّن علينا توخي الحذر، فلا يمكننا استخدام الكهوف؛ لذلك سنضطر إلى إخفاء قواتنا في العاصمة. ربما يعني ذلك أعدادًا أصغر، ولكن لن تكون هذه مشكلة، فكما تعلمون، ستعود الحامية عاجلًا أم آجلًا».

تبادل أعضاء العصابة نظرة بينما استمرت عمليات الإعدام أدناهم، بينما جلست ڤين بهدوء، في محاولة لتحديد ما يعنيه كيلسير بهذا البيان.

قال هام ببطء: «بالضبط يا كيل، ستعود الحامية، ولن يكون لدينا جيشٌ كبيرٌ بما يكفي لمقاتلتهم».

ردَّ كيلسير مبتسمًا: «لكن سيكون لدينا خزانة اللورد الحاكم. ما الذي تقوله دائمًا عن جنود الحامية هؤلاء يا هام؟»

صمت (السفَّاح) قليلًا، ثم ابتسم أيضًا، وأجاب: «إنهم مرتزقة».

قال كيلسير: «سنستولي على أموال اللورد الحاكم، وهذا يعني أننا سنستولي على جيشه أيضًا. ما تزال الخطة سارية أيها السادة، ويمكننا أن نجعلها تنجح».

يبدو أن أفراد العصابة أصبحوا أكثر ثقةً، ومع ذلك التفتت ڤين نحو الميدان؛ حيث توهَّجت النوافير باللون الأحمر لدرجة أنها بدت مليئة

بالدماء. فوق كل ذلك، كان اللورد الحاكم يراقب من داخل عربته السوداء النفاثة.

كانت النوافذ مفتوحة، وبالكاد استطاعت ڤين -باستخدام القصدير- أن ترى شخصًا مُظلَّلًا يجلس بداخل العربة.

حدَّثت نفسها: «هذا هو عدونا الحقيقي، ليست الحامية الغائبة، ولا المُحقِّقون بفؤوسهم، بل هذا الرجل، الرجل صاحب المذكرات. علينا إيجاد طريقة لهزيمته، وإلا فإن كل ما نفعله سيكون هباءً منثورًا».

أعتقد أنني اكتشفتُ أخيرًا السبب الذي يدفع راشك لكراهيتي إلى هذا الحد. إنه لا يُصدِّق أن شخصًا غريبًا مثلي -بالأحرى أجنبيًا- يمكن أن يصبح بطل العصور. ويظن أنني خدعتُ الفلاسفة بطريقةٍ ما، وأنني أحمل علامات البطل دون وجه حق.

وفقًا لراشك، لا بُدَّ من اختيار رجل نقي الدم من تيريس ليكون بطلًا. الغريب أنني وجدتُ نفسي أكثر تصميمًا بسبب كراهيته، يجب أن أُثبت له أنني أستطيع أداء هذه المهمة.

الفصل السابع والعشرون



عادت مجموعة مكبوتة إلى ورشة كلوبز في ذلك المساء، امتدت عمليات الإعدام لساعات. لم تكن هناك إدانات أو تفسيرات من قبل الوزارة أو اللورد الحاكم. فقط عمليات إعدام تلو عمليات إعدام تلو عمليات إعدام. بمجرد التخلُّص من جميع السجناء، غادر اللورد الحاكم ومُلتزموه، تاركين وراءهم كومة من الجثث على المنصة والمياه المُلطَّخة بالدماء تتدفَّق في النوافير.

عندما عاد كيلسير إلى المطبخ، أدركت ڤين أن صداعها لم يعد يزعجها. بدا ألمها الآن... تافهًا. بقيت الفطائر الملفوفة على الطاولة؛ حيث غطَّتها إحدى الخادمات بعناية، لم يلمسها أحد.

قال كيلسير: «حسنًا»، وأخذ مكانه المعتاد متكئًا على الخزانة، «دعونا نُخطِّط لذلك. كيف يمكننا المضي قدمًا؟»

استعاد دوكسون كومة من الأوراق من جانب الغرفة أثناء سيره ثم استعد للجلوس وهو يقول: «مع رحيل الحامية، ينصب تركيزنا الأساسي على النبلاء».

قال بريز: «في الواقع، إذا كنا نعتزم حقًّا الاستيلاء على الخزانة ببضعة آلاف من الجنود فقط، فسنحتاج بالتأكيد إلى شيءٍ يصرف انتباه حرس القصر ويمنع النبلاء من استعادة العاصمة منا؛ لذلك ستصبح حرب البيوت ذات أهمية قصوى».

أومأ كيلسير برأسه. «هذا هو رأيي بالضبط».

تساءلت ڤين: «ولكن ماذا سيحدث عندما تنتهي حرب البيوت؟ ستظهر بعض البيوت على القمة، وبعد ذلك سنضطر إلى التعامل معها».

هزَّ كيلسير رأسه. «لا أنوي أن تنتهي حرب البيوت أبدًا يا ڤين، أو على الأقل ليس لفترة طويلة من الزمان. اللورد الحاكم هو الذي يملي الأوامر، والوزارة هي التي تحافظ على النظام بين أتباعه، لكن النبلاء هم الذين يجبرون (السكا) على العمل؛ لذا إذا دمَّرنا عددًا كافيًا من بيوت النبلاء، فقد تنهار الحكومة من تلقاء نفسها. لا يمكننا محاربة الإمبراطورية النهائية بأكملها، إنها كبيرة جدًّا، ولكننا قد نتمكَّن من تفكيكها، ومن ثم نجعل القطع المُتفككِّة تقاتل بعضها».

قال دوكسون وهو يُقلِّب أوراقه: «علينا أن نتسبَّب في فرض ضغوطٍ ماليةٍ على البيوت الكبرى. الأرستقراطية هي في الأساس مؤسسة مالية، ونقص الأموال سيؤدي إلى انهيار أيّ بيت من البيوت».

قال كيلسير: «بريز، قد نحتاج إلى استخدام بعض شخصياتك الوهمية. حتى الآن، كنتُ الشخص الوحيد حقًّا من بين أفراد العصابة الذي أعمل على حرب البيوت، ولكنا إذا كنا علينا تدمير هذه العاصمة قبل عودة الحامية، فسنحتاج إلى تكثيف جهودنا».

تنهَّد بريز. «جيد جدًّا. علينا فقط توخي الحذر الشديد للتأكُّد من عدم التعرُّف عليّ عن طريق الخطأ كشخص آخر غير ما يجب أن أكون عليه؛ لذا لا يمكنني الذهاب إلى الحفلات أو المناسبات الاجتماعية، لكن يمكنني على الأرجح القيام بزيارات منزلية منفردة».

قال كيلسير: «الأمر نفسه ينطبق عليك يا دوكس».

ردَّ دوكسون: «هذا ما فكَّرتُ فيه أيضًا».

قال كيلسير: «سيكون الأمر خطيرًا على كليكما، لكن السرعة ستكون ضرورية. ستبقى ڤين جاسوستنا الرئيسية، وربما سنطلب منها أن تنشر بعض المعلومات الكاذبة. أيّ شيءٍ من شأنه أن يُزعزع استقرار النبلاء».

أومأ هام برأسه. «ربما ينبغي أن نُركِّز اهتمامنا على القمة إذن».

قال بريز: «بالطبع، إذا تمكَّنا من جعل أقوى البيوت يبدو مُهدَّدًا، فيُمكننا ضرب أعدائه بسرعة أكبر. فقط بعد سقوط البيوت القوية، سيدرك الناس أنهم هم الذين يدعمون الاقتصاد حقًّا».

خيَّم الصمت على الغرفة لثانية واحدة، ثم التفتت عدة رؤوس نحو ڤين.

سألت: «ماذا؟»

ردَّ دوكسون: «إنهم يتحدَّثون عن بيت ڤينتشر يا ڤين، إنه أقوى البيوت الكبرى».

أومأ بريز برأسه. «إذا سقط بيت ڤينتشر، فإن الإمبراطورية النهائية بأكملها ستهتز».

جلست ڤين صامتةً للحظة. ثم قالت أخيرًا: «إنهم ليسوا جميعًا أشرارًا».

قال كيلسير: «ربما، لكن اللورد ستراف ڤينتشر هو بالتأكيد كذلك، وعائلته تأتي على رأس الإمبراطورية النهائية. يجب أن يسقط بيت ڤينتشر. وأنتِ بالفعل على اتصال بأحد أهم أفراد العائلة».

تفكَّرت بانزعاج: «ظننتُ أنك تريدينني أن أبتعد عن إليند».

قال بريز: «فقط أبقي أذنيك مفتوحتين يا فتاة، وانظري ما إذا كان بإمكانكِ إقناع الفتى بالتحدُّث عن الشؤون المالية لآل بيته. اكتشفي لنا القليل من الثغرات، وسنتكفَّل نحن بالباقي».

تمامًا مثل الألاعيب التي يكرهها إليند بشدة، ومع ذلك ما تزال عمليات الإعدام حاضرةً في ذهنها. كان لا بُدَّ من إيقاف هذا النوع من الأشياء. إلى جانب ذلك، فحتى إليند قال إنه لا يحب والده أو بيته كثيرًا. ربما... ربما تكتشف شيئًا. قالت: «سأرى ما يمكنني فعله».

طرق أحدهم طرقةً على الباب الأمامي أجاب عليها أحد المُتدرِّبين. بعد لحظاتٍ قليلة، دخل سازد -مرتديًا رداء (السكا) لإخفاء ملامحه- إلى المطبخ.

فحص كيلسير الساعة، وقال: «لقد أتيتَ مبكرًا يا سازد».

ردَّ الرجل التيريسي: «أحاول أن أجعلها عادة يا سيد كيلسير».

رفع دوكسون حاجبه، وقال: «هذه عادة يمكن لشخصٍ آخر أن يكتسبها».

نخر كيلسير، ثم قال: «إذا أتيت دائمًا في الوقت المُحدَّد، فهذا يعني أنه ليس لديك أبدًا أيّ شيء أفضل يجب أن تفعله. سازد، أخبرني كيف حال الرجال؟»

أجاب سازد: «على ما يُرام يا سيد كيلسير، لكن لا يمكنهم الاختباء في مستودعات رينو إلى الأبد».

قال كيلسير: «أعلم. دوكس، وهام، سأحتاج منكما أن تعملا على حل هذه المشكلة. بقي من جيشنا ألفا رجل، أريد منكما إدخالهم إلى لوثاديل».

أومأ دوكسون متأمِّلًا: «سوف نجد طريقة».

بينما سأل هام: «هل تريدنا أن نستمر في تدريبهم؟»

أومأ كيلسير برأسه.

قال: «ثم سيتعيَّن علينا إخفاؤهم في فرق. فليست لدينا الموارد اللازمة لتدريب الرجال بشكلٍ فردي. فلنقل مثلًا... بضع مئات من الرجال لكل فريق؟ يختبئون في الأحياء الفقيرة بالقرب من بعضهم بعضًا؟»

قال دوكسون: «لا بُدَّ من التأكُّد من عدم معرفة أيّ من الفرق بالفرق الأخرى، أو حتى أننا ما زلنا نعتزم مهاجمة القصر. فمع وجود هذا العدد الكبير من الرجال في العاصمة، هناك احتمال في النهاية أن يتم القبض عليهم من المُلتزمين لسببٍ أو لآخر».

أومأ كيلسير برأسه. «أخبر كل مجموعة أنها المجموعة الوحيدة التي لم يتم تفكيكها، وأننا ما زلنا نحتفظ بها فقط في حالة الحاجة إليها في وقتٍ ما مستقبلًا».

قال هام: «لقد قلتَ أيضًا إن التجنيد يجب أن يستمر».

أومأ كيلسير برأسه قائلًا: «أود أن يكون لديّ ما لا يقل عن ضِعف عدد القوات قبل أن نحاول الإطاحة بالإمبراطورية مُجدَّدًا».

ردَّ هام: «سيكون هذا صعبًا، بالنظر إلى فشل جيشنا».

سأل كيلسير: «أيّ فشل؟ أخبرهم بالحقيقة، لقد نجح جيشنا في تحييد الحامية».

ردَّ هام: «لكن معظمهم ماتوا وهم يفعلون ذلك».

قال بريز: «يمكننا إخفاء هذا الجزء، سيشعر الناس بالغضب من عمليات الإعدام، وهذا من شأنه أن يجعلهم أكثر استعدادًا للاستماع إلينا».

قال كيلسير: «إن حشد المزيد من القوات ستكون مهمتك الرئيسية خلال الأشهر القليلة المقبلة يا هام».

ردَّ هام: «هذا ليس وقتًا طويلًا، لكن سأرى ما يمكنني القيام به».

قال كيلسير: «جيد، سازد، هل وصلت الرسالة؟»

أجاب سازد: «أجل يا سيد كيلسير»، وسحب خطابًا من تحت عباءته وسلَّمه إلى كيلسير.

سأل بريز بفضول: «وماذا عن ذلك؟»

ردَّ كيلسير، وهو يفتح الرسالة ويفحص محتوياتها: «هذه رسالة من مارش. إنه في العاصمة، ولديه أخبار».

سأل هام: «ما هذه الأخبار؟»

ردَّ كيلسير وهو يمسك بفطيرة: «لم يقل، لكنه أعطى تعليمات بشأن مكان مقابلته الليلة». سار للأمام، والتقط عباءة (السكا) العادية، ثم أضاف: «سأذهب لاستكشاف الموقع قبل أن يحلَّ الظلام. هل أنت قادمة يا ڤين؟»

أومأت برأسها، ونهضت من مكانها.

قال كيلسير: «فليواصل بقيتكم العمل على الخطة. في غضون شهرين من الآن، أريد أن تُصبح هذه المدينة في حالة من التوتُّر لدرجة أنه عندما تنهار أخيرًا، لا يتمكَّن أحدٌ من لمِّ شملها مرة أخرى حتى اللورد الحاكم نفسه».

***

قالت ڤين وهي تشيح ببصرها بعيدًا عن النافذة، وتلتفت نحو كيلسير: «هناك شيءٌ ما لا تخبرنا به، جزءٌ من الخطة».

نظر إليها كيلسير في الظلام؛ حيث كان مكان الاجتماع الذي اختاره مارش عبارة عن مبنى مهجور داخل حي (تويستس)، أحد أفقر الأحياء العشوائية التي يسكنها (السكا)، بينما حدَّد كيلسير موقع مبنى مهجور آخر مقابل المبنى الذي سيلتقون فيه، وانتظر هو وڤين في الطابق العلوي، يراقبان الشارع بحثًا عن أيّ إشارة من مارش.

قال كيلسير أخيرًا: «لماذا تسألينني هذا السؤال؟»

أجابت ڤين وهي تمسك قطعة من الخشب المُتعفِّن لحافة النافذة: «بسبب اللورد الحاكم. لقد شعرت بقوته اليوم. لا أعتقد أن الآخرين يمكن أن يشعروا بتلك القوة، ليس مثل وليدي الضباب، لكنني أعلم أنه يجب أن تكون قد شعرت بذلك أيضًا». رفعت بصرها مرة أخرى، والتقت عيناها بعيني كيلسير، وتساءلت: «ما زلتَ تُخطِّط لإجلائه من العاصمة قبل أن نحاول الاستيلاء على القصر، أليس كذلك؟»

قال كيلسير: «لا تقلقي بشأن اللورد الحاكم. المعدن الحادي عشر سيتكَّفل بأمره».

عبست ڤين. وفي الخارج، بدأت الشمس تغرب في وهجٍ ناري من الإحباط. سيحلّ الضباب قريبًا، ومن المفترض أن يصل مارش بعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ.

تفكَّرت ڤين: «المعدن الحادي عشر!»، وتذكَّرت الشكوك التي أشار إليها أفراد العصابة.

سألته: «هل هذا حقيقي؟»

- «المعدن الحادي عشر؟ بالطبع، إنه كذلك. لقد عرضتُه عليكِ من قبل، ألا تتذكَّرين؟»

قالت: «ليس هذا ما أعنيه. هل الأساطير حقيقية، أم أنك تكذب؟»

استدار كيلسير تجاهها، عابسًا قليلًا، ثم ابتسم. «أنتِ فتاة فظة للغاية يا ڤين».

- ««أعرف ذلك».

تعمَّقت ابتسامة كيلسير. «الجواب لا، أنا لا أكذب، الأساطير حقيقية، على الرغم من أنني استغرقت بعض الوقت لاكتشافها».

- «وهذا المعدن الذي عرضته علينا هو المعدن الحادي عشر حقًّا؟»

قال كيلسير: «أعتقد ذلك».

- «لكنك لا تعرف كيفية استخدامه».

توقَّف كيلسير قليلًا، ثم هزَّ رأسه. «كلا، لا أعرف».

- «هذا ليس مُطمئنًا على الإطلاق».

هزَّ كيلسير كتفيه، واستدار لينظر من النافذة. «حتى لو لم أكتشف السر في الوقت المناسب، فإنني أشكُّ في أن اللورد الحاكم سيُمثِّل مشكلةً خطيرةً كما تظنين. إنه ألومانسي قوي، لكنه لا يعرف كل شيء،

إذا كان يعرف حقًّا، فمن المفترض أن نكون موتى الآن. إنه ليس مطلق القدرة أيضًا، لو كان كذلك، لما احتاج إلى تنفيذ أحكام الإعدام في كل هؤلاء (السكا) لمحاولة إخافة المدينة وإجبارها على الخضوع».

أردف كيلسير: «أنا لا أعرف ماهيته، لكنني أعتقد أنه يبدو إنسانًا أكثر من كونه إلهًا. الكلمات الموجودة في تلك المذكرات... هي كلمات شخص عادي، قوته الحقيقية تأتي من جيوشه وثرواته، إذا أزلناهم عنه، فلن يقدر على فعل أيّ شيءٍ لمنع إمبراطوريته من الانهيار».

عبست ڤين، ثم ردَّت قائلةً: «قد لا يكون إلهًا، لكنه... شيءٌ آخر يا كيلسير، مخلوقٌ مختلف. اليوم عندما كان في الميدان، شعرتُ بلمسته على مشاعري حتى عندما كنتُ أحرق النحاس».

قال كيلسير وهو يهزُّ رأسه: «هذا غير ممكن يا ڤين. إذا كان الأمر كذلك، فسيتمكَّن المُحقِّقون من استشعار الألومانسي حتى عندما يكون هناك (مُدخِّن) في الجوار. إذا كان الأمر كذلك، ألا تظنين أنهم سوف يلاحقون كل الضبابيين من (السكا) ويقتلونهم؟»

هزَّت ڤين كتفيها.

تابع كيلسير: «أنت تعلمين أن اللورد الحاكم قوي، وتعتقدين أنه يجب أن تشعري بتأثيره عليكِ؛ لذلك تشعرين بذلك».

تفكَّرت، وهي تمسك بقطعة أخرى من حافة النافذة: «ربما كان محقًّا، لقد كان ألومانسيًّا لفترة أطول مني بكثير، على أيِّ حال.

ولكنني... شعرتُ بشيء ما، أليس كذلك؟ والمُحقِّق الذي كاد يقتلني، لقد عثر عليّ بطريقةٍ ما في الظلام والمطر. لا بُدَّ أنه شعر بشيءٍ ما».

ومع ذلك، تركت الأمر يمر. وتساءلت: «بالنسبة إلى المعدن الحادي عشر. ألا يمكننا أن نُجرِّبه ونرى ماذا يفعل؟»

ردَّ كيلسير: «الأمر ليس بهذه البساطة. هل تتذكَّرين كيف أخبرتكِ ألا تحرقي أبدًا معدنًا ليس واحدًا من المعادن العشرة؟»

أومأت ڤين برأسها.

قال كيلسير: «حرق معدن آخر غير المعادن العشرة يمكن أن يكون مميتًا. حتى الحصول على مزيج خاطئ في سبيكة معدنية يمكن أن يُصيبك بالمرض. إذا كنتُ مخطئًا بشأن المعدن الحادي عشر....

قالت ڤين بهدوء: «سوف يقتلك».

أومأ كيلسير برأسه.

حسمت أمرها: «إذن، أنت لست متأكِّدًا تمامًا كما تتظاهر، وإلا كنت قد جرَّبته الآن».

قالت ڤين: «هذا ما تريد أن تعثر عليه في المذكرات، أيّ تلميح حول كيفية استخدام المعدن الحادي عشر».

أومأ كيلسير برأسه، ثم قال: «أخشى ألا يحالفنا الحظ في هذا الصدد، حتى الآن لم تذكر المذكرات شيئًا عن الألومانسي».

قالت ڤين: «لكنه تحدَّث عن الفيروكيمياء».

حدجها كيلسير بنظرة وهو يقف بجانب نافذته، ويتكئ بكتفٍ واحد على الجدار. تساءل: «إذن أخبرك سازد عن ذلك؟»

خفضت بصرها، وقالت: «لقد... أجبرته على ذلك بشكلٍ أو بآخر».

قهقه كيلسير. وقال: «أتساءل ما الذي أطلقتُه على العالم من خلال تعليمكِ الألومانسي. بالطبع، كان مُعلِّمي يقول الشيء نفسه عني».

ردَّت: «كان محقًّا في قلقه».

- «بالطبع كان كذلك».

ابتسمت ڤين. في الخارج، اختفى ضوء الشمس تقريبًا، بينما تشكَّلت بقع ضبابية شفافة في الهواء. علقت مثل الأشباح، وأخذت تنمو ببطء، وتمتد سطوتها مع اقتراب الليل.

قالت ڤين بحذر: «لم يكن لدى سازد متسع من الوقت ليخبرني بالكثير عن الفيروكيمياء. ما طبيعة الأشياء التي يمكن أن يفعلها؟» ترقَّبت في خوفٍ، وافترضت أن كيلسير سيكتشف كذبتها.

أجاب كيلسير بعفوية: «الفيروكيمياء فنٌّ داخليٌّ تمامًا، يمكن أن يُوفِّر بعض الأشياء نفسها التي نحصل عليها من خلال البيوتر والقصدير، كالقوة والتحمُّل والرؤية، ولكن يجب تخزين كل خاصية على حدة. كما يمكن أن يُعزِّز الكثير من الأشياء الأخرى أيضًا، أشياء لا يمكن للألومانسي القيام بها، كالذاكرة، والسرعة الجسدية، ووضوح الفكر... حتى بعض الأشياء الغريبة، مثل وزن الشخص أو عمره يمكن أن يتغيَّر بفعل الفيروكيمياء».

تساءلت ڤين: «إذن هو أقوى من الألومانسي؟»

هزَّ كيلسير كتفيه. «لا يملك فن الفيروكيمياء أيّ قوى خارجية، فهو لا يستطيع دفع المشاعر أو سحبها ناهيك عن الدفع الفولاذي والسحب الحديدي. وأكبر القيود التي يفرضها الفيروكيمياء أنه يجب عليك تخزين كل قدراته عن طريق سحبها من جسمك».

ثم أوضح كيلسير: «أتريدين أن تمتلكي ضعف قوتك لبعض الوقت؟ حسنًا، عليكِ قضاء عدة ساعات خائرة القوى تمامًا لتخزين القوة. وإذا كنتِ تريدين تخزين القدرة على الاستشفاء بسرعة، فعليكِ قضاء الكثير من الوقت مُصابة بالمرض. بينما في الألومانسي، المعادن نفسها هي

وقودنا، فيمكننا عمومًا المضي قدمًا طالما لدينا ما يكفي من المعدن لحرقه، لكن في الفيروكيمياء المعادن هي مجرد أدوات تخزين، وجسمك هو الوقود الحقيقي».

سألت ڤين: «إذن، يمكنك أن تسرق الإمدادات المعدنية التي يُخزّنها شخصٌ آخر، أليس كذلك؟»

هزَّ كيلسير رأسه، وردَّ قائلًا: «لا تسير الأمور هكذا. الفيروكيميائيون هم فقط من لديهم إمكانية الوصول إلى تلك المخازن التي أنشأوها بأنفسهم».

- «حقًّا!»

أومأ كيلسير برأسه. «إذن، لا. لا يمكن القول أن الفيروكيمياء أقوى من الألومانسي، فكلاهما لديه مزايا وقيود. على سبيل المثال، يمكن للألومانسيين إشعال معدنٍ ما إلى مستوى معين، ومن ثَمَّ يتم تقييد قوتهم القصوى. على الجانب الآخر، ليس لدى الفيروكيميائيين هذا النوع من القيود، فإذا كان لدى الفيروكيميائي ما يكفي من القوة المُخزَّنة حتى يكون بضعف قوته العادية لمدة ساعة، فيمكنه بدلًا من ذلك اختيار أن يكون أقوى بمعدل ثلاثة أضعاف قوته لفترة زمنية أقصر أو حتى أربعة أو خمسة أو ستة أضعاف قوته ولكن لفتراتٍ زمنية أقصر وأقصر».

عبست ڤين، وقالت: «يبدو أنه يُمثِّل ميزة كبيرةً جدًّا».

ردَّ كيلسير: «صحيح»، ومدَّ يده إلى داخل عباءته وأخرج قارورة تحتوي على عدة خرزات من الأتيوم، وقال: «لكن لدينا هذا، لا يهم إذا كان الفيروكيميائي بقوة خمسة رجال أو خمسين رجلًا حتى؛ لأنني إذا كنتُ أعرف ما سيفعله لاحقًّا، فسأهزمه».

أومأت ڤين برأسها.

قال كيلسير: «هنا»، وفتح غطاء القارورة وسحب إحدى الخرزات، ثم أخرج قارورة أخرى مليئة بمحلول الكحول العادي، وأسقط الخرزة فيها قائلًا: «خذي واحدة من هذه القوارير، قد تحتاجين إليها».

سألته ڤين: «الليلة؟»، وهي تتسلَّم القارورة.

أومأ كيلسير برأسه.

- «لكنه مارش فقط».

قال: «ربما، ولكن ربما أيضًا ألقى المُلتزمون القبض عليه وأجبروه على كتابة تلك الرسالة. وربما كانوا يتابعونه، أو ربما قاموا بأسره منذ ذلك الحين وعذَّبوه لمعرفة المزيد عن هذا الاجتماع. مارش في مكانٍ خطيرٍ للغاية، تخيَّلي أنك تحاولين القيام بالشيء نفسه الذي تفعلينه في تلك الحفلات، ولكن مع استبدال جميع النبلاء بالمُلتزمين والمُحقِّقين».

ارتجفت ڤين، ثم قالت وهي تخفي خرزة الأتيوم: «أعتقد أنك محق. كما تعلم، لا بُدَّ أن هناك خطأ ما بي، فأنا لا أكفُّ عن التفكير في قيمة تلك الأشياء بعد الآن».

لم يرد كيلسير على الفور، ولكنه قال أخيرًا بهدوء: «أجد صعوبة في نسيان قيمتها».

«أنا...» قطعت ڤين كلامها، وألقت نظرة خاطفة على يديه. أصبح الآن يرتدي عادةً قمصانًا بأكمامٍ طويلةٍ وقفازات، فقد زوَّدت سمعته الذائعة من خطورة ظهور ندوبه في الأماكن العامة. عرفت ڤين أن ندوبه كانت مثل الآلاف من الخدوش البيضاء الصغيرة، المُتراكبة في طبقات بعضها فوق بعض.

قال كيلسير: «على أيِّ حال، أنتِ محقة بشأن المذكرات، كنتُ آمل أن يتحدَّث عن المعدن الحادي عشر، ولكن لم يُذكر الألومانسي

حتى في إشارة إلى الفيروكيمياء. القوتان متشابهتان في كثيرٍ من النواحي؛ لدرجة تجعل المرء يتوقَّع أنه سيُقارن بينهما».

- «ربما كان قلقًا من أن شخصًا ما قد يقرأ الكتاب، ولم يُرد الكشف عن أنه أحد الألومانسيين».

أومأ كيلسير برأسه. «ربما، من المحتمل أيضًا أنه لم ينفجر بعد في تلك المرحلة. أيًّا كان ما حدث في جبال تيريس تلك، فقد حوَّله من بطلٍ إلى طاغية. ربما أيقظ قواه أيضًا. لن نعرف، على ما أعتقد، حتى ينتهي سازد من ترجمته».

- «هل اقترب من الانتهاء؟»

أومأ كيلسير برأسه. «لم يتبقَّ سوى القليل. آمل أن يكون هذا هو الجزء المهم. أشعر ببعض الإحباط من النص حتى الآن. لم يخبرنا اللورد الحاكم حتى ما يفترض أن يقوم به في تلك الجبال! إنه يدعي أنه يفعل شيئًا لحماية العالم بأسره، ولكن قد يكون هذا مجرد غرور منه».

تفكَّرت ڤين: «لا يبدو مغرورًا جدًّا في النص، بل على العكس في الواقع».

تابع كيلسير: «بغض النظر عن ذلك، سنعرف المزيد بمجرد ترجمة الفصول القليلة المُتبقِّية».

اشتد الظلام في الخارج، وكان على ڤين أن تشعل قصديرها لترى بشكلٍ صحيح. بات الشارع خارج نافذتها مرئيًّا، وقد اتخذ مزيجًا غريبًا من الظِّلِّ والإضاءة التي كانت نتيجة الرؤية المُعزَّزة بالقصدير. عرفت بالمنطق أنه كان مظلمًا، ومع ذلك، لا يزال بإمكانها الرؤية. ليس كما يمكنها الرؤية في الإضاءة العادية، فقد بدا كل شيءٍ خافتًا، ولكنه كان مرئيًّا رغم ذلك.

فحص كيلسير ساعة جيبه.

سألت ڤين: «كم يتبقَّى؟»

أجاب كيلسير: «نصف ساعة أخرى. هذا بافتراض أنه سيأتي في الوقت المُحدَّد، وأشك في ذلك، إنه أخي رغم كل شيء».

أومأت ڤين برأسها، وتحرَّكت بحيث أراحت ذراعيها المتشابكتين على حافة النافذة المكسورة. على الرغم من أنه كان شيئًا صغيرًا جدًّا، فإن الأتيوم الذي قدَّمه لها كيلسير وفَّر لها الشعور بالراحة.

توقَّفت. ذكَّرها التفكير في الأتيوم بشيءٍ مهمٍّ.. شيء أرَّقها في مناسبات عديدة. احتجت وهي تلتفت إليه: «أنت لم تعلمني قط أيّ شيءٍ عن المعدن التاسع!»

هزَّ كيلسير كتفيه، وردَّ قائلًا: «أخبرتكِ أنه ليس مهمًّا جدًّا».

- «ولكن ما هو على أيّ حال؟ أظن أنه سبيكة من سبائك الأتيوم؟»

هزَّ كيلسير رأسه. «لا، المعدنان الأخيران لا يتبعان نفس نمط المعادن الثمانية الأساسية، المعدن التاسع هو الذهب».

سألت ڤين: «الذهب؟ أهذا كل شيء؟ لقد كان بإمكاني تجربته منذ وقتٍ طويلٍ بمفردي!»

قهقه كيلسير، وقال: «بافتراض أنكِ أردتِ ذلك، يُعدُّ حرق الذهب... تجربة غير مريحة نوعًا ما».

ضيَّقت ڤين عينيها، ثم استدارت لتنظر من النافذة مرة أخرى. حدَّثت نفسها: «سنرى!»

قال كيلسير مبتسمًا: «ستُجرِّبينه على أيّ حال، أليس كذلك؟»

لم ترد ڤين.

تنهَّد كيلسير، ومدَّ يده إلى حزامه وأخرج عملة ذهبية ومبردًا. قال وهو يرفع المبرد: «ربما يجب أن تستخدمي واحدًا كهذا. ومع ذلك، إذا حصلتِ على المعدن بنفسك، فاحرقي القليل جدًّا أولًا للتأكُّد من نقائه أو سبكه بشكلٍ صحيحٍ».

سألت ڤين: «وإذا لم يكن كذلك؟»

وعدها كيلسير: «ستعرفين»، وبدأ في برد العملة بالمبرد. «أتذكرين الصداع الذي عانيتِ منه نتيجة سحب البيوتر؟»

- «نعم؟»

أوضح كيلسير: «المعدن السيئ أسوأ من هذا. أسوأ من هذا بكثير. اشترِ معادنك حيثما أمكنكِ ذلك؛ ستجدين في كل مدينة مجموعة صغيرة من التجار الذين يُقدِّمون مسحوق المعادن إلى الألومانسيين. يولي هؤلاء التجار اهتمامًا كبيرًا بالتأكُّد من نقاء جميع معادنهم، فوليد الضباب الغاضب الذي يعاني من الصداع ليس بالضبط ذلك النوع المُهمَّش من العملاء الذي يريد المرء التعامل معه». أنهى كيلسير عملية البَرد، ثم جمع القليل من رقائق الذهب على مُربَّع صغير من القماش. التقط واحدةً منها بإصبعه ثم ابتلعها.

قال: «هذا جيد»، ثم أضاف وهو يُسلِّمها قطعة القماش: «تفضَّلي، فقط تذكَّري أن حرق المعدن التاسع تجربة غريبة».

أومأت ڤين برأسها، وشعرت فجأة ببعض التخوُّف. حدَّثت نفسها: «إنكِ لن تعرفي أبدًا ما لم تجرِّبي ذلك بنفسك»، ثم ألقت الرقائق الشبيهة بالغبار في فمها. وابتلعتها بقليلٍ من الماء من قارورتها.

ظهر بداخلها مخزونٌ معدنيٌّ جديدٌ، غير مألوف ومختلف عن المعادن التسعة التي عرفتها. نظرت إلى كيلسير، وأخذت نفسًا، ثم أحرقت الذهب.

كانت في مكانين في وقتٍ واحدٍ. يمكنها أن ترى نفسها، ويمكنها أن ترى نفسها أيضًا.

بدت إحدى نسختيها امرأة غريبة، مُتغيِّرة ومُتحوِّلة عن تلك الفتاة التي كانت عليها دائمًا. كانت تلك الفتاة حذرة ومتأنِّية، لن تحرق أبدًا معدنًا غير مألوف بناءً على كلمة رجلٍ واحدٍ فقط، بينما كانت تلك المرأة حمقاء. لقد نسيت الكثير من الأشياء التي تركتها على قيد الحياة زمنًا طويلًا. شربت من كؤوس أعدَّها آخرون. وتصادقت مع الغرباء. لم تتعقَّب الأشخاص من حولها. كانت لا تزال أكثر حذرًا بكثيرٍ من معظم الناس، لكنها فقدت الكثير من نفسها.

كانت النسخة الأخرى منها شيئًا تكرهه دائمًا ولكن سرًّا. مجرد طفلة في الواقع، ضعيفة لدرجة الهزال، وحيدة، وبغيضة، ومرتابة. لم تحب أحدًا ولم يحبها أحد. كانت تقول لنفسها دائمًا بهدوء أنها لا تبالي. هل كان هناك شيء تستحق أن تعيش من أجله؟ لا بُدَّ أن هناك شيئًا ما. لا يمكن أن تكون الحياة مثيرة للشفقة كما تبدو. نعم، لا بُدَّ أن هناك شيئًا ما، ولكن لم يكن هناك شيءٌ آخر.

كانت ڤين كلتا النسختين. وقفت في مكانين، ثم حرَّكت جسديها، جسد الفتاة وجسد المرأة. مدَّت كلتا يديها، المُتردِّدة، والغامضة، ولمست وجهيها.

شهقت ڤين، ثم اختفت النسخة الأخرى. شعرت باندفاع مفاجئ من المشاعر، وإحساس بالارتباك وانعدام القيمة. لم تكن هناك كراسٍ في

الغرفة؛ لذلك جلست ببساطة على الأرض، وظهرها مستند إلى الحائط، وتحيط ركبتيها المرفوعتين بذراعيها.

سار كيلسير نحوها، وركع على الأرض ليضع يدها على كتفها قائلًا: «كل شيء على ما يُرام».

همست: «ماذا كان هذا؟»

أجاب كيلسير: «الذهب والأتيوم مكملان لبعضهما مثل أزواج المعادن الأخرى. يتيح لكِ الأتيوم رؤية المستقبل بشكلٍ هامشي. كما يعمل الذهب بطريقة مماثلة، لكنه يتيح لكِ رؤية الماضي، أو على الأقل، يتيح لكِ رؤية نسخة أخرى من نفسك، لو كانت الأشياء مختلفة في الماضي».

ارتجفت ڤين. بدت تجربة كونها شخصين في وقتٍ واحدٍ، ورؤية نفسها بنسختين، غريبة بشكلٍ مُقلق. لا يزال جسدها يرتجف، ولم يعد عقلها... سليمًا الآن.

لحسن الحظ، بدا هذا الإحساس وكأنه ينحسر. قالت: «ذكِّرني أن أستمع إليك في المستقبل، أو على الأقل، عندما تتحدَّث عن الألومانسي».

قهقه كيلسير، وردَّ قائلًا: «حاولتُ إبعاده عن رأسك لأطول فترة ممكنة. لكن، كان عليكِ أن تُجرِّبيه في وقتٍ ما. ستتجاوزين الأمر على أيّ حال».

قالت: «لقد انتهى الأمر تقريبًا بالفعل، لكنها لم تكن مجرد رؤية يا كيلسير، كان ذلك حقيقيًّا. لقد تمكَّنتُ من لمسها، تلك النسخة الأخرى مني».

ردَّ كيلسير: «قد يبدو الأمر كذلك بالنسبة لكِ، لكنها لم تكن هنا، فلم أستطع رؤيتها على الأقل، إنها هلوسة».

قالت ڤين: «رؤى الأتيوم ليست مجرد هلاوس. الظلال تُظهِر ما سيفعله الناس بالفعل».

ردَّ كيلسير: «صحيح، لا أعرف، الذهب غريب يا ڤين. لا أعتقد أن أيّ شخصٍ يفهمه على الإطلاق. قال لي مُعلِّمي جيميل إن الظِّلَّ الذهبي هو شخص لا وجود له، ولكنه يمكن أن يكون موجودًا. ربما أصبحتِ هذا الشخص لو لم تقومي باتخاذ خياراتٍ معينةٍ، ولكن كان جيميل مختلًّا بعض الشيء؛ لذلك لستُ متأكِّدًا إلى أيّ مدى يمكنني تصديق ما قاله لي».

أومأت ڤين، ولكن بدا من غير المُحتمَّل أن تكتشف المزيد عن الذهب في المستقبل القريب. لم تعد تنوي حرقه مرة أخرى أبدًا، إذا استطاعت ذلك. ظلت جالسة؛ لتسمح لمشاعرها بالتعافي لفترة من الوقت، بينما عاد كيلسير إلى النافذة. أخيرًا، تهلَّلت أساريره.

سألته ڤين، وهي تزحف على قدميها: «هل وصل للتو؟»

أومأ كيلسير برأسه، ثم سألها: «هل تريدين البقاء هنا؛ لنيل قسطٍ من الراحة؟»

هزَّت ڤين رأسها.

قال وهو يضع ساعة جيبه والمبرد والمعادن الأخرى على حافة النافذة: «حسنًا إذن، هيا بنا نذهب».

لم يخرجا من النافذة، فقد أراد كيلسير أن يظلَّ بعيدًا عن الأنظار، على الرغم من أن هذا الجزء من الحي كان مهجورًا لدرجة أن ڤين لم

تعرف سبب قلقه. غادرا المبنى عبر درجٍ آيلٍ للسقوط، ثم عبرا الشارع في صمت.

بدا المبنى الذي اختاره مارش أكثر خرابًا من المبنى الذي انتظر فيه كيلسير وڤين. انخلع الباب الأمامي للمبنى، على الرغم من أن ڤين رأت بقايا منه في الأنقاض المتناثرة على الأرض. فاحت من الغرفة بالداخل رائحة الغبار والسخام، وكان عليها أن تكبت العطس.

استدار شخصٌ يقف على الجانب الآخر من الغرفة عندما قال: «كيل؟»

ردَّ كيلسير: «هذا أنا ومعي ڤين».

عندما اقتربت ڤين، رأت مارش يُحدِّق إلى الظلام. كان من الغريب أن تراه واضحًا للعيان، ومع ذلك عرفت أنها هي وكيلسير لم يكونا أكثر من مجرد ظلال بالنسبة له. انهار الجدار الخلفي للمبنى، وتدفَّق الضباب بحرية في الغرفة، تقريبًا بنفس مقدار كثافته بالخارج.

قالت ڤين وهي تحملق إلى مارش: «أصبح لديك وشوم الوزارة!»

ردَّ مارش بصوتٍ صارمٍ أكثر من أيِّ وقتٍ مضى: «بالطبع. لقد وضعتها قبل الانضمام إلى القافلة. كان عليّ أن أجيد لعب دور أحد المُساعدين».

لم تكن الوشوم هائلة -لقد كان يلعب دور مُلتزم ذي رتبة منخفضة- لكن النمط كان واضحًا دون لبس؛ خطوط داكنة تحيط بالعين، وتمتد للخارج مثل تصدُّعات البرق الزاحفة بينما سار خطٌّ واحدٌ -أكثر سُمكًا وبلونٍ أحمر فاتح- على جانب وجهه. تعرَّفت ڤين على هذا النمط: هذه هي خطوط المُلتزم الذي ينتمي إلى فرع مكاتب التحقيق. لم يقم مارش باختراق الوزارة فحسب، بل اختار أشدَّ فروعها خطورة للاختراق.

قالت ڤين: «لكنها ستبقى على وجهك للأبد. إنها مُميَّزة جدًّا، فأينما ذهبت، سيعرف الناس إما أنك مُلتزم أو مُحتال».

ردَّ كيلسير: «كان هذا جزءًا من الثمن الذي دفعه لاختراق الوزارة يا ڤين».

قال مارش: «لا يهم، لم يكن لديّ حياة حافلة قبل هذا على أيّ حال. انظروا، هل يمكننا الإسراع؟ من المتوقَّع أن أكون في مكانٍ ما قريبًا. يعيش المُلتزمون حياةً مليئةً بالمشاغل، وليس لديّ فسحة من الوقت سوى بضع دقائق فقط».

قال كيلسير: «حسنًا، أفترض أن عملية اختراقك سارت بشكلٍ جيدٍ إذن؟»

أجاب مارش باقتضاب: «سارت الأمور على ما يُرام». ثم أردف: «حسنًا، في الواقع، أظن أنني ربما قد ميَّزتُ نفسي عن المجموعة. لقد افترضت أنني سأكون في وضعٍ غير مؤاتٍ؛ حيث لم أقضِ السنوات الخمس نفسها التي قضاها المُساعدون الآخرون في التدريب؛ لذا فقد حرصت على الإجابة عن الأسئلة بأكبر قدرٍ ممكنٍ من الدقة، والالتزام بأداء واجباتي بإتقان. ومع ذلك، يبدو أنني أعرف عن الوزارة أكثر مما يعرفه بعض أعضائها. لا ريب في أنني أكثر كفاءةً من هذه المجموعة من الوافدين الجُدد، وقد لاحظ الكهنة (البريلان) ذلك».

قهقه كيلسير. «لقد كنتَ دائمًا مُتفوِّقًا».

زمجر مارش بهدوء، ثم قال: «على أيّ حال، فإن معرفتي -ناهيك عن مهاراتي كـ (باحث)- أكسبتني بالفعل سمعة طيبة. لستُ متأكِّدًا إلى أيّ مدى أريد أن أحظى باهتمام الكهنة (البريلان)، فقد تبدو القصة التي اخترعناها واهيةً بعض الشيء عندما يستجوبك أحد المُحقِّقين».

عبست ڤين، وسألته: «هل أخبرتهم أنك ضبابي؟»

ردَّ مارش: «بالطبع فعلت. تقوم الوزارة -ولا سيما فرع مكاتب التحقيق- بتجنيد النبلاء (الباحثين) بعناية. حقيقة أنني أصبحتُ واحدًا منهم كافية لمنعهم من طرح الكثير من الأسئلة حول قصتي الماضية. إنهم سعداء بانضمامي إليهم، على الرغم من حقيقة أنني أكبر سنًّا بقليلٍ من معظم المُساعدين الآخرين».

قال كيلسير: «وعلاوة على ذلك، كان عليه أن يُخبرهم بأنه ضبابي حتى يتمكَّن من الانضمام إلى فروع الوزارة الأكثر سرية. معظم المُلتزمين رفيعي المستوى هم في الأصل ضبابيون من نوعٍ ما، إنهم يميلون إلى تفضيل أبناء جنسهم».

ردَّ مارش سريعًا: «ولكن لسببٍ وجيهٍ الوزارة أكثر كفاءة بكثيرٍ مما افترضنا يا كيل».

- «ماذا تقصد؟»

أجاب مارش: «إنهم يجيدون استخدام أتباعهم الضبابيين، لديهم قواعد في جميع أنحاء العاصمة، أو محطات تهدئة كما يُسمونها. تحتوي كل محطة على بضعٍ من (المُهدِّئين) التابعين للوزارة، وتتمثَّل مُهمتهم في نشر تأثيرٍ مُثبِّطٍ من حولهما؛ مما يؤدي إلى تهدئة وإخماد انفعالات جميع الأشخاص داخل تلك المنطقة».

هسهس كيلسير بهدوء: «كم عددها؟»

أجاب مارش: «العشرات. تتركَّز هذه المحطات في مناطق (السكا) بالعاصمة. إنهم يعلمون أن (السكا) يتعرَّضون للضرب، لكنهم يريدون التأكُّد من بقاء الأمور على هذا النحو».

هتف كيلسير: «اللعنة! لطالما بدا لي أن (السكا) داخل لوثاديل أكثر خنوعًا من غيرهم. لا عجب أننا واجهنا الكثير من المتاعب في عمليات تجنيدهم؛ لأن انفعالات الناس تخضع لحالة تهدئة مستمرة!»

أومأ مارش برأسه.

قال مارش: «إن (المُهدِّئين) التابعين للوزارة بارعون يا كيل، بارعون جدًّا، حتى إنهم أكثر براعةً من بريز، لا يفعلون شيئًا على مدار اليوم، وبشكلٍ يومي، سوى التهدئة. ونظرًا لأنهم لا يحاولون دفعك إلى فعل شيءٍ بعينه -وإنما يحاولون بدلًا من ذلك إبعادك عن النطاقات الانفعالية الشديدة- فمن الصعب جدًّا ملاحظتهم».

ثم أردف: «يُزوَّد كل فريق منهم بـ (مُدخِّن) لإبقائهم مخفيين، بالإضافة إلى (باحث) لتعقُّب الألومانسيين العابرين. أراهن أن هذه هي الطريقة التي يحصل بها المُحقِّقون على الكثير من القرائن، معظم رجالنا أذكياء بما يكفي لعدم حرق المعادن عندما يعلمون أن هناك مُلتزمًا في المنطقة، لكنهم يتصرَّفون بشكلٍ أكثر تساهلًا في الأحياء الفقيرة».

سأله كيلسير: «هل يمكنك أن تحضر إلينا قائمةً بهذه المحطات؟ نحتاج إلى معرفة مكان هؤلاء (الباحثين) يا مارش».

أومأ مارش برأسه، ثم أجاب: «سأحاول، أنا في طريقي الآن إلى إحدى المحطات. إنهم يقومون دائمًا بتغيير المُوظَّفين ليلًا؛ للحفاظ على سرهم. لقد حظيتُ باهتمام الكهنة ذوي الرتب العليا، وبدأوا يسمحون لي بزيارة بعض المحطات للتعرُّف على عملهم. سأرى ما إذا كان بإمكاني إحضار قائمةً إليك بهذه المحطات».

أومأ كيلسير في الظلام.

استدرك مارش: «ولكن... لا تعبث بهذه المعلومات، حسنًا؟ علينا أن نكون حذرين يا كيل. أبقت الوزارة على هذه المحطات سرية لفترة طويلة من الوقت. الآن بعد أن اكتشفنا أمرها، أصبح لدينا ميزة خطيرة، فلا تُضيِّعها علينا».

وعده كيلسير: «لن أفعل»، ثم سأله: «ماذا عن المُحقِّقين؟ هل اكتشفت أيّ شيءٍ عنهم؟»

وقف مارش صامتًا للحظة، ثم أجاب: «إنهم... غريبون يا كيل، لا أعرف. يبدو أن لديهم جميع القوى الألومانتيكية؛ لذلك أظن أنهم كانوا يومًا ما وليدي ضبابٍ، لا يمكنني اكتشاف الكثير عنهم، رغم أنني علمت أنهم يتقدَّمون في السن».

قال كيلسير باهتمام: «حقًّا؟ إذن، فهم ليسوا خالدين؟»

ردَّ مارش: «لا، يقول المُلتزمون إن المُحقِّقين يتحوَّلون من حينٍ لآخر. هذه المخلوقات مُعمِّرة، لكنها تموت في النهاية بسبب الشيخوخة؛ لذلك لا بُدَّ تجنيد مُحقِّقين جُدد من بين النبلاء رفيعي المستوى. إنهم بشر يا كيل، لكنهم... تحوَّلوا فقط».

أومأ كيلسير برأسه، ثم قال: «إذا كان من الممكن أن يموتوا بسبب الشيخوخة، فمن المُرجَّح أن تكون هناك طرق أخرى لقتلهم أيضًا».

قال مارش: «هذا ما أعتقده، سأرى ما يمكنني اكتشافه، لكن لا ترفع مستوى آمالك. لا يتعامل المُحقِّقون كثيرًا مع المُلتزمين العاديين، فهناك توتُّر سياسي بين المجموعتين؛ حيث يقود كبير الكهنة (البريلان) الكنيسة، بينما يرى المُحقِّقون أنهم أحق بتولي هذه المسؤولية».

علَّق كيلسير ببطء: «هذا أمرٌ مثيرٌ للاهتمام». كادت ڤين تسمع عقله وهو يحاول استيعاب المعلومات الجديدة.

قال مارش: «على أيّ حال، يجب أن أذهب الآن. لقد اضطررتُ إلى الركض طوال الطريق إلى هنا، ولكن يبدو أنني سأتأخر عن اللحاق بموعدي».

أومأ كيلسير برأسه، وبدأ مارش في المغادرة؛ حيث شقَّ طريقه فوق الأنقاض برداء المُلتزمين الداكن.

نادى كيلسيرِ عندما وصل أخوه إلى الباب: «مارش!»

استدار مارش.

قال كيلسير: «شكرًا لك، لا يسعني إلا أن أُخمِّن مدى خطورة ما تفعله».

ردَّ مارش: «أنا لا أفعل ذلك من أجلك يا كيل، لكنني... أُقدِّر مشاعرك. سأحاول إرسال رسالة أخرى إليك بمجرد الحصول على مزيدٍ من المعلومات».

قال كيلسير: «كُن حذرًا».

اختفى مارش في الليل الضبابي، بينما وقف كيلسير في الغرفة المنهارة لبضع دقائق، مُحدِّقًا نحو الاتجاه الذي سلكه أخوه.

حدَّثت ڤين نفسها: «لم يكن يكذب بشأن ذلك أيضًا، إنه يهتم حقًّا بأمر مارش».

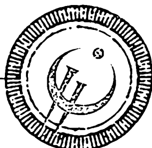
قال كيلسير: «هيا بنا نذهب، علينا أن نُعيدكِ إلى قصر رينو... سيقيم آل بيت ليكال حفلة أخرى في غضون أيامٍ قليلةٍ، ويجب عليكِ حضورها».

أحيانًا، يزعم رفاقي أنني أشعر بالقلق وأتشكك كثيرًا. ومع ذلك، فعلى الرغم من أنني قد أتشكك في مكانتي كبطل، فإن هناك شيئًا واحدًا لم أشكك فيه قط، ألا وهو الخير المطلق لِمسعانا.

يجب تدمير الأعماق، لقد رأيتها وشعرت بها. أعتقد أن الاسم الذي نُطلقه عليها كلمة هينة للغاية. نعم، إنها عميقة ولا تُسبر أغوارها، لكنها فظيعة أيضًا. لا يدرك الكثيرون أنها واعية، لكنني شعرت بوعيها، أو شيء من هذا القبيل، في المرات القليلة التي واجهتها مباشرةً.

إنها نوعٌ ما من الدمار والجنون والفساد. كانت ستُدمِّر هذا العالم ليس عن حقدٍ أو عداء، ولكن ببساطة لأن هذا ما تفعله.

الفصل الثامن والعشرون



صُمِمت قاعة الحفلات في قلعة ليكال على شكل هرمٍ من الداخل؛ حيث وقعت حلبة الرقص على منصة عالية في وسط القاعة كما وُضعت طاولات الطعام على أربع منصات مماثلة تُحيط بها، بينما أخذ الخدم يهرعون عبر الممرات الموجودة بين المنصات لتقديم العشاء الأرستقراطي.

تدور أربع مستويات من الشرفات حول المحيط الداخلي للقاعة الهرمية، كل منها أقرب قليلًا إلى نقطة القمة، وتمتد أكثر قليلًا فوق

حلبة الرقص. على الرغم من أن القاعة الرئيسية كانت مُضاءة جيدًا، فإن الشرفات نفسها ظُلِّلت بظلالها المُتدلية؛ حيث يهدف التصميم إلى توفير إطلالة جيدة على أكثر السمات الفنية المُميِّزة للقلعة، وهي النوافذ الزجاجية الصغيرة المُلوَّنة التي تصطف على جانبي كل شرفة.

تفاخر نبلاء ليكال بأنه في حين اشتملت القلاع الأخرى على نوافذ أكبر، إلا أن قلعة ليكال اشتملت على أدق النوافذ تفصيلًا. كان على ڤين أن تعترف أنها مذهلة. لقد شاهدت العديد من النوافذ الزجاجية المُلوَّنة خلال الأشهر القليلة الماضية لدرجة أنها بدأت تعتاد عليها، لكن نوافذ قلعة ليكال طغت على معظم نوافذ القلاع الأخرى. فقد مثَّلت كل نافذة من هذه النوافذ أعجوبة مُفصَّلة بشكلٍ مفرطٍ من الألوان المُتلألئة؛ حيث تتبختر الحيوانات الغريبة، وتغري المناظر الطبيعية البعيدة العيون، كما يظهر النبلاء المشهورون في الصور جالسين بفخرٍ وكبرياء.

كانت هناك أيضًا، بطبيعة الحال، الصور اللازمة المُخصَّصة للمعراج. تمكَّنت ڤين من التعرُّف عليها بسهولة أكبر الآن، وقد فُوجئت برؤية إشارات إلى الأشياء التي قرأتها في المذكرات. التلال الزمردية الخضراء. الجبال شديدة الانحدار، مع خطوطٍ باهتة تشبه الأمواج التي ترتفع من قممها. بحيرة عميقة ومظلمة، و... السواد. الأعماق. نوعٌ فوضويٌّ من الدمار.

تفكَّرت ڤين: «لقد هزمها، لكن... ماذا كانت؟ ربما تكشف لنا نهاية المذكرات المزيد».

هزَّت ڤين رأسها، تاركةً وراءها الكوة، ونافذتها السوداء. تجوَّلت على طول الشرفة الثانية، مرتديةً فستانًا ناصع البياض، وهو الزي الذي لم تكن لتتخيَّله أبدًا خلال حياتها كواحدة من (السكا)؛ حيث مثَّل الرماد

والسخام جزءًا كبيرًا من حياتها، ولم يخطر ببالها حتى إنه سيكون لديها تصوُّر لما يبدو عليه اللون الأبيض الناصع. ونظرًا لإدراكها لذلك، فقد بدا الفستان أكثر روعة بالنسبة لها. كانت تأمل ألا تفقد أبدًا ذلك الإحساس الداخلي بما كانت عليه حياتها من قبل؛ حيث جعلها تُقدِّر كل ما لديها أكثر بكثير من النبلاء الحقيقيين.

واصلت التجول على طول الشرفة بحثًا عن فريستها. تتألق الألوان المتلألئة من النوافذ ذات الإضاءة الخلفية، وتنشر الضوء عبر أرضية القاعة. كما تتوهج معظم النوافذ من داخل تجاويف صغيرة على طول الشرفة، وهكذا تخلَّل الشرفة التي أمامها تجاويف مظلمة ومُلوَّنة. لم تتوقَّف ڤين عن دراسة النوافذ بعد الآن. لقد فعلت الكثير من ذلك خلال الحفلات الأولى لها في قلعة ليكال.

ولكن هذه الليلة لديها عمل لتقوم به.

وجدت فريستها في منتصف ممر الشرفة الشرقية. كانت السيدة كليس تتحدَّث مع مجموعة من الناس؛ لذلك توقَّفت ڤين قليلًا؛ متظاهرةً بدراسة النافذة. سرعان ما تفرَّقت مجموعة كليس، حيث يمكن للمرء أن يأخذ الكثير من كليس دفعة واحدة وسرعان ما يسأم منها. بدأت المرأة القصيرة تمشي على طول الشرفة باتجاه ڤين.

عندما اقتربت، استدارت ڤين، كما لو كانت متفاجئة. «مَنْ؟ السيدة كليس! لم أركِ طوال الأمسية».

التفتت كليس بلهفة، من الواضح أنها متحمسة لاحتمالية وجود شخصٍ آخر يمكنها أن تثرثر معه. قالت، وهي تتمايل إلى الأمام: «سيدة ڤاليت! لقد فاتتك حفلة اللورد كاب الأسبوع الماضي! أرجو ألا يكون ذلك بسبب انتكاسة مرضك السابق».

ردَّت ڤين: «كلا، قضيت ذلك المساء في تناول العشاء مع عمي».

قالت كليس بخيبة أمل، فعلى ما يبدو أن الانتكاسة كانت ستصنع قصة أفضل: «حسنًا، هذا جيد».

قالت ڤين بحذر: «سمعت أن لديكِ بعض الأخبار الشيقة عن السيدة ترين-بيدري ديلوز، لقد سمعت بنفسي بعض الأشياء المثيرة للاهتمام مؤخرًا»، نظرت إلى كليس لتُلمِّح أنها على استعداد لتتبادل معها الحكايات.

ردَّت كليس بلهفة: «حسنًا، سمعت أن ترين-بيدري ليست مهتمة على الإطلاق بالانضمام إلى بيت آيمي، على الرغم من أن والدها يشير إلى أن هناك حفل زفاف سيُعقد قريبًا، لكنكِ تعرفين كيف هم أبناء آل بيت آيمي، فيدرين مُهرّج تمامًا».

حاولت ڤين ألا تُعبِّر عن سأمها الداخلي منها. بينما استمرت كليس في الحديث، ولم تلاحظ حتى أن ڤين لديها شيء تريد مشاركته معها. يُعدُّ استخدام الدقة مع هذه المرأة بنفس فاعلية محاولة بيع الماء المُعطَّر إلى فلاحي (السكا).

قالت ڤين مقاطِعةً كليس: «هذا مثيرٌ للاهتمام، ربما يرجع تردُّد ترين-بيدري بسبب ارتباط بيت آيمي ببيت هاستينج».

توقَّفت كليس متسائلة: «ولماذا ذلك؟»

قالت ڤين: «جميعنا نعرف ما يُخطِّط له آل بيت هاستينج «.

سألت كليس: «حقًّا؟»

تظاهرت ڤين بالحرج، وقالت: «أوه، ربما هذا غير معروف حتى الآن. من فضلك، يا سيدة كليس، انسي أيّ شيءٍ قلتُه للتو».

قالت كليس: «أنسى؟ لقد نسيتُ الأمر بالفعل، لكن تعالي هنا، لا يمكنكِ التوقُّف الآن. ماذا تقصدين؟»

ردَّت ڤين: «لا يمكنني القول، إنه مجرد شيء سمعتُ عمي يتحدَّث عنه».

سألت كليس، وبدت أكثر تلهُّفًا: «عمك؟ ماذا قال؟ أنتِ تعلمين أنه يمكنكِ الوثوق بي».

قالت ڤين: «حسنًا... لقد قال إن آل بيت هاستينج ينقلون الكثير من الموارد إلى مزارعهم في نطاق السيادة الجنوبية. كان عمي سعيدًا جدًّا بذلك، فقد فسخ آل بيت هاستينج بعض عقودهم، ويأمل عمي في الحصول عليها بدلًا منهم».

تساءلت كليس: «نقل... إنهم لن يفعلوا ذلك إلا إذا كانوا يُخطِّطون للانسحاب من العاصمة...».

قالت ڤين بهدوء: «هل يمكنكِ إلقاء اللوم عليهم؟ أعني من الذي يريد أن يخاطر بنفس المصير الذي لقيه آل بيت تيكيل».

ردَّت كليس: «مَن حقًّا...» كانت ترتجف تقريبًا من فرط لهفتها على مشاركة الأخبار.

قالت ڤين: «على أيِّ حال، من الواضح أن هذه مجرد إشاعات. من فضلكِ، ربما يَجب ألا تخبري أحدًا عن ذلك».

ردَّت كليس: «بالطبع. اممم... عفوًا. أحتاج إلى الذهاب لتناول بعض المشروبات المُنعشة».

قالت ڤين: «بالطبع»، وأخذت تراقب المرأة تنطلق نحو درج الشرفة.

ابتسمت ڤين. لم يكن بيت هاستينج يقوم بأيِّ استعداداتٍ من هذا القبيل، بالطبع، فقد كانت عائلة هاستينج من أقوى العائلات في

العاصمة، ومن غير المحتمل انسحابها هكذا. ولكن دوكسون عاد إلى الورشة لتزوير المستندات التي عند تسليمها إلى أماكنها المناسبة من شأنها أن تشير إلى أن آل بيت هاستينج يُخطِّطون بالفعل للقيام بما أذاعته ڤين.

إذا سارت الأمور على ما يُرام، فستتوقَّع العاصمة بأكملها انسحاب آل بيت هاستينج قريبًا. وسوف يُخطِّط حلفاؤهم لذلك، وربما يبدؤون أيضًا في الانسحاب بأنفسهم، بينما سيبحث الأشخاص الذين يتطلَّعون إلى شراء أسلحة في أماكن أخرى بدلًا من ذلك؛ خشية ألا يتمكَّن آل هاستينج من الوفاء بالعقود عند مغادرتهم. وعندما لا يغادر آل هاستينج، فإن ذلك سيجعلهم يبدون غير حاسمين. ومع رحيل حلفائهم، وضعف دخلهم، فمن المُرجَّح جدًّا أن يكونوا ثاني البيوت الكبرى التي تنهار.

ومع ذلك، فقد كان بيت هاستينج أحد أسهل البيوت التي يمكن محاربتها؛ حيث اشتهر آل هذا البيت بخداعهم الشديد، وكان الناس يعتقدون أنهم يُخطِّطون للانسحاب سرًّا. بالإضافة إلى ذلك، يُعتبر هاستينج بيتًا تجاريًّا قويًّا؛ مما يعني أنه يعتمد كثيرًا على عقوده من أجل البقاء؛ لذا فـ لا بُدَّ أن البيت الذي يحتوي على مثل هذا المصدر الواضح والرئيسي للداخل يعاني من ضعفٍ واضح. لقد عمل اللورد هاستينج بجد لزيادة نفوذ بيته على مدى العقود القليلة الماضية، وبذلك وسَّع موارده إلى أقصى حدودها.

كانت البيوت الأخرى أكثر استقرارًا. تنهَّدت ڤين، واستدارت ثم سارت في الممر، متطلعةً إلى الساعة الضخمة الموضوعة بين الشرفات على الجانب الآخر من القاعة.

لن يسقط بيت ڤينتشر بسهولة. حافظ هذا البيت على نفوذه من خلال قوة ثرواته المطلقة؛ فعلى الرغم من مشاركته في بعض العقود فإنه لم يعتمد عليها كغيره من البيوت. لقد كان بيت ڤينتشر غنيًّا وقويًّا بما فيه الكفاية، لدرجة أنه حتى الكوارث التجارية لن تؤدي إلا إلى اهتزازه قليلًا.

بطريقةٍ ما، كان استقرار بيت ڤينتشر أمرًا جيدًا، على الأقل بالنسبة إلى ڤين. لم يكن بالبيت أيّ نقاط ضعف واضحة؛ لذلك ربما لن يشعر أفراد العصابة بخيبة أمل كبيرة عندما لا تتمكَّن من اكتشاف أيّ طريقة لإسقاطه. بعد كل شيء، لم يكونوا بحاجة مطلقًا إلى تدمير بيت ڤينتشر، فالقيام بذلك من شأنه أن يؤدي إلى الكشف عن الخطة ببساطة.

مهما يحدث، تعيَّن على ڤين التأكُّد من أن آل بيت ڤينتشر لن يلقوا المصير نفسه الذي لقيه آل بيت تيكيل. لقد شُوِّهت سمعتهم، واضطربت مواردهم المالية، وحاول آل تيكيل الانسحاب من العاصمة، وكان هذا المظهر الأخير للضعف مبالغًا فيه، فقد تم اغتيال بعض نبلاء تيكيل قبل مغادرتهم. بينما عُثر على البقية في الأنقاض المُتفحِّمة لقواربهم، ضحايا لقُطَّاع الطرق على ما يبدو، رغم أن ڤين لم تعرف من قبل أيّ عصابة لصوص تجرؤ على ذبح هذا العدد الكبير من النبلاء.

لم يستطع كيلسير أن يكتشف بعد ذلك البيت الذي كان وراء جرائم القتل، ولكن يبدو أن نبلاء لوثاديل لا يهتمون بمعرفة الجاني الذي ارتكب كل ذلك. لقد سمح بيت تيكيل لنفسه بأن يزداد هوانًا، ولم يكن هناك ما يُحرج الطبقة الأرستقراطية أكثر من البيت العظيم الذي لا يستطيع الحفاظ على مكانته. كان كيلسير محقًّا، فعلى الرغم من تبادل المجاملات فيما بينهم خلال تلك الحفلات، فإن النبلاء كانوا أشدَّ رغبةً في طعن بعضهم إذا رأوا في ذلك مصلحةً لهم.

تفكَّرت: «إنهم يشبهون عصابات اللصوص نوعًا ما. في الحقيقة، لا يختلف النبلاء كثيرًا عن أولئك الأشخاص الذين نشأتُ بينهم».

الكثير من المجاملات المُصطنعة فقط تجعل الأجواء أكثر خطورة. تحت تلك الواجهة، كانت هناك المؤامرات والاغتيالات، وربما الأهم من كل ذلك، ألا وهم وليدو الضباب. لم يكن من قبيل المصادفة اشتمال جميع الحفلات التي حضرتها مؤخرًا على أعدادٍ كبيرةٍ من الحراس، سواء أكانوا مُقلَّدين بالدروع أم لا؛ حيث تخدم الحفلات غرضًا إضافيًا مُتمثِّلًا في إصدار الإنذارات وإظهار القوة.

قالت لنفسها: «إن إليند بأمان، فعلى الرغم من رأيه في عائلته فإنهم أبلوا بلاءً حسنًا في الحفاظ على مكانتهم في التسلسل الهرمي للوثاديل، إنه الوريث؛ لذا سيحمونه من القتلة».

تمنَّت أن تبدو تلك التأكيدات أكثر إقناعًا. فقد كانت تعلم أن شان إيلاريل تُخطِّط لشيءٍ ما. قد يكون بيت ڤينتشر آمنًا، لكن بدا إليند نفسه في بعض الأحيان... غافلًا قليلًا. إذا قامت شان بأيِّ شيءٍ ضده شخصيًّا، فربما تكون هذه ضربة قاصمة لبيت ڤينتشر، ولكنها بالتأكيد ستكون كذلك لـ ڤين.

قال صوتٌ ما: «السيدة ڤاليت رينو، أظن أنكِ تأخَّرتِ».

استدارت ڤين لترى إليند مسترخيًا على كوة عن يسارها. ابتسمت وهي تنظر إلى الساعة، ولاحظت أنه قد مضى بضع دقائق على الموعد المُزمع للقائهما. قالت وهي تخطو إلى الكوة: «لا بُدَّ أنني أكتسب عادات سيئة من بعض أصدقائي».

ردَّ إليند مبتسمًا: «الآن انظري، أنا لم أقل إنه أمرٌ سيئ، بل أود أن أقول إنه من واجب سيدة البلاط أن تتأخَّر قليلًا بينما الأجدر بالسادة

المُهذَّبين أن يضطروا إلى إرضاء أهواء المرأة، أو على الأقل هذا ما كانت أمي مغرمة دائمًا بإخباري به».

قالت ڤين: «يبدو أنها كانت امرأة حكيمة». بدت الكوة كبيرة بما يكفي لوقوف شخصين بشكل جانبي، وقفت أمامه، وزاوية الشرفة المُتدلية تبعد مسافة قصيرة عن يسارها، ونافذة رائعة بلون الخزامى عن يمينها، وأقدامهما على وشك أن تتلامس.

ردَّ إليند: «أوه، لستُ متأكِّدًا من ذلك. فقد تزوَّجت والدي على أيِّ حال».

- «وبذلك انضمت إلى أقوى بيتٍ في الإمبراطورية النهائية. لم يكن بالإمكان أفضل مما كان. على الرغم من أنني أفترض أنها حاولت الزواج من اللورد الحاكم، ولكن آخر ما عرفته أنه لم يكن يبحث عن زوجة».

ردَّ إليند: «واسفاه عليه، ربما سيبدو أقل اكتئابًا إذا كانت هناك امرأة في حياته».

قالت ڤين: «أظن أن هذا يتوقَّف على المرأة». نظرت عن جانبها حيث تتجوَّل مجموعة صغيرة من مرتادي الحفلات أمامهم، ثم أردفت: «كما تعلم، هذا ليس بالضبط المكان الأكثر خصوصية. الناس يرمقوننا بنظراتٍ غريبة».

أشار إليند: «أنتِ من أتيتِ معي إلى هنا».

- «نعم، حسنًا، لم أكن أُفكِّر في أننا قد نخلق هذه النميمة».

قال إليند وهو يقف بشكلٍ مستقيمٍ: «دعينا نخلقها».

سألته: «لأن هذا سيزعج والدك؟»

هزَّ إليند رأسه. «لم أعد أهتم بذلك بعد يا ڤاليت»، ثم اتخذ خطوة إلى الأمام، حيث قرَّبتهما أكثر حتى أصبح بإمكان ڤين أن تشعر بأنفاسه. وقف هناك للحظة قبل أن يتكَّلم، ثم قال: «أظن أنني سأُقبِّلكِ».

ارتجفت ڤين قليلًا، ثم ردَّت عليه: «لا أظن أنك تريد القيام بذلك يا إليند».

- «لماذا؟»

- «ما مقدار ما تعرفه عني حقًّا؟»

- «ليس بالقدر الذي أرغب فيه».

قالت ڤين وهي تنظر في عينيه: «وليس بالقدر الذي تحتاج إليه أيضًا».

قال: «إذن أخبريني».

- «لا أستطيع، ليس الآن».

وقف إليند للحظة، ثم أومأ برأسه وابتعد. خرج إلى ممشى الشرفة. ثم سألها: «إذن، هل يمكننا أن نتمشَّى قليلًا؟»

أجابت ڤين: «نعم». بدت مرتاحةً، ولكنها محبطةً بعض الشيء أيضًا.

قال إليند: «سيكون ذلك أفضل. الضوء في هذه الكوة فظيع تمامًا للقراءة».

ردَّت ڤين وهي تتطلع إلى الكتاب في جيبه بينما تنضم إليه في الممشى: «لا تجرؤ على فعل ذلك. اقرأ عندما تكون مع شخصٍ آخر، وليس معي أنا».

- «ولكن هكذا بدأت علاقتنا!»

قالت ڤين وهي تمسك بذراعه: «وهكذا يمكن أن تنتهي أيضًا».

ابتسم إليند. لم يكونا الثنائي الوحيد الذي يتمشَّى في الشرفة، بينما في الأسفل رقص الأزواج الآخرون ببطء على الموسيقى الهادئة.

بدت هذه الأجواء مسالمة جدًّا. ومع ذلك، قبل أيام قليلة فقط، وقف العديد من هؤلاء الأشخاص يتفرَّجون بلا مبالاة بينما قُطِعت رؤوس النساء والأطفال.

شعرت بذراع إليند ودفئه بجانبها. قال كيلسير إنه يبتسم كثيرًا؛ لأنه شعر أنه يجب عليه الاستمتاع قدر ما يمكنه في هذا العالم، لتذوق لحظات السعادة التي بدت نادرة جدًّا في الإمبراطورية النهائية. أثناء التجول لبعض الوقت بجانب إليند، اعتقدت ڤين أنها بدأت في فهم شعور كيلسير.

قال إليند ببطء: «ڤاليت...».

- «ماذا؟»

أجاب: «أريدك أن تغادري لوثاديل».

- «ماذا؟»

توقَّف، ثم التفت لينظر إليها، وقال: «لقد فكَّرتُ في هذا الأمر كثيرًا. قد لا تدركين ذلك، لكن العاصمة أصبحت خطيرة الآن.. خطيرة جدًّا».

- «أعلم ذلك».

قال إليند: «إذن أنت تعلمين أن بيتًا صغيرًا بلا حلفاء لا مكان له في نطاق السيادة المركزية حاليًّا، لقد كان عمك شجاعًا ليأتي إلى هنا ويحاول إثبات نفسه، لكنه اختار الوقت الخطأ. أنا... أظن أن الأمور ستخرج عن السيطرة هنا قريبًا جدًّا. عندما يحدث ذلك، لا يمكنني ضمان سلامتك».

- «عمي يعرف ما يفعله يا إليند».

قال إليند: «هذا الوضع مختلف يا ڤاليت، هناك بيوت بأكملها تتداعى. لم يذبح قُطَّاع الطرق آل بيت تيكيل، بل كان ذلك من صنيع آل بيت هاستينج. ولن تكون هذه آخر عمليات القتل التي نراها قبل أن ينتهي هذا الوضع».

توقَّفت ڤين، وأخذت تُفكِّر في شان مرة أخرى. «لكنك... بأمان، أليس كذلك؟ بيت ڤينتشر ليس مثل البيوت الأخرى، إنه بيتٌ مستقرٌّ».

هزَّ إليند رأسه، وردَّ قائلًا: «نحن أكثر عرضة للخطر من بقية البيوت يا ڤاليت».

قالت ڤين: «لكن ثرواتكم هائلة، أنتم لا تعتمدون على العقود».

ردَّ إليند بهدوء: «ربما لا تكون ظاهرة، ولكنها موجودة بالفعل يا ڤاليت. نحن نجيد الاستعراض؛ لذا يفترض الآخرون أن نملك أكثر مما لدينا بكثير، ولكن مع الضرائب التي يفرضها اللورد الحاكم على البيوت... حسنًا، يتمثَّل السبيل الوحيد أمامنا للحفاظ على الكثير من النفوذ في هذه المدينة في الدخل... الدخل السري».

عبست ڤين، وانحنى إليند بالقرب منها، وتحدَّثت بصوتٍ هامسٍ: «تقوم عائلتي بتعدين أتيوم اللورد الحاكم يا ڤاليت. من هنا تأتي ثروتنا. بطريقةٍ ما، يتوقَّف استقرارنا بشكلٍ كاملٍ تقريبًا على أهواء اللورد الحاكم. فهو لا يُحب أن يُكلِّف نفسه عناء تحصيل الأتيوم بنفسه، لكنه ينزعج بشدة إذا تعطَّل جدول التسليم المُقرَّر».

حدَّثتها غريزتها: «اعرفي المزيد! هذا هو السر؛ هذا ما يحتاج كيلسير إلى اكتشافه». همست ڤين: «أوه يا إليند، يجب ألا تخبرني بهذا».

قال: «ولِمَ لا؟ أنا أثق بكِ. انظري، أنتِ بحاجة إلى فهم مدى خطورة الأمور. لقد حدثت بعض المشاكل التي تتعلَّق بمخزون الأتيوم

مؤخرًا. منذ... حسنًا، حدث شيءٌ ما قبل بضع سنوات. ومنذ ذلك الحين، اختلفت الأمور. أصبح والدي لا يستطيع الإيفاء بحصص اللورد الحاكم، وآخر مرة حدث ذلك...

سألته ڤين: «ماذا؟»

قال إليند، وبدا مضطربًا: «حسنًا، فلنقل فقط أن الأمور يمكن أن تزداد سوءًا للغاية بالنسبة لآل بيت ڤينتشرفي المستقبل القريب. إن اللورد الحاكم يعتمد على هذا الأتيوم يا ڤاليت. إذ يُمثِّل إحدى الطرق الرئيسية التي يسيطر من خلالها على طبقة النبلاء. أيّ بيت بدون أتيوم هو بيت لا يمكنه الدفاع عن نفسه من وليدي الضباب. واللورد الحاكم يتحكَّم في السوق عبر الاحتفاظ بمخزونٍ كبيرٍ من الأتيوم؛ مما يكفل له الثراء الفاحش. إنه يُموِّل جيوشه عن طريق تشحيح الأتيوم، ثم بيع قطعٍ إضافية بمبالغ باهظة. إذا كنتِ تعرفين عن اقتصاديات الألومانسي، فمن المُرجَّح أن تفهمي ما أقوله».

تفكَّرت: «أوه، صدِّقني، أنا أفهم أكثر مما تظن. والآن أعرف أكثر مما ينبغي».

توقَّف إليند، مبتسمًا بسرور بينما يتجوَّل أحد المُلتزمين على طول ممشى الشرفة بجانبهم. حدجهم المُلتزم بنظرة عند مروره، وبدت عيناه مُتأمِّلتين داخل شبكة الوشوم.

التفت إليند إليها بمجرد مرور المُلتزم. كرَّر: «أريدكِ أن تغادري. يعرف الناس أنني أُوليكِ اهتمامًا خاصًّا. آمل أن يفترضوا أن الأمر كان مجرد نكاية في والدي، لكن لا يزال بإمكانهم محاولة استغلالك. لن تتورَّع البيوت الكبرى من سحق عائلتكِ بأكملها لمجرد الإجهاز عليّ وعلى والدي، عليكِ أن تغادري».

قالت ڤين: «سأُفكِّر في الأمر».

حذرها إليند: «لم يعد هناك وقتٌ للتفكير، أريدكِ أن تغادري قبل أن تتورَّطي أكثر فيما يجري داخل هذه المدينة».

تفكَّرت: «لقد تورَّطتُ بالفعل أكثر مما تظن». ثم قالت له: «قلتُ إنني سأُفكِّر في الأمر. انظر يا إليند، أرى أنك يجب أن تقلق أكثر على نفسك، أعتقد أن شان إيلاريِل ستحاول القيام بشيءٍ ما لإيذائك».

سأل إليند باستخفاف: «شان؟ إنها غير مؤذية».

ردَّت عليه: «لا أظن أنها كذلك يا إليند، عليك أن تكون أكثر حذرًا».

ضحك إليند قائلًا: «انظري إليند... كلانا يحاول إقناع الآخر بمدى خطورة الموقف بشكلٍ مخيفٍ، وكلانا يرفض الاستماع للآخر بعناد».

صمتت ڤين، ثم ابتسمت.

تنهَّد إليند. «لن تستمعي إلى نصيحتي، أليس كذلك؟ هل هناك أيّ شيء يمكنني القيام به لأجعلكِ تغادرين؟»

أجابت بهدوء: «ليس الآن. انظر يا إليند، ألا يمكننا الاستمتاع بالوقت الذي نقضيه معًا؟ إذا استمرت الأمور على ما هي عليه، فقد لا نحظى بمثل هذه الفرص لفترةٍ من الوقت».

صمت، ثم أومأ أخيرًا. استطاعت أن ترى أنه لا يزال مضطربًا، لكنه واصل المشي، وتركها تمسك ذراعه برفق مرة أخرى أثناء تجوُّلهما. سارا معًا لبعض الوقت، صامتين حتى لفت شيءٌ ما انتباه ڤين. أبعدت يدها عن ذراعه، وبدلًا من ذلك، مدَّتها لأسفل لتضم يده بيدها.

نظر إليها، عاقدًا حاجبيه في ارتباك بينما هي تنقر على الخاتم الذي يرتديه في إصبعه. قالت متفاجئة بعض الشيء رغم ما قيل لها: «إنه معدن حقيقي».

أومأ إليند برأسه. «ذهب خالص».

- «ألا تقلق بشأن...».

سألها إليند: «الألومانسيين؟» هزَّ كتفيه، ثم قال: «لا أعرف، لكنني لم أضطر إلى التعامل مع هذا النوع من المخلوقات من قبل. ألا ترتدين المعدن في المزارع؟»

هزَّت ڤين رأسها، وهي تنقر على أحد المشابك في شعرها، وتقول: «خشبٌ مطلي».

أومأ إليند برأسه قائلًا: «يبدو تصرُّفًا حكيمًا، ولكن —حسنًا- كلما طالت مدة إقامتك في لوثاديل، أدركتِ ما مدى ضآلة ما نقوم به هنا باسم الحكمة. يرتدي اللورد الحاكم الخواتم المعدنية، وكذلك النبلاء. يعتقد بعض الفلاسفة أن هذا كله جزءٌ من خطته. يرتدي اللورد الحاكم المعادن؛ لأنه يعلم أن النبلاء سيُقلِّدونه، ومن ثَمَّ يمنحون مُحقِّقيه سلطةً عليهم».

سألته ڤين: «هل تتفق؟»، وأمسكت ذراعه مرة أخرى وهما يسيران، «أقصد مع الفلاسفة؟»

هزَّ إليند رأسه، ثم ردَّ بصوتٍ أكثر هدوءًا: «لا، اللورد الحاكم... مجرد متغطرس. لقد قرأت عن المحاربين منذ زمنٍ بعيدٍ، الذين خاضوا معارك بلا دروع، على افتراض أن هذا يثبت مدى شجاعتهم وقوتهم. أظن أن الأمر نفسه ينطبق على هذا أيضًا، رغم اعترافي بأنه على مستوى

أعلى بكثير من البراعة، لكنه يرتدي المعدن للتفاخر بقوته، ولإظهار عدم خوفه، أو بالأحرى عدم شعوره بالتهديد، من أيِّ شيءٍ يمكننا فعله».

تفكَّرت ڤين: «حسنًا، إنه على استعداد لوصف اللورد الحاكم بالمتغطرس. ربما يمكنني أن أجعله يعترف أكثر قليلًا...».

توقَّف إليند، مُتطلعًا إلى الساعة، ثم قال: «أخشى أنه ليس لديّ الكثير من الوقت الليلة يا ڤاليت».

قالت ڤين: «هذا صحيح. تحتاج إلى الذهاب والالتقاء بأصدقائك»، ثم نظرت إليه في محاولة لقياس رد فعله.

لم يبدُ متفاجئًا جدًّا. فقط رفع حاجبه نحوها، ثم قال: «في الواقع، سأفعل ذلك. أنتِ قوية الملاحظة».

ردَّت ڤين: «لا يتطلَّب الأمر الكثير من الملاحظة. في أيِّ وقت نكون فيه في قلعة هاستنج أو ڤينتشر أو ليكال أو إيلاريل، تهرع لمقابلة الأشخاص أنفسهم».

قال إليند بابتسامة: «إنهم نُدمائي، مجموعة غير مُتوقَّعة في ظِلِّ المناخ السياسي الحالي، لكنها تُسهِم في إزعاج والدي».

سألته ڤين: «ماذا تفعلون في تلك الاجتماعات؟»

ردَّ إليند: «نتحدَّث عن الفلسفة في معظم الوقت. نحن خانقون نوعًا ما، وهذا ليس مفاجئًا للغاية على ما أظن، إذا كنتِ تعرفين أيًّا منا. كما نتحدَّث عن الحكومة، وعن أمور السياسة... عن اللورد الحاكم».

- «وماذا تقولون عنه؟»

- «حسنًا، نحن لا نحب بعض الأشياء التي فعلها بالإمبراطورية النهائية».

قالت ڤين: «إذن أنت تريد الإطاحة به!»

حدجها إليند بنظرةٍ غريبةٍ، ثم سأل باستنكار: «الإطاحة به؟ ما الذي دفعكِ للتفكير في هذا يا ڤاليت؟ إنه اللورد الحاكم، أي الإله، لا يمكننا فعل أيّ شيءٍ حيال توليه السيطرة». نظر بعيدًا وهما يواصلان السير، ثم أوضح: «لا، نتمنَّى فقط أنا وأصدقائي... أن تكون الإمبراطورية النهائية مختلفة بعض الشيء عما هي عليه. لا يمكننا تغيير الأشياء الآن، ولكن ربما في يومٍ من الأيام -على افتراض بقائنا جميعًا على قيد الحياة العام المقبل أو نحو ذلك- سنُصبح في مواقع تسمح لنا بالتأثير على اللورد الحاكم».

- «التأثير عليه لفعل ماذا؟»

أجاب إليند: «حسنًا، نُفِّذت تلك الإعدامات قبل أيامٍ قليلة. لا أرى أنها أسدت لنا نفعًا على الإطلاق. تمرَّدت (السكا)، وردًّا على ذلك أعدمت الوزارة بضع مئات من الأشخاص عشوائيًّا. ما الذي يمكن أن يفعله ذلك بخلاف إثارة غضب الجماهير؟ حسنًا، في المرة القادمة سيكون التمرد أكبر، فهل يعني ذلك أن اللورد الحاكم سيأمر بقطع رؤوس المزيد من الناس؟ إلى متى يمكن أن يستمر ذلك قبل أن يهلك جميع (السكا)».

سارت ڤين متأمِّلةً، ثم قالت أخيرًا: «وماذا ستفعل يا إليند ڤينتشر، إذا كنت في موضع المسؤولية؟»

اعترف إليند: «لا أعرف، لقد قرأت الكثير من الكتب -بعضها ليس من المفترض أن أقرأه- ومع ذلك لم أجد أيّ إجابات بسيطة، ولكنني متأكِّد أن قطع الرؤوس لن يحلَّ أيّ شيء على الإطلاق. لقد بقي اللورد الحاكم في موضع المسؤولية زمنًا طويلًا، وقد يظن المرء أنه كان ينبغي

عليه أن يجد طريقة أفضل، ولكن -على أيِّ حال- سيتعيَّن علينا مواصلة هذا الحديث لاحقًا...

تباطأ، والتفت لينظر إليها.

سألته: «هل حان الوقت؟»

أومأ إليند برأسه. «لقد وعدتهم أنني سألتقي بهم، وهم ينتظرونني بشكلٍ ما. أفترض أنه يمكنني إخبارهم أنني سأتأخَّر...»

هزَّت ڤين رأسها، ثم قالت: «اذهب للشرب مع أصدقائك، سأكون بخير. هناك بعض الأشخاص الذين أحتاج إلي التحدُّث معهم على أيِّ حال».

كان عليها أن تعود إلى العمل. لقد أمضى بريز ودوكسون ساعاتٍ طويلةً في التخطيط واختلاق الأكاذيب التي يُفترض بها أن تنشرها بين النبلاء، وكانا ينتظران تقريرها مرة أخرى في ورشة كلوبز بعد الانتهاء من الحفلة.

ابتسم إليند مُعلِّقًا: «ربما يجب ألا أقلق عليكِ كثيرًا. فمن يدري -بالنظر إلى كل مناوراتك السياسية- ربما سيكون بيت رينو قريبًا صاحب النفوذ الأكبر في المدينة، بينما سأتحوَّل أنا إلى مجرد مُتسوِّل متواضع».

ابتسمت ڤين، وانحنى، وهو يغمز لها، ثم انطلق نحو الدرج. سارت ڤين ببطء نحو سور الشرفة، ونظرت إلى الناس وهم يرقصون ويتناولون الطعام في الأسفل.

قالت لنفسها: «إنه ليس ثوريًّا إذن. لقد كان كيلسير محقًّا مرة أخرى. أتساءل عما إذا كان سيشعر بالسأم من ذلك».

ولكنها مع ذلك لم تشعر بخيبة أملٍ كبيرةٍ حيال إليند. لم يكن جميع الناس مجانين لدرجة أن يُفكِّروا في الإطاحة بإمبراطورهم الإلهي، ولكن الحقيقة المجردة المُتمثِّلة في إليند كان على استعداد للتفكير في الأمر بنفسه ميَّزته عن البقية؛ لقد كان رجلًا صالحًا، رجلًا يستحق امرأة جديرة بثقته.

ولكن لسوء الحظ، قاده نصيبه إلى ڤين.

تفكَّرت: «حسنًا، يقوم آل بيت ڤينتشر بتعدين أتيوم اللورد الحاكم سرًّا. إذن، لا بُدَّ أنهم هم الذين يُديرون مناجم هاتسين».

لقد كان وضعًا محفوفًا بالمخاطر بشكل مرعب بالنسبة لأحد البيوت؛ فقد كانت مواردهم المالية تعتمد بشكل مباشر على إرضاء اللورد الحاكم. يظن إليند نفسه حذرًا، ولكن ڤين تشعر بالقلق عليه؛ لأنها مُتأكِّدة من أنه لا يأخذ شان إيلاريل على محمل الجد بما فيه الكفاية. استدارت، ثم سارت بانتباهٍ شديدٍ من الشرفة نزولًا إلى الطابق الرئيسي.

وجدت طاولة شان بسهولة. كانت المرأة تجلس دائمًا مع مجموعة كبيرة من النبيلات الحاضرات، تترأس الجلسة كما يترأس اللورد مزرعته. توقَّفت ڤين. لم تقترب من شان مباشرةً. ولكن كان على شخصٍ ما حماية إليند، ومن الواضح أنه يبدو أحمق بما فيه الكفاية للقيام بذلك بنفسه.

تقدَّمت ڤين للأمام. تفحَّصها التيريسي التابع لـ شان وهي تقترب. كان مختلفًا جدًّا عن سازد، لم يتمتَّع بنفس... الروح؛ حيث حافظ هذا الرجل على تعبيرٍ محايدٍ، مثل مخلوقٍ منحوتٍ من الحجر. نظرت بعض السيدات شزرًا إلى ڤين، لكن معظمهن -بما في ذلك شان- تجاهلنها.

وقفت ڤين بجانب الطاولة في حرج، منتظرةً انقطاع سير المحادثة، لم يحدث ذلك، خطت بضع خطوات أقرب إلى شان.

نادت عليها: «سيدة شان؟»

استدارت شان ونظرت إليها بتعبيرٍ جليديٍّ قائلةً: «لم أستدعكِ إليّ أيتها الفتاة الريفية».

- «نعم، ولكنني وجدت بعض الكتب مثل التي...».

قاطعتها شان وهي تُشيح ببصرها بعيدًا: «لم أعد بحاجة إلى خدماتك. يمكنني التعامل مع إليند ڤينتشر بنفسي، الآن كوني فتاة مهذبة قليلًا وتوقَّفي عن إزعاجي».

وقفت ڤين مذهولةً، وقالت: «لكن، خطتك...».

قاطعتها شان مُجدَّدًا: «لقد قلت أنني لم أعد بحاجة إليكِ الآن. هل تظنين أنني كنت قاسيةً عليك من قبل يا فتاة؟ كان ذلك عندما كنتِ ما تزالين في فريقي المُعاون. الآن حاولي إزعاجي إن شئتِ».

بُهِتت ڤين بشكلٍ غريزي من نظرة المرأة المهينة. بدت.. مشمئزة.. غاضبة، أو حتى غيورة؟

تفكَّرت ڤين: «لا بُدَّ أنها اكتشفت الأمر. أدركت أخيرًا أنني لا أعبث مع إليند فقط، إنها تعرف أنني أهتم به، ولم تعد تثق بي للاحتفاظ بأسرارها».

تراجعت ڤين بعيدًا عن الطاولة، ويبدو أنه كان عليها استخدام طرق أخرى لاكتشاف خطط شان.

***

على الرغم مما اعتاد أن يقوله، لم يعتبر إليند ڤينتشر نفسه رجلًا وقحًا، كان أكثر من... فيلسوف مُفوَّه. لطالما أحبَّ التلاعب بالمحادثات

وإدارتها ليرى كيف سيكون رد فعل الناس. مثل كبار المُفكِّرين القدامى، تخطَّى الحدود وجرَّب طرقًا غير تقليدية.

تفكَّر وهو يحمل كأسه من البراندي أمام عينيه، ويفحصه بتمعُّن: «بالطبع، لقد أعدم هؤلاء الفلاسفة القدامى بتهمة الخيانة في نهاية المطاف؛ لذا فهم ليسوا النماذج التي يُحتذى بها تمامًا».

انتهت محادثته السياسية المسائية مع مجموعته، وانسحب مع العديد من الأصدقاء إلى صالة استقبال السادة النبلاء في قلعة ليكال، وهي قاعة صغيرة مجاورة لقاعة الرقص. أُثِّثت بالكراسي المريحة وظلالٍ من الألوان الخضراء العميقة، كان من الممكن أن يكون هذا مكانًا لطيفًا للقراءة، لو أنه يتمتَّع بمزاجٍ أفضل قليلًا. جلس جاستس أمامه، وهو يدخن غليونه بسرور. من الجيد رؤية ابن عائلة ليكال الشاب يبدو هادئًا للغاية، فقد كانت الأسابيع القليلة الماضية صعبة عليه.

تفكَّر إليند: «حرب البيوت، يا له من توقيتٍ رهيبٍ. لماذا الآن. كانت الأمور تسير على ما يُرام...».

عاد تيلدن بمشروبٍ مُعاد تعبئته بعد لحظات قليلة. قال جاستس، مشيرًا بغليونه، «أتعلم، كان من الممكن استدعاء أيٍّ من الخدم هنا لإحضار مشروبٍ آخر لك».

قال تيلدن وهو يستقر على المقعد الثالث: «شعرت برغبة في تمديد ساقي».

قال جاستس: «لقد غازلت ما لا يقل عن ثلاث نساء في طريق عودتك، لقد عددتهن».

ابتسم تيلدن وهو يحتسي شرابه. لم يكتفِ الرجل الضخم بالجلوس فحسب، بل كان مستلقيًا. يمكن أن يبدو تيلدن مسترخيًا ومستريحًا

بغض النظر عن الوضع، وأن تجعله بدلته الأنيقة وشعره المُصفَّف بعناية يبدو وسيمًا بشكلٍ يُحسد عليه.

قال إليند لنفسه: «ربما يجب أن أُعير المزيد من الاهتمام لأشياء من هذا القبيل. تتقبَّل ثاليت شعري كما هو، ولكن هل ستحب شكله أكثر لو قمتُ بتصفيفه؟»

كثيرًا ما اعتزم إليند أن يذهب إلى مُصمِّم أزياء أو خيَّاط، لكن عادةً ما تسلب أشياء أخرى انتباهه. فقد كان يستغرق في دراسته أو يقضي وقتًا طويلًا في القراءة، ثم يجد نفسه متأخِّرًا عن مواعيده على الدوام.

لاحظ تيلدن: «يبدو إليند هادئًا هذا المساء». على الرغم من جلوس مجموعات أخرى من السادة النبلاء في الصالة المعتمة، فإن الكراسي تباعدت بما يكفي للسماح بإجراء محادثاتٍ خاصةٍ.

ردَّ جاستس: «إنه يظلُّ على هذه الحال كثيرًا في الآونة الأخيرة».

قال تيلدن، وهو يعبس قليلًا: «آه، نعم».

لقد عرفهم إليند جيدًا بما يكفي لفهم التلميح، قال لهم: «انظروا، لماذا يجب أن يتصرَّف الناس هكذا؟ إذا كان لديكم ما تقولونه، فلماذا لا تقولونه ببساطة؟»

ردَّ جاستس: «إنها السياسة يا صديقي، نحن -لو لم تكن تلاحظ ذلك- نبلاء».

أدار إليند عينيه.

تابع جاستس: «حسنًا، سأقول ذلك»، ومرَّر يده من خلال شعره، وهي عادة عصبية كان إليند مُتأكِّدًا من أنها أسهمت إلى حدٍّ ما في انتشار الصلع برأس الشاب، «لقد كنت تقضي الكثير من الوقت مع بنت رينو تلك يا إليند».

ردَّ إليند: «هناك تفسير بسيط لذلك، وهو كما ترى أنني أحبها».

قال تيلدن وهو يهزُّ رأسه: «هذا ليس جيدًا يا إليند، ليس جيدًا».

سأل إليند: «لماذا؟ أنت نفسك تبدو راضيًا تمامًا عن تجاهل الفروق الطبقية، يا تيلدن. لقد رأيتك تغازل نصف الفتيات الخادمات في الغرفة».

ردَّ تيلدن: «أنا لست وريثًا لبيتي».

قال جاستس: «كما أن هؤلاء الفتيات أهلٌ للثقة، لقد وظَّفتهن عائلتي، ومن ثَمَّ نحن نعرف بيوتهن وخلفياتهن وولاءاتهن».

عبس إليند، وتساءل: «إلامَ تُلمِّح؟»

أجاب جاستس: «هناك شيءٌ غريبٌ في تلك الفتاة يا إليند». وقد عاد إلى طبيعته العصبية؛ حيث ترك غليونه في حامله على الطاولة.

أومأ تيلدن برأسه، وأضاف: «لقد اقتربت منك بسرعة شديدة جدًّا يا إليند، إنها تريد شيئًا ما».

سأل إليند، وتزايد انزعاجه: «مثل ماذا؟»

قال جاستس: «إليند، إليند، لا يمكنك الابتعاد عن اللعبة لمجرد قولك أنك لا تريد اللعب، بل ستجتذبك رغمًا عنك. لقد انتقل رينو إلى المدينة في الوقت الذي بدأت فيه التوترات بين البيوت تتصاعد، وأحضر معه سليلة مجهولة، فتاة بدأت على الفور في استمالة الشاب الأكثر أهميةً وحضورًا في لوثاديل، ألا يبدو ذلك غريبًا بالنسبة لك؟»

علَّق إليند: «في الواقع، أنا من اقتربت منها أولًا، فقط لأنها استولت على الركن الذي كنت أقرأ فيه».

قال تيلدن: «لكن، عليك أن تعترف أنه من المثير للريبة مدى سرعة تعلُّقها بك. إذا كنت ستنشغل بالمسائل العاطفية يا إليند، فعليك أن

تتعلَّم شيئًا واحدًا، يمكنك أن تلهو مع النساء كيفما شئت، لكن لا تدع نفسك تقترب كثيرًا منهن، فمن هنا تبدأ المشكلة».

هزَّ إليند رأسه قائلًا: «ڤاليت مختلفة عن بقية النساء».

تبادل الاثنان الآخران النظر، ثم هزَّ تيلدن كتفيه، وعاد إلى شرابه، بينما تنهَّد جاستس، ثم وقف وتمدَّد قائلًا: «على أيّ حال، ربما يجب عليّ أن أذهب».

قال تيلدن: «مشروب آخر».

هزَّ جاستس رأسه، وهو يُمرِّر يده من خلال شعره. «أنت تعرف كيف يكون والداي في الحفلات الليلية. إذا لم أخرج وأودِّع بعض الضيوف على الأقل، فسوف يزعجونني بسبب ذلك لأسابيع».

تمنَّى لهم الشاب ليلةً سعيدةً، وسار عائدًا باتجاه قاعة الرقص الرئيسية. ارتشف تيلدن شرابه وهو يتطَّلع إلى إليند.

قال إليند بحدة: «أنا لا أُفكِّر فيها».

- «في ماذا إذن؟»

ردَّ إليند: «في اجتماع الليلة. لا تعجبني الطريقة التي سارت بها الأمور».

قال الرجل الضخم مُلوِّحًا بيده: «سحقًّا. إنك تزداد سوءًا مثل جاستس. ماذا حدَث للرجل الذي يحضر هذه الاجتماعات فقط للاسترخاء والاستمتاع بالوقت مع أصدقائه؟»

ردَّ إليند: «أصبح قلقًا، قد ينتهي الأمر ببعض أصدقائه إلى إدارة بيوتهم في وقتٍ أقرب مما كان يتوقَّع، وهو قلق بشأن عدم استعداد أيّ منا».

زمجر تيلدن: «لا تكن ميلودراميًّا إلى هذا الحد». ثم قال وهو يبتسم ويغمز للخادمة التي جاءت لإزالة كؤوسه الفارغة: «لديّ شعورٌ بأن كل

هذا سوف ينقشع. وفي غضون بضعة أشهر، سوف ننظر إلى الوراء، ونتساءل عن سبب كل هذا القلق الذي طوّقنا به أنفسنا».

حدَّث إليند نفسه: «ولكن كالي تيكيل لن ينظر إلى الوراء».

لكن المحادثة انحسرت، واعتذر تيلدن للمغادرة في النهاية. جلس إليند لفترة أطول، وفتح كتاب إملاءات المجتمع لقراءته مرة أخرى، لكنه واجه صعوبة في التركيز. أعاد ملء كأس البراندي الذي بين أصابعه لكنه لم يشرب كثيرًا.

أتساءل عما إذا كانت ڤاليت ما تزال بالخارج... حاول العثور عليها بمجرد انتهاء اجتماعه، ولكن من الواضح أنها كانت مشغولة في إحدى تجمُّعاتها الخاصة.

تفكَّر بتكاسلٍ: «إن تلك الفتاة مهتمة أكثر من اللازم بالسياسة من أجل مصلحتها الخاصة». ربما كان يشعر بالغيرة منها فقط. بعد بضعة أشهر في البلاط، بدت بالفعل أكثر كفاءة منه، كانت شجاعة وجريئة و... مثيرة للاهتمام جدًّا، لقد خالفت جميع القوالب النمطية لسيدات البلاط التي تعلَّمها.

تساءل: «هل يمكن أن يكون جاستس محقًّا؟ إنها بالتأكيد مختلفة عن النساء الأخريات، وقد ألمحت إلى وجود أشياء عنها لا أعرفها».

دفع إليند هذا الفكر بعيدًا عن عقله. كانت ڤاليت مختلفة وصادقة، لكنها كانت أيضًا بريئة بطريقة ما، متحمسة، ومليئة بالدهشة والشجاعة.

شعر إليند بالقلق عليها، من الواضح أنها لا تعرف جيدًا مدى خطورة لوثاديل. كانت الألاعيب السياسية في العاصمة أكثر بكثير من مجرد الحفلات والمؤامرات التافهة. تُرى ماذا سيحدث إذا قرَّر أحدهم إرسال أحد وليدي الضباب للتعامل معها ومع عمها؟ يبدو أن رينو محدود

العلاقات، كما أن أعضاء البلاط لا يرمش لهم جفنٌ عندما تحدث بعض الاغتيالات في فيليز. هل يعرف عم ڤاليت كيفية اتخاذ الاحتياطات المناسبة؟ هل كان حتى قلقًا بشأن الألومانسيين.

تنهَّد إليند. كان عليه فقط التأكُّد من مغادرة ڤاليت للمنطقة. ليس هناك خيارٌ آخر أمامه.

***

بحلول الوقت الذي وصلت فيه عربته إلى قلعة ڤينتشر، رأى إليند أنه قد شرب أكثر من اللازم؛ لذا شقَّ طريقه إلى غرفته، متلهِّفًا إلى سريره ووسائده.

ولكن الرواق الذي يقود إلى غرفة نومه يمر بمكتب والده. كان الباب مفتوحًا، ولا يزال الضوء ينبعث من الداخل على الرغم من الساعة المتأخِّرة من الليل. حاول إليند المشي بهدوء على الأرضية المفروشة بالسجاد، لكنه لم يُجِد التخفِّي مطلقًا.

نادى صوت والده من المكتب: «إليند؟ تعالَ هنا».

تنهَّد إليند بهدوء. لا يمكن أن يفوت اللورد ستراف ڤينتشر الكثير، لقد كان أحد (العيون القصديرية)؛ لذا تتسم حواسه بالحدة الشديدة لدرجة أنه ربما سمع عربة إليند تقترب من الخارج. قال إليند لنفسه: «إذا لم أتحدَّث إليه الآن، فسيُرسل الخدم لمضايقتي حتى أنزل لأتحدَّث إليه...

استدار إليند، واتجه ودخل المكتب. جلس والده على كرسيه، وتحدَّث بهدوء مع تن سوون، كندرة آل بيت ڤينتشر. لم يعتَد إليند بعد على الجسد الحديث للمخلوق، والذي كان في السابق يخصُّ أحد

خدم بيت هاستينج. ارتجف إليند عندما لاحظه المخلوق، الذي أحنى رأسه، ثم انسحب من الغرفة في صمت.

استند إليند على إطار الباب. واجه كرسي ستراف عدة أرفف من الكتب، كان إليند متأكِّدًا تمامًا من أن والده لم يقرأ أيًّا منها. أُضيئت الغرفة بمصباحين مع إغلاق أغطيتهما تقريبًا بما لا يسمح سوى بانبعاث بصيصٍ من الضوء.

قال ستراف: «لقد حضرت الحفلة الليلة، ماذا عرفت؟»

مدَّ إليند يده لأعلى وفرك جبهته قائلًا: «إنني أميل إلى شرب الكثير من البراندي».

لم يرُق التعليق لـ ستراف. بدا الرجل نبيلًا إمبراطوريًّا مثاليًّا؛ طويل القامة، وعريض المنكبين، ويرتدي دائمًا سترة وبدلة مُصمَّمة خصوصًا له. سأله: «هل قابلت تلك... المرأة مرة أخرى؟»

- «ڤاليت؟ هممم، نعم، ولكن لم يطل بنا اللقاء كما كنت أود».

- «لقد سبق ومنعتك من قضاء الوقت معها».

قال إليند: «نعم، أتذكَّر ذلك».

تجهَّم وجه ستراف، ثم نهض من مكانه، وسار حول المكتب قائلًا: «أوه، إليند. متى ستتخلَّص من مزاجك الطفولي هذا؟ هل تظن أنني لا أدرك أنك تتصرَّف بحماقة لمجرد النكاية فيّ؟»

ردَّ إليند: «في الواقع، لقد تجاوزت «مزاجي الطفولي» منذ بعض الوقت يا أبي، ولكن يبدو أن نوازعي الطبيعية تزعجك أكثر. يؤسفني عدم إدراك ذلك عاجلًا، كان بإمكاني توفير الكثير من الجهد الذي بذلته في سنوات شبابي».

نخر والده، ثم رفع رسالة بيده، وقال: «لقد أمليتُ هذه الرسالة على ستاكسليز منذ قليل. إنها تتضمَّن قبول موعد غداء مع اللورد تيغاس بعد

ظهر الغد. إذا اندلعت حرب بين البيوت، فإنني أريد التأكُّد من أننا في وضعٍ يسمح لنا بتدمير آل هاستينج في أسرع وقتٍ ممكنٍ، وقد يكون تيغاسُ حليفًا قويًّا لنا. إنه لديه ابنة، أود منك أن تتناول الطَّعام معها في مأدبة الغداء».

قال إليند وهو ينقر على رأسه: «حسنًا، سأفكِّر في الأمر. لست متأكِّدًا من نوع الحالة التي سأكون عليها صبيحة الغد. لقد تناولت الكثير من البراندي، أتذكر ذلك؟»

- «سوف تحضر الغداء يا إليند، هذا ليس طلبًا».

صمت إليند. أراد جزءٌ منه أن يواجه والده، ويتخذ موقفًا حيال ذلك، ليس لأنه يهتم بمكان تناول الغداء، ولكن بسبب شيءٍ أكثر أهمية.

بيت هاستينج هو ثاني أقوى البيوت في المدينة. إذا قمنا بالتحالف معهم، فيمكننا معًا إنقاذ لوثاديل من الانزلاق في الفوضى، يمكننا أن ننزع فتيل حرب البيوت لا أن نشعلها.

هذا ما فعلته كتبه به؛ لقد حوَّلته من فتى متمرد إلى فيلسوفٍ مُنتظَر. لسوء الحظ، كان مغفلًا لفترة طويلة. هل يبدو غريبًا أن ستراف لم يلاحظ التحوّل الذي أصاب ابنه؟ لقد بدأ إليند نفسه في إدراك ذلك للتو.

ظلَّ ستراف يُحدِّق إليه، بينما أشاح إليند بنظره بعيدًا.

قال: «سأفكِّر في الأمر».

لوَّح ستراف بيده استهجانًا، واستدار بعيدًا.

في محاولة لإنقاذ شيءٍ من كبريائه، تابع إليند: «ربما ليس هناك ما يدعوك للقلق بشأن آل هاستينج، فيبدو أنهم يجرون استعداداتهم للهروب من العاصمة».

سأل ستراف: «ماذا؟ أين سمعت ذلك؟»

أجاب إليند ببساطة: «في الحفلة».

- «أظن أنك قلت إنك لم تعرف أيّ شيءٍ مهم على الإطلاق».

- «انظر، أنا لم أقل شيئًا من هذا القبيل. أنا فقط لم أشعر بالرغبة في مشاركة ما عرفته معك».

عبس اللورد ڤينتشر، ثم صاح: «أنا لا أعرف لماذا أزعج نفسي معك حتى... إن أيّ شيء ستعرفه سيكون بلا قيمة بالتأكيد. لقد حاولت أن أدرّبك على السياسة يا فتى. حاولت ذلك حقًّا، لكن الآن... حسنًا، أتمنّى أن أراك ميتًا في حياتي؛ لأن هذا البيت سيمر بأوقاتٍ عصيبةٍ إذا دانت لك السيطرة عليه».

- «أنا أعرف أكثر مما تظن يا أبي».

ضحك ستراف، وعاد للجلوس على كرسيه، ثم قال: «أشكُّ في ذلك يا فتى، إنك لا تستطيع حتى النوم مع امرأةٍ كما ينبغي. في المرة الأخيرة والوحيدة، التي أعلم أنك حاولت فيها القيام بذلك، كان عليّ أن آخذك إلى بيت الدعارة بنفسي».

احمرَّ وجه إليند خجلًا. قال لنفسه: «انتبه، إنه يتحدَّث عن ذلك مُتعمِّدًا؛ لأنه يعرف كم يزعجك ذلك».

قال ستراف بإشارة من يده: «اخلد إلى فراشك يا فتى، تبدو فظيعًا».

وقف إليند ثابتًا للحظة، ثم اندفع أخيرًا إلى الرواق، وتنهَّد بهدوء بينه وبين نفسه.

حدَّث نفسه: «هذا هو الفرق بينك وبينهم يا إليند، هؤلاء الفلاسفة الذي تقرأ لهم كانوا ثوريين، كانوا على استعدادٍ للمخاطرة بالإعدام، بينما لا يمكنك حتى الوقوف في وجه والدك».

سار متعبًا إلى غرفته؛ حيث وجد هناك، بشكلٍ غريبٍ، خادمًا ينتظره.

عبس إليند، وتساءل: «نعم؟»

قال الرجل: «اللورد إليند، لديك ضيف».

- «في هذه الساعة؟»

- «إنه اللورد جاستس ليكال يا سيدي».

أمال إليند رأسه قليلًا. ترى ماذا هنالك بحق اللورد الحاكم...؟ ثم سأله: «أفترض أنه ينتظر في غرفة الجلوس؟»

أجاب الخادم: «نعم، يا سيدي».

تحوَّل إليند بعيدًا عن غرفته بأسى، وتوجَّه إلى أسفل الرواق؛ ليجد جاستس ينتظره بفارغ الصبر.

قال إليند بتعب وهو يدخل غرفة الجلوس: «جاستس؟ آمل أن يكون لديك شيء مهم للغاية لتخبرني به».

اضطرب جاستس بشكلٍ غير مريح للحظة، وبدا أكثر توترًا من المعتاد.

سأله إليند: «ماذا هنالك؟ وبدأ صبره ينفد.

- «الأمر يتعلَّق بالفتاة».

سأل إليند: «ڤاليت؟ هل جئت إلى هنا للحديث عن ڤاليت؟ الآن؟»

قال جاستس: «يجب أن تثق بأصدقائك أكثر».

نخر إليند، وقال له: «أثق بمعرفتك بتلك الفتاة؟ لا أقصد الإهانة يا جاستس، لكنني لا أعتقد ذلك».

صاح جاستس: «لقد تعقَّبتها يا إليند».

صمت إليند. ثم سأله: «ماذا؟»

- «تعقَّبت عربتها، أو بالأحرى كان لديّ شخص ما يراقبها عند بوابات العاصمة. لم تكن في العربة عندما غادرت العاصمة».

سأل إليند، وتفاقم عبوسه: «ماذا تقصد؟»

كرَّر جاستس: «لم تكن في العربة يا إليند، بينما كان المُرافِق التيريسي يُقدِّم الأوراق إلى الحراس، تسلَّل الرجل التابع لي واسترق النظر من نافذة العربة، ولم يكن هناك أحدٌ بالداخل».

تابع جاستس: «لا بُدَّ أن العربة أوصلتها إلى مكانٍ ما في العاصمة. إنها جاسوسة من أحد البيوت الأخرى التي تحاول الإجهاز على والدك من خلالك. لقد صنعوا المرأة المثالية لاجتذابك؛ المرأة ذات الشعر الداكن، والغامضة بعض الشيء، والغريبة عن الهيكل السياسي المعتاد. لقد جعلوها من أصلٍ متدنٍ بما يكفي ليكون اهتمامك بها بمثابة فضيحة لك، ثم أوقعوا بك في شَرَكِها».

- «جاستس، هذا كلام سخيـ...

قاطعه جاستس: «إليند، أخبرني مرة أخرى، كيف قابلتها في المرة الأولى؟»

توقَّف إليند للحظة، ثم قال: «كانت تقف في الشرفة».

قال جاستس: «في الركن الذي كنت تقرأ فيه. يعلم الجميع أن هذا هو المكان الذي تختلي فيه بنفسك عادةً. هل هذه صدفة؟»

أغمض إليند عينيه. «ڤاليت لا، لا يمكن أن تكون جزءًا من كل هذا». ولكن، على الفور، خطرت بباله فكرة أخرى. «لقد أخبرتُها عن الأتيوم! كيف لي أن أكون غبيًّا جدًّا إلى هذا الحد؟»

لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا. لم يُصدِّق أنه تعرَّض للخداع بهذه السهولة، ولكن... هل يمكنه المخاطرة بذلك؟ لقد كان ابنًا عاقًّا، وهذا

صحيح، لكنه لم يكن خائنًا لبيته قط. لم يكن يريد أن يرى بيت ڤينتشر يسقط، بل أراد أن يقوده يومًا ما؛ لعله يتسنَّى له تغيير الأمور.

قام بتوديع جاستس، ثم عاد إلى غرفته بخطًى مُشتَّتة. شعر بالتعب الشديد من التفكير في سياسات البيت. ومع ذلك، عندما آوى أخيرًا إلى فراشه، وجد أنه لا يستطيع النوم.

في النهاية، نهض من فراشه، واستدعى أحد الخدم.

أوضح إليند للرجل: «أخبِر والدي أنني أريد إبرام صفقةٍ معه. سأحضر مأدبته غدًا تمامًا كما يريد»، ثم صمت إليند، الذي وقف بجوار باب غرفة نومه مرتديًا ثياب النوم.

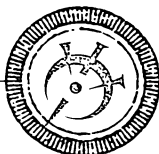
حتى قال أخيرًا: «وفي المقابل، أخبِره أنني أريد استعارة اثنين من جواسيسه حتى يتمكَّنوا من تعقُّب شخصٍ ما من أجلي».

يعتقد الآخرون أنه كان عليّ أن أعدم كوان لخيانته لي. إحقاقًا للحق، ربما كنتُ سأقتله الآن لو أنني أعرف مكانه، لكنني لم أستطع فعل ذلك في حينه.

لقد أصبح الرجل في منزلة الأب بالنسبة لي، ولكنني لا أعرف حتى يومنا هذا لماذا قرَّر فجأة أنني لست البطل، لماذا انقلب عليّ، وتنكَّر لي أمام المجمع المُغلق لقادة العالم؟

هل يُفضِّل أن تنتصر الأعماق؟ حتى لو لم أكن الشخص المناسب -كما يدعي كوان الآن- فإن وجودي في بئر المعراج لا يمكن أن يكون أسوأ بالتأكيد مما سيحدث إذا استمرت الأعماق في تدمير الأرض.

الفصل التاسع والعشرون



قرأت ڤين: «لقد انتهى الأمر تقريبًا».

يمكننا رؤية الكهف من معسكرنا. سيستغرق الأمر بضع ساعاتٍ أخرى من المشي لمسافات طويلة للوصول إليه، يمكنني أن أشعر به بطريقةٍ ما، أشعر به هناك... ينبض في ذهني.

إنه باردٌ جدًّا. أقسم أن الصخور نفسها مصنوعة من الجليد، كما أن الثلج عميقٌ بدرجة كافية في الأماكن التي يتعيَّن علينا شق طريقنا من خلالها. بينما تهب الرياح طوال الوقت. أشعر بالقلق على ڤيديك، فلم يكن كطبيعته تمامًا منذ أن هاجمه المخلوق المصنوع من الضباب،

أخشى أن يهيم على وجهه من فوق أحد المنحدرات أو ينزلق إلى أحد الشقوق الجليدية العديدة في الأرض.

من ناحية أخرى، فإن هؤلاء التيريسيين هم أُعجوبة من العجائب. إنه لمن حسن الحظ أننا أحضرناهم؛ لأنه لم يكن من الممكن أن ينجو أيّ عتّالٍ عادي من الرحلة. لا يبدو أن التيريسيين يتأثرون بالبرد، هناك شيءٌ ما في عمليات الأيض الغريبة لديهم يمنحهم قدرة خارقة للطبيعة على تحمُّل العوامل الجوية، ربما يقومون بـــ «تخزين» الحرارة في أجسادهم لاستخدامها في وقتٍ لاحقٍ؟

لكنهم لا يتحدَّثون عن قواهم الخاصة، وأنا على يقين من أن راشك هو السبب في ذلك. يعتبره العتَّالون الآخرون قائدهم، على الرغم من أنني لا أعتقد أنه يتمتَّع بالسيطرة الكاملة عليهم. قبل أن يتعرَّض للطعن، كان فيديك يخشى أن يتخلَّى عنا التيريسيون هنا في الجليد، ولكنني لا أظن أن هذا سيحدث. لقد وصلت إلى هنا بفضل نبوءات تيريس، وهؤلاء الرجال لن يخالفوا دينهم لمجرد أن أحدهم لا يحبني.

أخيرًا واجهت راشك. لم يرد التحدُّث معي بالطبع، لكنني أجبرته على ذلك. أطلق للسانه العنان، وتحدَّث بإسهاب عن كراهيته للخلينية وشعبي. إنه يعتقد أننا حوَّلنا شعبه إلى ما هو أفظع من مجرد عبيد. ويرى أن التيريسيين يستحقون أكثر من ذلك بكثير، فهو لا يكف عن التأكيد على أن شعبه يجب أن يكون «مسيطرًا» بسبب قواهم الخارقة.

الحقيقة أنني أستشعر القلق من كلماته هذه؛ لأنني أرى فيها بعضًا من الحقيقة. فبالأمس، رفع أحد العتَّالين صخرة ضخمة الحجم، ثم

ألقى بها بعيدًا عن طريقنا برمية عفوية تقريبًا. لم أرَ استعراضًا للقوة بمثل هذه السلاسة طوال حياتي.

أعتقد أن هؤلاء التيريسيين يمكن أن يكونوا خطرين للغاية. ربما تعاملنا معهم بشكلٍ غير عادل. ومع ذلك، يجب احتواء رجال مثل راشك، فهو يظن بشكلٍ غير منطقي أن كل الشعوب عدا تيريس قد اضطهدوه. إنه صغيرٌ جدًّا على الشعور بمثل هذا الغضب الشديد.

الجو باردٌ جدًّا. عندما ينتهي هذا، أعتقد أنه عليّ أن أنتقل للعيش في مكانٍ يتميَّز بجوٍّ دافئ طوال العالم. أخبرني بريكس عن مثل هذه الأماكن، الجزر الجنوبية حيث تشتعل النيران في الجبال العظيمة.

كيف سيكون الأمر عندما ينتهي كل هذا؟ سأعود مجرد رجل عادي مرة أخرى، رجل بلا أهمية. ربما سيبدو ذلك لطيفًا، وأكثرَ جاذبية حتى من الشمس الدافئة والسماء الخالية من الرياح. لقد سئمت من كوني بطل العصور، سئمت من دخول المدن لأواجه فيها إما العداء المُسلح أو الحب المُتطرِّف. لقد سئمت من أن أكون محبوبًا أو مكروهًا بسبب ما تقوله زمرة من كبار السن أنني سأفعله في النهاية.

أريد أن أُنسَى، أعيش مغمورًا. نعم، هذا من شأنه أن يكون لطيفًا بالنسبة لي.

إذا قرأ الناس هذه الكلمات، فليعلموا جيدًا أن القوة عبءٌ ثقيل؛ لذا حاول دائمًا أن تنأى بنفسك عن الوقوع في شَرَكِها. تَزْعُم نبوءات تيريس أنني سأمتلك القوة لإنقاذ العالم. ومع ذلك، فإنها تُلمِّح إلى أنني سأمتلك القوة لتدمير العالم أيضًا.

سيكون لدي القدرة على تلبية أيّ رغبة يطمح إليها قلبي. «سيحمل على عاتقه سلطة لا ينبغي أن ينالها أيّ إنسان». ومع ذلك، فقد

حذَّرني الفلاسفة من أنني إذا استغللتُ هذه السلطة لخدمة مصالحي الشخصية، فإن أنانيتي ستُدنِّسها.

أهذا عبءٌ يقوى الإنسان على تحمُّله؟ أهذا إغراءٌ يقوى الإنسان على مقاومته؟ أشعر بالقوة الآن، لكن ماذا سيحدث عندما أمتلك تلك القوة بين يديَّ؟ سأنقذ العالم بالتأكيد، لكن هل سأحاول الاستيلاء عليه أيضًا؟

هذه هي مخاوفي التي تختلجني وأنا أكتب بقلم مكسوٍّ بالجليد عشية ميلاد العالم من جديد. بينما يراقبني راشك وقَلبه ينضَحٍ بكراهيتي. والكهف يقبع أمامي.. نابضًا، وأصابعي ترتعش، ولكن ليس من البرد. غدًا سينتهي كل هذا».

قلبت فين الصفحة مُتلهِّفة، ولكن كانت الصفحة الخلفية من الكُتيب فارغة. لقد قلبتها، وأعادت قراءة الأسطر القليلة الأخيرة. أين الفصل التالي؟

لا بُدَّ أن سازد لم ينتهِ من الجزء الأخير بعد. وقفت تتنهَّد وهي تتمدَّد. لقد أنهت قراءة الجزء الأحدث من المذكرات بالكامل في جلسة واحدة، وهو إنجاز فاجأها حتى شخصيًّا. امتدت حدائق قصر رينو أمامها، والممرات المُخضرة بالمزروعات، والأشجار وارفة الأغصان، والجدول الهادئ؛ مما خلق لها ركنًا مهيَّأً للقراءة، بينما انحسرت أشعة الشمس من السماء، وبدأ الجو يزداد برودة.

شقَّت طريقها نحو القصر. وعلى الرغم من برودة المساء، فإنها واجهت صعوبة كبيرة في تخيُّل مكانٍ بمثل برودة المكان الذي وصفه اللورد الحاكم. لقد سبق لها رؤية الثلج يُغطي القمم الجبلية البعيدة،

لكنها نادرًا ما رأته يتساقط، فكل ما رأته في ذلك الوقت مجرد بلورات مُتجمِّدة. أما معاينة هذا القدر من الثلج يومًا بعد يوم، مع المخاطرة بتساقطه عليك في الانهيارات الثلجية الساحقة...

تمنَّى جزءٌ منها أن تتمكَّن من زيارة هذه الأماكن، مهما كانت خطورتها. وعلى الرغم من أن المذكرات لم تصف رحلة اللورد الحاكم بأكملها، فإن بعض الأعاجيب التي تتضمنَّها، كالحقول المُتجمِّدة في الشمال، والبحيرات السوداء العظيمة، وشلالات تيريس، بدت مذهلة.

تفكَّرت بضيق: «لو أنه فقط وصف كيف تبدو هذه الأشياء بمزيدٍ من التفصيل!» قضى اللورد الحاكم الكثير من الوقت في القلق. ورغم ذلك، كان عليها أن تعترف لنفسها أنها بدأت تشعر بنوعٍ غريبٍ من... الألفة معه عبر هذه الكلمات. وجدت صعوبة في ربط الشخص الذي تصوَّرته في ذهنها بالمخلوق المظلم الذي تسبَّب في الكثير من الوفيات. تُرى ماذا حدث في بئر المعراج؟ ما الذي يمكن أن يُغيِّره هكذا بشكلٍ جذري؟ كان عليها أن تعرف.

وصلت إلى القصر وذهبت للبحث عن سازد. عادت إلى ارتداء الفساتين، كان من الغريب أن يراها أيّ شخصٍ آخر ترتدي السراويل باستثناء أفراد العصابة. ابتسمت لمُرافِق اللورد رينو الداخلي أثناء مرورها، ثم صعدت درج المدخل الرئيسي، قاصدةً المكتبة.

لم يكن سازد بالداخل. لا يجلس على مكتبه الصغير، والمصباح مطفأ، والمحبرة فارغة. عقدت ڤين حاجبيها بانزعاج.

أيًا كان ما يفعله الآن، أليس من الأجدر به أن يعمل على إنهاء الترجمة!

عادت إلى الطابق السفلي، وسألت عن مكان سازد، فأشارت لها خادمة نحو المطبخ الرئيسي. عبست ڤين وشقَّت طريقها في الردهة الخلفية. هل يبحث لنفسه عن وجبة خفيفة؟ ربما.

وجدت سازد واقفًا بين مجموعة صغيرة من الخدم، يشير إلى قائمة موضوعة على الطاولة، ويتحدَّث بصوتٍ منخفضٍ. لم يلاحظ دخول ڤين.

نادت عليه ڤين مقاطِعةً إياه: «سازد؟»

التفت، وأجاب وهو ينحني قليلًا: «نعم، يا سيدة ڤاليت؟»

- «ماذا تفعل؟»

- «أنا أتفقَّد الإمدادات الغذائية للورد رينو يا سيدتي. فعلى الرغم من أنني مُكلَّفٌ بمساعدتك، فإنني ما أزال مُرافِقه، ولديّ واجبات يجب أن أؤديها عندما لا أكون مشغولًا بأيّ عملٍ آخر».

سألته: «هل ستعود إلى الترجمة قريبًا؟»

أمال سازد رأسه وهو يقول: «الترجمة، يا سيدتي؟ لقد انتهيت منها بالفعل».

- «أين الجزء الأخير إذن؟»

أجاب سازد: «لقد سلَّمته إياكِ».

قالت: «كلا، لم تفعل. هذا الجزء ينتهي بالليلة السابقة لدخولهم الكهف».

- «هذه هي النهاية يا سيدتي، لم يتحدَّث الكتاب عما حدث بعد ذلك».

قالت ڤين: «ماذا؟ لكن...

ألقى سازد نظرة على الخدم الآخرين، وقال: «أظن أننا يجب أن نتحدَّث عن هذه الأمور على انفراد». أعطاهم بعض التعليمات الإضافية، مُشيرًا إلى القائمة، ثم أومأ برأسه؛ لينضم إلى ڤين وهو يشقُّ طريقه للخروج من مخرج المطبخ الخلفي إلى الحدائق الجانبية.

وقفت ڤين مذهولةً للحظة، ثم انطلقت سريعًا للانضمام إليه. «لا يمكن أن تنتهي المذكرات هكذا يا سازد، نحن لا نعرف ماذا حدث بعد ذلك!»

قال سازد، وهو يسير في ممر الحديقة: «ولكن أعتقد أنه يمكننا التكهُّن». لم تكن الحدائق الشرقية فخمة مثل تلك التي تتردَّد عليها ڤين؛ حيث تألَّفت من العشب البني الناعم وبعض الشُّجيرات العرضية.

سألت ڤين: «نتكَّهن بماذا؟»

أجاب سازد: «حسنًا، لا بُدَّ أن اللورد الحاكم قد فعل ما هو ضروريٌّ لإنقاذ العالم، بدليل أننا ما زلنا هنا الآن».

قالت ڤين: «أفترض هذا، ولكنه استولى على السلطة بعد ذلك لنفسه. يجب أن يكون هذا ما حدث. فلم يستطع مقاومة إغراء استغلال السلطة بأنانية. ولكن، لماذا لا يوجد فصلٌ آخر؟ لماذا لا يتحدَّث أكثر عن إنجازاته؟»

ردَّ سازد: «ربما غيَّرته السلطة كثيرًا، أو ربما أنه ببساطة لم يشعر بالحاجة إلى التسجيل بعد الآن. لقد حقَّق هدفه، وأصبح خالدًا كميزة إضافية. أعتقد أنه لا لزوم للمداومة على تسجيل المذكرات للأجيال القادمة عندما يعيش المرء إلى الأبد».

جزَّت ڤين على أسنانها في إحباط، وقالت: «إنها فقط... نهاية مُخيِّبة جدًّا للآمال للقصة يا سازد».

ابتسم سازد في مرح قائلًا: «كوني حذرة يا سيدتي، شغفك الزائد بالقراءة، قد يُحوِّلكِ إلى أحد الباحثين العلميين».

هزَّت ڤين رأسها: «ليس إذا كانت كل الكتب التي أقراها ستنتهي مثل هذه النهاية!»

قال سازد: «إذا كان هذا يُمثِّل أيّ نوعٍ من العزاء، فأنتِ لستِ الوحيدة التي تشعر بخيبة أمل من محتويات المذكرات. فلم تشتمل على الكثير مما يمكن أن يستخدمه السيد كيلسير، وبالتأكيد لم يكن هناك أيّ شيءٍ بخصوص المعدن الحادي عشر. أشعر بالذنب إلى حدٍّ ما؛ لأنني أكثر من استفاد من الكتاب».

علَّقت ڤين: «لكن، لم يكن هناك الكثير عن ديانة تيريس أيضًا».

وافقها سازد قائلًا: «ليس كثيرًا، ولكن في الحقيقة ويا للأسف، هذا الذي نقول عليه «ليس كثيرًا» يُعتبر أكثر كثيرًا مما كنا نعرفه من قبل. أخشى فقط من أنه لن تتاح لي الفرصة لتمرير هذه المعلومات. لقد أرسلت نسخة مترجمة من المذكرات إلى مكانٍ ما حيث يعرف إخواني وأخواتي من الحفظة كيف يتحقَّقون منها. سيكون من المؤسف لو ماتت هذه المعرفة الجديدة معي».

قالت ڤين: «لن يحدث».

سألها سازد: «حقًّا؟ هل أصبحت سيدتي متفائلة فجأة؟»

ردَّت ڤين: «هل أصبح مُرافِقي التيريسي متحذلقًا فجأة؟»

قال سازد بابتسامةٍ خفيفةٍ: «أعتقد أنه كان دائمًا كذلك. هذا هو أحد العوامل التي جعلته مُرافِقًا فقيرًا، على الأقل في نظر معظم أسياده».

قالت ڤين بصدق: «إذن، لا بُدَّ أنهم كانوا حمقى».

ردَّ سازد: «لذلك كنت أميل إلى التفكير في ذلك يا سيدتي»، ثم أردف: «أعتقد أنه يجب أن نعود إلى القصر، لا ينبغي أن نُرى في الحدائق عندما يحلُّ الضباب».

قالت ڤين: «كنت أنوي الخروج في الضباب».

ردَّ سازد: «هناك العديد من الخدم الذين لا يعرفون أنكِ وليدة ضباب يا سيدتي، أعتقد أنه من الأفضل إبقاء هذا الأمر سرًّا».

قالت ڤين: «أعرف، لنعد إذن».

- «هذا رأيٌ حكيمٌ».

سارا لبعض لحظات، مستمتعين بجمال الحديقة الشرقية الخفي؛ حيث تم تقليم الأعشاب بعناية، وترتيبها في طبقاتٍ لطيفةٍ، بينما تمنحها الشُّجيرات العرضية مزيدًا من البهجة. كانت الحديقة الجنوبية أكثر روعة، مع جدولها وأشجارها ونباتاتها العجيبة، لكن الحديقة الشرقية تميَّزت بهدوئها الخاص؛ هذا الإحساس بصفاء البساطة.

قالت ڤين بصوتٍ هادئ: «سازد؟»

أجاب: «نعم، يا سيدتي؟»

- «كل شيء سيتغيَّر، أليس كذلك؟»

- «ماذا تقصدين بالتحديد؟»

قالت ڤين: «كل شيء، حتى لو لم نمت جميعًا في غضون عام، فإن أفراد العصابة سيعملون في مشاريع أخرى. من المحتمل أن يعود هام إلى عائلته، وسيُخطِّط دوكس وكيلسير لمغامرة جديدة، وسيُؤجِّر كلوبز ورشته لعصابة أخرى... حتى هذه الحدائق التي أنفقنا عليها الكثير من المال، ستُصبح ملكًا لشخصٍ آخر».

أومأ سازد برأسه، وردَّ عليها: «ما تقولينه ممكن، ولكن إذا سارت الأمور على ما يُرام، فربما سيحكم تمرد (السكا) لوثاديل بحلول هذا الوقت من العام المقبل».

قالت ڤين: «ربما، ولكن حتى مع ذلك... ستتغيَّر الأشياء».

ردَّ سازد: «هذه هي سنة الحياة يا سيدتي، يجب أن يتغيَّر العالم».

قالت ڤين بحسرة: «أعرف، أتمنَّى فقط... حسنًا، أنا في الواقع أحب حياتي الآن يا سازد. أحب قضاء الوقت مع أفراد العصابة، وأحب التدريب مع كيلسير، أحب حضور الحفلات مع إليند في عطلة نهاية الأسبوع، أحب التجوّل في هذه الحدائق معك، لا أريد أن تتغيَّر هذه الأشياء، لا أريد أن تعود حياتي إلى ما كانت عليه قبل عام».

ردَّ سازد: «ليس من اللازم أن تعود إلى ما كانت عليه يا سيدتي، يمكن أن تتغيَّر إلى الأفضل».

قالت ڤين بهدوء: «لن يحدث، لقد بدأ ذلك بالفعل، ألمح كيلسير إلى أن تدريبي قد انتهى تقريبًا. عندما أتدرَّب في المستقبل، سأفعل ذلك بمفردي. وأما بالنسبة إلى إليند، فهو لا يعرف حتى أنني من (السكا)، وأنه من مهام وظيفتي أن أحاول تدمير عائلته. حتى لو لم يسقط بيت ڤينتشر بيدي، فإن الآخرين سوف يُسقطونه. أعرف أن شان إيلارييل تُخطِّط لشيءٍ ما، ولم أتمكَّن من اكتشاف أيٍّ من مُخطَّطاتها بعد.

استدركت ڤين: «لكن هذه فقط البداية، نحن نواجه الإمبراطورية النهائية. ربما سنفشل. دعني أصدقك القول، لا يمكنني أن أتخيَّل كيف يمكن أن تسير الأمور على خلاف ذلك. سنقاتل، وسنقوم ببعض الأعمال الصالحة، لكننا لن نُغيِّر الكثير. وحتى أولئك الذين سينجون

منا، سيتعيَّن عليهم قضاء بقية حياتهم في الهروب من المُحقِّقين. كل شيء سيتغيَّر يا سازد، ولا يمكنني منع ذلك».

ابتسم سازد بإعجاب، ثم قال بهدوء: «إذن يا سيدتي، استمتعي فقط بما لديكِ، أعتقد أن المستقبل سيفاجئكِ».

قالت ڤين دون اقتناع: «ربما».

- «آه، أنتِ فقط بحاجة إلى الأمل يا سيدتي. ربما اكتسبتِ نصيبًا ما من الحظ السعيد. كانت هناك مجموعة من الناس قبل المعراج تُعرف باسم (الأستالسي). زعموا أن كل شخصٍ يولد بنصيبٍ مُعيَّنٍ من سوء الحظ. وهكذا، عندما يقع لهم حدثٌ مؤسفٌ، يعتقدون أنهم مباركون، وبعد ذلك الحين، لا يمكن إلا أن تتحسَّن حياتهم».

رفعت ڤين حاجبها قائلةً: «يبدو لي هذا ساذجًا بعض الشيء».

ردَّ سازد: «أنا لا أعتقد ذلك؛ لأن (الأستالسي) كانوا متقدِّمين إلى حدٍّ ما. فقد مزجوا الدين بالعلم بشكلٍ عميقٍ جدًّا؛ حيث اعتقدوا أن الألوان المختلفة هي مؤشرات إلى أنواع مختلف من الرزق، وقاموا بتفصيل أوصافهم للضوء واللون. وبفضلهم توصَّلنا إلى أفضل أفكارنا حول الشكل الذي كانت تبدو عليه الأشياء قبل المعراج. لقد كان لديهم مقياس لوني واستخدموه لوصف السماء عميقة الزُّرقة والنباتات المختلفة في ظلالها الخضراء.

ثم أردف سازد: «وبغض النظر عن ذلك، أرى أن فلسفاتهم فيما يتعلَّق بالحظ والرزق مستنيرة. بالنسبة لهم، كانت الحياة التعيسة مجرد علامة على الحظ السعيد الذي ستناله في المستقبل. قد يكون ذلك مناسبًا

للكِ يا سيدتي؛ فيمكنكِ الاستفادة بمعرفة أن حظك لا يمكن أن يكون تعيسًا دائمًا».

قالت ڤين مُتشكِّكة: «لا أعرف، أعني إذا كان حظك التعيس محدودًا، ألن يكون حظك السعيد محدودًا أيضًا؟ في كل مرة يحدث لي فيها شيءٌ جيدٌ، فسأخشى من استنفاد حظي السعيد تمامًا».

ردَّ سازد: «هممم، أفترض أن هذا يعتمد على وجهة نظرك يا سيدتي».

سألته ڤين: «كيف يمكنك أن تكون متفائلًا جدًّا؟ أنت وكيلسير على حدٍّ سواء».

أجاب سازد: «لا أعرف يا سيدتي، ربما كانت حياتنا أهون من حياتك. أو ربما نكون ببساطة أكثر حماقة».

صمتت ڤين. سارا لفترة أطول، عائدين إلى المبنى، لكنهم لم يُسرِعا الخطى أثناء السير. قالت أخيرًا: «سازد، عندما أنقذتني، تلك الليلة تحت المطر، استخدمت الفيروكيمياء، أليس كذلك؟»

أومأ سازد برأسه. «أجل، لقد كان المُحقِّق مُركِّزًا عليكِ بشدة، فتمكَّنت من التسلل من ورائه، ثم ضربته بحجر. تحوَّلت قوتي إلى أضعاف قوة الرجل العادي حينئذٍ، وألقت به ضربتي في الجدار، وهشَّمت العديد من عظامه، على ما أظن».

سألت ڤين: «أهذا كل شيء؟»

علَّق سازد مبتسمًا: «تبدين محبطةً يا سيدتي، أعتقد أنكِ توقَّعت شيئًا أكثر إثارة، أليس كذلك؟»

أومأت ڤين: «إنك فقط... كنت متحفِّظًا جدًّا بشأن الفيروكيمياء. هذا يجعل الأمر يبدو أكثر غموضًا، على ما أظن».

تنهَّد سازد، ثم ردَّ عليها: «ليس هناك حقًّا ما أخفيه عنكِ يا سيدتي. القوة الفريدة حقًّا لـ الفيروكيمياء تتمثَّل في القدرة على تخزين الذكريات واستعادتها. لا بُدَّ أنكِ قد خمنتِ هذا بالفعل. لا تختلف القوى المتبقية، حقًّا، عن القوى التي يمنحكِ إياها البيوتر والقصدير. القليل منها فقط أكثر غرابة بقليل؛ مما يجعل الفيروكيميائيين أثقل وزنًا أو ذوي أعمارٍ متغيِّرة، لكنها لا تُقدِّم سوى القليل من التطبيقات القتالية».

انتبهت ڤين، وتساءلت: «ذوي أعمارٍ متغيِّرة؟ هل يمكنك أن تجعل نفسك أصغر سنًّا؟»

قال سازد: «ليس بالضبط يا سيدتي. تذكَّري، يجب أن يستمد الفيروكيميائي قواه من جسده. يمكنه -على سبيل المثال- قضاء بضعة أسابيع مع تقدم العمر في جسده لدرجة أنه يبدو أكبر بعشر سنوات من عمره الفعلي. بعد ذلك يمكنه سحب هذا العمر ليجعل نفسه يبدو أصغر بعشر سنوات لفترة زمنية مماثلة، ولكن في الفيروكيمياء يجب أن يكون هناك توازن».

فكَّرت ڤين في ذلك للحظة، ثم سألته: «هل يهم في ذلك نوع المعدن الذي تستخدمه؟ كما هو الحال في الألومانسي؟»

أجاب سازد: «بكل تأكيد. المعدن هو الذي يُحدِّد ما يمكن تخزينه».

أومأت ڤين برأسها، وواصلت السير، وهي تفكِّر فيما قاله. ثم سألته أخيرًا: «سازد، هل يمكنني الحصول على بعضٍ من معادنك؟»

سأل سازد: «معادني، يا سيدتي؟»

قالت ڤين: «شيء تستخدمه للتخزين الفيروكيميائي. أريد أن أحاول حرقه، ربما سيتيح لي ذلك بعض القوى الفيروكيميائية».

قطَّب سازد جبينه بفضول.

سألته: «هل جرَّبه أحد من قبل؟»

أجاب: «أنا متأكِّدٌ من أن شخصًا ما فعل ذلك من قبل، لكنني بصراحة لا أجد مثالًا مُحدَّدًا. ربما إذا بحثت في ذاكرتي النحاسية...

سألته ڤين: «لماذا لا تدعني أجرِّبه الآن؟ هل لديك شيء مصنوع من أحد المعادن الأساسية؟ شيء لم تُخزِّن فيه أيّ شيء قيِّم على الإطلاق؟»

توقَّف سازد قليلًا، ثم مدَّ يده إلى إحدى شحمتَي أذنه المُتضخِّمتين وفكَّ قرطًا يشبه كثيرًا ذلك الذي كانت ترتديه ڤين. سلَّمها مشبك القرط الصغير الذي يُستخدم لتثبيت القرط في مكانه، وقال لها: «إنه بيوتر خالص يا سيدتي. لقد قمت بتخزين قدرٍ معتدل من القوة فيه».

أومأت ڤين برأسها، وابتلعت المشبك الصغير. تفقدَّت مخزونها الألومانتيكي، ولم يبدُ لها أن المشبك المعدن فعل أيّ شيءٍ مختلف، أحرقت البيوتر بصورة مؤقتة لمجرد الاختبار.

سألها سازد: «هل هناك شيء ما؟»

هزَّت ڤين رأسها: «كلا، أنا لا...»، ثم تراجعت، لاحظت شيئًا ما.. شيئًا ما مختلفًا.

سألها سازد: «ماذا هناك يا سيدتي؟» وبدا في صوته حماسٌ غير معهود.

- «أنا... أستطيع أن أشعر بالقوة يا سازد.. إنها خافتة وبعيدة عن متناول يدي، لكنني أقسم أن هناك مخزونًا آخر بداخلي، لم يظهر إلا عندما أحرقت معدنك».

عبس سازد، وسألها: «تقولين إنها خافتة؟ كأن... يمكنكِ رؤية ظِلِّ المخزون، لكن لا يمكنك الوصول إلى القوة نفسها؟»

أومأت ڤين برأسها، وتساءلت: «كيف علمت بذلك؟»

قال سازد وهو يتنهَّد: «لأن هذا ما يبدو عليه الأمر عندما تحاولين استخدام معادن فيروكيميائي آخر يا سيدتي، كان يجب أن أشتبه في أن هذه ستكون النتيجة، لا يمكنكِ الوصول إلى القوة لأنها لا تخصك».

ردَّت ڤين: «عجبًا».

- «لا تشعري بخيبة أملٍ كبيرةٍ يا سيدتي، لو استطاع الألومانسيون الاستيلاء على قوة شعبي، لكان ذلك معروفًا بالفعل، ولكنها كانت فكرة ذكية رغم ذلك». استدار مشيرًا إلى القصر، وقال: «لقد وصلت العربة بالفعل. يبدو أننا تأخَّرنا عن الاجتماع».

أومأت ڤين برأسها، وأسرعا خطاهما نحو القصر.

***

حدَّث كيلسير نفسه وهو يتسلَّل عبر الفناء المظلم أمام قصر رينو: «هذا طريف، لا بُدَّ لي من التسلُّل إلى منزلي، كما لو كنت أهاجم قلعة أحد النبلاء».

لكن لم يكن هناك مناص، خصوصًا مع سمعته الذائعة. فقد كان اللص كيلسير مُميزًّا بما فيه الكفاية؛ فهو المحرض على التمرد والزعيم الروحي الأكثر شهرة لـ (السكا). ولكن هذا، بالطبع، لم يمنعه من نشر الفوضى الليلية كعادته، فقط بات عليه أن يتحلَّى بالمزيد من الحذر. لقد انسحبت الكثير والكثير من العائلات من العاصمة، وازدادت الريبة في البيوت القوية. بطريقةٍ ما، جعل ذلك التلاعب بهم أسهل، لكن التسلُّل إلى قلاعهم أصبح أمرًا خطيرًا للغاية.

في المقابل، كان قصر رينو غير آمن عمليًّا. اشتمل على حراس بالطبع، لكن لم يكن هناك ضبابيون. توجَّب على رينو أن يبقى بعيدًا عن الأنظار؛ لذا فإن امتلاك الكثير من الألومانسيين كان من شأنه أن يكشفه. بقي كيلسير في الظل، وشقَّ طريقه بعناية إلى الجانب الشرقي من المبنى، ثم دفع عملة معدنية ووجَّه نفسه إلى شرفة رينو الخاصة.

هبط كيلسير بخفة، ثم ألقى نظرة خاطفة من خلال أبواب الشرفة الزجاجية. لقد أُغلقت الستائر، لكن كان بإمكانه أن يلمح دوكسون وڤين وسازد وهام وبريز يلتفون حول مكتب رينو. بينما جلس رينو نفسه في الزاوية البعيدة من الغرفة، بمنأى عن المداولات. فقد تضمَّن عقده لعب دور اللورد رينو فقط، لكنه لم يرغب في المشاركة في الخطة أكثر من اللازم.

هزَّ كيلسير رأسه. «سيكون من السهل جدًّا على أيِّ قاتل اقتحام هذا المكان. يجب أن أتأكد من بقاء ڤين نائمةً في متجر كلوبز». لم يقلق بشأن رينو؛ فطبيعة الكندرة تجعله من النوع الذي لا يخشى من نصل قاتل.

نقر كيلسير برفقٍ على الباب، وسار دوكسون ليفتح له.

أعلن كيلسير، وهو يقتحم الغرفة، ويرمي عباءته الضبابية: «وها هو يقوم بدخوله المدهش!»

نخر دوكسون وهو يُغلق الباب: «إنه حقًّا عرضٌ مدهشٌ يا كيل، لا سيما بقع السخام على ركبتيك».

ردَّ كيلسير وهو يلوح بيدٍ غير مبالية: «كان عليّ القيام ببعض الزحف الليلة. هناك خندق تصريف مياه غير مستخدم يمر أسفل الجدار الدفاعي لقلعة ليكال، كان المرء يظن أنهم سيقومون بإصلاحه».

قال بريز من مقعده بجوار المكتب: «أشكُّ في أن هناك ما يدعوهم للقلق، ربما معظمكم يا وليدي الضباب لا يسمح لكم كبرياؤكم بالزحف، أنا مندهش لأنك كنت على استعداد للقيام بذلك بنفسك».

قال كيلسير: «لا يسمح لنا كبرياؤنا بالزحف؟ هذا محض هراء! أود أن أقول إننا نحن وليدي الضباب نفخر جدًّا لأننا لسنا متواضعين بما يكفي للزحف بكرامةٍ بالطبع».

عبس دوكسون، واقترب من المكتب قائلًا: «كيل، كلامك هذا لا معنى له».

قال كيلسير بغطرسة: «نحن وليدي الضباب لسنا بحاجة إلى أن يكون لكلامنا معنى». ثم سأل: «ما هذا؟»

أجاب دوكسون: «مِنْ أخيك»، مشيرًا إلى خريطة كبيرة موضوعة على المكتب. وصلت إلينا بعد ظهر اليوم في تجويف ساق طاولة مكسورة أرسلها فرع الأرثوكسية إلى كلوبز لإصلاحها».

قال كيلسير وهو يمسح الخريطة بعينيه: «هذا مثيرٌ للاهتمام، أظن أنها قائمة بمحطات التهدئة، أليس كذلك؟»

ردَّ بريز: «بالفعل، هذه الخريطة اكتشافٌ مذهل، لم أرَ قطُّ خريطة تفصيلية ومرسومة بدقة للعاصمة كهذه، إنها لا تُظهر فقط كل محطة من محطات التهدئة الأربع والثلاثين، ولكن أيضًا مواقع نشاط المُحقِّقين، بالإضافة إلى الأماكن التي تهتم بها فروع الوزارة المختلفة. لم تسنح لي الفرصة للعمل كثيرًا مع أخيك، ولكن يجب أن أقول إن هذا الرجل عبقري بكل تأكيد».

قال دوكسون بابتسامة: «يكاد يكون من الصعب تصديق أنه ذو صلة قرابة بكيل، أليس كذلك؟» لقد وضع أمامه دفتر ملاحظات، وكان بصدد إعداد قائمة بجميع محطات التهدئة.

زمجر كيلسير وردَّ قائلًا: «ربما يكون مارش هو العبقري، لكنني الأكثر جاذبية. ما هذه الأرقام؟»

أجاب هام: «هذه مداهمات المُحقِّقين وتواريخها، ستلاحظ أن وكر عصابة ڤين مُدرج في القائمة».

أومأ كيلسير برأسه، وتساءل: «كيف استطاع مارش حقًّا سرقة خريطة كهذه؟»

قال دوكسون وهو يكتب: «لم يفعل، كانت هناك ورقة مع الخريطة. يبدو أن كبير الكهنة (البريلان) منحه إياها. لقد أعجبوا كثيرًا بـ مارش، وأرادوا منه أن يطلع على العاصمة ويُوصي بمواقع جديدة لمحطات التهدئة. يبدو أن الوزارة قلقة بعض الشيء بشأن حرب البيوت؛ لذا فهي تريد إرسال بعض (المُهدِّئين) الإضافيين لمحاولة إبقاء الأمور تحت السيطرة».

قال سازد: «من المفترض أن نعيد الخريطة إلى داخل ساق الطاولة التي يتم إصلاحها. بمجرد أن ننتهي من اجتماعنا الليلة، سأُكرِّس نفسي لنسخها في أقصر وقتٍ ممكنٍ».

تفكَّر كيلسير: «بل وحفظها أيضًا، بحيث تصبح جزءًا من أرشيف كل الحفظة. سيأتي قريبًا اليوم الذي ستتوقَّف فيه عن الحفظ وتبدأ التدريس، يا ساز. آمل أن يكون شعبك مستعدًّا».

استدار كيلسير، ودرس الخريطة. كانت مذهلةً حقًّا كما قال بريز. في الواقع، لا بُدَّ أن مارش قد خاطر بحياته في سبيل إرسالها، ربما تكون مخاطرة متهورِّة، لكن المعلومات التي تحتويها...

تفكَّر كيلسير مرة أخرى: «علينا أن نُعيدها بسرعة. صبيحة الغد، إذا أمكن ذلك».

سألت ڤين بهدوء: «ما هذا؟» وهي تنحني لتشير إلى شيءٍ ما على الخريطة الكبيرة. كانت ترتدي فستان النبيلات؛ ثوبًا أنيقًا من قطعة واحدة ولكنه أقل بهرجة قليلًا من فساتين الحفلات الراقصة.

ابتسم كيلسير. بإمكانه أن يتذكَّر الوقت الذي كانت فيه ڤين تبدو محرجةً بشكلٍ مرعبٍ عند ارتدائها فستانًا لأول مرة، لكنها بدت تزداد تعلُّقًا بالفساتين مؤخرًا. ما تزال لا تتحرَّك مثل سيدة نبيلة المولد. كانت رشيقة، ولكن الرشاقة المُتقنة لحيوانٍ مفترسٍ لا الرشاقة المتأنّية لسيدة من سيدات البلاط. ومع ذلك، تبدو الفساتين ملائمة لـ ڤين الآن، بطريقةٍ لا علاقة لها على الإطلاق بتصميم الفساتين نفسها.

حدَّث كيلسير نفسه: «آه، يا ماري، لطالما أردتِ ابنةً يمكنكِ تعليمها أن تمشي على الخيط الفاصل بين النبيلة واللصة». كانا سيحبان بعضهما بعضًا. كلتا المرأتين تتمتَّعان بنزعةٍ خفيةٍ من عدم التقليدية. ربما لو كانت زوجته لا تزال على قيد الحياة، لكان بإمكانها أن تُعلِّم ڤين أشياء تساعدها على التظاهر بأنها امرأة نبيلة لا يعرفها سازد نفسه.

تابع: «بالطبع، لو كانت ماري لا تزال على قيد الحياة، فلم أكن لأفعل أيًا من هذا، لن أجرؤ على ذلك».

قالت ڤين: «انظروا! أحد تواريخ مداهمات المُحقِّقين هذه جديد؛ إنه مؤرخ بالأمس!»

ألقى دوكسون نظرة إلى كيلسير.

علينا إخبارها في النهاية على أيّ حال...

قال كيلسير: «كانت هذه عصابة ثيرون. لقد هاجمهم مُحقِّق مساء أمس».

شحب وجه ڤين.

سأل هام: «هل لي أن أتعرَّف على هذا الاسم؟»

قالت ڤين: «كانت عصابة ثيرون جزءًا من الفريق الذي حاول خداع الوزارة مع كامون. هذا يعني... أنهم ربما ما يزالون يتعقَّبونني».

حدثَّ كيلسير نفسه: «لقد تعرَّف عليها المُحقِّق في تلك الليلة عندما تسلَّلنا إلى القصر. أراد أن يعرف من هو والدها. من حسن الحظ أن هذه المخلوقات اللاإنسانية تجعل النبلاء يشعرون بعدم الارتياح، وإلا فسنضطر إلى القلق بشأن إرسالها إلى الحفلات».

تابعت ڤين: «عصابة ثيرون. هل كان الوضع... مثل آخر مرة؟»

أومأ دوكسون برأسه: «لا ناجين».

خيَّم على الغرفة صمتٌ غير مريح، وبدت ڤين مريضة بشكلٍ واضح.

تأسَّف كيلسير: «وا أسفاه عليكِ أيتها الفتاة المسكينة!» لم يكن لديهم الكثير مما يمكنهم فعله باستثناء تخطي الموضوع. قال كيلسير بصوتٍ عالٍ: «حسنًا، كيف يمكننا الاستفادة من هذه الخريطة؟»

ردَّ هام: «إنها مُزوَّدة ببعض ملاحظات الوزارة بشأن دفاعات البيوت. ستفيدنا هذه الملاحظات جدًّا».

قال بريز: «لا يبدو أن هناك نمطًا موحَّدًا لمداهمات المُحقِّقين، ربما يذهبون فقط إلى حيث تقودهم المعلومات».

أضاف دوكس وهو يخفض قلمه: «سيتعيَّن علينا تجنُّب النشاط الزائد بالقرب من محطات التهدئة. لحسن الحظ، ورشة كلوبز ليست قريبة من أيِّ محطة مُعيَّنة. معظم المحطات في الأحياء الفقيرة».

ردَّ كيلسير: «نحتاج إلى القيام بما هو أكثر من مجرد تجنُّب المحطات. نحتاج إلى أن نتأهَّب للقضاء عليهم».

عبس بريز، وقال: «إذا فعلنا ذلك، فإننا نجازف بلعب الأوراق التي نمتلكها بتهوُّر».

ردَّ كيلسير: «لكن فكِّر في الأضرار التي يمكن أن تُحدِثها هذه المحطات. يقول مارش إن هناك ما لا يقل عن ثلاثة (مُهدِّئين) و(باحث) في كل محطة من هذه المحطات. هؤلاء هم حوالي مائة وثلاثين ضبابيًّا تابعين للوزارة، لا بُدَّ أنهم قاموا بتجنيدهم من جميع أنحاء نطاق السيادة المركزية لحشد هذا العدد. إذا أردنا القضاء عليهم جميعًا مرة واحدة...

قاطعه دوكسون: «لن نتمكَّن أبدًا من قتل هذا العدد الكبير بأنفسنا».

تدخَّل هام: «بل يمكننا ذلك إذا استخدمنا بقية جيشنا، لقد أخفيناهم في جميع أنحاء الأحياء الفقيرة».

قال كيلسير: «لديّ فكرة أفضل، يمكننا توظيف عصابات لصوص أخرى. إذا وظَّفنا عشر عصابات، وكُلِّفت كل عصابة بالقضاء على ثلاث محطات، فيمكننا تطهير العاصمة من (المُهدِّئين) و(الباحثين) التابعين للوزارة في غضون ساعاتٍ قليلةٍ».

ردَّ دوكسون: «علينا مناقشة التوقيت. بريز محق، فقتل هذا العديد الكبير من المُلتزمين في أمسية واحدة يستلزم اتخاذ الاحتياطات اللازمة، لن يستغرق المُحقِّقون وقتًا طويلًا للثأر».

أومأ كيلسير برأسه، وحدَّث نفسه: «أنت محق يا دوكس، التوقيت سيكون حاسمًا». ثم قال له بصوتٍ عالٍ: «هل ستتولَّى هذا الأمر؟ إذن،

ابحث عن بعض العصابات المناسبة، ولكن انتظر حتى نُقرِّر وقتًا قبل أن نمنحهم مواقع محطات التهدئة».

أومأ دوكسون برأسه.

قال كيلسير: «جيد، بالحديث عن جنودنا يا هام. كيف أحوالهم؟»

أجاب هام: «في الواقع، أفضل مما كنت أتوقَّع. لقد تلقَّوا التدريب في الكهوف؛ ولذا فإنهم يتمتَّعون بالكفاءة إلى حدٍّ ما، كما أنهم يعتبرون أنفسهم الجزء الأكثر «ولاءً» في الجيش؛ لأنهم لم يتبعوا يادين للقتال دون إرادتك».

نخر بريز قائلًا: «يا لها من طريقة مقنعة للغاية لتجاهل حقيقة أنهم فقدوا ثلاثة أرباع جيشهم في خطأ تكتيكي!»

قال هام بحزم: «إنهم رجالٌ طيبون يا بريز، وكذلك أولئك الذين ماتوا. لا تتكلَّم عنهم بسوءٍ أبدًا. بغض النظر عن ذلك، فإنني قلقٌ بشأن إخفاء الجيش بهذه الطريقة، لن يمر وقتٌ طويلٌ حتى تُكتشف إحدى الفرق».

ردَّ كيلسير: «لهذا السبب لا أحد منهم يجب أن يعرف مكان الآخرين».

قال بريز وهو يجلس على أحد كراسي مكتب رينو: «أريد أن أذكر شيئًا بخصوص الرجال، إنني أفهم أهمية إرسال هاموند لتدريب الجنود، ولكن بصراحة ما سبب إجباري أنا ودوكسون على الذهاب لزيارتهم؟»

أجاب كيلسير: «يجب أن يعرف الرجال من هم قادتهم. إذا أصابت هام وعكة، فسيجب على شخصٍ آخر أن يتولَّى القيادة».

تساءل بريز: «ولماذا لا تتولَّاها أنت؟»

قال كيلسير مبتسمًا: «فقط تحمَّلوني، هذا هو الأفضل».

أدار بريز عينيه، وردَّ قائلًا: «نتحمَّلك، يبدو أن هذا هو ما علينا أن نفعله طول الوقت...».

قال كيلسير: «على أيّ حال. أخبريني يا ڤين، هل هناك أيّ أخبار عن النبلاء؟ هل عرفت أيّ شيءٍ مفيدٍ عن بيت ڤينتشر؟»

توقَّفت قليلًا، ثم أجابت: «لا».

سأل دوكسون: «لكن حفلة الأسبوع المقبل ستكون في قلعة ڤينتشر، أليس كذلك؟»

أومأت ڤين برأسها.

رمق كيلسير الفتاة بنظرة. تُرى هل ستخبرنا حتى لو عرفت؟

التقت عيناها بعينيه، لكنه لم يستطع قراءة أيّ شيءٍ فيهما.

الفتاة اللعينة كاذبة بارعة للغاية.

قال لها: «حسنًا، واصلي البحث».

ردَّت ڤين: «سأفعل».

***

على الرغم من إرهاقه، وجد كيلسير النوم بعيد المنال في تلك الليلة. لسوء الحظ، لم يستطع الخروج والتجوّل في الأروقة، فلم يعرف سوى عدد قليل من الخدم أنه في القصر، وكان عليه أن يبتعد عن الأنظار، بعدما اشتهرت سمعته الآن. تنهَّد وهو يتكئ على سور الشرفة، يراقب الضباب. بطريقةٍ ما، باتت الأشياء التي يقوم بها تقلقه شخصيًّا. لم يُعبر له الآخرون عن شكوكهم بصوتٍ عالٍ، بناءً على طلبه، لكنه استطاع أن يدرك أنهم ما زالوا منزعجين من شهرته المتزايدة.

قال لنفسه: «هذه هي الطريقة المُثلى، ربما لا أحتاج إلى كل هذا... ولكن، إذا احتجت، فسأكون سعيدًا لإثارة هذه المشاكل».

سمع طرقة خفيفة على بابه. استدار بفضول؛ ليرى سازد يطلُّ برأسه إلى الغرفة.

قال سازد: «معذرة يا سيد كيلسير، لكن جاءني أحد الحراس وقال إنه رآك تقف في الشرفة. لقد خشي أن تكشف نفسك بذلك».

تنهَّد كيلسير، لكنه تراجع عن الشرفة، وأغلق الأبواب وسحب الستائر.

قال: «لم أُخلق لإخفاء هويتي يا سازد. بالنسبة إلى لص، أنا حقًّا لست جيدًا في الاختباء».

ابتسم سازد، وبدأ ينسحب.

نادى كيلسير: «سازد؟» مما تسبَّب في توقُّف الرجل التيريسي. «لا أستطيع النوم، هل لديك أيّ اقتراح جديد لي؟»

ابتسم سازد بعمق، ودخل الغرفة. «بالطبع يا سيد كيلسير، مؤخرًا كنت أُفكِّر في أنه يجب أن تسمع عن (حقائق بينيت)، أظن أنها تناسبك جدًّا. كان (البينيتيون) شعبًا مُتطوِّرًا للغاية ويعيشون في الجزر الجنوبية، كانوا بحارة شجعانًا ورسامي خرائط لامعين. وقد تطوَّرت بعض الخرائط التي لا تزال الإمبراطورية النهائية تستخدمها بواسطة مستكشفي (بينيت).

لقد صُمِّم دينهم ليمارسوا شعائره على متن السفن التي تقضي شهورًا طويلة في البحر في كل رحلة يخوضونها. كان القبطان أيضًا كاهنهم، ولم يُسمح لأيِّ شخصٍ بالقيادة إلا بعد أن يتلَّقى تدريبًا لاهوتيًّا».

قال كيلسير: «ربما لم تكن هناك الكثير من حركات التمرد».

ابتسم سازد. «لقد كانت ديانة جيدة يا سيد كيلسير، ركَّزت على الاكتشاف والمعرفة. مثَّل صنع الخرائط بالنسبة لهؤلاء الناس واجبًا مقدسًا. لقد اعتقدوا أنه بمجرد معرفة العالم وفهمه وتصنيفه، فسيجد

الناس أخيرًا السلام والوئام. تُعلِّم العديد من الديانات مثل هذه المُثل، لكن القليل منها تمكَّن في الواقع من ممارستها مثل أتباع ديانة (بينيت)».

عبس كيلسير، واتكأ على الجدار بجانب ستائر الشرفة، ثم قال ببطء: «السلام والوئام، أنا لا أبحث عن أيّ منهما الآن يا سازد».

قال سازد: «آه».

نظر كيلسير لأعلى، مُحدِّقًا إلى السقف، ثم قال: «هل يمكنك... أن تخبرني عن (القالا) مرة أخرى؟»

ردَّ سازد وهو يسحب كرسيًّا بجانب مكتب كيلسير ويجلس على كرسيه: «بالطبع، ما الذي تريد أن تعرفه على وجه التحديد؟»

قال كيلسير: «لا أعرف، أنا آسف يا سازد، أنا في مزاجٍ غريبٍ هذه الليلة».

قال سازد بابتسامة خفيفة: «أعتقد أنك دائمًا في مزاجٍ غريبٍ، ولكنك اخترتَ طائفةً مثيرة للاهتمام لتسألني عنها. لقد استمرت (القالا) لفترة أطول من أيّ ديانة آخر في ظِلِّ سيادة اللورد الحاكم».

قال كيلسير: «لهذا أسأل، أنا... أريد أن أفهم ما الذي دفعهم للاستمرار لفترة طويلة يا سازد، ما الذي جعلهم يواصلون القتال؟»

أجاب سازد: «أعتقد أنهم كانوا الأكثر إصرارًا».

قال كيلسير: «لكن لم يكن لديهم أيّ قادة. لقد ذبح اللورد الحاكم مجلس الديانة (القالية) بأكمله كجزءٍ من غزوه الأول».

ردَّ سازد: «أوه، كان لديهم قادة يا سيد كيلسير. صحيح أنهم ميتون، لكنهم قادة رغم ذلك».

قال كيلسير: «قد يقول البعض إن ولاءهم لم يكن له معنى. كان من المفترض أن يؤدي هلاك قادة الديانة (الفالية) إلى تدمير الشعب، وليس جعلهم أكثر إصرارًا على الاستمرار».

هزَّ سازد رأسه، ثم قال: «أعتقد أن الرجال أكثر قدرة على الصمود من ذلك، غالبًا ما يكون إيماننا في أقوى حالاته عندما يُفترض أن يكون في أضعف حالاته، هذه هي طبيعة الأمل».

أومأ كيلسير.

سأله سازد: «هل تريد المزيد من المعلومات عن (الڤالا)؟»

أجاب كيلسير: «لا، شكرًا يا سازد، كنت بحاجة فقط إلى تذكُّر أن هناك أشخاصًا قاتلوا حتى عندما بدت الأمور مستحيلة».

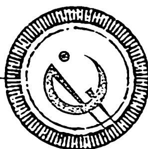
أومأ سازد، ونهض قائلًا: «أعتقد أنني فهمت يا سيد كيلسير، تصبح على خيرٍ إذن».

أومأ كيلسير إيماءةً مُشتَّتة، تاركًا الرجل التيريسي ينسحب من الغرفة.

ليس معظم التيريسيين سيئين مثل راشك، ولكنني أستطيع أن أرى أنهم يُصدِّقونه إلى حدٍّ ما. هؤلاء رجال بسطاء، وليسوا فلاسفة أو علماء، ولا يستوعبون أن نبوءاتهم تقول إن بطل العصور سيكون أجنبيًّا. لا يفهمون إلا ما يُشير إليه راشك؛ إنهم أناسٌ مُتفوِّقون بشكلٍ واضحٍ، ويجب أن يكونوا «مُسيطرين» لا تابعين.

أمام مثل هذه الحِمية والكراهية، يمكن أن ينخدع حتى الرجال الطيبون.

الفصل الثلاثون



تطلَّب الأمر من ڤين أن تعود إلى قاعة حفلات ڤينتشر لتتذكَّر مظاهر الفخامة الحقيقية. لقد زارت العديد من القلاع حتى بدأت تفقد الإحساس تدريجيًّا بروعة القلاع، ولكن كان هناك شيءٌ مميَّز يُخصُّ قلعة ڤينتشر، وهو الشيء الذي حاولت بقية القلاع الأخرى محاكاته دون أن تنجح في ذلك أبدًا. بدا الأمر وكأن قلعة ڤينتشر هي الأب، وغيرها مجرد أطفال مُتعلِّمين جيدًا. فقد كانت جميع القلاع رائعة حقًّا، لكن لا يستطيع أحدٌ أن ينكر أيًّا منها أشدّ روعةً على الإطلاق.

بدت قاعة ڤينتشر الهائلة، التي يُحيط بها صفٌّ من الأعمدة الضخمة على كلا الجانبين، أكثر فخامةً من المعتاد. لم تستطع ڤين تحديد السبب. فكَّرت في الأمر وهي تنتظر إحدى الخادمات لتأخذ شالها. أضاءت الأضواء العادية النوافذ الزجاجية المُلوَّنة من الخارج؛ مما أدَّى إلى انتشار بقع الضوء في جميع أنحاء الغرفة. كانت الطاولات نظيفة تحت الأعمدة المتدلية، بينما بدت طاولة اللورد الموضوعة في الشرفة الصغيرة في نهاية الردهة مهيبةً كما هو الحال دائمًا.

تفكَّرت ڤين وهي تعبس قليلًا: «إنها تقريبًا... مثالية للغاية». بدا كل شيء مبالغًا فيه بعض الشيء، كانت مفارش الطاولة أكثر بياضًا، وأشدّ تنسيقًا من المعتاد، كما اتسمَّ زي الخدم بالأناقة على نحوٍ خاصٍّ. وبدلًا من الحراس العاديين على الأبواب، وقف مقاتلو الضباب بمظهرٍ مهيبٍ بشكلٍ مقصودٍ؛ حيث تميَّزوا بدروعهم الخشبية وعدم حمل أيِّ دروعٍ معدنيةٍ. اجتمعت كل هذه الأمور معًا لإبراز الكمال الذي تتمتَّع به قاعة ڤينتشر.

همست عندما تحرَّك أحد الخدم لتحضير طاولتها: «هناك شيءٌ ما غريب يا سازد».

سأل المُرافِق الطويل الذي يقف خلفها، وبالقرب منها: «ماذا تقصدين يا سيدتي؟»

قالت ڤين: «يوجد الكثير من الناس هنا»، مُدركةً أحد الأشياء التي كانت تزعجها؛ حيث تناقص حضور الحفلات خلال الأشهر القليلة الماضية. ومع ذلك، بدا أن الجميع قد عادوا لحضور حفل ڤينتشر، وارتدوا جميعًا أبهى حُللِهم.

تابعت ڤين بهدوء: «هناك شيءٌ ما يحدث، شيءٌ لا نعرفه».

ردَّ سازد بصوتٍ خافتٍ: «نعم... أشعر بذلك أيضًا، ربما ينبغي أن أذهب إلى عشاء المُرافِقين في وقتٍ مبكرٍ».

قالت ڤين: «فكرة جيدة، أظن أنني قد أفوِّت وجبة العشاء هذا المساء. لقد تأخَّرنا قليلًا، ويبدو أن الناس قد بدأوا بالفعل في الدردشة».

ابتسم سازد.

سألته: «ماذا؟»

أجاب: «أتذكَّر وقتًا لم تكوني تفوِّتين فيه وجبةً قطُّ يا سيدتي».

زمجرت ڤين وقالت: «فقط كن ممتنًا لأنني لم أحاول قط ملء جيبي بالطعام خلال إحدى هذه الحفلات. صدِّقني، لقد أغرتني هذه الفكرة. هيا اذهب الآن».

أومأ سازد برأسه وانطلق نحو عشاء المُرافِقين. تفحَّصت ڤين مجموعات الدردشة. قالت لنفسها: «لحسن الحظ، لا أثر لـ شان». ولكن لسوء الحظ، لا يمكنها أن ترى كليس في أيِّ مكان؛ لذلك كان عليها أن تختار شخصًا آخر للثرثرة معه. تقدَّمت إلى الأمام، مبتسِمةً للورد إدرين سيريس، أحد أبناء عمومة بيت إيلاريِيل، ومن الرجال الذين رقصت معهم في عدة مناسبات. استقبلها بإيماءة ترحيبٍ شديدٍ، وانضمت إلى مجموعته.

ابتسمت ڤين للأعضاء الآخرين في المجموعة، ثلاث نساء ولورد آخر. كانت تعرفهم جميعًا على الأقل بشكلٍ عابرٍ، وقد سبق لها الرقص مع اللورد يستال، ولكن في هذا المساء، رمقها الأربعة بنظراتٍ باردةٍ.

قالت ڤين، وهي تلعب دورها كفتاة ريفية: «لم آتِ إلى قلعة ڤينتشر منذ فترة، لقد نسيتِ كم هي مهيبة!»

قالت إحدى السيدات: «حقًّا، معذرة، سأذهب لإحضار شيءٍ أشربه».

أضافت إحدى السيدات الأخريات: «سأذهب معكِ»، وغادرت كلتا المرأتين المجموعة.

شاهدتهما ڤين وهما يذهبان بعبوس.

قال يستال: «آه، وصلت وجبتنا. هل ستأتين معي يا تريس؟»

أجابت السيدة الأخيرة: «بالطبع»، وانضمت إلى يستال وانصرفا بعيدًا.

عدَّل إدرين نظارته، وأعطى ڤين نظرة اعتذارٍ فاترة، ثم انسحب هو الآخر. وقفت ڤين مذهولةً. لم تتلقَّ مثل هذا الاستقبال البارد الواضح منذ الحفلات القليلة الأولى لها.

سألت نفسها بخوفٍ متزايدٍ: «ما الذي يحدث؟ هل هذا من صنيع شان؟ هل يمكنها تأليب قاعة كاملة مليئة بالناس عليّ؟»

كلا، هذا لا يبدو صحيحًا. يتطلَّب هذا الأمر الكثير من الجهد. بالإضافة إلى ذلك، لم تكن الغرابة حولها فقط، بل بدَت جميع مجموعات النبلاء... مختلفة هذا المساء. حاولت ڤين مع مجموعة ثانية، ولكن كانت النتيجة أسوأ. فبمجرد انضمامها، تجاهلها الأعضاء بشدة. شعرت ڤين بأنها في غير محلها حتى انسحبت، هاربةً لتحضر لنفسها كأسًا من النبيذ. وأثناء سيرها، لاحظت أن المجموعة الأولى -المجموعة التي تضم يستال وإدرين- قد أُعيد تشكيلها بنفس الأعضاء بالضبط.

توقَّفت ڤين قليلًا، تحت ظِلِّ الجزء المتدلّي من الشرفة الشرقية وتفحصَّت الحشد. كان هناك عددٌ قليلٌ جدًّا من الناس يرقصون، وقد

تعرَّفت عليهم جميعًا كأزواجٍ راسخين، يبدو أيضًا أن الاختلاط بين المجموعات أو الطاولات ضئيلٌ جدًّا. وبينما كانت قاعة الرقص تعج بالناس، لكن بدا أن معظم الحاضرين يحاولون بشكلٍ واضحٍ تجاهل أيّ شخصٍ آخر.

تفكَّرت وهي تتجه إلى الدرج: «يجب أن أُلقي نظرةً فاحصةً على هذا». بعد فترة قصيرة من التسلق، خرجت من الشرفة الطويلة الشبيهة بالممر والتي تقع فوق حلبة الرقص؛ حيث تضفي فوانيسها الزرقاء المألوفة على الأعمال الحجرية صبغة خافتة وكئيبة.

توقَّفت ڤين حيث تقع خلوة إليند بين العمود الأيمن الأقصى والجدار، مضاءةً جيدًا بفانوسٍ واحدٍ. كان يقضي دائمًا حفلات ڤينتشر في القراءة هناك؛ فلم تعجبه الأُبهة والظروف التي تنطوي عليها استضافة الحفل.

كانت الخلوة فارغة، اقتربت ڤين من السور، ثم رفعت بصرها لتتطلَّع نحو الطرف الآخر من الرواق الكبير. وقعت طاولة مُنظِّم الحفل على منصة مُعلَّقة بنفس مستوى الشرفات، وقد صُدمت لرؤية إليند جالسًا هناك لتناول الطعام مع والده.

تساءلت بعدم تصديق: «لماذا؟» لم يسبق لها قط، خلال ست حفلات حضرتها في قلعة ڤينتشر، أن رأت إليند يجلس مع عائلته.

في الأسفل، شاهدت شخصًا مألوفًا يرتدي رداءً مُلوَّنًا يتحرَّك بين الحشد. لوَّحت إلى سازد، لكن من الواضح أنه رآها بالفعل، بينما كانت تنتظره، بدا لـ ڤين أنها سمعت بشكلٍ خافتٍ صوتًا مألوفًا قادمًا من الطرف الآخر من الشرفة. استدارت وتفحَّصت الأمر، فلاحظت شخصية قصيرة لم ترَها خلال هذه الأمسية، إنها كليس تتحدَّث مع مجموعة صغيرة من اللوردات منخفضي المستوى.

تفكَّرت: «ها هي كليس، ربما ستتحدَّث معي». وقفت ڤين في انتظار أن تنهي كليس محادثتها أو يصل سازد.

جاء سازد أولًا، وهو يلهث من صعود الدرج.

قال بصوتٍ خافتٍ، منضمًا إليها بجانب السور: «سيدتي».

ردَّت عليه: «قُل لي أنك اكتشفت شيئًا يا سازد. هذه الحفلة تبدو... غريبة. الجميع باردون ورسميون جدًّا، يبدو الأمر كما لو أننا في جنازة، ولسنا في حفلة».

قال سازد بهدوء: «إنه تشبيهٌ دقيقٌ يا سيدتي، لقد فاتنا إعلانٌ مهم، قال آل بيت هاستينج إنهم لن يعقدوا حفلتهم المنتظمة هذا الأسبوع».

عبست ڤين، وقالت: «وما الغريب في ذلك؟ لقد ألغت البيوت الحفلات من قبل».

أوضح سازد: «ألغى بيت إيلاريـيل حفلتهم كذلك. عادةً ما يأتي بيت تيكيل بعدهم، لكن هذا البيت قد انهار بالفعل، كما أعلن آل بيت شونة بالفعل أنهم لن يُنظِّموا المزيد من الحفلات بعد الآن».

- «ماذا تقول؟»

قال سازد: «يبدو -يا سيدتي- أن هذه ستكون الحفلة الأخيرة لبعض الوقت... ربما لفترة طويلة جدًّا».

حدَّقت ڤين إلى نوافذ القاعة الرائعة التي تلوح في الأفق فوق المجموعات المنفصلة -والمعادية تقريبًا- من الناس.

قالت: «هذا ما يحدث بالفعل، إنهم يضعون اللمسات الأخيرة على تحالفاتهم، فالجميع يُحيطون أنفسهم بأقرب أصدقائهم وأشدّ أنصارهم. إنهم يعرفون أن هذه هي الحفلة الأخيرة؛ ولذا جاءوا جميعًا لمجرد الاستعراض، لكنهم يعلمون أنه لم يتبقَّ لديهم وقتٌ للألاعيب السياسية».

- «يبدو الأمر كذلك يا سيدتي».

تابعت ڤين: «كلهم في موقفٍ دفاعي، إنهم يتراجعون وراء أسوارهم، إذا جاز التعبير؛ لهذا السبب لا يريد التحدُّث معي. لقد جعلنا عائلة رينو قوة محايدة للغاية، إنني لا أنتمي إلى أيِّ فصيل، وهذا أسوأ وقت للمراهنة على عناصر سياسية عشوائية».

ردَّ سازد: «يحتاج السيد كيلسير إلى معرفة هذه المعلومات يا سيدتي، لقد خطَّط للتظاهر بأنه مخبر مرة أخرى هذه الليلة. إذا بدا جاهلًا بهذا الوضع، فقد يؤدِّي ذلك إلى تعريض مصداقيته للخطر بشكلٍ لا تُحمد عُقباه. علينا المغادرة الآن».

قالت ڤين وهي تلتفت نحو سازد: «لا، لا يمكنني الذهاب... لا يمكنني ذلك مع بقاء الجميع. لقد اعتقدوا جميعًا أنه من المهم أن يأتوا ويظهروا في هذه الحفلة الأخيرة؛ ولذا لا ينبغي أن أغادر حتى يبدؤوا في المغادرة».

أومأ سازد موافقًا: «جيد جدًّا».

قالت له ڤين: «اذهب أنت يا سازد، استأجر عربة وانطلق لإخبار كيل بكل ما عرفناه. سأبقى هنا لفترة أطول قليلًا، ثم أغادر عندما لا يجعل ذلك بيت رينو يبدو ضعيفًا».

تردَّد سازد. «أنا... لا أعرف يا سيدتي».

أدارت ڤين عينيها ثم قالت له: «أُقدِّر المساعدة التي قدَّمتها لي، لكن ليس عليك أن تبقى مُمسكًا بيدي طوال الوقت. يأتي الكثير من الناس إلى هذه الحفلات دون أن يشرف عليهم مُرافِقوهم».

تنهَّد سازد. «جيد جدًّا يا سيدتي، ولكنني سأعود إليكِ بعد أن أعثر على السيد كيلسير».

أومأت ڤين برأسها، وودَّعته، ليتراجع إلى أسفل الدرج الحجري. استندت ڤين إلى شرفة خلوة إليند، وراقبت سازد حتى ظهر بالأسفل وسرعان ما اختفى باتجاه البوابة الأمامية.

ماذا الآن؟ حتى لو تمكّنت من العثور على شخصٍ ما للتحدُّث معه، فلم تعد هناك جدوى من نشر الشائعات الآن.

شعرت بشيءٍ من الخوف. من كان يظن أنها ستستمتع كثيرًا بسفاسف النبلاء؟ دُنِّست التجربة بمعرفتها لما كان بإمكان العديد من النبلاء القيام به، ولكن كان هناك... متعة تشبه الحلم في التجربة بأكملها.

هل ستحظى بحضور مثل هذه الحفلات مرة أخرى؟ ماذا سيحدث لـ ڤاليت النبيلة؟ هل ستضطر إلى التخلّي عن فساتينها ومكياجها، والعود إلى كونها ڤين لصة الشوارع؟ ربما لن يكون هناك متسعٌ لأشياء مثل الحفلات الكبرى في مملكة كيلسير الجديدة، وقد لا يكون هذا أمرًا سيئًا؛ فما الذي يُخوِّل لها الحق في الرقص بينما يتضوَّر جميع (السكا) الآخرين جوعًا؟ ومع ذلك... بدا لها أن العالم سيفتقد شيئًا جميلًا بدون القلاع والراقصين والفساتين والحفلات.

تنهَّدت واتكأت مرة أخرى على السور، وهي تنظر إلى فستانها. كان ذا لونٍ أزرق لامع عميق، مع تصميمات دائرية بيضاء مخيطة حول قاعدة التنورة. ورغم أنه بلا أكمام، فإن القفازات الحريرية الزرقاء التي ترتديها كانت تمتد إلى مرفقيها.

سابقًا كانت ترى الثوب ضخمًا بشكلٍ مُحبطٍ، لكنها الآن تراه رائعًا جدًّا. لقد أحبت الطريقة التي صُمِّم بها ليجعلها تبدو ممتلئة الصدر، حتى وإن أبرز جذعها العلوي النحيف. كما أحبت الطريقة التي انبسط بها عند الخصر، متسعًا تدريجيًّا ليُصدر حفيفًا أثناء خطواتها.

ستفتقد ذلك. كما ستفتقد كل شيء آخر، لكن سازد كان محقًّا. فليس بإمكانها إيقاف تقدُّم الزمن، ولكن بإمكانها فقط الاستمتاع باللحظة التي تعيشها.

قرَّرت: «لن أسمح له بقضاء الأمسية كلها جالسًا على الطاولة المرتفعة هناك متجاهلًا إياي تمامًا».

استدارت ڤين وسارت على طول الشرفة، أومأت برأسها إلى كليس أثناء مرورها. انتهت الشرفة برواقٍ منعطف يقود -كما خمَّنت ڤين- إلى المنصة المُعلَّقة التي تحتوي على طاولة مُنظِّم الحفل.

بقيت للحظة في الرواق لتراقب المشهد؛ حيث جلس اللوردات والسيدات بملابس شديدة الفخامة، مستمتعين بامتياز دعوتهم للجلوس مع اللورد ستراف ڤينتشر. انتظرت ڤين، في محاولة لجذب انتباه إليند، وفي النهاية لاحظها أحد الضيوف، ثم وخز إليند برفق. استدار الشاب بدهشة؛ ليرى ڤين، فاحمرَّ وجهه قليلًا.

لوَّحت له باقتضاب، فنهض من مكانه معتذرًا. تراجعت ڤين مرة أخرى إلى الرواق الحجري قليلًا حتى يتمكَّنوا من التحدُّث بشكلٍ أكثر خصوصية.

سألته وهو يسير في الرواق: «إليند! أتجلس حقًّا مع والدك؟!»

أومأ برأسه. وردَّ قائلًا: «لقد تحوَّلت هذه الحفلة إلى حدثٍ خاصٍّ يا ڤاليت، وكان والدي مُصرًّا إلى حدٍّ ما على أن أتبع المراسم».

سألته: «متى سيكون لدينا وقتٌ للحديث؟»

توقَّف إليند قليلًا، ثم أجاب: «لست متأكِّدًا من أننا سنتحدَّث».

عبست ڤين. بدا... مُتحفِظًا. واستبدل بدلته المعتادة البالية قليلًا والمُهلهلة ببدلة أنيقة أكثر ملاءمة، كما قام بتصفيف شعره.

قالت وهي تقترب منه: «إليند؟»

رفع يده، مشيرًا له بالابتعاد عنه: «لقد تغيَّرت الأشياء يا ڤاليت».

حدَّثت نفسها: «لا، هذا لا يمكن يتغيَّر، ليس بعد». ثم سألته: «الأشياء؟ أيّ أشياء؟ ما الذي تتحدَّث عنه يا إليند؟»

ردَّ قائلًا: «أنا وريث بيت ڤينتشر، وستحلُّ علينا أيامٌ خطيرةٌ قريبًا، لقد فقد بيت هاستينج قافلةً كاملةً بعد ظهر اليوم، وهذه هي البداية فقط. في غضون شهرٍ من الآن، ستُعلن القلاع الحرب المفتوحة فيما بينها. لا يمكنني تجاهل هذه الأشياء يا ڤاليت، لقد حان الوقت لأنْ أتوقَّف عن أن أُمثِّل عبئًا ثقيلًا على عائلتي».

قالت ڤين: «جيد جدًّا، ولكن هذا لا يعني...».

قاطعها إليند: «ڤاليت، أنتِ أيضًا تُمثِّلين عبئًا ثقيلًا، عبئًا ثقيلًا جدًّا. لن أكذب وأدعي أنني لم أهتم بكِ قط، لقد اهتممتُ بكِ، وما زلتُ أهتم، ولكنني أعرف من البداية -كما تعرفين أيضًا- أن هذه لا يمكن أن تكون أكثر من مجرد علاقة عابرة. الحقيقة أن بيتي يحتاج إليّ... وهو أكثر أهمية منكِ».

شحب وجه ڤين. قالت: «لكن...»

استدار ليعود إلى العشاء.

قالت بهدوء: «إليند، أرجوك لا تبتعد عني».

توقَّف، ثم نظر إليها مرة أخرى قائلًا: «أنا أعرف الحقيقة يا ڤاليت، أعرف أنكِ قد كذبتِ عليّ بشأن هويتكِ. صدِّقيني، أنا لا أهتم حقًّا بذلك، لست غاضبًا أو مُصابًا حتى بخيبة أمل. الحقيقة هي أنني توقَّعت ذلك. أنتِ فقط... تلعبين اللعبة، مثلنا جميعًا». توقَّف، ثم هزَّ رأسه وابتعد عنها. «مثلي أيضًا».

قالت وهي تمدُّ يدها إليه: «إليند؟»

ردَّ عليها: «لا تجعليني أحرجكِ هكذا على الملأ يا ڤاليت».

توقَّفت ڤين، وشعرت بالدوار، ثم بعد ذلك، أصبحت غاضبةً جدًّا لدرجة أنها لم تستسلم لهذا الدوار. غاضبةً جدًّا، ومحبطةً جدًّا... ومذعورة جدًّا.

همست: «لا ترحل، لا تتركني».

قال: «أنا آسف، لكن عليّ أن أذهب للقاء أصدقائي، لقد كان ذلك ممتعًا».

ثم غادر.

وقفت ڤين في الرواق المظلم. شعرت بقشعريرة تسري في نفسها بهدوء، ثم استدارت وهي تترنَّح على الشرفة الرئيسية. على الجانب الآخر، كان بإمكانها رؤية إليند وهو يُودِّع عائلته، ثم يتجه عبر رواقٍ خلفي نحو غرف المعيشة بالقلعة.

حدَّثت نفسها: «لا يمكنه أن يفعل هذا بي. لا، يا إليند، ليس الآن...» ومع ذلك، بدأ صوتٌ بداخلها -صوتٌ كادت تنساه- في الكلام. همس رين: «لقد تركك، تخلَّى عنكِ بالطبع، الجميع سوف يخونونكِ يا ڤين. ماذا علَّمتكِ؟»

أسكتته: «لا! إنه مجرد توتُّر سياسي، بمجرد أن ينتهي هذا، سأتمكَّن من إقناعه بالعودة...».

همس رين: «أنا شخصيًّا لم أعُد من أجلك، وهو لن يفعل أيضًا». بدا الصوت حقيقيًّا للغاية، بدا وكأنها تسمعه بجانبها.

استندت ڤين إلى سور الشرفة، مُستخدِمة الشبك الحديدي لتثبيت نفسها بقوة، لم تسمح له بتدميرها. لم تتمكَّن حياة الشوارع من تحطيمها

قط. كما لن تسمح أبدًا لأحد النبلاء المُتعجرفين بأن يُحطِّمها. استمرت في إخبار نفسها بذلك.

ولكن، لماذا كان هذا مؤلمًا أكثر بكثيرٍ من الجوع، أكثر حتى من ضرب كامون المُبرح لها؟

قال صوتٌ من الخلف: «مرحبًا يا ڤاليت رينو».

ردَّت ڤين: «كليس، أنا... لست في مزاجٍ رائقٍ للتحدُّث الآن».

قالت كليس: «آه، إذن فقد هجركِ إليند ڤينتشر أخيرًا، لا تقلقي يا فتاة، سيحصل على ما يستحق قريبًا».

استدارت ڤين عابسةً من النبرة الغريبة في صوت كليس. لم تبدُ المرأة كسابق عهدها، بدت... مسيطرة للغاية.

سألت كليس ببساطة: «هل يمكنكِ إيصال رسالة مني إلى عمك يا عزيزتي؟ أخبِريه أن رجلًا مثله -بدون تحالفات البيوت- قد يواجه صعوبة في جمع المعلومات الاستخباراتية خلال الأشهر المقبلة. إذا كان يحتاج إلى مصدر جيد للمعلومات، فأخبِره أن يرسل في طلبي. فأنا أعرف الكثير من الأشياء المثيرة للاهتمام».

قالت ڤين، ودفعت آلامها جانبًا في الوقت الحالي: «أنتِ مُخبرة! ولكنكِ...»

قاطعتها المرأة القصيرة متسائلة: «ثرثرة حمقاء؟ حسنًا، أنا كذلك. إنه لأمرٌ رائع بالنظر إلى أنواع الأشياء التي يمكنكِ معرفتها عندما تُشاع عنكِ سمعة أنكِ نمَّامة البلاط؛ حيث يأتي الناس إليكِ لبث الأكاذيب الصارخة، مثل تلك الأشياء التي أخبرتِني بها عن بيت هاستينج الأسبوع الماضي. لماذا تريدينني أن أنشر مثل هذه الأكاذيب؟ هل يمكن أن يُقدِّم بيت رينو عرضًا للسيطرة على سوق الأسلحة خلال حرب البيوت؟ في

الواقع، هل يمكن أن يكون رينو وراء الهجوم الأخير الذي تعرَّضت له قوارب هاستينج؟»

لمعت عينا كليس، ثم أردفت: «أخبِري عملكِ أنه يمكنني التزام الصمت بشأن ما أعرفه... مقابل رسومٍ رمزيةٍ».

قالت ڤين بذهول: «لقد كنتِ تخدعينني طوال الفترة الماضية...».

ردَّت كليس وهي تربّت على ذراع ڤين: «بالطبع يا عزيزتي، هذا ما نفعله هنا في البلاط. سوف تتعلَّمين ذلك في نهاية المطاف، إذا نجوتِ. الآن، كوني فتاة طيبة وقومي بإيصال رسالتي، حسنًا؟»

استدارت كليس، وبدا فستانها المبهرج المنفوش فجأة ثوبًا برَّاقًا بالنسبة لـ ڤين.

قالت لها ڤين: «مهلًا، ما الذي قلتِه منذ قليل عن إليند؟ سيحصل على ما يستحق؟»

ردَّت كليس وهي تستدير مرة أخرى: «هممم؟ حسنًا... هذا صحيح. لقد كنتِ تسألين عن خطط شان إيلاريِيل، أليس كذلك؟»

تفكَّرت ڤين بقلقٍ متزايدٍ: «شان؟» «ثم سألتها: «إلامَ تُخطِّط؟»

- «حسنًا يا عزيزتي، هذا سرٌّ ثمينٌ بالفعل، يمكنني أن أخبرك... ولكن بعد ذلك، ماذا سأحصل في المقابل؟ تحتاج المرأة التي تنتمي إلى بيتٍ غير مهم مثلي أن تبحث عن رزقها في مكانٍ ما...».

خلعت ڤين عِقدها الياقوتي، قطعة المجوهرات الوحيدة التي ترتديها، وقالت لها: «خذي هذا».

قبلت كليس العِقد بتعبيرٍ متأمِّلٍ. «هممم، حسنًا، هذا رائعٌ جدًّا حقًّا».

قاطعتها ڤين: «ماذا تعرفين؟»

قالت كليس وهي تضع العِقد في جيب كُمها: «أخشى أن الشاب إليند سيكون واحدًا من أوائل ضحايا آل ڤينتشر في حرب البيوت، إنه لأمرٌ مؤسف؛ حيث يبدو حقًّا فتًى لطيفًا، لطيفًا جدًّا، على الأرجح».

سألتها ڤين: «متى؟ وأين؟ وكيف؟»

قالت كليس بلا اكتراث: «هذه أسئلة كثيرةٌ جدًّا، ولكن عِقدًا واحدًا فقط لا يكفي».

ردَّت ڤين بصدق: «هذا كل ما لديّ الآن!» احتوى كيس نقودها على مشابك برونزية فقط للدفع الفولاذي.

تابعت كليس: «لكنه سرٌّ ثمينٌ للغاية كما قلتُ لكِ، إذا أخبرتكِ بهذا السر، فستكون حياتي...

تفكَّرت ڤين بغضب: «لقد طفح الكيل! هذه ألاعيب أرستقراطية سخيفة!» أحرقت ڤين الزنك والنحاس الأصفر، وصعقت كليس بوابلٍ قويٍّ من الدفعات الألومانتيكية العاطفية. لقد أخمدت كل انفعالات المرأة باستثناء الخوف، ثم استولت على هذا الخوف وانتزعته بجرأة شديدة.

زمجرت ڤين: «أخبريني!»

شهقت كليس، وترنَّحت حتى كادت تسقط أرضًا. «أنتِ ألومانسية! لا عجب إذن أن رينو أحضر معه مثل هذه الفتاة التي تمت له بصلة قرابة من بعيد إلى لوثاديل».

قالت ڤين، وهي تخطو خطوة إلى الأمام: «تكلَّمي!»

ردَّت كليس: «لقد فات الأوان على مساعدته. لن أبيع سرًّا كهذا أبدًا إذا كانت هناك فرصة أن ينقلب عليّ!»

– «أخبريني!»

همست كليس: «سيتعرَّض للاغتيال من قِبل ألومانسيين بيت إيلاريِل هذا المساء، ربما يكون قد مات بالفعل. كان من المفترض أن يحدث ذلك بمجردِ مغادرته طاولة اللورد، ولكن إذا كنتِ تردين الانتقام، فسيتعيَّن عليكِ التطلُّع إلى اللورد ستراف ڤينتشر أيضًا».

سألت ڤين بمفاجأة: «والد إليند؟»

أجابت كليس: «بالطبع، فتى أحمق، لن يحب اللورد ڤينتشر شيئًا أكثر من مجرد عذر لمنح لقب البيت لابن أخيه بدلًا من إليند. كل ما كان على ڤينتشر القيام به هو سحب عددٍ قليلٍ من جنوده من السطح حول غرفة الشاب إليند للسماح لقتلة إيلاريِل بالدخول. ونظرًا لأن الاغتيال سيحدث خلال أحد الاجتماعات الفلسفية الصغيرة لإليند وأصحابه، فسيتمكَّن اللورد ڤينتشر من تخليص نفسه من وريث هاستينج ووريث ليكال أيضًا».

استدارت ڤين. يجب عليّ أن أفعل شيئًا!

قالت كليس بضحكة مكتومة، وهي تقف: «بالطبع، على اللورد ڤينتشر أن يُجهِّز نفسه للمفاجأة أيضًا. لقد سمعت أن بحوزة حبيبك إليند بعض... زُبد الكتب. أعتقد أنه يجب على الشاب ڤينتشر أن يتحلَّى بمزيدٍ من الحذر بشأن الأشياء التي يخبر بها نساءه».

التفتت ڤين مرة أخرى إلى كليس. غمرت لها المرأة، وقالت: «سأحتفظ بخبر أنكِ ألومانسية سرًّا يا فتاة. فقط تأكَّدي من أنني سأتقاضى مستحقاتي المالية بحلول ظهر الغد. يجب على السيدة أن تشتري الطعام لنفسها، وكما ترين، أحتاج إلى الكثير منه.

ثم أردفت: «بالنسبة إلى بيت ڤينتشر.. حسنًا، فلو كنتُ مكانك، لكنت أبقيتُ نفسي بمنأى عنهم تمامًا. سيتسبَّب قتلة شان في إحداث

جلبة كبيرة هذه الليلة. لن أتفاجأ إذا انتهى المطاف بنصف البلاط في غرفة الفتى لمعرفة سبب الجلبة. وعندما يرى أفراد البلاط هذه الكتب لدى إليند... حسنًا، دعينا نقول فقط أن المُلتزمين سيضعون أعينهم على بيت ڤينتشر لبعض الوقت. من المؤسف أن إليند سيكون قد مات بالفعل، فلم نشهد إعدامًا علنيًّا لأحد النبلاء منذ زمنٍ طويلٍ».

تفكَّرت ڤين بيأس: «غرفة إليند! لا بُدَّ أنهم هناك الآن». استدارت وهي تمسك بأطراف فستانها وتندفع بشكلٍ محمومٍ نحو رواق الشرفة الذي تركته منذ لحظات.

سألتها كليس مدهوشةً: «إلى أين تذهبين؟»

ردَّت ڤين: «عليّ أن أمنع هذا الآن!»

ضحكت كليس، وقالت: «لقد أخبرتكِ بالفعل أن الأوان قد فات. قلعة ڤينتشر من القلاع الكبيرة جدًّا، والممرات الخلفية المؤدية إلى غرف اللوردات هي أشبه بمتاهة. إذا كنتِ لا تعرفين الطريق، فسوف تتوهين لساعات».

نظرت ڤين حولها، وهي تشعر بالعجز.

أضافت كليس وهي تستدير للذهاب بعيدًا: «وعلاوة على ذلك يا فتاة، ألم يرفضكِ الفتى للتو؟ بما تدينين له؟»

توقَّفت ڤين.

- «إنها محقة، بما أدين له؟»

جاءها الجواب على الفور. «لأنني أحبه».

مع هذه الفكرة دبَّت فيها القوة. اندفعت ڤين للأمام رغم ضحك كليس. كان عليها أن تحاول. دخلت الرواق وانتقلت إلى الممرات الخلفية. ومع ذلك، سرعان ما ثبتت صحة كلمات كليس: كانت

الممرات الحجرية المظلمة ضيقة وغير مزخرفة. بدا مستحيلًا أنها ستجد الطريق الصحيح في الوقت المناسب.

قالت لنفسها: «السطح! ستحتوي غرفة إليند على شرفة خارجية. أحتاج إلى نافذة!»

اندفعت في أحد الممرات، ونزعت حذاءها وخلعت جواربها، ثم ركضت بأقصى ما تستطيع من سرعة وهي ترتدي الفستان. بحثت بشكلٍ محمومٍ عن نافذة كبيرة بما يكفي لتناسبها. اقتحمت ممرًّا أكثر، فارغًا باستثناء المشاعل المُتوهِّجة.

كانت هناك نافذة ضخمة بلون الخزامى تقع على الطرف الآخر من الغرفة.

فكَّرت ڤين: «جيدة بما فيه الكفاية». بإشعال الفولاذ، ألقت بنفسها في الهواء، دافعةً بابًا حديدًا ضخمًا خلفها. طارت إلى الأمام للحظة، ثم ضغطت بقوة على الروابط الحديدية للنافذة الوردية.

توقَّفت في الهواء، دافعةً للأمام وللخلف في آنٍ واحدٍ. كافحت، وهي مُعلَّقة في الممر الفارغ، ثم أحرقت بيوترها حتى تقي نفسها من السحق. كانت النافذة الوردية ضخمة، لكنها زجاجية في الغالب. ما مدى قوتها؟

قوية جدًّا. تأوهت ڤين من فرط الإجهاد. سمعت صوت طقطقة خلفها، وبدأ الباب يدور حول مفصلاته.

فكَّرت بغضب وهي تشعل فولاذها: «يجب... عليكِ... الاستسلام!»

سقطت شظايا من الحجر حول النافذة.

ثم، مع صوت تصدُّع، انفصلت النافذة الوردية عن الجدار الحجري. سقطت إلى الوراء في الليل المظلم، وأطلقت ڤين خلفها.

غلّفها الضباب البارد. سحبت برفق باب الغرفة الداخلية، ومنعت نفسها من الذهاب بعيدًا، ثم دفعت بقوة في اتجاه النافذة المتداعية.

تهاوت النافذة الضخمة ذات الزجاج الداكن تحتها، مما أدى إلى تموج الضباب بينما أُلقيت ڤين بعيدًا بشكلٍ مستقيمٍ نحو السطح.

تحطَّمت النافذة على الأرض تمامًا كما طارت ڤين فوق حافة السطح، وأخذ فستانها يرفرف بجنونٍ في مهب الريح. هبطت لترتطم بالسطح المطلي بالبرونز بعد أن أخفقت في الانحناء. وشعرت ببرودة المعدن تحت أصابع يديها وقدميها.

أشعلت القصدير ليُضيء الليل. لم تستطع أن ترى أيّ شيءٍ خارج عن المألوف.

أحرقت البرونز، مستخدِمةً إياه كما علَّمها مارش، بحثًا عن أيّ علاماتٍ على وجود الألومانسي. لم يكن هناك شيء، مما يعني أن القتلة معهم (مُدخِّن).

قالت ڤين لنفسها بيأسٍ، وهي تشعل البرونز: «لا يمكنني البحث في المبنى بأكمله! أين هم؟!»

ثم، بشكلٍ عجيبٍ، خُيِّل لها أنها أحسَّت بشيءٍ ما.. نبضة ألومانتيكية في جوف الليل.. خافتة.. مخفية، لكنها كافية.

نهضت ڤين للركض عبر السطح، واثقةً من غرائزها. وفي أثناء ركضها، أشعلت البيوتر وأمسكت فستانها حتى رقبتها تقريبًا، ثم مزَّقت الثوب من الأمام بدفعة واحدة. سحبت كيس النقود والقوارير المعدنية من جيبٍ مخفيّ، ثم -وهي ما تزال تركض- مزَّقت الفستان، والتنورات، والسراويل الضيقة، وألقت بها كلها بعيدًا عنها، ثم خلعت مشدها والقفازات بعد

ذلك. تحت ذلك، كان ترتدي قميصًا رقيقًا أبيض اللون بلا أكمام وزوجًا من السراويل القصيرة البيضاء.

اندفعت بشكلٍ محمومٍ، قالت لنفسها: «لا أستطيع التأخُّر كثيرًا. رجاءً، لا أستطيع».

ظهر الأشخاص في الضباب أمامها. وقفوا بجانب كوة مائلة على السطح. لقد مرَّت ڤين بعدة أشخاص مماثلين لهم أثناء ركضها. أشار أحد الأشخاص إلى كوة السقف، وبيده سلاحٌ لامعٌ.

صرخت ڤين، دافعةً بنفسها نحو السطح البرونزي في قفزة قوسية؛ لتهبط في وسط المجموعة المتفاجئة من الأشخاص، ثم ألقت كيس النقود المعدنية لأعلى، ومزَّقته إلى نصفين.

تناثرت العملات المعدنية في الهواء؛ لتعكس الضوء من النافذة بالأسفل. عندما أمطر هذا السيل المتلألئ من المعدن حول ڤين، قامت بالدفع.

تطايرت العملات المعدنية بعيدًا عنها مثل سربٍ من الحشرات، بحيث خلَّفت كل عملة أثرًا في الضباب. صرخ الأشخاص عندما أصابت العملات المعدنية أجسادهم، وتساقط العديد من هذه الأجساد الداكنة.

بينما لم يسقط آخرون، فقد انحرفت بعض العملات المعدنية، وتم دفعها جانبًا بأيدٍ ألومانتيكية غير مرئية. بقي أربعة أشخاص واقفين: اثنان منهم كانا يرتديان عباءات ضبابية؛ يُعدُّ أحد هذين الاثنين مألوفًا بالنسبة إلى ڤين.

إنها شان إيلاريِيل. لم تحتَج ڤين إلى رؤية العباءة لتفهم الأمر، فلم يكن هناك سبب واحد لمشاركة امرأة بأهمية شان في عملية اغتيال مثل هذه، سوى أنها وليدة ضباب.

سألت شان بصدمة: «أنتِ؟» كانت ترتدي زيًّا أسود يتكوَّن من قميص وبنطال، وشعرها الداكن منسدل للخلف، كما ارتدت عباءة ضبابية على نحوٍ أنيقٍ.

تفكَّرت ڤين: «اثنان من وليدي الضباب! هذا ليس جيدًا». سارعت بالتملُّص بعيدًا بينما حاول أحد القتلة ضربها بعصا مبارزة.

تراجعت ڤين عبر السطح، ثم توقَّفت لفترة وجيزة، ودارت بيدٍ واحدةٍ مستندة إلى السقف البرونزي البارد. مدَّت يدها وسحبت العملات المعدنية القليلة التي لم تضِع في ظُلمة الليل، وجذبتها إلى يدها مرة أخرى.

صاحت شان: «اقتلوها!» تأوه الرجلان اللذان أسقطتهما ڤين على السطح. لم يموتا. في الواقع، كان أحدهما يكافح للوقوف على قدميه.

تفكَّرت ڤين: «(سفَّاحون). إذن من المُرجَّح أن يكون الاثنان الآخران من (قاذفي العملات)».

كما لو أنه يُثبِت صحة تفكيرها، حاول أحد الرجال دفع قارورة ڤين المعدنية. لحسن الحظ، لم يكن هناك ما يكفي من المعادن في القارورة لمنحه مرساةً قويةً، وقد أبقت مُمسكةً بها بسهولة.

حوَّلت شان انتباهها إلى كوة السقف.

حدَّثت ڤين نفسها: «كلا، لن تفعلي»، واندفعت للأمام مرة أخرى.

صرخ (قاذف العملات) وهي تقترب. أطلقت ڤين عملة معدنية عليه، ليقوم بالطبع بدفعها نحوها بشكلٍ عكسي، لكن ڤين ثبَّتت نفسها على السقف البرونزي، وأشعلت الفولاذ، دافعةً بقوة أكبر.

قذف الدفع الفولاذي -المنتقل من العملة المعدنية لـ ڤين عبر السطح- بالرجل في الهواء. صرخ وتهاوى في الظلام. لقد كان مجرد ضبابي، فلم يستطع سحب نفسه إلى السطح مرة أخرى.

حاول (قاذف العملات) الآخر رشَّ ڤين بالعملات المعدنية، لكنها تفادتها بسهولة. لسوء الحظ، لم يكن الرجل أحمق مثل رفيقه؛ حيث أطلق العملات بعد وقتٍ قصيرٍ من دفعها. ومع ذلك، كان من الواضح أنه لا يستطيع ضربها. لماذا احتفظ إذن بـ...

تفكَّرت ڤين: «وليد ضبابٍ آخر!»، وهي تنحني للمراوغة، عندما قفز شخصٌ ما من الضباب المظلم، ولمعت في يده الخناجر الزجاجية.

تمكَّنت ڤين من الانسحاب من طريقه بصعوبة، وأشعلت البيوتر لاستعادة توازنها. وقفت على قدميها بجانب (السفَّاح) الجريح، الذي كان يحاول النهوض على قدميه الضعيفتين بشكلٍ واضحٍ. بشعلة أخرى من البيوتر، ضربت ڤين في صدر الرجل، فأزاحته بعيدًا.

ترنَّح الرجل بشكلٍ محرجٍ، وهو ما يزال ممسكًا بجانبه النازف. ثم تعثَّر وسقط من كوة السقف. تحطَّم الزجاج المُلوَّن الرقيق عند سقوطه، واستطاعت آذان ڤين المُعزَّزتين بالقصدير أن تسمع صرخات متفاجئة من الأسفل، يليها ارتطامٌ مدوٍّ عندما اصطدم (السفَّاح) بالأرض.

رفعت ڤين بصرها، مبتسمةً ابتسامةً شريرةً لشان المذهولة. ومن خلفها، لعنها وليد الضباب الآخر بهدوء.

تلعثمت شان: «أنتِ...أنتِ...»، وعيناها تتوهَّجان بالغضب بشكلٍ خطيرٍ في ظُلمة الليل.

حدَّثت ڤين نفسها: «آمل أن تكون قد انتبهت للتحذير، وهربت يا إليند. حان وقت الرحيل».

ليس بمقدورها مواجهة اثنين من وليدي الضباب، إنها لم تستطع حتى التغلُّب على كيلسير في معظم الليالي. أشعلت ڤين الفولاذ، وأطلقت نفسها للخلف. بينما خطت شان خطوةً للأمام، وبدت مُصمَّمة على ملاحقتها؛ حيث دفعت بنفسها وراء ڤين، ثم انضم إليها وليد الضباب الآخر.

قالت ڤين لنفسها: «اللعنة!»، وهي تدور في الهواء وتسحب نفسها إلى حافة السطح بالقرب من المكان الذي تحطَّمت فيه النافذة الوردية، بينما تدافعت الأجسام في الأسفل، وحملوا الفوانيس للإنارة في الضباب. ربما ظنَّ اللورد ڤينتشر أن هذه الضجة تعني أن ابنه قد مات. ولكن كانت هناك مفاجأة في انتظاره.

أطلقت ڤين نفسها في الهواء مرة أخرى، قفزت نحو الفراغ الضبابي. بإمكانها سماع أصوات وليدي الضباب الآخرين من خلفها وهي تندفع بدورها.

تفكَّرت ڤين بخوفٍ: «هذا ليس جيدًا!!»، وهي تتطاير عبر التيارات الهوائية الضبابية. لم يتبقَّ لديها أيّ عملات معدنية أخرى، ولم يكن بحوزتها خناجر، وها هي الآن تجد نفسها بمواجهة اثنين من وليدي الضباب المُدرَّبين.

أحرقت الحديد بشكلٍ محمومٍ بحثًا عن مرساة في الليل. ظهر خطٌّ أزرق، يتحرَّك ببطءٍ، عن اليمين من تحتها.

جذبت ڤين نفسها بشدة تجاه الخط، مُغيِّرةً مسارها. انطلقت لأسفل، وظهر سور قلعة ڤينتشر كظِلٍّ مظلمٍ تحتها. كانت المرساة التي عثرت عليها عبارة عن درع صدري لحارسٍ سيئ الحظ، يرقد فوق الجدار، مُتشبِّثًا بكل قوته بحافة بارزة في الأسوار لمنع نفسه من الانجراف نحو ڤين.

أصابت ڤين الرجل بقدميها أولًا، ثم دارت في الهواء الضبابي؛ لتهبط على الحجر البارد. انهار الحارس على الحجر، ثم صرخ، ولكنه أمسك يائسًا بالحجر بقبضته، بينما سحبته قوة ألومانتيكية أخرى.

قالت ڤين في سرها: «آسفة يا صديقي»، وهي تركل يد الرجل ليبتعد عن حافة السور الذي يمسك بها. وبالفعل وجد الحارس نفسه على الفور منجذبًا بعنفٍ في الهواء، كما لو أن حبلًا قويًّا يجرُّه.

دوّت أصوات ارتطام الجثث في الظلام، ورأت ڤين اثنين من الأشخاص يسقطان بضعفٍ إلى فناء ڤينتشر. ابتسمت، وهي تتدافع على طول الجدار. «آمل أن تكون هذه شان».

قفزت ڤين، هابطةً على قمة بوابة الحراسة. بالقرب من القلعة، تفرَّق الناس، وركبوا عرباتهم للفرار.

تفكَّرت ڤين: «بهذا بدأت حرب البيوت، لم أكن أظن أنني سأكون الشخص الذي يشعل فتيلها رسميًّا».

انقضَّ شخصٌ ما عليها من الضباب بالأعلى. صرخت ڤين، وأحرقت البيوتر وقفزت إلى الجانب. هبطت شان برشاقة، وأطراف عباءتها الضبابية ترفرف فوق بوابة الحراسة. استلَّت خنجريها، واشتعلت عيناها بالغضب.

قفزت ڤين إلى الجانب مرة أخرى، متدحرجةً على بوابة الحراسة، وهبطت على قمة الجدار في الأسفل. انتفض اثنان من الحراس في ذعر، متفاجئين لرؤية فتاةٍ نصف عارية تسقط بينهما. انحدرت شان على الجدار خلفهم، ثم قامت بالدفع، وألقت بأحد الحراس في اتجاه ڤين.

صرخ الرجل عندما دفعت ڤين درعه الصدري بشكلٍ عكسي، لكنه كان أثقل منها بكثير، فارتمت إلى الخلف. سحبت الحارس لإبطاء

نفسها، فتحطَّم الرجل عند ارتطامه بقمة الجدار. هبطت ڤين إلى جانبه، ثم أمسكت بعصاه التي تدحرجت من يده.

هاجمت شان في موجة من الخناجر الدوارة، واضطرت ڤين للقفز للخلف مرة أخرى. تفكَّرت ڤين بقلق: «يا لها من بارعة!». لم تنَل ڤين سوى قسطٍ يسيرٍ من التدريب على استخدام الخناجر. الآن تمنَّت لو أنها طلبت من كيلسير مزيدًا من التدريب. لوَّحت بالعصا، لكنها لم تستخدم أحد الأسلحة من قبل، وبالفعل بدا هجومها مثيرًا للضحك.

أصابتها شان بضربة، وشعرت ڤين بألمٍ شديدٍ في خدها بينما أثناء تفاديها الضربات. أسقطت العصا في حالة من الصدمة، وتحسَّست وجهها وشعرت بالدم يتدفَّق. تعثَّرت، ورأت الابتسامة على وجه شان.

ثم تذكَّرت ڤين القارورة. التي ما تزال تحملها، تلك القارورة التي أعطاها إياها كيلسير.

الأتيوم.

لم تكلِّف نفسها عناء انتزاعها من المكان الذي وضعتها فيه على خصرها. أحرقت الفولاذ، ودفعتها في الهواء أمامها. بعد ذلك، أوقدت على الفور الحديد، وسحبت خرزة الأتيوم. تحطَّمت القارورة، واتجهت الخرزة نحو ڤين. أمسكت بها في فمها، وابتلعتها حتى أجبرتها على النزول.

توقَّفت شان.

ثم، قبل أن تتمكَّن ڤين من فعل أيّ شيء، ابتلعت قارورة خاصة بها. بالطبع لديها أتيوم هي الأخرى.

لكن، كم لديها بالضبط؟ لم يمنح كيلسير ڤين الكثير، فقط ما يكفي لمدة ثلاثين ثانية. قفزت شان إلى الأمام، مبتسمةً، وشعرها الأسود

الطويل يرفرف في الهواء. صرَّت ڤين على أسنانها، لم يكن لديها الكثير من الخيارات.

أحرقت الأتيوم، وعلى الفور، انبثق من جسم شان العشرات من ظلال الأتيوم الوهمية. لقد كانت هذه حالة من حالات التعادل بين اثنين من وليدي الضباب؛ لذا فإن أول من ينفد مخزونه من الأتيوم سيجد نفسه عرضةً للخطر؛ حيث لا يمكنك الهروب من خصمٍ يعرف بالضبط ما تنوي فعله.

تراجعت ڤين، وعيناها مُسلَّطتان على شان. سارعت المرأة النبيلة إلى الأمام، بينما شكَّلت أطيافها فقاعةً مجنونةً من الحركة الشفافة حولها. بدت هادئة آمنة.

تفكَّرت ڤين وهي تشعر بمخزونها يوشك على النفاد: «إنها تمتلك الكثير من الأتيوم. يجب عليّ أن أهرب».

اخترق الظلُّ الخشبي الطويل فجأة صدر ڤين. انحنت إلى الجانب تمامًا حيث مرَّ السهم الحقيقي الذي يبدو أنه مصنوع بلا رأس عبر الهواء إذ كانت تقف للتو. نظرت إلى بوابة الحراسة، حيث كان العديد من الحراس يرفعون الأقواس.

لعنت، ونظرت جانبًا، نحو الضباب. وفي أثناء قيامها بذلك، رأت ابتسامةً تفترّ من ثغر شان.

إنها تنتظر فقط أن ينفد مخزوني من الأتيوم، إنها تريدني أن أركض، فهي تعلم أنها تستطيع أن تلاحقني.

لم يكن هناك سوى خيار واحد فقط: الهجوم.

عبست شان مدهوشةً عندما اندفعت ڤين للأمام، وسهام وهمية تضرب الأحجار قبل وصول نظائرها الحقيقية. تفادت ڤين سهمين من

هذه السهام -حيث يعرف عقلها المُعزَّز كيف تتحرَّك بالضبط- التي مرَّت قريبًا جدًّا منها لدرجة أنها بإمكانها أن تشعر بالقذائف في الهواء على جانبيها.

لوَّحت شان بخناجرها، وانحنت ڤين إلى جانبها؛ حيث تملَّصت من ضربة وتصدَّت للضربة الأخرى بساعدها؛ مما أدى إلى إصابتها بجرحٍ عميقٍ. تطايرت دماؤها في الهواء وهي تدور، كل قطرة تُلقي بظِلٍّ شفافٍ من ظلال الأتيوم، أشعلت البيوتر، ولكمت شان في بطنها.

زمجرت شان من الألم، وانحنت قليلًا، لكنها لم تسقط.

تفكَّرت ڤين بيأسٍ: «لقد نفد الأتيوم تقريبًا، لم يتبقَّ سوى بضع ثوانٍ فقط».

لذلك قامت بإطفاء الأتيوم في وقتٍ مبكرٍ، وعرَّضت نفسها للخطر. ابتسمت شان بشكلٍ شريرٍ، ارتفعت من وضع الانحناء، ولوَّحت بخنجرها الأيمن بثقة. افترضت أن أتيوم ڤين قد نفد بالفعل، ومن ثَمَّ فإنها انكشفت وباتت في موقف ضعف.

في تلك اللحظة، أحرقت ڤين آخر قطعةٍ مُتبقِّيةٍ لديها من الأتيوم. توقَّفت شان لفترةٍ وجيزةٍ فقط في حالة من الارتباك؛ مما أعطى ڤين فرصة لرؤية سهمٍ وهمي يمر عبر الضباب فوق رأسها. أمسكت ڤين بالسهم الحقيقي الذي تبع ذلك، أحرقت حُبيبات الخشب أصابعها، ثم أرشقته في صدر شان. انكسر السهم في يد ڤين، تاركًا حوالي بوصة بارزة في جسد شان. ترنَّحت المرأة إلى الوراء وما تزال واقفةً على قدميها.

تفكَّرت ڤين: «اللعنة على البيوتر!»، ثم سحبت سيفًا من غمدٍ بجانب الحارس الذي فقد وعيه عند قدميها. قفزت إلى الأمام، وجزَّت

على أسنانها بإصرار، بينما رفعت شان -التي ما تزال في حالة ذهول- إحدى يديها لدفع السيف.

أطلقت ڤين السيف الذي كان مجرد إلهاء، بينما غرست النصف الثاني من السهم المكسور في صدر شان بجوار النصف الأول.

هذه المرة، سقطت شان. حاولت أن تنهض، لكن لا بُدَّ أن أحد السهام قد ألحق أضرارًا جسيمةً بقلبها؛ لأن وجهها أصبح شاحبًا. كافحت للحظة، ثم سقطت جثةً هامدةً على الحجارة.

وقفت ڤين، تلتقط أنفاسها بعمقٍ وهي تمسح الدم من على خدها؛ لتدرك فقط أن ذراعها المُلطَّخة بالدماء تجعل وجهها أسوأ حالًا. من خلفها، راح الجنود يصرخون ويُطلقون المزيد من السهام.

ألقت ڤين نظرة أخرى على القلعة؛ لتوديع إليند، ثم دفعت بنفسها في جوف الليل.

يشعر الرجال الآخرون بالقلق بشأن ما إذا كانوا سيبقون في الذاكرة أم لا. ليس لديّ مثل هذه المخاوف. حتى بغض النظر عن نبوءات تيريس، فقد زرعتُ في هذا العالم الفوضى، والشِّقاق، والأمل، لدرجة أنه بات من غير المُحتمل أن أنسى كأني لم أكن.

أنا فقط قلقٌ بشأن ما سيقولونه عني، يمكن للمؤرخين صياغة الماضي كما يحلو لهم. في غضون ألف عام، هل سيذكرونني باعتباري الرجل الذي حمى البشرية من شرٍّ عظيم؟ أم سيذكرونني باعتباري طاغيةً حاول بغطرسةٍ أن يصنع من نفسه أسطورة؟

الفصل الحادي والثلاثون



قال كيلسير مبتسمًا وهو يهزُّ كتفيه: «لا أعرف، ربما سيُصبح بريز وزيرًا جيدًا للصرف الصحي».

ضحكت المجموعة، على الرغم من أن بريز أدار عينيه. «بصراحة، لا أفهم لماذا عليّ أن أبقى دائمًا في مرمى سخرية الآخرين. لماذا يجب أن تختار الشخص الوحيد المحترم في هذه العصابة ليكون موضع تهكُّمك؟»

قال هام مُقلِّدًا نبرة بريز: «لأنك، يا عزيزي، إلى حدٍّ بعيد، أفضل أضحوكة لدينا».

ردَّ بريز بينما كاد سبوك أن ينقلب على قفاه من فرط الضحك: «أوه، من فضلك، الأمر أصبح طفوليًّا، الفتى المراهق هو الوحيد الذي وجد هذا التعليق مسليًا يا هاموند».

قال هام وهو يرفع كأسه: «أنا جندي، لن تؤثِّر هجماتك اللفظية الذكية عليّ؛ لأنني أغبى من أن أفهمها أصلًا».

قهقه كيلسير، وهو يتكئ على الخزانة. كانت إحدى مشكلات العمل الليلي أنه يفوته مثل هذه التجمُّعات المسائية في مطبخ كلوبز. واصل بريز وهام تبادل نكاتهما. جلس دوكس في نهاية الطاولة، يستعرض الدفاتر والتقارير، بينما اتخذ سبوك مكانه بجانب هام متلهِّفًا؛ حيث حاول أن يبذل قصارى جهده للمشاركة في المحادثة. أما كلوبز فقد جلس في ركنه يراقب ما يحدث، يبتسم أحيانًا، ولكن مع استمتاعه عمومًا بقدرته على التجهُّم أكثر من أيّ شخصٍ آخر في الغرفة.

قال سازد وهو يتفقَّد ساعة الحائط: «يجب أن أغادر يا سيد كيلسير، لا بُدَّ أن السيدة ڤين تستعد للمغادرة الآن».

أومأ كيلسير برأسه. «يجب عليّ أن أذهب أيضًا، لا يزال يتعيَّن علي...»

انفتح باب المطبخ الخارجي. وقفت ڤين مُظلَّلة بالظلال الضبابية الداكنة، ولا ترتدي سوى الملابس الداخلية؛ قميص أبيض باهت وسروال قصير. وقد تطلَّخ كلاهما بالدم.

صاح هام، ناهضًا من مكانه: «ڤين!»

أُصيب خدها بجرحٍ طويلٍ ورفيعٍ، ورُبِطت ضمادة على ساعدها.

قالت بضجر: «أنا بخير».

سألها دوكسون على الفور: «ماذا حدث لفستانك؟»

سألت ڤين بنبرة اعتذارية، وهي تمسك كتلة من القماش الأزرق المُمزق والمُلطَّخ بالسخام: «هل تقصد هذا؟ لقد... أعاقت طريقي، معذرة يا دوكس».

قال بريز: «بحق اللورد الحاكم يا فتاة! انسي الفستان الآن، وأخبرينا ماذا حدث لكِ؟»

هزَّت ڤين رأسها وأغلقت الباب. احمر سبوك خجلًا بشدة عند رؤيته لثوبها، بينما تحرَّك سازد على الفور لتفحُّص الجرح الذي أصاب خدها.

قالت ڤين: «أعتقد أنني ارتكبت خطأً، لقد... قتلت شان إيلاريل».

سأل كيلسير بينما طقطق سازد بهدوء، متجاهلًا الجرح الصغير في خدها لفك الضمادة المربوطة على ذراعها: «ماذا فعلتِ؟»

جفلت ڤين قليلًا بينما كان سازد يسعفها، ثم ردَّت عليه: «لقد كانت وليدة ضباب. تقاتلنا معًا، وانتصرتُ عليها».

تفكَّر كيلسير مصدومًا: «هل قتلتِ وليدة ضباب مُدرَّبة تدريبًا كاملًا؟! لقد بدأتِ تدريبكِ منذ ثمانية أشهر فقط!»

سأل سازد: «سيد هاموند، هل يمكنكِ أن تحضر لي حقيبة الإسعافات الخاصة بي؟»

أومأ هام برأسه، وقام لإحضارها.

اقترح كيلسير: «ربما عليك أن تحضر لها شيئًا ترتديه أيضًا. أظن أن سبوك المسكين على وشك أن يُصاب بنوبةٍ قلبيةٍ».

سألت ڤين وهي تُشير برأسها نحو ملابسها: «وما المشكلة في تلك الملابس؟ إنها لا تكشف أكثر بكثير مما كانت تكشفه بعض ملابس اللصوص التي كنتُ أرتديها من قبل».

قال دوكسون: «هذه ملابس داخلية يا ڤين».

- «وماذا في ذلك؟»

أوضح دوكسون: «إنها مسألة مبدأ. لا يصح أن تتجوَّل السيدات الشابات بملابسهن الداخلية، حتى وإن تشابهت تلك الملابس الداخلية مع الملابس العادية».

هزَّت ڤين كتفيها، بينما قام سازد بتضميد ذراعها. بدت... منهكة. وليس فقط من القتال. تُرى ماذا حدث أيضًا في تلك الحفلة.

سأل كيلسير: «أين تقاتلتِ مع امرأة إيلارييل هذه؟»

أجابت ڤين وهي تخفض بصرها: «خارج قلعة ڤينتشر، أظن... أن بعض الحراس رصدوني، وربما بعض النبلاء أيضًا، لستُ متأكِّدةً من ذلك».

قال دوكسون وهو يتنهَّد: «ستكون هذه ورطة، بالطبع سيبدو جرح الخد هذا واضحًا جدًّا، حتى مع وضع المكياج. بصراحة أيها الرفاق الألومانسيون... ألا تهتمون أبدًا بشأن الشكل الذي ستبدون عليه في اليوم التالي لدخولكم إحدى هذه المعارك؟»

ردَّت ڤين: «في الحقيقة كنت أُركِّز على أن أبقى على قيد الحياة يا دوكس».

قال كيلسير عندما عاد هام بالحقيبة: «إنه يبدي تُذمُّره فقط لأنه قلقٌ عليكِ. هذا ما يفعله دائمًا».

قال سازد: «سيحتاج كلا الجرجين إلى خياطة فورية يا سيدتي، أعتقد أن الجرح الذي أصاب ذراعك قد وصل إلى العظم».

أومأت ڤين برأسها، وفرك سازد ذراعها بمرهم مُخدِّر، ثم بدأ في العمل. لقد تحمَّلت ذلك دون الكثير من الانزعاج المرئي، على الرغم من أنها أشعلت البيوتر بالطبع.

تفكَّر كليسير: «تبدو منهكة». لقد كانت مخلوقًا ضعيف المظهر، فمعظمها مجرد ذراعين ورجلين. وضع هاموند عباءة حول كتفيها، لكنها بدت متعبة للغاية بحيث لا يمكنها الاهتمام.

- «وأنا من قادها إلى ذلك».

من الواضح، كان يجب أن تتمتَّع بالحس السليم لعدم الانجرار إلى هذا النوع من المشاكل. أنهى سازد أخيرًا خياطته الفعالة، ثم ربط ضمادة جديدة حول جرح ذراعها، ثم انتقل إلى خدها.

سأل كيلسير بصرامة: «ما الذي دفعكِ إلى القتال مع وليدة ضباب؟ كان عليكِ أن تهربي. ألم تتعلَّمي أيّ شيءٍ من معركتكِ مع المُحقِّقين؟»

قالت ڤين: «لا يمكنني أن أهرب دون إدارة ظهري لها. علاوة على ذلك، كان لديها مخزونٌ من الأتيوم أكثر مني. لو لم أهاجمها، لكانت قد لاحقتني؛ لذا كان عليّ أنا أضرب ضربتي بينما كنا متكافئين في القتال».

سألها كيلسير: «ولكن ما الذي أقحمكِ في هذا القتال أصلًا؟ هل هاجمتكِ؟»

نظرت ڤين إلى قدميها. «لقد هاجمتُها أولًا».

سأل كيلسير: «لماذا؟»

صمتت ڤين للحظة، بينما يعتني سازد بخدها، ثم قالت أخيرًا: «كانت ستقتل إليند».

زفر كيلسير في سخطٍ. «إليند ڤينتشر؟ لقد خاطرتِ بحياتكِ، بل خاطرتِ بالخطة وحياتنا كلنا؛ من أجل ذلك الفتى الأحمق؟»

رفعت ڤين بصرها مُحدِّقةً إليه، وأجابت: «نعم».

سأل كيلسير: «ما خطبكِ يا فتاة؟ إليند ڤينتشر لا يستحق كل هذا».

وقفت ڤين بغضب، بينما تراجع سازد، وسقطت العباءة على الأرض. قالت: «إنه رجلٌ طيبٌ!»

قال كيلسير: «إنه أحد النبلاء!»

انفجرت ڤين مُلوِّحةً بذراعها بإحباطٍ تجاه المطبخ والعصابة: «وأنتم كذلك! ما رأيك في هذا يا كيلسير؟ حياة (السكا)؟ ماذا يعرف أيٌّ منكم عن (السكا)؟ ها أنت ذا ترتدي بدلاتٍ أرستقراطية، وتلاحق أعداءك في جُنح الليل، وتتناول الوجبات الكاملة وتحتسي المشروبات الليلية حول الطاولة مع أصدقائك؟ هذه ليست حياة (السكا)!»

اتخذت خطوة إلى الأمام، وحدَّقت إلى كيلسير الذي رمش بعينيه مندهشًا من انفجارها.

سألته ڤين: «ماذا تعرف عنهم يا كيلسير؟ متى كانت آخر مرة نمت فيها في زقاق، مرتجفًا تحت المطر البارد، تستمع إلى متسوِّلٍ بجانبك وهو يسعل لإصابته بمرضٍ تعلم أنه سيقتله؟ متى كانت آخر مرة اضطررت فيها إلى الاستيقاظ ليلًا؛ لخوفك من أن أحد الرجال في عصابتك سيحاول اغتصابك؟ هل سبق لك أن جثوت على ركبتيك، وأنت تتضوَّر جوعًا، متمنيًا لو أن لديك الشجاعة الكافية لطعن عضوٍ من أعضاء العصابة بجانبك فقط حتى تتمكَّن فقط من الاستيلاء على

كسرة خبزه؟ هل سبق لك أن انكمشت مرتعدًا أمام أخيك وهو ينهال عليك ضربًا، بينما أنت تشعر طوال الوقت بالامتنان لأنك على الأقل لديك شخصٌ ينتبه لأمرك؟»

صمتت، وهي تلهث قليلًا، بينما أخذ أفراد العصابة يُحدِّقون إليها.

قالت ڤين: «لا تتحدَّث معي عن النبلاء. ولا تقل أشياء عن أشخاصٍ لا تعرفهم، أنت لست من (السكا)، أنت مجرد نبيل ولكن بدون ألقاب».

استدارت وانسحبت من الغرفة. شاهدها كيلسير وهي تغادر مصدومًا، بينما سمع وَقْع خطاها على الدرج. وقف مذهولًا، وشعر بدفعة مفاجئة من الشعور بالذنب.

لأول مرة، وجد نفسه عاجزًا عن الكلام.

***

لم تذهب ڤين إلى غرفتها. صعدت إلى السطح؛ حيث التفَّ الضباب في الليل الساكن المُظلم. جلست في الزاوية، وظهرها شبه العاري يقابل الحافة الحجرية الخشنة للسطح المُسطَّح، والأرضية الخشبية من تحتها.

شعرت بالبرد، ولكنها لم تهتم. كانت ذراعها تؤلمها قليلًا، لكنها كانت مُخدَّرة تقريبًا. حتى وإن لم تشعر نفسها بالخدر الكافي.

عقدت ذراعيها، وجلست تراقب الضباب. لم تكن تعرف ما يجب أن تُفكِّر فيه، ناهيك عما تشعر به. ما كان يجب أن تنفجر هكذا في كيلسير، لكن ما حدث... من القتال، وخيانة إليند... جعلها تشعر بالإحباط. كانت بحاجة إلى أن تصُبَّ جام غضبها على شخصٍ ما.

همس رين: «يجب أن تصُبِّي جام غضبك على نفسك، فأنت مَنْ سمح لهم بالاقتراب. الآن سيترِكونكِ جميعًا».

لم تستطع إيقاف الألم. جلست ترتجف عندما انهمرت دموعها، متسائلةً كيف انهار كل شيءٍ بهذه السرعة.

فُتح الباب المسحور المؤدي إلى السقف بصريرٍ هادئٍ، وظهر رأس كيلسير.

حدَّثت نفسها: «أوه، يا إلهي! لا أريد مواجهته الآن». حاولت أن تمسح دموعها، لكنها تسبَّبت فقط في تفاقم ألم جرح خدها المخيط حديثًا.

أغلق كيلسير الباب المسحور خلفه، ثم وقف شامخًا وفخورًا جدًّا، وأخذ يُحدِّق إلى الضباب. «لم يكن يستحق ما قلته. لم يستحق أيًا من ذلك».

سأل كيلسير: «من المريح النظر إلى الضباب، أليس كذلك؟»

أومأت ڤين برأسها.

- «ماذا قلتُ لكِ من قبل؟ الضباب يحميكِ، يمنحكِ القوة.. يُخفيكِ...».

خفض بصره، ثم سار منحنيًا أمامها، ممسكًا بعباءة. وأردف قائلًا: «هناك بعض الأشياء التي لا يمكنكِ الاختباء منها يا ڤين. أعلم ذلك، لقد حاولت».

تسلَّمت منه العباءة، ثم لفَّتها حول كتفيها.

سألها: «ماذا حدث الليلة؟ ماذا حدثَ بالفعل؟»

- «أخبرني إليند أنه لا يريد أن أبقى معه بعد الآن».

قال كيلسير، وهو يتحرَّك للجلوس بجانبها: «آه، هل كان هذا قبل أم بعد قتل خطيبته السابقة؟»

أجابت ڤين: «قبل ذلك».

سألها: «وما زلتِ تحمينه؟»

أومأت ڤين برأسها، وهي تشهق بهدوء. «أعرف، أنا مغفلة».

قال كيلسير بحسرة: «لستِ أكثر من بقيتنا». رنا ببصره نحو الضباب، وأضاف: «لقد أحببت ماري أيضًا، حتى بعد أن خانتني، لا شيء يمكن أن يُغيِّر شعوري تجاهها».

قالت ڤين: « وهذا ما يجعل الأمر أكثر إيلامًا»، متذكِّرةً ما قاله لها كيلسير من قبل. أظن أنني فهمت أخيرًا.

قال: «لن تتوقَّفي عن حبِّ شخصٍ لمجرد أنه آذاكِ. بالطبع، ستكون الأمور أسهل إذا فعلتِ ذلك».

بدأت تشهق مرة أخرى، وقام كيلسير بوضع ذراعٍ أبوية حولها. اقتربت منه محاوِلةً استخدام دفئه لتجاهل الألم.

همست: «لقد أحببته يا كيلسير».

- «إليند، أنا أعرف».

قالت ڤين: «لا، ليس إليند، بل رين، لقد ضربني مرارًا وتكرارًا، صبَّ عليَّ اللعنات، وصرخ في وجهي، وقال لي إنه سيخونني. كنت أفكِّر كل يوم في مدى كراهيتي له. ومع ذلك، فقد أحببته. وما زلتُ أحبه. من المؤلم للغاية التفكير في أنه رحل، على الرغم من أنه لطالما أخبرني أنه سيغادر».

ردَّ كيلسير، وهو يشدُّها بالقرب منه: «أوه يا فتاة، أنا آسف».

همست: «الجميع يتركونني، بالكاد أستطيع أن أتذكَّر أمي. لقد حاولت قتلي، كما تعلم. سمعت أصواتًا في رأسها، وجعلتها تلك الأصوات تقتل أختي الرضيعة، ربما كانت ستقتلني بعد ذلك، لكن رين منعها.

تابعت: «على كلٍّ، لقد تركتني، ثم بعدها تشبَّثت بـ رين، لكنه تركني أيضًا. لقد أحببتُ إليند، لكنه لم يعد يريدني بعد الآن». رفعت بصرها نحو كيلسير، وسألته: «متى ستغادر؟ متى ستتركني؟»

بدا كيلسير حزينًا. «أنا... يا ڤين، لا أعرف. هذه العملية، الخطة...».

نظرت في عينيه تبحث عن الأسرار فيهما. حدَّثت نفسها: «ما الذي تخفيه عني يا كيلسير؟ ما مدى خطورة ذلك؟» مسحت عينيها مرة أخرى، وابتعدت عنه، وشعرت بالحماقة.

نظر إلى أسفل، وهزَّ رأسه قائلًا: «انظري، الآن لطَّخت دماؤك ملابس المخبرين القذرة التي أرتديها».

ابتسمت ڤين قائلةً: «على الأقل بعضها يشتمل على دمٍ نبيلٍ. يبدو أنني قتلتُ شان شر قتلة».

قهقه كيلسير. «من المحتمل أنكِ محقة بشأن ما قلتِه عني. إنني متعسفٌ للغاية مع النبلاء، أليس كذلك؟»

احمرَّ وجه ڤين خجلًا، وقالت: «كيلسير، ما كان ينبغي أن أقول هذه الأشياء. أنتم أناسٌ طيبون، وهذه خطتكم... حسنًا، أنا أدرك ما تحاول القيام به من أجل (السكا)».

ردَّ كيلسير وهو يهزُّ رأسه: «لا، يا ڤين، ما قلتِه كان صحيحًا. نحن لسنا من (السكا) حقًّا».

قالت ڤين: «لكن هذا جيد. لو أنك من (السكا) العاديين، فلن يكون لديكِ الخبرة أو الشجاعة للتخطيط لشيءٍ كهذا».

ردَّ كيلسير: «قد يفتقرون إلى الخبرة، لكن ليس إلى الشجاعة. صحيح أن جيشنا خسر، لكنهم كانوا على أهبة الاستعداد -بأقل قدرٍ

من التدريب- لمواجهة قوة متفوّقة عنهم بكثير. لا، (السكا) لا ينقصهم الشجاعة، ولكنهم بحاجة إلى الفرصة فقط».

قالت: «إذن، فإن وضعك كنصف (سكا)، ونصف نبيل هو الذي منحك الفرصة يا كيلسير. وقد اخترت استغلال هذه الفرصة لمساعدة نصفك الذي ينتمي إلى (السكا). وهذا يكفي لجعلك تستحق أن تكون من (السكا)».

ابتسم كيلسير. «أستحق أن أكون من (السكا). يعجبني سماع ذلك، ولكن بغض النظر عن هذا، فربما أحتاج إلى قضاء وقتٍ أقل في القلق بشأن النبلاء الذين يجب عليّ قتلهم، ومزيدٍ من الوقت في القلق بشأن الفلاحين الذي يجب أن عليّ مساعدتهم».

أومأت ڤين برأسها، وشدَّت العباءة بالقرب منها وهي تُحدِّق إلى الضباب. إنه يحمينا... يمنحنا القوة... يخفينا...

لم تشعر بالحاجة إلى الاختباء منذ وقتٍ طويلٍ، ولكن الآن، بعد الأشياء التي قالتها في الطابق الأسفل، تمنَّت تقريبًا لو أنها تستطيع أن تضمحل مثل خيطٍ من الضباب.

حدَّثت نفسها: «يجب عليّ أن أُخبره، قد يتوقَّف على ذلك نجاحها الخطة أو فشلها». أخذت نفسًا عميقًا، وقالت: «بيت ڤينتشر لديه نقطة ضعف يا كيلسير».

رفع رأسه. وتساءل: «حقًّا؟»

أومأت ڤين برأسها. «الأتيوم، إنهم يتأكَّدون من جمع المعدن وتسليمه، فهو مصدر قوتهم».

توقَّف كيلسير للحظة، وقال لها: «بالطبع! هذه هي الطريقة التي يمكنهم من خلالها دفع الضرائب، ولهذا السبب هم أقوياء للغاية... إن اللورد الحاكم يحتاج إلى شخصٍ لتولّي هذه الأمور نيابةً عنه...».

سألت ڤين: «كيلسير؟»

التفت للنظر إليها مرة أخرى.

قالت له: «لا... تفعل أيّ شيءٍ إلا إذا اضطررتِ لذلك، حسنًا؟»

عبس كيلسير قائلًا: «أنا... لا أعرف ما إذا كان بإمكاني أن أعدك بأيّ شيء أم لا يا ڤين. سأحاول التفكير في طريقة أخرى، ولكن بالنظر إلى ما تسير عليه الأمور الآن، فيجب أن يسقط بيت ڤينتشر».

- «أتفهَّم ذلك».

أوضح كيلسير: «لكنني سعيدٌ لأنكِ أخبرتِني رغم ذلك».

أومأت ڤين برأسها. وقالت لنفسها: «الآن، لقد خنتُه أيضًا». ومع ذلك، شعرت بالسلام ليقينها من أنها لم تفعل ذلك بدافع النكاية. كان كيلسير محقًّا؛ حيث يُعدُّ بيت ڤينتشر قوة يجب الإطاحة بها. العجيب أن ذكرها للبيت بدا مُزعجًا لكيلسير أكثر مما أزعجها هي شخصيًّا. جلس مُحدِّقًا إلى الضباب، مستسلمًا لحزنٍ غريبٍ. مدَّ يده إلى الأسفل، وخدش ذراعه بهدوء.

تفكَّرت ڤين: «الندوب، إنه لا يُفكِّر في بيت ڤينتشر، بل في المناجم وفيها».

قالت: «كيلسير؟»

أجاب: «نعم؟» وما تزال عيناه... شاردتين قليلًا وهو يشاهد الضباب.

- «لا أعتقد أن ماري قد خانتك».

ابتسم، وقال لها: «أنا سعيد لأنك فكَّرتِ في ذلك».

قالت ڤين: «لا، أنا أعني ذلك حقًّا، لقد كان المُحقِّقون في انتظاركما عند وصولكما إلى وسط القصر، أليس كذلك؟»

أومأ كيلسير برأسه.

تابعت ڤين: «لقد كانوا في انتظارنا أيضًا».

هزَّ كيلسير رأسه، وردَّ عليها: «لقد تقاتلنا، أنا وأنتِ، مع بعض الحراس، وأحدثنا بعض الجلبة. عندما دخلتُ أنا وماري، فعلنا ذلك في صمت. لقد خطَّطنا لكل شيء على مدار عام؛ كنا مُتخفِّيين، ومُتحفِّظين، وحذرين للغاية، لكنّ شخصًا ما نصب لنا فخًّا».

سألت ڤين: «كانت ماري ألومانسية، أليس كذلك؟ ربما شعروا بقدوكما».

هزَّ كيلسير رأسه. «لقد اصطحبنا معنا (مُدخِّنًا)، كان اسمه ريد. قام المُحقِّقون بقتله على الفور. لقد شكَّكت في أنه الخائن، لكن هذا ليس منطقيًّا، فلم يكن ريد حتى يعرف شيئًا -حينما ذهبنا وأخذناه معنا- عن تسلُّلنا إلى القصر في تلك الليلة، فقط ماري هي التي كانت تعرف ما يكفي -اليوم، والتوقيت، والهدف- لخيانتنا. وعلاوة على ذلك، هناك التعليق الذي أدلى بها اللورد الحاكم. إنكِ لم تريه يا ڤين، لم تريْ ابتسامته وهو يشكر ماري، كان هناك... صدقٌ في عينيه. إنهم يقولون إن اللورد الحاكم لا يكذب أبدًا. لماذا يحتاج إلى ذلك؟»

بقيت ڤين صامتةً للحظة، وهي تُفكِّر فيما قاله للتو، ثم قالت ببطء: «كيلسير. أعتقد أن المُحقِّقين يمكنهم الشعور باستخدامنا للألومانسي حتى عندما نحرق النحاس».

ردَّ كيلسير: «مستحيل».

قالت: «لقد فعلتُ ذلك الليلة. اخترقتُ سحابة شان النحاسية لتحديد مكانها هي والقتلة الآخرين. هذه هي الطريقة التي وصلتُ بها إلى إليند في الوقت المناسب».

عبس كيلسير وقال: «لا بُدَّ أنكِ مخطئة».

قالت ڤين: «لقد حدث ذلك من قبل أيضًا. أستطيع أن أشعر بلمسة اللورد الحاكم على مشاعري، حتى عندما أحرق النحاس. وأقسم لك أنه عندما كنتُ مختبئةً من ذلك المُحقِّق الذي طاردني، تمكَّن من العثور عليّ حتى عندما لم يكن من المفترض أن يتمكَّن من ذلك. ماذا لو كان ذلك ممكنًا، يا كيلسير؟ ماذا لو لم يكن إخفاء نفسك باستخدام (التدخين) مرتبطًا فقط بإحراقك للنحاس؟ ماذا لو كان الأمر يعتمد فقط على مدى قوتك؟»

صمت كيلسير متأمِّلًا، ثم ردَّ قائلًا: «أعتقد أنه قد يكون ذلك ممكنًا».

قالت ڤين بتلهُّف: «إذن فإن ماري لم تخنك! المُحقِّقون أقوياء للغاية. ربما شعر أولئك الذين كانوا في انتظارك بأنك تحرق المعادن! لقد عرفوا أن هناك شخصًا ألومانسيًّا يحاول التسلُّل إلى القصر. ثم شكرها اللورد الحاكم لأنها هي التي كشفتك! كانت هي الألومانسية التي قادتهم إليك بسبب إحراقها للقصدير».

ارتسم تعبيرٌ مضطرب على وجه كيلسير، واستدار ليجلس أمامها مباشرةً، وقال لها: «إذن، فلتفعلي ذلك الآن، أخبريني ما هو المعدن الذي أحرقه».

أغمضت ڤين عينيها، وأشعلت البرونز، واستمعت... وبدأت الاستشعار، كما علَّمها مارش. تذكَّرت تدريباتها الانفرادية، والوقت

الذي أمضته في التركيز على الموجات التي أطلقها لها بريز أو هام أو سبوك. حاولت أن تلتقط الإيقاع الألومانتيكي الغامض. حاولت أن...

للحظة، خُيِّل لها أنها شعرت بشيءٍ ما.. شيء غريب للغاية.. نبض بطيء مثل طبلة بعيدة، على عكس أيِّ إيقاعٍ ألومانتيكي شعرت به من قبل، لكنه ليس منبعثًا من كيلسير. كان بعيدًا... بعيدًا جدًّا. ركَّزت بجهدٍ أكبر في محاولة لتحديد الاتجاه الذي ينبعث منه هذا النبض.

لكن فجأة، وبينما كانت تُركِّز بشكلٍ أكبر، لفت انتباهها شيءٌ آخر.. إيقاعٌ مألوفٌ أكثر، قادمٌ من كيلسير، كان خافتًا، حتى بدا من الصعب عليها أن تشعر بنبضات قلبها، لقد كانت نبضة قوية وسريعة.

فتحت عينيها. وقالت له: «البيوتر! أنت تحرق البيوتر».

طرف كيلسير بعينه في دهشة. همس: «مستحيل، مرة أخرى».

أغمضت عينيها. ثم قالت: «القصدير»، وبعد لحظة قالت: «الآن الفولاذ، لقد غيَّرت المعدن الذي تحرقه بمجرد أن تحدّثتُ».

- «اللعنة!»

قالت ڤين بحماس: «إذن، فأنا محقة. يمكنك أن تشعر بالنبضات الألومانتيكية من خلال النحاس! إنها نبضات خافتة، ولكن أظن أنه عليكَ فقط التركيز بشدة بما يكفي لـ...».

قاطعها كيلسير: «ڤين، ألا تعتقدين أن الألومانسيين قد جرَّبوا هذا من قبل؟ ألا تعتقدين أنه على مدار ألف عام، لا بُدَّ أن شخصًا ما لاحظ أنه من الممكن اختراق سحابة نحاسية؟ لقد جرَّبتُ ذلك بالفعل. ركَّزت لساعاتٍ على سيدي، محاولًا الشعور بشيءٍ من خلال سحابته النحاسية».

قالت ڤين: «لكن... لكن لماذا...؟»

أوضح كيلسير: «لا بُدَّ أن الأمر يتعلَّق بالقوة كما قلتِ. يمكن للمُحقِّقين الدفع والسحب بقوة أكبر من أيٍّ من وليدي الضباب العاديين. ربما يكونون أقوياء لدرجة أنه بإمكانهم اجتياح على أيّ معدن آخر».

قالت ڤين: «لكنني لست مُحقِّقةً يا كيلسير».

ردَّ قائلًا: «لكنكِ قوية، أقوى من اللازم، لقد قتلتِ وليدة ضبابٍ مُدرَّبة الليلة».

قالت ڤين، ووجهها يحمرُّ خجلًا: «بالحظ، لقد خدعتها فقط».

ردَّ قائلًا: «الألومانسي ما هو إلا خدعة، يا ڤين، ولكن، كلا، إن لديك شيئًا ما فريدًا خاصًّا بكِ، لقد لاحظتُ ذلك منذ اليوم الأول، عندما قاومتِ محاولاتي لدفع مشاعرك وسحبها».

احمرَّ وجه ڤين أكثر، وقالت: «لا يمكن أن يكون الأمر كذلك يا كيلسير. ربما أكون قد تدرَّبتُ فقط على البرونز أكثر منك... لا أعرف، أنا فقط...».

قاطعها كيلسير: «ڤين، إنكِ ما تزالين تحطين من قدر نفسك، أنتِ بارعة في ذلك، هذا أمرٌ مؤكدٌ، لعل هذا هو السبب في أنكِ تستطيعين أن تري من خلال السحابات النحاسية... حسنًا، لا أعرف. لكن تعلَّمي أن تفتخري بنفسك يا فتاة! إذا كان هناك أيّ شيء يمكنني أن أُعلِّمكِ إياه، فهو أن تثقي في نفسك».

ابتسمت ڤين.

قال وهو يقف ويمدُّ يده لمساعدتها على النهوض. «هيا بنا، سيظلُّ سازد قلقًا طوال الليلة إذا لم تدعيه ينهي خياطة هذا الجرح الذي أصاب خدك، وسيموت هام شوقًا لسماعك تفاصيل معركتك. بالمناسبة، لقد

أحسنتِ صنعًا بترك جثة شان في قلعة ڤينتشر. عندما يعلم بيت إيلاريـيل أنه تم العثور عليها قتيلةً في بيت ڤينتشر...».

سمحت له ڤين بمساعدتها على النهوض، لكنها نظرت إلى الباب المسحور بقلق. «أنا لا أعرف ما إذا كنت أريد النزول بعد يا كيلسير، كيف يمكنني مواجهتهم؟»

ضحك كيلسير، وردَّ قائلًا: «أوه، لا تقلقي. إذا لم تقولي بعض الأشياء الغبية بين الفينة والأخرى، فمن المؤكَّد أنكِ لن تتأقلمي مع هذه العصابة أبدًا، هيا بنا».

تردَّدت ڤين، ثم تركته يقودها مرة أخرى إلى دفء المطبخ.

***

سأل جاستس: «إليند، كيف يمكنك القراءة في أوقاتٍ كهذه؟»

رفع إليند رأسه من كتابه وقال: «إنها تجعلني أسترخي».

رفع جاستس حاجبه. جلس الشاب ليكال بنفادِ صبرٍ في العربة، ينقر بأصابعه على مسند الذراع. تم سحب ستائر النافذة لسببين؛ أحدهما يتمثَّل في إخفاء ضوء الفانوس الذي يستخدمه إليند للقراءة، والسبب الآخر لتجنُّب الضباب. على الرغم من أن إليند لن يعترف بذلك أبدًا، فإن دوامات الضباب جعلته يشعر بالتوتُّر قليلًا. لم يكن من المفترض أن يخاف النبلاء من مثل هذه الأشياء، لكن هذا لم يُغيِّر من حقيقة أن الضباب العميق المظلم كان مخيفًا على نحوٍ جليٍّ.

علَّق جاستس وهو لا يزال ينقر على مسند الذراع: «سيكون والدك غاضبًا جدًّا عند عودتك».

هزَّ إليند كتفيه، على الرغم من أن هذا التعليق جعله متوتِّرًا بعض الشيء. ليس بسبب والده، ولكن بسبب ما حدث هذه الليلة. يبدو

أن بعض الألومانسيين قد تجسَّسوا على لقاء إليند مع أصدقائه. ما المعلومات التي جمعوها؟ هل عرفوا شيئًا عن الكتب التي يقرأها؟

لحسن الحظ، انزلق أحدهم وسقط من خلال كوة إليند. بعد ذلك، ساد الارتباك وعمَّت الفوضى؛ حيث ركض الجنود وروّاد الحفلة في شبه نوبة من الهلع. كان أول ما خطر ببال إليند هو الكتب، الكتب الخطيرة، تلك الكتب التي يمكن أن تُوقعه في مأزقٍ حقيقيٍّ إذا اكتشف المُلتزمون أنه يمتلكها.

لذلك، في وسط حالة الارتباك، ألقى بجميع هذه الكتب في حقيبة، ثم تبع جاستس إلى مخرج جانبي من القصر. ربما كان أخْذ إحدى العربات والتسلُّل من أراضي القصر خطوة متطرفة، لكنها بدت سهلة للغاية. فمع كل هذا العدد من العربات التي تفرُّ من قلعة ڤينتشر، لم يتوقَّف أيّ شخصٍ لملاحظة أن إليند نفسه كان يستقل إحدى العربات مع جاستس.

حدَّث إليند نفسه: «ربما انتهى كل شيء الآن، سيدرك الناس أن آل بيت ڤينتشر لم يحاولوا مهاجمتهم، وأنه لم يكن هناك أيّ خطر حقيقي، فقط بعض الجواسيس الذين تصرَّفوا بشكلٍ طائش».

كان عليه أن يعود الآن، ولكن غيابه المُسبَّب عن القصر منحه عذرًا مثاليًّا لتفقُّد مجموعة أخرى من الجواسيس، وهذه المرة كان إليند هو من أرسلهم بنفسه.

أذهلت طرقة مفاجئة على الباب جاستس، بينما أغلق إليند كتابه قبل أن يفتح باب العربة. صعد فيلت، أحد أبرز جواسيس بيت ڤينتشر، إلى العربة، وأومأ بوجهه ذي الشارب والأنف المعقوف إيماءة احترام إلى إليند ثم إلى جاستس.

سأل جاسبتس: «ماذا إذن؟»

جلس فيلت بخفة شديدة تناسب أهل مهنته، ثم أجاب: «المبنى ظاهريًّا هو ورشة نجارة يا سيدي. لقد سمع أحد رجالي عن هذا المكان، الذي يريده السيد كلادنت، وهو نجار من (السكا) يتمتَّع بمهاراتٍ عاليةٍ».

عبس إليند، وتساءل: «لماذا جاء مُرافِق ڤاليت إلى هنا؟»

أجاب فيلت: «نعتقد أن الورشة هي مجرد ستار يا سيدي. لقد قمنا بمراقبتها منذ أن قادنا المُرافِق إلى هنا، كما أمرتنا بذلك، ولكن كان علينا توخي الحذر الشديد، فهناك العديد من مراصد المراقبة المُخبَّأة على سطحها وطوابقها العلوية».

عبس إليند، وقال: «أظن أن هذا إجراء احترازي غريب بالنسبة إلى مجرد ورشة نجارة بسيطة».

أومأ فيلت برأسه. «هذا ليس كل شيء يا سيدي، تمكَّنا من تسهيل تسلُّل أحد خيرة رجالنا إلى المبنى نفسه -لا نعتقد أنه تم رصده- لكنه واجه صعوبة بالغة في سماع ما يجري في الداخل. النوافذ مُحكمة الغلق ومزوَّدة بعوازل صوتية».

تفكَّر إليند: «هذا أيضًا إجراء احترازي غريب». ثم سأل فيلت: «ما معنى هذا في رأيك؟»

أجاب فيلت: «لا بُدَّ أن هذا مخبأ من مخابئ عالم الإجرام يا سيدي، بل واحدٌ من أفضلها على الإطلاق. لو لم نكن نراقب بعناية، ونُوقِن تمامًا مما نبحث عنه، فلم نكن لنلاحظ قطٌّ هذه العلامات. أعتقد أن الرجال بالداخل -حتى الرجل التيريسي- هم أفراد في عصابة من لصوص (السكا)، عصابة ماهرة ومُموَّلة بشكلٍ جيدٍ».

سأل جاستس: «عصابة من لصوص (السكا)؟ والسيدة ڤاليت أيضًا؟»

قال فليت: «من المحتمل يا سيدي».

توقَّف إليند للحظات، ثم قال بذهول: «عصابة... من لصوص (السكا)...». وسأل نفسه: «لماذا يرسلون أحد أفرادهم إلى الحفلات؟ للقيام بعملية احتيالٍ من نوعٍ ما، أيعقل؟»

سأل فيلت: «سيدي؟ هلْ تريد منا اقتحام المخبأ؟ لديّ ما يكفي من الرجال للقبض على العصابة بأكملها».

قال إليند: «لا، استدعِ رجالك مرة أخرى، ولا تخبر أحدًا بما رأيته الليلة».

ردَّ فيلت وهو ينزل من العربة: «عُلِم، يا سيدي».

قال جاستس عند أُغلق باب العربة: «بحق اللورد الحاكم! لا عجب أنها لم تبدُ وكأنها امرأة نبيلة عادية. لم يكن ذلك بسبب نشأتها الريفية إذن، بل لأنها مجرد لصة!»

أومأ إليند برأسه، متأمِّلًا، وغير متأكِّد مما يجب التفكير فيه.

قال جاستس: «أنت مدينٌ لي باعتذار. لقد كنتُ محقًّا بشأن، أليس كذلك؟»

ردَّ إليند: «ربما، لكن... بطريقةٍ ما، كنتَ مخطئًا بشأنها أيضًا، فهي لم تكن تحاول التجسُّس عليّ، كانت فقط تحاول أن تسرقني».

- «وماذا إذن؟»

قال إليند: «أنا... أحتاج إلى التفكير في هذا الأمر»، ومدَّ يده ثم نقر للسائق لتبدأ العربة في التحرُّك. أسند ظهره إلى الوراء حينما بدأت العربة في التراجع نحو قلعة ڤينتشر.

لم تكن ڤاليت كما زعمت. ومع ذلك، فقد أعدَّ نفسه بالفعل لاستقبال هذه الأخبار؛ حيث لم تكن كلمات جاستس عنها هي التي أثارت شكوكه فحسب، بل لم تنكر ڤاليت نفسها اتهامات إليند في وقتٍ سابقٍ من هذه الليلة. كان الأمر واضحًا، إنها تكذب عليه، تلعب دورًا ما.

كان يُفترض به أن يكون غاضبًا. أدرك ذلك منطقيًّا، وذاق جزءٌ منه مرارة الخيانة، ولكن الغريب أن العاطفة الأساسية التي شعر بها... كانت نوعًا من الراحة.

سأل جاستس وهو يتفحَّص إليند بعبوس: «ماذا؟»

هزَّ إليند رأسه: «لقد جعلتني أشعر بالقلق بشأن هذا الأمر لأيامٍ يا جاستس. شعرتُ بالسقم الشديد لدرجة أنني لم أستطع فعل أيِّ شيءٍ تقريبًا... كل ذلك لأنني ظننت أن ڤاليت خائنة».

ردَّ جاستس: «لكنها كذلك يا إليند، ربما تحاول خداعك!»

قال إليند: «نعم، لكنها على الأقل ليست جاسوسة لبيتٍ آخر. في ظِلِّ كل المؤامرات والمناورات السياسية والطعنات التي حدثت مؤخرًا، فإن شيئًا بسيطًا كالسرقة يبدو منعشًا بعض الشيء».

- «لكن...».

قاطعه إليند: «إن الأمر يتعلَّق فقط بالمال يا جاستس».

- «المال مهم نوعًا ما لبعضنا يا إليند».

- «ولكن ليس مهمًّا مثل ڤاليت، تلك الفتاة المسكينة... لا بُدَّ أنها كانت قلقة، طوال الوقت، بشأن عملية الاحتيال التي كانت ستجذبني إليها!»

بقي جاستس صامتًا للحظة، ثم هزَّ رأسه في النهاية، وقال: «إليند، أنت وحدك الذي يمكن أن تشعر بالارتياح لاكتشافِ أن شخصًا ما كان

يحاول سرقتك. هل يجب أن أُذكِّرك أن تلك الفتاة كانت تكذب طوال الوقت؟ ربما تكون قد تعلَّقت بها، لكنني أشكُّ في صدق مشاعرها تجاهك».

اعترف إليند: «قد تكون محقًّا، لكن... لا أعرف يا جاستس، أشعر وكأنني أعرف تلك الفتاة. مشاعرها... تبدو حقيقية وصادقة للغاية، بحيث يصعب أن تكون زائفة».

قال جاستس: «ولكنها مشكوكٌ في أمرها».

هزَّ إليند رأسه. «ليس لدينا معلومات كافية للحكم عليها حتى الآن، يرى فيلت أنها لصة، ولكن يجب أن تكون هناك أسبابٌ أخرى لقيام عصابة كهذه بإرسال شخصٍ ما إلى الحفلات. ربما هي مجرد مخبرة. أو ربما تكون لصة، لكنها لم تكن تنوي سرقتي. لقد أمضت الكثير من الوقت في الاختلاط مع النبلاء الآخرين. لماذا فعلت ذلك إذا كنتُ أنا هدفها؟ في الواقع، لقد أمضت وقتًا قصيرًا نسبيًّا معي، ولم تلح عليّ للحصول على أيّ هدايا على الإطلاق».

توقَّف قليلًا وأخذ يُفكِّر في أن لقاءه بـ ڤاليت كان مصادفةً سعيدةً، حدثًا تسبَّب في تحوّلٍ رهيبٍ في حياتهما. ابتسم ثم هزَّ رأسه. «لا، يا جاستس. هناك أكثر مما نراه، لا يزال هناك شيءٌ ما حول هذه الفتاة ليس منطقيًّا».

قال جاستس عابسًا: «أفترض هذا يا إليند».

اعتدل إليند في جلسته، وخطرت بباله فكرة مفاجئة، وهي فكرة جعلت تكهُّناته حول دوافع ڤاليت تبدو أقل أهمية بكثير.

قال: «جاستس، إنها من (السكا)!»

- «ثم ماذا؟»

- «وقد خدعتني، خدعتنا جميعًا، لقد لعبت دور الأرستقراطية بشكلٍ مثاليٍّ تقريبًا».

ردَّ جاستس: «ربما الأرستقراطية عديمة الخبرة».

قال إليند: «لقد كان لديّ لصة حقيقية من (السكا) بجانبي! تخيَّل نوع الأسئلة التي يمكن أن أطرحها عليها».

- «أسئلة؟ أيّ نوعٍ من الأسئلة؟»

أجاب إليند: «أسئلة حول أن تكون من (السكا). هذا ليس المقصود يا جاستس. لقد خدعتنا. إذا لم نتمكَّن من التمييز بين واحدة من (السكا) والسيدة النبيلة، فهذا يعني أن (السكا) لا يمكن أن يكونوا مختلفين تمامًا عنا. وإذا لم يكونوا مختلفين عنا، فما هو الحق الذي يُخوِّلنا لنا أن نعاملهم بهذه الطريقة؟»

هزَّ جاستس كتفيه. «إليند، لا أظن أنك تضع هذا الأمر في نصابه الصحيح، نحن في وسط حرب بين البيوت».

أومأ إليند برأسه مُشتَّت الانتباه. وحدَّث نفسه: «لقد كنتُ قاسيًا عليها هذا المساء. قاسيًا جدًّا؟»

كان يريدها أن تُصدِّق، تمامًا وكليًّا، أنه لا يرغب في أيّ شيءٍ آخر يجمعه بها. بدا جزءٌ من ذلك حقيقيًّا؛ لأن مخاوفه أقنعته بأنه لا يمكن الوثوق بها. ولا يمكن أن يثق بها حقًّا، ليس في الوقت الحالي. في كلتا الحالتين، كان يُريدها أن تغادر العاصمة، فقد ظنَّ أن أفضل ما يجب فعله هو قطع علاقتهما حتى تنتهي حرب البيوت.

ولكن بافتراض أنها ليست امرأة نبيلة حقًّا، فليس لديها سببٌ للمغادرة.

سأل جاستس: «إليند؟ هل تسمعني حتى؟»

نظر إليه إليند قائلًا: «أعتقد أنني فعلت شيئًا خاطئًا الليلة. أردت إخراج ڤاليت من لوثاديل، لكنني الآن أظن أنني آذيتها بدون سبب».

قال جاستس: «اللعنة، يا إليند! لقد تنصَّت الألومانسيون على اجتماعنا هذه الليلة. هل تدرك ما يمكن أن يحدث؟ ماذا لو أنهم قرَّروا قتلنا، بدلًا من مجرد التجسُّس علينا؟»

قال إليند بإيماءة مُشتَّتة: «آه، نعم، أنت محقٌّ. من الأفضل أن تغادر ڤاليت على أيّ حال. أيّ شخصٍ قريبٍ مني سيكون في خطرٍ خلال الأيام القادمة».

توقَّف جاستس قليلًا، وتفاقم انزعاجه، ثم انفجر في الضحك أخيرًا. «لا أمل يُرتجى منك».

قال إليند: «إنني أبذل قصارى جهدي، ولكن —بجدية– لا داعي للقلق، لقد خاننا الجواسيس أنفسهم، ومن المحتمل أن تتم ملاحقتهم بل والقبض عليهم في حالة الفوضى. نحن نعرف الآن بعض الأسرار التي تخفيها ڤاليت؛ لذلك نحن مُتقدِّمون أيضًا. لقد كانت ليلة مثمرة للغاية!»

ردَّ جاستس: «أظن أن هذه طريقة متفائلة للنظر إلى الأمور».

كرَّر إليند: «أقول لك مُجدَّدًا، إنني أبذل قصارى جهدي». ومع ذلك، فإنه سيشعر براحة أكبر عند عودتهما إلى قلعة ڤينتشر. ربما كان من التهور التسلُّل بعيدًا عن القصر قبل سماع تفاصيل ما حدث، لكن إليند لم يكن يُفكِّر في الأمور مليًّا في ذلك الوقت. إلى جانب ذلك، كان عليه أن يحضر الاجتماع الذي تم ترتيبه مسبقًا مع فيلت، وقد أتاحت له الفوضى فرصة مثالية للهروب.

توقَّفت العربة ببطءٍ عند الوصول إلى بوابات ڤينتشر. قال إليند وهو ينزلق من باب العربة: «يجب أن تذهب. خذ الكتب».

أومأ جاستس برأسه، وأمسك بالحقيبة، ثم ودَّع إليند وهو يغلق باب العربة. انتظر إليند بينما كانت العربة تتدحرج بعيدًا عن البوابات، ثم استدار وسار بقية الطريق إلى القلعة، وسمح له حراس البوابة المتفاجئون بالمرور بسهولة.

كانت حديقة القصر ما تزال مُتوهِّجة بالأضواء. بينما وقف الحراس ينتظرونه بالفعل عند مدخل القلعة، واندفعت مجموعة منهم نحو الضباب لاستقباله والإحاطة به.

- «سيدي، والدك...

قاطعهم إليند وهو يتنهَّد: «نعم، أفترض أنه سيتم اصطحابي إليه على الفور؟»

- «نعم، يا سيدي».

- «إذن، سِر أمامي يا قائد الحرس».

دخلوا من المدخل الخاص باللورد على جانب المبنى. وقف اللورد ستراف ڤينتشر في مكتبه يتحدَّث مع مجموعة من ضباط الحراسة. استطاع إليند أن يفهم من وجوههم الشاحبة أنهم تلَّقوا توبيخًا شديدًا، وربما حتى تهديدًا بالجلد. كانوا من النبلاء؛ لذلك لم يتمكَّن ڤينتشر من إعدامهم، لكنه كان مولعًا جدًّا بأشكال التأديب الأكثر وحشية.

قام اللورد ڤينتشر بطرد الحراس بإيماءةٍ حادةٍ، ثم التفت إلى إليند بعينين عدائيتين. عبس إليند، وهو يشاهد الحراس يغادرون. بدا كل شيء... مُتوتِّرًا.

سأل اللورد ڤينتشر: «ماذا؟»

- «ماذا إذن؟»
- «أين كنت؟»

ردَّ إليند ببساطة: «أوه، لقد غادرت».

تنهَّد اللورد ڤينتشر قائلًا: «جيد، عرِّض نفسك للخطر كيفما شئت يا فتى. من المؤسف للغاية أن وليدة الضباب لم تُمسِك بك، كان بإمكانها أن تُوفِّر عليّ قدرًا كبيرًا من الإحباط».

سأل إليند، عابسًا: «وليدة الضباب؟ عن أيّ وليدة ضبابٍ تتحدَّث؟»

ردَّ اللورد ڤينتشر: «تلك التي كانت تُخطِّط لاغتيالك».

طرف إليند بعينيه مذهولًا. «إذن... لم يكن هذا مجرد فريق من الجواسيس؟»

قال ڤينتشر بابتسامةٍ شريرةٍ: «أوه، لا، بل فريق كامل من القتلة، أُرسِل إلى هنا لملاحقتك أنت وأصدقائك».

تفكَّر إليند، وقد أدرك كم كان من الحماقة أن يغادر بمفرده. «بحق اللورد الحاكم! لم أكن أتوقَّع أن تصبح حرب البيوت خطيرة بهذه السرعة! على الأقل ليس بالنسبة لي...».

سأل إليند، وهو يستعيد رباطة جأشه: «وكيف عرفت أن من بينهم وليدة ضباب؟»

قال ستراف: «تمكَّن حراسنا من قتلها، بينما كانت تفرُّ هاربة».

عبس إليند. «وليدة ضبابٍ كاملة؟ وهل قتلها جنودٌ عاديون؟»

أجاب اللورد ڤينتشر: «رماة السهام. يبدو أنهم أخذوها على حين غرة».

سأل إليند: «والرجل الذي سقط من كوة السقف؟»

أجاب اللورد ڤينتشر: «لقد مات، كُسِرت رقبته».

عبس إليند وحدَّث نفسه قائلًا: «كان ذلك الرجل لا يزال على قيد الحياة عندما هربنا. ما الذي تُخفيه يا أبي؟» ثم سأل: «هل وليدة الضباب هذه شخصٌ أعرفه؟»

قال اللورد ڤينتشر، وهو يستقر على كرسي مكتبه، دون أن يرفع بصره لأعلى: «أود أن أقول ذلك. كانت شان إيلاريِيل».

تجمَّد إليند في حالة صدمة. تفكَّر مذهولًا: «شان؟» لقد كانا مخطوبين، ولم تذكر قط أنها من الألومانسيين، ربما كان هذا يعني...

لقد كانت نبتة منذ البداية، ربما خطَّط بيت إيلاريِيل لقتل إليند بمجرد ولادة حفيد إيلاريِيل من أجل وراثة لقب البيت.

تفكَّر: «لقد كنتَ محقًّا يا جاستس، لا يمكنني تجنُّب المؤامرات السياسية بتجاهلها فقط. لقد كنتُ جزءًا من كل ذلك لفترة أطول بكثيرٍ مما كنت أفترض».

من الواضح أن والده كان مسرورًا بنفسه. مات عضو بارز من آل بيت إيلاريِيل في نطاق ڤينتشر بعد محاولة اغتيال إليند... بهذا الانتصار، سيبقى اللورد ڤينتشر لا يُطاق لأيام.

تنهَّد إليند وتساءل: «هل ألقينا القبض على أيٍّ من القتلة حيًّا إذن؟»

هزَّ ستراف رأسه. «سقط أحدهم في الفناء بينما كان يحاول الفرار. لقد أفلت من العقاب. ربما كان وليد ضبابٍ أيضًا. كما عثرنا على رجلٍ ميتٍ على السطح، لكننا لسنا متأكِّدين مما إذا كان هناك آخرون في هذا الفريق أم لا». توقَّف قليلًا.

سأل إليند وهو يقرأ الارتباك الطفيف في عيني والده: «ماذا؟»

قال ستراف وهو يُلوّح بيدٍ رافضةٍ: «لا شيء، يزعم بعض الحراس أنه كان هناك وليد ضبابٍ ثالث، يقاتل الاثنين الآخرين، لكنني أشك في صحة هذه الأنباء، لم يكن أيًّا منا».

توقَّف إليند. وليد ضبابٍ ثالث، يقاتل الاثنين الآخرين...

- «ربما علم شخصٌ ما بالاغتيال وحاول منعه».

نخر اللورد ڤينتشر، وتساءل مستنكرًا: «لماذا يحاول وليد ضبابٍ من بيتٍ آخر حمايتك؟»

أجاب إليند: «ربما أراد فقط منع قتل رجلٍ بريء».

هزَّ اللورد ڤينتشر رأسه ضاحكًا. «أنت أحمق يا فتى. هل تدرك ذلك حقًّا؟»

احمرَّ وجه إليند خجلًا، ثم استدار بعيدًا. لم يبدُ أن اللورد ڤينتشر يريد أيّ شيءٍ آخر؛ لذلك غادر إليند. لم يستطع العودة إلى غرفته، ليس مع النوافذ المكسورة والحراس؛ لذا توجَّه إلى غرفة الضيوف بعد أن استدعى مجموعة من مقاتلي الضباب للوقوف خارج بابه وشرفته للمراقبة، فقط من باب الاحتياط.

استعدَّ للنوم، وهو يُفكِّر في المحادثة، ربما كان والده محقًّا بشأن وليد الضباب الثالث، لم تكن هذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور.

ولكن... ربما هذه هي الطريقة التي ينبغي أن تسير بها الأمور، أو على الأقل الطريقة التي يمكن أن تسير بها الأمور.

كان هناك الكثير من الأشياء التي تمنَّى إليند أن يفعلها، لكن والده ما يزال بصحة جيدة، فضلًا عن أنه يُعتبر شابًّا مقارنةً بـ لورد يتمتَّع بقوته. سوف تمر عقود قبل أن يرث إليند لقب البيت، هذا على افتراض أنه سينجو حتى تلك الفترة الطويلة. تمنَّى أن يذهب إلى ڤاليت، ويتحدَّث

معها، ويشرح لها إحباطاته. كانت ستفهم ما يُفكِّر فيه. لسببٍ ما، بدت دائمًا وكأنها تفهم أكثر من الآخرين.

وهي واحدة من (السكا)! لم يستطع تجاوز هذا الخاطر. كان لديه الكثير من الأسئلة، والكثير من الأشياء التي أراد أن يعرفها منها.

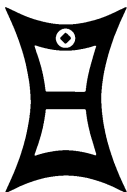
حدَّث نفسه هو يصعد إلى السرير: «هذا في وقتٍ لاحقٍ، ولكن في الوقت الحالي، يجب أن تُركز على الحفاظ على تماسُك بيتك». لم تكن الكلمات التي قالها لـ ڤاليت في هذا الصدد كاذبة، فقد كان بالفعل بحاجة إلى التأكُّد من نجاة عائلته من حرب البيوت.

بعد ذلك... حسنًا، ربما يمكنهم إيجاد طريقة لتجاوز الخداع والأكاذيب.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

جميع الحقوق محفوظة ©



مكتبة صـــاد الإلكترونية

t.me twinkling4



أمسح الكود وانضم لأسرة صاد

https://t.me/twinkling4

على الرغم من أن الكثير من التيريسيين يُعبِّرون عن سخطهم على (الخلينية)، فإنهم يحسدونها أيضًا. لقد سمعت العتَّالين يتحدَّثون في اندهاش عن كاتدرائيات (الخلينية)، بنوافذها الزجاجية الرائعة وقاعاتها الواسعة، كما يبدو أيضًا أنهم مُولعون جدًّا بأزيائنا. حينما كنا في المدن، رأيت أن الكثير من شباب تيريس يُبادلون فراءهم وجلودهم ببدلاتٍ رجالية مُصمَّمة جيدة.

الفصل الثاني والثلاثون



على بُعد شارعين من ورشة كلوبز، كان هناك مبنى بارتفاع غير عادي مقارنةً بما حوله من المباني. ظنَّت ڤين أنه نوعٌ من المساكن؛ مكان لتجمُّع عائلات (السكا)، رغم أنها لم تدخل مثل هذا المسكن من قبل.

ألقت عملة معدنية، ثم أطلقت نفسها بامتداد المبنى المُكوَّن من ستة طوابق. هبطت بخفة على السطح؛ مما تسبَّب في انتفاض شخصٍ ما يربض في الظلام متفاجئًا.

همست ڤين وهي يتسلَّل بهدوء عبر السطح المنحدر: «إنه أنا فحسب».

ابتسم لها سبوك في ظُلمة الليل، بصفته أفضل (عين قصديرية) في العصابة، كان عادةً ما يتولَّى أهم ساعات المراقبة. في الآونة الأخيرة،

تزامنت تلك الساعات مع أول الليل؛ حيث من المُرجَّح أن هذا هو الوقت الذي يتحوَّل فيه الصراع بين البيوت الكبرى إلى قتالٍ صريحٍ.

سألت ڤين بصوتٍ خفيضٍ، وهي تحرق قصديرها، وتمسح المدينة بعينيها: «هل ما زالوا يتقاتلون؟»، توهَّج سديمٌ ساطعٌ في الأفق؛ مما أعطى الضباب تألُّقًا غريبًا.

أومأ سبوك، مُشيرًا إلى الضوء: «قلعة هاستينج. إن جنود إيلاريِيل يهاجمونها الليلة».

أومأت ڤين. كان تدمير قلعة هاستينج أمرًا مُتوقَّعًا منذ فترة، فقد تعرَّضت لنصف دزينة من الغارات من بيوتٍ مختلفةٍ خلال الأسبوع الماضي. الآن بعد انسحاب الحلفاء، وانهيار الموارد المالية، أصبح سقوطها مسألة وقت فحسب.

من العجيب أنه لم يقم أيٌّ من البيوت بالهجوم نهارًا. فقدْ غُلِّفت هذه الحرب بجوٍ مزيفٍ من السرية، كما لو أن الطبقة الأرستقراطية اعترفت بسيادة اللورد الحاكم، وتجنَّبت استعداءه باللجوء إلى الحرب في وضح النهار، لذلك فقد تم التعامل مع كل شيءٍ في جُنح الليل تحت ستار الضباب.

قال سبوك بلهجته العامية الشرقية: «إنه يرغب في ذلك».

توقَّفت ڤين ثم قالت له: «آه، يا سبوك. هل يمكنك أن تحاول التحدُّث... بشكلٍ طبيعيّ؟»

أومأ سبوك إلى هيكلٍ مظلمٍ بعيدٍ في الأفق، وأوضح: «اللورد الحاكم، يبدو أنه يرغب في هذا القتال».

أومأت ڤين. كان كيلسير محقًّا. لم تُبدِ الوزارة ولا القصر أيّ استنكار حيال حرب البيوت، ولم تستعجل الحامية في العودة إلى لوثاديل. توقَّع

اللورد الحاكم حرب البيوت، وينوي أن يتركها تأخذ مجراها مثل النار في الهشيم، تُترك لتشتعل في الحقل حتى تُجدِّده مرة أخرى.

باستثناء هذه المرة، عندما يُخمد حريقٌ ما، سيُضرم آخر؛ هجوم كيلسير على العاصمة.

هذا بافتراض أنه بإمكان مارش اكتشاف كيفية إيقاف المُحقِّقين الفولاذيين. وبافتراض أنه بإمكاننا الاستيلاء على القصر. وبالطبع، بافتراض أنه بإمكان كيلسير إيجاد طريقة للتعامل مع اللورد الحاكم...

هزَّت ڤين رأسها. لم تكن تريد أن تُقلِّل من كيلسير، لكنها لم تستطع تخيُّل كيف سيحدث كل هذا. لم تعد الحامية بعد، لكن التقارير تُشير إلى أنها ستعود قريبًا، ربما بعد أسبوعٍ أو أسبوعين فقط. كانت بعض بيوت النبلاء تتداعى، لكن لا يبدو أن هناك جوًّا من الفوضى العارمة التي أراد كيلسير إحداثها. اضطربت الإمبراطورية النهائية، لكن ڤين شكَّكت في أنها ستتصدَّع.

ومع ذلك، ربما لم يكن هذا هو الهدف. قامت العصابة بعملٍ رائعٍ في إشعال فتيل حرب البيوت؛ حيث انهارت ثلاثة بيوت كبرى بالكامل، بينما ضعُفت البقية بشكلٍ خطيرٍ. سوف يستغرق الأمر عقودًا حتى تتعافى الطبقة الأرستقراطية من نزاعاتها.

قرَّرت ڤين: «لقد قمنا بعمل رائع، حتى لو لم نهاجمِ القصر، أو حتى إذا فشل ذلك الهجوم، فسنكون قد أنجزنا شيئًا مذهلًا».

مع استخبارات مارش حول الوزارة وترجمة سازد للكتاب، فسيتوافر لدى التمرد معلومات جديدة ومفيدة للمقاومة المستقبلية.

لم يكن هذا ما يأمله كيلسير، لم تكن هذه هي الإطاحة الكاملة بالإمبراطورية النهائية. ومع ذلك، فقد كان انتصارًا عظيمًا، يمكن أن يستمد (السكا) منه الشجاعة على مدى سنواتٍ قادمةٍ.

وبشهقةٍ من المفاجأة، أدركت ڤين أنها تشعر بالفخر لكونها جزءًا من ذلك. ربما، في المستقبل، يمكنها المساعدة في بدء تمردٍ حقيقي، تمردٍ في مكانٍ ما حيث لا يخضع فيه (السكا) تمامًا للقهر.

لو أن مثل هذا المكان موجودًا!... بدأت ڤين تدرك أنه لم تكن لوثاديل بمحطاتها (المُهدِّئة) فقط هي التي جعلت (السكا) خاضعين، بل إن كل شيء أسهم في ذلك؛ المُلتزمون، والعمل المستمر في الحقول والمصانع، والعقلية التي شجَّعها ألف عامٍ من القهر؛ ولهذا كانت تمردات (السكا) صغيرة جدًّا دائمًا. عرف الناس -أو ظنّوا أنهم يعرفون- أنه لا يمكن محاربة الإمبراطورية النهائية.

حتى ڤين التي اعتبرت نفسها لصة «مُتحرِّرة»، كانت تُصدِّق الشيء نفسه. تطلَّب الأمر أن تُوجد خطة كيلسير المجنونة والمستحيلة لإقناعها بخلاف ذلك، ربما كان هذا هو السبب في أنه وضع مثل هذه الأهداف السامية للعصابة، لقد كان يعلن أن شيئًا ما من هذا التحدي هو الذي سيجعلهم يدركون، بطريقةٍ غريبةٍ، أنهم يستطيعون المقاومة.

نظرت إلى سبوك. وما يزال وجودها يشعره بعدم الارتياح.

قالت ڤين: «سبوك، أنت تعلم أن إليند قطع علاقته بي».

أومأ سبوك برأسه، وانتبه قليلًا.

قالت ڤين بنبرة أسف: «ولكنني ما زلت أحبه، أنا آسفة يا سبوك، ولكن هذه هي الحقيقة».

أحنى رأسه مهزومًا.

استدركت ڤين: «الأمر لا يتعلَّق بك، حقًّا إنه ليس كذلك، هذا فقط... حسنًا، هذا يتعلَّق بأننا لا نختار من نُحب، صدِّقني هناك بعض الأشخاص الذين كنتُ أود ألا أُحبهم حقًّا؛ لأنهم لا يستحقون ذلك».

أومأ سبوك قائلًا: «أتفهَّم ذلك».

- «هل ما يزال بإمكاني الاحتفاظ بالمنديل؟»

هزَّ كتفيه.

قالت: «شكرًا لك، هذا يعني الكثير بالنسبة لي».

نظر إلى الأعلى، مُحدِّقًا إلى الضباب. «أنا لست أحمق، كنت... أعلم أنه لن يحدث. أرى الأشياء يا ڤين، أرى الكثير من الأشياء».

وضعت يدها على كتفه. أرى الأشياء... هذا بيانٌ مناسبٌ لـ (عين قصديرية) مثله.

سألته ڤين: «هل كنت ألومانسيًّا منذ فترة طويلة؟»

أومأ سبوك برأسه، وردَّ قائلًا: «لقد تفجَّرت قواي عندما كنت في الخامسة من عمري، بالكاد أتذكَّر ذلك».

- «وهل كنت تتدرَّب على القصدير منذ ذلك الحين؟»

أجاب: «تقريبًا، كان شيئًا جيدًا بالنسبة لي، أتاح لي أن أرى، وأن أسمع، وأن أشعر».

سألته ڤين بأمل: «وهل لديك أيّ نصائح يمكن تمريرها لي؟»

صمت مُتأمِّلًا للحظة، وهو يجلس على حافة السطح المنحدر، بينما تتدلَّى إحدى قدميه من الجانب. «إن حرق القصدير... لا يتعلَّق بالرؤية، بل يتعلَّق بعدم الرؤية».

عبست ڤين، وسألته: «ماذا تقصد؟»

قال: «عندما تحرقين، يأتي كل شيء، الكثير من كل شيء. المُشتِّتات هنا وهناك، إذا كنتِ تريدين القوة، تجاهلي كل ما يُشتت الانتباه».

تفكَّرت ڤين، وهي تحاول ترجمة ما قاله بأقصى ما تستطيع: «إذا كنتِ تريدين أن تُجيدي حرق القصدير، فعليكِ أن تتعلّمي كيفية التعامل مع المُشتِّتات. لا يتعلّق الأمر بما ترينه، بل بما يمكنكِ تجاهله».

قالت ڤين بتمعُّن: «هذا مثيرٌ للاهتمام».

أومأ سبوك. «عندما تنظرين، سترين الضباب والبيوت وتشعرين بالخشب وتسمعين الفئران أدناه. اختاري شيئًا واحدًا فقط، ولا تُشتِّتي انتباهك».

قالت ڤين: «هذه نصيحة جيدة».

أومأ سبوك بينما دوّى صوتٌ ما خلفهما. انتفض كلاهما وانبطحا أرضًا، بينما ضحك كيلسير وهو يسير عبر السطح. قال: «علينا حقًّا إيجاد طريقة أفضل لإنذار الناس أننا قادمون. في كل مرة أزور فيها عش تجسُّس، أخشى أن يُفزع أحدهم فينطرح من فوق السطح».

وقفت ڤين، وأخذت تنفُض الغبار عن ملابسها. كانت ترتدي عباءة ضبابية وقميصًا وسروالًا. لقد مرَّت أيام على آخر مرة ارتدت فيها فستانًا. لم ترتدِ الفساتين سوى في ظهورها الرمزي في قصر رينو. شعر كيلسير بالقلق الشديد من عمليات الاغتيال لدرجة أنه لم يسمح لها بالبقاء هناك لفترة طويلة.

تفكَّرت ڤين: «على الأقل اشترينا صمت كليس»، مع انزعاجها من التكلفة. سألته: «هل حان الوقت؟»

أومأ كيلسير. «تقريبًا، أريد أن أتوقَّف قليلًا في مكانٍ ما على الطريق».

أومأت ڤين. في اجتماعهم الثاني، اختار مارش موقعًا من المفترض أن يتفقَّده من أجل الوزارة. لقد كانت هذه فرصة مثالية للاجتماع؛ حيث سيمتلك مارش عذرًا للبقاء في المبنى طوال الليل، بحجة البحث عن أيّ نشاط ألومانتيكي قريب. على أن يرافقه أحد (المُهدِّئين) معظم الوقت، ولكن بحلول منتصف الليل، قدَّر مارش أنه قد تكون هناك فرصة لقضاء ساعة كاملة بمفرده. لم يكن ذلك وقتًا طويلًا للتسلُّل إلى الخارج والعودة مرة أخرى، ولكنه كافٍ لقيام اثنين من وليدي الضباب المُتخفِّين بزيارة سريعة له.

ودَّعا سبوك واندفعا بسرعة في ظُلمة الليل، ومع ذلك لم يتنقَّلا عبر أسطح البيوت لفترة طويلة قبل أن يقودهما كيلسير إلى الشارع؛ حيث هبطا وسارا على الأقدام حفاظًا على القوة والمعادن.

تفكَّرت ڤين وهي تتذكَّر أول ليلة لها في التدرُّب على الألومانسي مع كيلسير: «هذا غريبٌ نوعًا ما. لم أعد أفكر في الشوارع الفارغة باعتبارها مخيفة بعد الآن».

كان الرصيف زلقًا من الضباب الرطب، واختفى الشارع المهجور في النهاية وسط السديم البعيد. يبدو هذا مظلمًا وصامتًا وموحشًا. حتى الحرب لم تُغيِّره كثيرًا. عندما هاجمت مجموعات الجنود، تحرَّكوا في تكتُّلات، وضربوا بسرعة مُحاولين اجتياح دفاعات بيت العدو.

ولكن رغم الخواء الليلي للعاصمة، شعرت ڤين بالراحة؛ حيث كان الضباب معها.

قال كيلسير أثناء سيرهما: «ڤين، أريد أن أشكركِ».

التفتت إليه، لترى شخصًا طويلًا وفخورًا في عباءة ضبابية مهيبة. سألته: «تشكرني؟ على ماذا؟»

أجاب كيلسير: «على ما قلتِه عن ماري. كنتُ أفكِّر كثيرًا في ذلك اليوم... وفيها، لا أعرف ما إذا كانت قدرتك على الرؤية من خلال السحب النحاسية تُفسِّر كل شيء، ولكن... حسنًا، إذا أُتيح لي الاختيار، سأُفضِّل أن أُصدِّق أن ماري لم تخنِّي».

أومأت ڤين مبتسمةً.

هزَّ رأسه بأسى، وقال: «هذا يبدو سخيفًا، أليس كذلك؟ كما لو أنني... بعد كل هذه السنوات، كنتُ أنتظر سببًا للاستسلام لخداع الذات».

ردَّت ڤين: «لا أعرف. في وقتٍ سابق، ربما كنت أعتقد أنك أحمق، لكن... حسنًا، هذا نوعٌ من الثقة، أليس كذلك؟ خداع ذاتي مُتعمَّد؟ عليك أن تُسكِت هذا الصوت الذي يهمس في رأسك بشأن الخيانة، وآمل فقط ألا يؤذيكِ أصدقاؤك».

ضحك كيلسير، وقال: «لا أعتقد أنك تدعمين الحُجة يا ڤين».

هزَّت ڤين كتفيها. «هذا منطقي بالنسبة لي. عدم الثقة هو في الحقيقة الشيء نفسه، ولكنه فقط على الجانب الآخر. يمكنني أن أفهم كيف سيختار الشخص الثقة، عندما يُخيَّر بين فرضيتين».

سأل كيلسير: «ولكن ألستِ كذلك؟»

هزَّت ڤين كتفيها مرة أخرى: «لم أعد أعرف بعد».

تردَّد كيلسير: «هذا... الفتى إليند. هناك فرصة أنه كان يحاول فقط إخافتكِ لمغادرة العاصمة، أليس كذلك؟ ربما قال هذه الأشياء من أجل مصلحتك».

قالت ڤين: «ربما، ولكن كان هناك شيءٌ مختلف فيه... في الطريقة التي نظر بها إليَّ. كان يعلم أنني كنت أكذب عليه، لكن لا أظن أنه

أدرك أنني كنت من (السكا). ربما اعتقد أنني جاسوسة من أحد البيوت الأخرى. في كلتا الحالتين، بدا صادقًا في رغبته في التخلُّص مني».

- «ربما ظننتِ ذلك لأنكِ اقتنعتِ بالفعل بأنه سيتركك».

«أنا...» توقَّفت ڤين عن الكلام، وألقت نظرة على الشارع الرمادي الزلق أثناء سيرهما، ثم تابعت: «أنا لا أعرف، وهذا خطؤك كما تعلم. في السابق، كنت أفهم كل شيء، لكن الآن، كل شيء يبدو مُشوَّشًا».

قال كيلسير بابتسامة: «نعم، لقد أفسدنا رأسكِ تمامًا».

- «لا يبدو أنك منزعجٌ من هذه الحقيقة».

قال كيلسير:» كلا، على الإطلاق. آه، لقد وصلنا». توقَّف بجانب مبنى كبير وواسع، ربما مسكن آخر من مساكن (السكا). عمَّ الظلام بالداخل، فلم يكن بمقدور (السكا) تحمُّل تكلفة المصابيح الزيتية، ولا بُدَّ أنهم أطفأوا الموقد المركزي للمبنى بعد تحضير وجبة العشاء.

سألت ڤين بتشكُّك: «هذا؟»

أومأ كيلسير برأسه، وتقدَّم إلى الأمام لينقر برفقٍ على الباب. ولمفاجأة ڤين، انفتح الباب بتردُّد، وأطلَّ منه وجهٌ نحيلٌ لأحد (السكا) ناظرًا نحو الضباب.

قال الرجل بهدوء: «اللورد كيلسير!»

ردَّ كيلسير مبتسمًا: «أخبرتك أنني قادمٌ للزيارة، بدت هذه الليلة وقتًا مناسبًا».

قال كيلسير وهو يفتح الباب: «تفضَّل، تفضَّل». تراجع إلى الوراء، حريصًا على ألا يدع الضباب يلمسه عند دخول كلٍّ من كيلسير وڤين.

لقد دخلت ڤين مساكن (السكا) من قبل، لكنها لم تبدُ... كئيبة جدًّا هكذا. فاحت رائحة الدخان والأجساد غير النظيفة في الأرجاء

تقريبًا، وكان عليها أن تُطفئ قصديرها حتى لا تختنق. أظهر الضوء الخافت المنبعث من موقد الفحم الصغير حشدًا من الناس مُجتمعين معًا، وقد ناموا على الأرض. لقد أبقوا الغرفة نظيفةً من الرماد، ولكن لم يكن بوسعهم الكثير ليفعلوه: فلا تزال هناك بقع سوداء تغطي الملابس والجدران والوجوه، كما اشتمل المكان على بعض الأثاث، ناهيك عن عددٍ قليلٍ جدًّا من البطانيات التي التفوا بها.

حدَّثت ڤين نفسها برعب: «كنتُ أعيش هكذا أيضًا. كانت أوكار العصابات مكتظة بنفس القدر، وأحيانًا أكثر من ذلك. كانت... هذه حياتي».

استيقظ الناس عندما رأوا أن لديهم زائرًا. لاحظت ڤين أن كيلسير قد شمَّر عن ساعده، مُظهِرًا الندوب على ذراعيه حتى بوهج الجمر. برزت الندوب بشكلٍ صارخٍ، متقاطعين ومتداخلين بالطول، من الرسغين إلى ما فوق المِرفقين.

بدأت الهمسات على الفور.

- «الناجي...»

- «إنه هنا!»

- «كيلسير، سيد الضباب...»

تفكَّرت ڤين بحاجبٍ مرتفعٍ: «هذا جديد». بقيت في الخلف بينما ابتسم كيلسير، وتقدَّم للقاء (السكا). اجتمع الناس حوله بحماسٍ مكتومٍ، مدوا أيديهم للمس ذراعيه وعباءته.

وقف آخرون يُحدِّقون إليه ويراقبونه بوقار.

قال لهم كيلسير بهدوء: «لقد جئت لنشر الأمل.. سقط بيت هاستينج الليلة».

تردَّدت همهمات من المفاجأة والرهبة.

تابع كيلسير: «أعلم أن العديد منكم كانوا يعملون في ورشات الحدادة ومصانع الفولاذ التي يمتلكها آل هاستينج. وبصراحة، لا أستطيع أن أخبركم ما قد يعنيه هذا بالنسبة لكم. لكنه انتصارٌ لنا جميعًا. لن يموت رجالكم، لبعض الوقت على الأقل، في ورشات الحدادة أو تحت سياط رؤساء عمال هاستينج».

تعالت الهمهمات بين الحشد الصغير، وأخيرًا أعرب صوتٌ واحدٌ عن مخاوفهم بصوتٍ عالٍ بما يكفي لسماع ڤين: «هل هلك آل بيت هاستينج؟ من سيطعمنا إذن؟»

تفكرَّت ڤين: «خائفون جدًّا... لم أكن كذلك قط... حقًّا؟»

وعدهم كيلسير: «سأرسل لكم شحنة أخرى من الطعام، يمكن أن تكفيكم لفترة من الوقت على الأقل».

قال رجلٌ آخر: «لقد فعلت الكثير من أجلنا».

ردَّ كيلسير: «هذا محض هراء، إذا كنتم ترغبون حقًّا في أن تردوا لي الجميل، فقِفوا بشكلٍ أكثر استقامة قليلًا، كونوا أقل خوفًا قليلًا. من الممكن هزيمتهم».

همست امرأة: «من قِبل رجالٍ مثلك يا لورد كيلسير، ولكن ليس من قِبل أمثالنا».

قال كيلسير: «سوف تُفاجئون» بينما بدأ الحشد في إفساح المجال للآباء الذين يُقدِّمون أطفالهم إلى الأمام. يبدو أن كل شخصٍ في الغرفة أراد أن يلتقي أبناؤه بـ كيلسير شخصيًّا. راقبت ڤين ذلك بمشاعر مختلطة. كان أفراد العصابة لا يزال لديهم تحفُّظات بشأن الصيت الذائع

لـ كيلسير بين (السكا)، على الرغم من أنهم أوفوا بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم والتزموا الصمت.

تفكَّرت ڤين: «يبدو أنه يهتم بهم حقًّا»، بينما ترى كيلسير وهو يحمل طفلًا صغيرًا. «لا أعتقد أن هذا مجرد استعراض. هكذا هو؛ يحب الناس، يحب (السكا)، لكنه... أشبه بحب الأب لابنه أكثر من حب الرجل لأنداده».

هل كان ذلك خطأ؟ لقد كان، رغم كل شيء، مثل الأب لـ (السكا). إنه اللورد النبيل الذي كان يجب أن يحظوا به دائمًا. ومع ذلك، لم تستطع ڤين إلا أن تشعر بعدم الارتياح وهي تشاهد الوجوه القذرة المُضاءة بشكلٍ خافتٍ لعائلات (السكا)، وأعينهم تفيض بالتقديس والتوقير.

في النهاية، قام كيلسير بتوديع المجموعة، وأخبرهم أن لديه موعدًا. غادر هو وڤين الغرفة الضيقة المزدحمة، وخرجا إلى الهواء النقي المُنعش. ظلَّ كيلسير هادئًا أثناء تحرُّكهما نحو محطة تهدئة مارش الجديدة، على الرغم من وجود المزيد من النشاط في خطوته.

كان على ڤين أن تقول شيئًا أخيرًا، فسألته: «هل تزورهم كثيرًا؟»

أومأ كيلسير برأسه، وأجاب: «على الأقل منزلين كل ليلة. إنها بمثابة استراحة لكسر رتابة أعمالي الأخرى».

تفكَّرت ڤين: «قتل النبلاء ونشر الشائعات الكاذبة. نعم، من شأن زيارة (السكا) أن تكون استراحةً لطيفةً».

كان مكان الاجتماع على بُعد بضعة شوارع فقط. توقَّف كيلسير عند المدخل عندما اقتربا، وأخذ يُحدِّق إلى الليل المظلم. أخيرًا، أشار إلى نافذةٍ مضاءةٍ بشكلٍ خافتٍ.

قال: «أخبرني مارش أنه سيترك ضوءًا مشتعلًا عندما يغادر المُلتزمون الآخرون».

سألت ڤين: «ضوء النافذة أم الدرج؟»

أجاب: «الدرج.. يجب أن يُفتح الباب، هذا المبنى بأكمله ملكٌ للوزارة. سيكون فارغًا».

كان كيلسير محقًّا في كلا الأمرين، لم يبدُ المبنى مُتعفِّنًا بما يكفي لهجرانه، ولكن من الواضح أن الطوابق القليلة السفلية كانت غير مستخدمة. سارعت ڤين وكيلسير بصعود الدرج.

قال كيلسير عندما وصلا إلى الطابق العلوي: «يجب أن يخبرنا مارش برد فعل الوزارة على حرب البيوت». أومض ضوء فانوس عبر الباب العلوي، الذي فتحه، وهو ما يزال يتحدَّث: «آمل ألا تعود الحامية في وقتٍ قريبٍ جدًّا. لقد حلَّ الدمار تقريبًا، ولكنني أرغب في استمرار الحرب...

تجمَّد عند الباب، وحجب الرؤية عن ڤين.

أشعلت البيوتر والقصدير على الفور، وانحنت؛ لتحاول الاستماع إلى أيّ مهاجمين. لم يكن هناك شيء، لا شيء سوى الصمت.

همس كيلسير: «لا...».

ثم رأت ڤين قطراتٍ من السائل الأحمر الداكن يتسرَّب من جانب قدم كيلسير. لقد تجمَّعت بركة من الدماء، ثم بدأت تقطر على الدرجة الأولى.

أوه، بحق اللورد الحاكم...

ترنَّح كيلسير في الغرفة، وتبعته ڤين، لكنها عرفت ما ستراه. أُلقيت الجثة بالقرب من وسط الغرفة، مسلوخة ومُمزَّقة إلى أشلاء، ورأسها

مطحون بالكامل، لدرجة أنه يصعب التعرُّف عليه كإنسان. تلطَّخت الجدران باللون الأحمر.

هل يمكن لجسمٍ واحدٍ أن ينتج هذا القدر من الدماء حقًّا؟ كان الأمر أشبه بما كان عليه من قبل في قبو وكر كامون، ولكن مع ضحية واحدة فقط.

همست ڤين: «المُحقِّق».

جثا كيلسير -متغافلًا الدماء- على ركبتيه بجانب جثة مارش، ورفع يده حتى كاد يلامس الجسد منزوع الجلد، لكنه ظلَّ مُتجمِّدًا هناك مذهولًا.

قالت ڤين بسرعة: «كيلسير، يبدو هذا حديثًا جدًّا، لا يزال من الممكن أن يكون المُحقِّق في الجوار».

لم يتحرَّك.

صاحت ڤين: «كيلسير!»

اهتزَّ كيلسير، نظر حوله، التقت عيناه بعينيها، واستعاد وعيه. تعثَّر على قدميه.

قالت وهي تندفع عبر الغرفة: «النافذة»، لكنها توقَّفت قليلًا عندما رأت شيئًا موضوعًا على مكتبٍ صغيرٍ بجانب الحائط. ساق طاولة خشبية مطوي تحتها ورقة بيضاء شبه مخفية. انتزعتها ڤين عندما وصل كيلسير إلى النافذة.

استدار كيلسير ونظر إلى الغرفة للمرة الأخيرة، ثم قفز في ظُلمة الليل.

قالت ڤين بأسف: «وداعًا يا مارش»، ثم تبعته.

***

قرأ دوكسون: «أعتقد أن المُحقِّقين يشتبهون بي».

كانت الورقة -الورقة الواحدة التي تم استعادتها من داخل ساق الطاولة- نظيفة وبيضاء وخالية من الدم الذي لطَّخ ركبتَيْ كيلسير وأسفل عباءة فين.

واصل دوكسون القراءة وهو يجلس على طاولة مطبخ كلوبز: «لقد كنتُ أطرح الكثير من الأسئلة، وأعلم أنهم أرسلوا رسالة واحدة على الأقل إلى المُلتزم المُرتشي الذي من المفترض أنه درَّبني كمُساعد. حاولت اكتشاف الأسرار التي لطالما كان التمرد بحاجة إلى معرفتها. كيف تُجنِّد الوزارة وليدي الضباب ليكونوا مُحقِّقين؟ لماذا المُحقِّقون أقوى من الألومانسيين العاديين؟ وما هي نقاط ضعفهم إن وجدت؟

لسوء الحظ، لم أتعلَّم شيئًا عن المُحقِّقين، على الرغم من أن ألاعيب السياسة داخل الرتب العادية في الوزارة ما تزال تبهرني. يبدو الأمر كما لو أن المُلتزمين العاديين لا يهتمون حتى بالعالم الخارجي، باستثناء المكانة التي يكتسبونها من خلال كونهم الأكثر ذكاءً أو نجاحًا في تطبيق إملاءات اللورد الحاكم.

ولكنّ المُحقِّقين مختلفين عن ذلك، إنهم أكثر ولاءً للورد الحاكم من المُلتزمين العاديين، وربما يكون هذا جزءًا من الخلاف بين الفريقين.

بغض النظر عن ذلك، يبدو لي أنني قريب. لديهم سرٌّ ما يا كيلسير، نقطة ضعف، أنا على يقين من ذلك. ويتهامس به المُلتزمون الآخرون، وإن لم يعلمه أحد.

أخشى من أن أكون قد ألححت كثيرًا في السؤال. المُحقِّقون يتعقَّبونني، يراقبونني، ويسألون عني؛ ولذلك أكتب هذه الرسالة. ربما يكون تحذيري غير ضروري.

وربما لا».

رفع دوكسون بصره، وقال: «هذا... كل ما جاء في الرسالة».

وقف كيلسير عند الجانب الآخر من المطبخ، متكئًا بظهره على الخزانة، في وضعه المعتاد، لكن... لم يكن هناك خفة في وقفته هذه المرة، فقد وقف عاقدًا ذراعيه حانيًا رأسه قليلًا. بدا أن حزنه غير المُصدِّق قد تلاشى، واستُبدل بشعورٍ آخر، رأته ڤين أحيانًا يشتعل بالسواد من خلف عينيه عادةً عندما يتحدَّث عن النبلاء.

ارتجفت على الرغم من نفسها. وبينما كان يقف، انتبهت فجأة إلى ملابسه؛ عباءة رمادية داكنة، وقميص أسود بأكمامٍ طويلة، وبنطال بلون الفحم. في ظُلمة الليل، كانت الملابس مُموَّهة فقط، ولكن في الغرفة المضاءة، جعلته الألوان السوداء يبدو مُتوعِّدًا.

وقف منتصبًا، بينما ازداد توتُّر كل من الغرفة.

قال كيلسير بهدوء، وبدا صوته كالحديد: «أخبِر رينو بالمغادرة. يمكنه استخدام قصة الخروج المُخطَّط لها، قصة «انسحابه» إلى أراضي عائلته مرة أخرى بسبب حرب البيوت، لكنني أريده أن يختفي بحلول الغد. أرسِل (سفَّاحًا)، و(عينًا قصديرية) معه لحمايته، لكن أخبِره أن يترك قواربه يومًا واحدًا خارج المدينة، ثم يعود إلينا».

توقَّف دوكسون قليلًا، ثم نظر إلى ڤين والآخرين، وقال: «حسنًا».

قال كيلسير: «لقد عرف مارش كل شيء يا دوكس. لقد حطَّموه قبل أن يقتلوه، هكذا يعمل المُحقِّقون».

ترك الكلمات مُعلَّقة في الهواء. شعرت ڤين بقشعريرة. أصبح وكرهم مُعرَّضًا للخطر.

سأل دوكسون: «نتوجَّه إلى المخبأ الاحتياطي إذن؟ أنا وأنت فقط مَنْ نعرف موقعه».

أومأ كيلسير بحزم. «أريد أن يغادر الجميع هذه الورشة، بمن في ذلك المُتدرِّبون، في غضون خمس عشرة دقيقة فقط. سألتقي بكم في المخبأ الاحتياطي خلال يومين».

نظر دوكسون إلى كيلسير عابسًا، وتساءل: «خلال يومين؟ كيل، إلامَ تُخطِّط؟»

خطا كيلسير نحو الباب. فتحه، وترك الضباب يتدَّفق إلى الداخل، ثم نظر مرة أخرى إلى العصابة بأعينٍ قويةٍ مثل أعين المُحقِّقين ذات المسامير الفولاذية.

ردَّ كيلسير: «لقد ضربوني حيث لم يكن ممكنًا أن يكون الألم أشد نكالًا، سأفعل بهم الشيء نفسه».

***

دفع والين نفسه في الظلام، وتلمَّس طريقه عبر الكهوف الضيقة، مُجبِرًا جسده على العبور من خلال صدوعٍ صغيرةٍ للغاية. واصل النزول، باحثًا بأطراف أصابعه، ومتجاهلًا الخدوش والجروح العديدة.

يجب أن أستمر، يجب أن أستمر... أخبره ما تبقَّى من عقله أن هذا هو يومه الأخير. لقد مرَّت ستة أيام على نجاحه الأخير. إذا فشل للمرة السابعة، سيموت.

يجب أن أستمر.

لم يستطع الرؤية. لقد كان بعيدًا جدًّا تحت السطح بحيث لا يمكنه حتى أن يلمح بريقًا منعكسًا من شعاع الشمس، لكن حتى مع غياب الضوء، يمكنه أن يجد طريقه. كان هناك اتجاهان فقط؛ صعودًا أو هبوطًا. كانت الحركات الجانبية غير مهمة، ويمكنه تجاهلها بسهولة. لا يمكن أن يتوه طالما استمر في النزول.

طوال الوقت، كان يتلمَّس بأطراف ِأصابعه، باحثًا عن الخشونة الواضحة للبلورات الناتئة، لا يمكنه العودة هذه المرة، ليس حتى ينجح، ليس حتى...

يجب أن أستمر.

تحسَّست يداه شيئًا ناعمًا وباردًا وهو يتحرَّك. جثة مُتعفِّنة عالقة بين صخرتين. واصل والين. لم تكن الجثث غير مألوفة في الكهوف الضيقة، كان بعضها طازجًا، ولكن معظمها مجرد عظام. كثيرًا ما تساءل والين عما إذا كان الموتى ليسوا هم المحظوظين حقًّا.

يجب أن أستمر.

في الحقيقة لم يكن هناك «وقت» في الكهوف. عادةً ما يعود إلى الأعلى للنوم، على الرغم من أن السطح كان يشتمل على رؤساء العمال ذوي السياط، ولكن لديهم الطعام أيضًا. كان شحيحًا جدًّا، بالكاد يكفي لإبقائه على قيد الحياة، لكنه أفضل من الجوع الذي قد يهاجمه إذا بقي في الأسفل لفترة طويلة.

يجب أن...

تجمَّد. علق صدره في صدعٍ ضيقٍ في الصخر، حاول التملُّص والمضي في طريقه، ولكن أصابعه -التي تتحسَّس دائمًا حتى عندما كان بالكاد واعيًا- تلمَّست الجدران، وقد وجدت شيئًا.

ارتجفت يداه بترقُّب عندما تلمَّس البراعم البلورية. نعم، نعم، إنها هي. لقد نمت في شكلٍ دائريٍّ عريض على الجدار، كانت صغيرة عند الحواف، لكنها تكبر تدريجيًّا بالقرب من الوسط. في منتصف النمط الدائري مباشرةً، انحنت البلورات إلى الداخل، متبوعة بفجوة تشبه

الجيب في الجدار. هنا، امتدت البلورات طويلة، كل واحدة لها حافة حادة خشنة، مثل الأسنان المحيطة بفَكَّيْ وحش حجري.

أخذ والين نفسًا عميقًا، وصلَّى للورد الحاكم، ثم أولج يده في الفتحة الدائرية بحجم قبضة اليد. شجَّت البلورات ذراعه؛ مما تسبَّب في إصابته بجروح سطحيةٍ طويلةٍ في جلده. تجاهل الألم، ودفع ذراعه إلى الداخل، حتى كوعه، باحثًا بأصابعه عن...

هناك! عثرت أصابعه على صخرة صغيرة في وسط الفجوة. صخرة تكوَّنت بفعل قطراتٍ بلوريةٍ غامضةٍ، إنها جيود هاتسين.

أمسكها بلهفة، وسحبها للخارج، وشُجَّ ذراعه مرة أخرى وهو يسحبها من الحفرة المُبطَّنة بالبلور. احتضن الكرة الصخرية الصغيرة، وهو يلهث بشدة من فرط الفرح.

سبعة أيام أخرى، سيعيش سبعة أيام أخرى. وقبل أن يُضعفه الجوع والإرهاق أكثر، بدأ والين في الصعود الشاق مرة أخرى. انزلق بين الصدوع، وتسلَّق حواف الجدران. كان يضطر أحيانًا إلى التحرُّك يمينًا أو يسارًا حتى ينفتح السطح، لكن ذلك ما كان يحدث دائمًا. كان هناك اتجاهان فقط: الصعود أو الهبوط.

أبقى أذنًا مُتيِّقظةً على الآخرين. لقد سبق له أن رأى مُتسلِّقين يُقتلون على يد رجالٍ أصغر سنًّا وأشدّ قوة يأملون في سرقة الجيود. لحسن الحظ، لم يلتقِ بأحد. بدا ذلك جيدًا. لقد كان مسنًّا.. مسنًّا بما يكفي ليعرف أنه ما كان ينبغي عليه أن يحاول قطُّ سرقة الطعام من سيد مزرعته.

ربما كان قد نال جزاءه، ربما كان يستحق أن يموت في مناجم هاتسين.

قال لنفسه، وهو يشمُّ أخيرًا رائحة الهواء النقي المُنعش: «لكنني لن أموت اليوم». كان الليل في الأعلى، لكنه لم يعبأ بذلك. لم يعد يزعجه الضباب، حتى الضرب لم يعد يزعجه كثيرًا، لقد كان متعبًا جدًّا بحيث إنه لم يعبأ بأيّ شيء.

بدأ والين في الخروج من الصدع؛ واحد من عشرات الصدوع في الوادي الصغير المُسطَّح المعروف باسم مناجم هاتسين، ثم تجمَّد.

وقف رجلٌ فوقه في جُنح الليل. كان يرتدي عباءة كبيرة يبدو أنها تمزَّقت إلى أشرطة. نظر الرجل إلى والين، وقد بدا هادئًا وقويًّا في ثيابه السوداء، ثم مدَّ يده لأسفل.

جفل والين، ولكن الرجل أمسك بيد والين وأخرجه من الصدع.

قال الرجل بهدوء في الضباب: «اذهب! لقد مات معظم الحراس. اجمع أكبر من عددٍ ممكن من السجناء، واهرب من هذا المكان. هل لديك جيود؟»

جفل والين مرة أخرى، وسحب يده نحو صدره. قال الرجل الغريب: «جيد، كسِّرها، ستجد كتلة معدنية بالداخل، إنها قيمة للغاية. قم ببيعها إلى عصابات عالم الإجرام في أيّ مدينة تجد نفسك فيها في نهاية المطاف. يجب أن تكسب ما يكفي من القوت لتعيش عليه لسنوات. هيا اذهب بسرعة! لا أعرف كم من الوقت لديك حتى يدقوا ناقوس الخطر».

ترنَّح والين للوراء مرتبكًا، وسأل: «من... من أنت؟»

أجاب الغريب، متقدمًا نحو الصدع: «أنا من ستُصبح عليه قريبًا». طفت أشرطة عباءته السوداء حوله، واختلطت مع الضباب وهو يستدير نحو والين، ويقول: «أنا أحد الناجين».

***

نظر كيلسير إلى أسفل، وتفحَّص الندبة السوداء في الصخر منصتًا، بينما كان السجين يندفع بعيدًا في الأفق.

همس كيلسير: «هأنذا قد عُدت». اشتعلت ندوبه، واجتاحت الذكريات عقله، ذكريات الأشهر التي قضاها وهو يُعتصَر بين الصدوع؛ حيث تنخدش ذراعيه بالخناجر البلورية، بينما يواصل هو السعي يوميًّا للعثور على الجيود... واحد منها فقط كافيًا حتى يتمكَّن من العيش.

هل يمكنه حقًّا العودة إلى تلك الأعماق الضيقة الساكنة؟ هل يمكنه أن يقتحم الظلام مرة أخرى؟ رفع كيلسير ذراعيه، ناظرًا إلى الندوب، التي كانت لا تزال بيضاء وواضحة على جلده.

نعم، من أجل أحلامها، يمكنه أن يفعل ذلك.

تقدَّم نحو الصدع، وأجبر نفسه على الانزلاق بداخله، ثم أحرق القصدير. على الفور، سمع صوت تشقُّقٍ في الأسفل.

أضاء القصدير الصدع تحته. وعلى الرغم من اتساع الصدع، فإنه تشعَّب أيضًا، وامتدت منه شقوقٌ ملتويةٌ في جميع الاتجاهات. كهف جزئي، صدع جزئي، نفق جزئي. تمكَّن بالفعل من رؤية أولى تجاويف الأتيوم البلورية، أو ما تبقَّى منها. كانت البلورات الفضية مُتشقِّقة ومُتحطِّمة.

تسبَّب استخدام الألومانسي بالقرب من بلورات الأتيوم في تحطُّمها. هذا هو السبب الذي دفع اللورد الحاكم إلى استخدام الخدم دون الألومانسيين؛ ليجمعوا له الأتيوم.

تفكَّر كيلسير، وهو ينزلق أكثر في الصدع: «الآن، حان موعد الاختبار الحقيقي». أحرق الحديد، وعلى الفور رأى عدة خطوطٍ زرقاء تشير إلى الأسفل باتجاه تجاويف الأتيوم، وعلى الرغم من أن التجاويف نفسها

ربما لم تشتمل على جيود الأتيوم، فإنه انبعثت من البلورات خطوطًا زرقاء باهتة، كانت تحتوي على كمياتٍ مُتبقِّيةٍ من الأتيوم.

ركَّز كيلسير على أحد الخطوط الزرقاء وسحبه بخفة. سمعت أذناه المُعزَّزتين بالقصدير شيئًا يتحطَّم في الصدع أدناه.

ابتسم كيلسير.

قبل ما يقرب من ثلاث سنوات، عندما وقف فوق الجثث الدامية لرؤساء العمال الذين ضربوا ماري حتى الموت، لاحظ لأول مرة أنه يستطيع استخدام الحديد لاستشعار مكان التجاويف البلورية. بالكاد كان يفهم قواه الألومانتيكية في ذلك الوقت، ولكن منذ تلك اللحظة، بدأت خطة تتشكَّل في ذهنه.. خطة للانتقام.

لقد تطورَّت تلك الخطة، وتعاظمت لتشمل أكثر بكثير من مقاصده الأصلية. ومع ذلك، فقد بقي أحد عناصرها الرئيسية محبوسًا في ركنٍ من عقله؛ أن بإمكانه العثور على التجاويف البلورية، ومن ثم تحطيمها باستخدام الألومانسي.

وقد كانت تلك التجاويف هي الوسيلة الوحيدة لإنتاج الأتيوم في الإمبراطورية النهائية بأكملها.

حدَّث كيلسير نفسه، وهو ينزلق أكثر في الصدع: «لقد حاولتِ تدميري يا مناجم هاتسين، وها قد حان الوقت لرد الجميل».

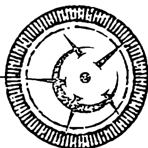
نحن قريبون الآن. يبدو من العجيب، في هذه الجبال العالية، أننا قد تحرَّرنا أخيرًا من التأثير القهري للأعماق، لقد مرَّ وقتٌ طويلٌ منذ أن عرفت كيف كان ذلك.

تقع البحيرة التي اكتشفها فيديك أسفل منا الآن، يمكنني رؤيتها من الحافة. تبدو أكثر غرابة من الأعلى هنا، بلمعانها الزجاجي، شبه المعدني. تمنَّيتُ لو أنني سمحت له بأخذ عينة من مياهها.

ربما كان اهتمامه هو ما أغضب المخلوق الضبابي الذي يتبعنا، ربما... لهذا السبب قرَّر المخلوق مهاجمته وطعنه بخنجره غير المرئي.

الغريب أن هذا الهجوم جعلني أشعر بالارتياح؛ حيث علمت، على الأقل، أن شخصًا آخر قد رآه. هذا يعني أنني لست مجنونًا.

الفصل الثالث والثلاثون



سألت ڤين: «إذن... هل انتهى الأمر؟ أعني بالنسبة للخطة».

هزَّ هام كتفيه، وقال: «إذا كان المُحقِّقون قد قاموا بتحطيم مارش، فهذا يعني أنهم يعرفون كل شيء. أو على الأقل يعرفون ما فيه الكفاية. سيعرفون أننا نُخطِّط لمهاجمة القصر، وأننا نستخدم حرب البيوت كغطاء. الآن، لن يمكننا إخراج اللورد الحاكم من العاصمة، وبالتأكيد

لن يمكننا أن نجعله يُرسل حرس القصر إلى العاصمة. لا تبدو الأمور على ما يُرام يا ڤين».

بقيت ڤين صامتةً تستوعب المعلومات، بينما جلس هام القرفصاء على الأرضية المتسخة، متكئًا على أحجار الجدار الخلفي. كان المخبأ الاحتياطي قبوًا رطبًا به ثلاث غرف فقط، وتفوح في الهواء رائحة الأوساخ والرماد. احتل مُتدرّبو كلوبز غرفة واحدة بمفردهم، على الرغم من أن دوكسون صرف جميع الخدم الآخرين قبل العودة إلى الوكر السري.

وقف بريز بجانب الجدار الخلفي. كان أحيانًا يُصوِّب نظرات عدم الارتياح على الأرض المتسخة والمقاعد المُغبرة، لكنه قرَّر البقاء واقفًا. لم تعرف ڤين سبب انزعاجه؛ فقد كان من المستحيل الحفاظ على ملابسه نظيفة أثناء العيش في مكانٍ هو في الأصل حفرة في باطن الأرض.

لم يكن بريز هو الوحيد الذي عبَّر عن امتعاضه من حبسهم الاختياري، فقد سمعت ڤين العديد من المُتدرِّبين يزمجرون بأنهم كانوا يُفضِّلون تقريبًا القبض عليهم من قِبل الوزارة بدلًا من هذا المصير. ومع ذلك، فخلال اليومين اللذين قضوهما في القبو، لم يبرح أحدٌ الوكر السري إلا للضرورة القصوى. لقد أدركوا الخطر؛ فقد كان من الممكن أن يعطي مارش للمُحقِّقين أوصافًا وأسماءً مستعارة لكل فردٍ من أفراد العصابة.

هزَّ بريز رأسه، وقال: «ربما قد حان الوقت -أيها السادة- لإغلاق صفحة هذه العملية، لقد حاولنا جاهدين، وبالنظر إلى حقيقة أن خطتنا الأصلية -لحشد الجيش- قد انتهت بشكلٍ مُروِّع، فإني أود أن أقول إننا قمنا بعملٍ مذهلٍ للغاية».

تنهَّد دوكسون. «حسنًا، لا يمكننا بالتأكيد أن نعيش على الأموال التي تم توفيرها لفترة طويلة جدًّا، خاصةً إذا استمر كيل في التبرُّع بأموالنا

لـ (السكا)». ثم جلس بجانب الطاولة التي كانت قطعة الأثاث الوحيدة الموجودة في الغرفة، بينما نُظِّمت أهم دفاتره، وأوراقه، وعقوده في أكوامٍ مُنسَّقة أمامه. لقد جمع ببراعة ملحوظة كل قصاصة من الورق ربما يمكن أن تدين العصابة أو تكشف مزيدًا من المعلومات حول خطتهم.

أومأ بريز، وقال: «أنا شخص أتطلَّع للتغيير، لقد كان كل هذا ممتعًا ومبهجًا وكل تلك المشاعر السعيدة الأخرى، لكن العمل مع كيلسير يمكن أن يكون مرهقًا بعض الشيء».

سألت ڤين: «ألن تبقى ضمن عصابته؟»

أجاب بريز: «هذا يتوقَّف على عمليته التالية، لسنا مثل العصابات الأخرى التي تعرفينها، فنحن نعمل كما يحلو لنا، ليس لأننا مُكلفون بذلك. من المهم بالنسبة لنا أن نكون انتقائيين جدًّا في العمليات التي نتولَّاها. المكافآت عظيمة، لكن المخاطر كذلك».

ابتسم هام، مستريحًا برأسه على ذراعيه، متجاهلًا تمامًا الأوساخ، ثم قال: «هذا يجعلني أتساءل كيف انتهى بنا المطاف في هذه العملية بالذات، هاه؟ مخاطر جسيمة، ومكافآت قليلة جدًّا».

عقَّب بريز: «لا شيء في الواقع، لن نحصل على هذا الأتيوم أبدًا الآن. كانت كلمات كيلسير حول الإيثار والعمل على مساعدة (السكا) كلها جيدة وسليمة للغاية، لكنني كنت آمل دائمًا لو أنه ما يزال بإمكاننا الاستيلاء على تلك الخزانة».

قال دوكسون وهو يرفع بصره عن أوراقه: «صحيح، ولكن هل كان الأمر يستحق ذلك على أيِّ حال؟ العمل الذي قمنا به، والأشياء التي أنجزناها».

توقَّف بريز وهام، ثم أومأ كلاهما برأسيهما.

تابع دوكسون: «ولهذا بقينا، لقد قالها كيل نفسه؛ إنه اختارنا لأنه يعلم أننا سنحاول فعل شيءٍ مختلفٍ قليلًا لتحقيق هدفٍ يستحق العناء. أنتم رجالٌ طيبون، حتى أنت يا بريز. كُفّ عن العبوس في وجهي».

ابتسمت ڤين على المزاح المألوف. كان هناك شعورٌ بالحزن على مارش، لكن هؤلاء كانوا رجالًا يعرفون كيف يمكنهم التجاوز على الرغم من خسائرهم. بهذه الطريقة، كانوا حقًّا مثل (السكا)، رغم كل شيء.

قال هام وهو يبتسم لنفسه: «حرب البيوت. كم من النبلاء قد ماتوا في ظنكم؟»

ردَّ دوكسون دون أن يرفع بصره: «المئات على الأقل، جميعهم قد قُتلوا بأيديهم النبيلة الجشعة».

قال بريز: «سأعترف بأن لديّ شكوكًا حول هذا الفشل الذريع برمته، ولكن تعطيل التجارة سيؤذي هذا، ناهيك عن الاضطراب في الحكومة... حسنًا، أنت محقٌّ يا دوكسون. فقد كان الأمر يستحق ذلك».

أضاف هام، وهو يُقلِّد صوت بريز المتحشرج: «بالفعل!»

تفكَّرت ڤين بأسف: «سوف أفتقدهم، ربما سيصطحبني كيلسير معه في عمليته التالية».

اهتزَّ الدرج، وعادت ڤين بشكلٍ غريزيٍّ للاختباء في الظل. انفتح الباب المُتصدِّع، واقتحم المخبأ جسمٌ مألوفٌ يرتدي الملابس السوداء. حمل عباءته الضبابية على ذراعه، وبدا وجهه مرهقًا بشكلٍ لا يُصدَّق.

قالت ڤين وهي تخطو للأمام: «كيلسير!»

قال بصوتٍ منهكٍ: «مرحبًا بكم جميعًا».

تفكَّرت ڤين: «أعرف ذلك التعب. إنه من جرَّاء سحب البيوتر. تُرى أين كان؟»

قال دوكسون، ولم يرفع بصره بعد عن دفاتره: «لقد تأخَّرت يا كيل».

ردَّ كيلسير وهو يرمي عباءته الضبابية على الأرض، ويتمدَّد: «إنني لا أسعى لشيءٍ إلا للاتساق مع ذاتي»، ثم جلس وتساءل: «أين كلوبز وسبوك؟»

قال دوكسون: «كلوبز نائم في الغرفة الخلفية. أما سبوك فقد ذهب مع رينو. لقد اعتقدنا أنك تريد أن يرافقه أفضل (عين قصديرية) لدينا لحراسته».

علَّق كيلسير: «فكرة جيدة»، وتنهَّد بعمقٍ وأغمض عينيه وهو يتكئ على الجدار.

قال بريز: «تبدو في حالةٍ مزريةٍ يا عزيزي».

ردَّ كيلسير: «الوضع ليس مزريًا كما يبدو. لقد استرحت أثناء العودة، حتى إنني توقَّفت للنوم لبضع ساعاتٍ في الطريق».

سأل هام بحدة: «نعم، ولكن أين كنت؟ لقد كنا قلقين بشدة من أن تفعل شيئًا... غبيًّا».

عقَّب بريز: «في الواقع لقد سلَّمنا بأنك كنت تفعل شيئًا غبيًّا، ولكننا كنا فقط نتساءل عن مدى غباء هذا الحدث بالذات؛ لذا أخبرنا ما هو؟ هل قمت باغتيال كبير الكهنة (البريلان)؟ أم قمت بذبح العشرات من النبلاء؟ أم سرقت عباءة اللورد الحاكم نفسه من على ظهره؟»

أجاب كيلسير بهدوء: «لقد دمَّرت مناجم هاتسين».

أطبق على الغرفة صمتٌ مذهلٌ.

قال بريز: «كما تعلمون، يمكننا الآن أن نتعلَّم ألا نستهين به أبدًا».

سأل هام: «دمَّرتها؟ كيف دمَّرت مناجم هاتسين؟ إنها مجرد مجموعة من الصدوع في الأرض!»

أوضح كيلسير: «حسنًا، لم أقم بتدمير المناجم نفسها، ولكن دمَّرت فقط البلورات التي تنتج جيود الأتيوم».

سأل دوكسون مذهولًا: «كلها؟»

أجاب كيلسير: «كل ما أمكنني العثور عليه. وهو ما يعادل مئات التجاويف. في الواقع، كان من السهل جدًّا الوصول إلى هنا الآن بعدما أصبح لدى الألومانسي».

سألت ڤين، مرتبكةً: «بلورات؟»

ردَّ دوكسون: «بلورات الأتيوم يا ڤين. إنها تنتج الجيود -لا أعتقد أن أيّ شخصٍ يعرف ذلك حقًّا- التي تحتوي على خرزات الأتيوم في قلبها».

أومأ كيلسير برأسه، وأوضح: «البلورات هي السبب الوحيد في أن اللورد الحاكم لا يرسل الألومانسيين لسحب جيود الأتيوم؛ لأن استخدام الألومانسي بالقرب من البلورات يجعلها تتحطَّم، وقد تستغرق قرونًا حتى تنمو مرة أخرى».

- «قرونًا لن يُنتج خلالها الأتيوم».

أومأ دوكسون برأسه.

«وبهذا قمت...». توقَّفت ڤين عن الكلام.

قال كيلسير: «وبهذا قضيت إلى حدٍّ كبيرٍ على إنتاج الأتيوم في الإمبراطورية النهائية لمدة ثلاثمائة عام أو نحو ذلك».

تفكَّرت ڤين: «إليند. آل بيت ڤينتشر. إنهم المسؤولون عن المناجم. كيف سيكون رد فعل اللورد الحاكم عندما يكتشف ذلك؟»

قال بريز بهدوءٍ، وعيناه مفتوحتان على مصراعيها: «أيها المجنون! إن الأتيوم هو أساس الاقتصاد الإمبراطوري، والسيطرة عليه هي إحدى

الطرق الرئيسية التي يحافظ بها اللورد الحاكم على فرض قبضته على طبقة النبلاء. قد لا نحصل على مخزونه من الأتيوم، لكن ما فعلته سيكون له التأثير نفسه في النهاية. طُوبى لك أيها المجنون! طُوبى لك أيها العبقري!»

ابتسم كيلسير بتكلُّف، وقال: «إنني أُقدِّر كل هذه الإطراءات. هل تحرَّك المُحقِّقون نحو ورشة كلوبز حتى الآن؟»

ردَّ دوكسون: «لم يرَ مُراقبونا شيئًا بعد».

قال كيلسير: «جيد، ربما لم ينجحوا في إجبار مارش على الاعتراف، ربما لا يدركون أن محطات التهدئة الخاصة بهم قد انكشف أمرها. الآن، إذا كنتم لا تمانعون، فسوف أخلد إلى النوم، لدينا الكثير من الخطط التي علينا القيام بها غدًا».

صمتت المجموعة قليلًا.

سأل دوكسون أخيرًا: «خطط؟ كيل... كنا نُفكِّر نوعًا ما في أنه يجب علينا الانسحاب عند هذا الحد. لقد أشعلنا حربًا بين البيوت، وها أنت قد دمَّرت للتو الاقتصاد الإمبراطوري. الآن بعد أن انكشف غطاؤنا وخطتنا أيضًا... حسنًا، هل يمكنك حقًّا أن تتوقَّع منا أن نفعل أي شيء آخر؟»

ابتسم كيلسير، وهو يترنَّح على قدميه وينتقل إلى الغرفة الخلفية، ثم قال: «سنتحدَّث غدًا».

***

«إلامَ يُخطِّط في ظنك يا سازد؟» سألت ڤين وهي تجلس على كرسي بجانب موقد القبو، بينما كان الرجل التيريسي يُعدُّ وجبة المساء. نام كيلسير طوال الليل، ولم يستيقظ بعد ظهر هذا اليوم.

أجاب سازد، وهو يرتشف الحساء: «ليس لديّ فكرة يا سيدتي، على الرغم من أن هذه اللحظة –مع العاصمة المضطربة– تبدو فرصةً مثالية للتحرُّك ضد الإمبراطورية النهائية».

جلست ڤين مُتأمِّلة، ثم قالت: «أفترض أنه لا يزال بإمكاننا الاستيلاء على القصر، وهذا ما أراد كيلسير أن يفعله دائمًا، ولكن إذا تلقَّى اللورد الحاكم تحذيرًا، فإن الآخرين لا يرون أن ذلك سيحدث مطلقًا. بالإضافة إلى ذلك، لا يبدو أن لدينا ما يكفي من الجنود للقيام بالكثير في العاصمة. لم ينتهِ هام وبريز من تجنيدهما قط».

هزَّ سازد كتفيه.

تأمَّلت ڤين: «ربما يُخطِّط كيلسير أن يفعل شيئًا مع اللورد الحاكم».

– «ربما».

قالت ڤين ببطء: «سازد؟ أنت تجمع الأساطير، أليس كذلك؟»

ردَّ سازد: «باعتباري أحد الحفظة، فإنني أجمع أشياء كثيرة. القصص والأساطير والأديان. عندما كنتُ صغيرًا، قرأ عليَّ حافظ آخر كل ما لديه من معارف حتى أتمكَّن من تخزينها، ثم أضفتُ إليها».

– «هل سمعت من قبل عن أسطورة «المعدن الحادي عشر» التي يتحدَّث عنها كيلسير؟»

توقَّف سازد، ثم أجاب: «لا، يا سيدتي، كانت تلك الأسطورة جديدة بالنسبة لي عندما سمعت عنها من السيد كيلسير».

قالت ڤين: «ولكنه أقسم إنها صحيحة، وأنا... أُصدِّقه لسببٍ ما».

ردَّ سازد: «من المحتمل جدًّا أن تكون هناك أساطير لم أسمع بها من قبل. لو كان الحفظة يعرفون كل شيء، فلماذا نحتاج إلى مواصلة البحث؟»

أومأت ڤين برأسها، وما تزال مُذبذبة بعض الشيء.

استمر سازد في تقليب الحساء. لقد بدا وقورًا للغاية حتى أثناء قيامه بمثل هذه المهمة الوضيعة، وقف مرتديًا زي المُرافِقين، غير عابئ بمدى بساطة الخدمة التي يضطلع بها؛ ليحل محل الخدم الذين استغنت عنهم العصابة.

تردَّد وَقْع خطى سريعة على الدرج. رفعت ڤين رأسها، وانزلقت من على كرسيها.

سأل سازد: «سيدتي؟»

قالت ڤين وهي تتحرَّك نحو الباب: «هناك شخصٌ ما يصعد الدرج».

اقتحم أحد المُتدرِّبين -تذكَّرت ڤين أن اسمه تاسي- الغرفة الرئيسية. الآن بعد رحيل ليستيبورنز، أصبح تاسي هو المراقب الرئيسي للعصابة.

قال تاسي، مُشيرًا إلى الدرج: «الناس يتجمَّعون في الميدان».

سأل دوكسون، قادمًا من الغرفة الأخرى: «ماذا هنالك؟»

ردَّ الفتى: «الناس هناك في ميدان النافورة يا سيد دوكسون، الأخبار المتداولة بين الناس أن المُلتزمين يُخطِّطون لتنفيذ مزيدٍ من عمليات الإعدام».

تفكَّرت ڤين: «هذا هو جزاء ما حدث في المناجم. لم يُضيِّعوا وقتًا طويلًا».

شحب وجه دوكسون، ثم هتف: «أيقظوا كيلسير!»

***

قال كيلسير وهو يسير في الغرفة مرتديًا عباءة وملابس (السكا) البسيطة: «إنني أنوي مشاهدتهم».

التوت معدة ڤين، وتساءلت في نفسها: «مرة أخرى؟»

تابع: «يمكنكم جميعًا أن تفعلوا ما يحلو لكم». لقد بدا أفضل بكثير بعد راحته الطويلة، فقد تلاشى الإرهاق، وحلَّ محله القوة المُميّزة التي عاهدته عليها ڤين.

أردف كيلسير: «ربما تكون عمليات الإعدام رد فعل على ما فعلتُه في المناجم. سأشاهد مراسم إعدام هؤلاء الناس؛ لأنني تسبَّبتُ في قتلهم بشكلٍ غير مباشر».

قال دوكسون: «إنه ليس ذنبك يا كيل».

ردَّ كيلسير بصراحة: «إنه ذنبنا جميعًا، هذا لا يعني أن ما نفعله خطأ، ولكن لو نفعل ذلك، لما اضطر هؤلاء الأشخاص للموت. أنا شخصيًّا أعتقد أن أقل ما يمكننا فعله لهؤلاء الأشخاص هو أن نشهد وفاتهم.

فتح الباب، وصعد الدرج. ببطءٍ، تبعه عددٌ من أفراد العصابة، على الرغم من بقاء كلوبز، وسازد، والمُتدرّبين في الوكر السري.

صعدت ڤين الدرج المُتعفِّن، وانضمت في النهاية إلى الآخرين في شارعٍ متسخٍ في وسط حي من أحياء (السكا) الفقيرة. تساقط الرماد من المساء، وأخذ يطفو في فتاتٍ مُتكاسِلٍ. سار كيلسير في الشارع بالفعل، وسرعان ما لحق به البقية؛ بريز، وهام، ودوكسون، وڤين.

لم يكن الوكر السري بعيدًا عن ميدان النافورة. ولكن كيلسير توقَّف على بعد بضعة شوارع من وجهتهم. واصلت جموع (السكا) بعيونهم الغائمة السير من حولهم، حتى زاحمت العصابة. دقَّت الأجراس من بعيد.

نادى دوكسون: «كيل؟»

أمال كيلسير رأسه، وقال: «ڤين، هل تسمعين ذلك؟»

أغمضت عينيها، ثم أشعلت القصدير. حدَّثت نفسها: «ركِّزي! كما نصحكِ سبوك؛ تجاهلي وَقْع الخطى المُتداخِلة والأصوات المُتهامِسة، ناهيك عن إغلاق الأبواب وأنفاس الناس، ثم استمعي...».

قالت وهي تُخمد قصديرها وتفتح عينيها: «خيول، وعربات».

قال كيلسير وهو يستدير نحو جانب الطريق: «عربات.. عربات السجناء، إنها تأتي من هذا الطريق».

رفع بصره إلى المباني المحيطة به، ثم أمسك بمزراب تصريف وبدأ في تسلُّق الجدر. أدار بريز عينيه، ودفع دوكسون ثم أومأ برأسه نحو واجهة المبنى، بينما تبع كلٌّ من ڤين وهام -باستخدام البيوتر- كيلسير بسهولة إلى السطح.

قال كيل مشيرًا إلى شارع يبعد مسافة قصيرة: «هناك!» تمكَّنت ڤين أن تلْمَح بصعوبة شديدة صفًّا من عربات السجناء ذات القضبان تتدحرج نحو الميدان.

شقَّ دوكسون وبريز طريقهما إلى السطح المنحدر من خلال النافذة. بقي كيلسير في مكانه، واقفًا بجانب حافة السطح، يُحدِّق إلى عربات السجناء.

تساءل هام بقلق: «كيل، فيمَ تفكِّر؟»

قال ببطء: «ما زلنا على مسافة قصيرة من الميدان. والمُحقِّقون لا يركبون العربات مع السجناء، بل سيأتون من القصر مثل المرة السابقة. لا يوجد أكثر من مائة جندي يحرسون هؤلاء الناس».

علَّق هام: «مائة رجل عددٌ كبيرٌ يا كيل».

يبدو أن كيلسير لم يسمع هذه الكلمات. أخذ خطوة أخرى للأمام على حافة السطح، وقال: «يمكنني منع هذا... يمكنني إنقاذهم».

تقدَّمت ڤين بجانبه، وقالت له: «كيل، قد لا يكون هناك الكثير من الحراس مع السجناء، لكن ميدان النافورة على بُعد عدة بنايات فقط. إنه ممتلئ بالجنود، ناهيك عن المُحقِّقين!»

بشكلٍ غير مُتوقَّع، لم يدعمها هام. استدار ونظر إلى دوكسون وبريز. توقَّف بريز، ثم هزَّ كتفيه.

سألت ڤين: «هل أنتم جميعًا مجانين؟»

قال بريز وهو يُحدِّق بعينيه: «انتظروا للحظة! أنا لست (عينًا قصديرية)، ولكن ألا يبدو أن بعض هؤلاء السجناء يرتدون ملابس أنيقة بعض الشيء؟»

تجمَّد كيلسير، ثم لعن. وبدون سابق إنذار، قفز من على السطح، هبوطًا إلى الشارع أدناه.

قالت ڤين: «كيل! ماذا...»، ثم توقَّف؛ لترنو ببصرها إلى ضوء الشمس الأحمر، ثم تراقب موكب العربات الذي يقترب ببطء. باستخدام عينيها المُعزَّزتين بالقصدير، خُيِّل لها أنها تعرَّفت على شخصٍ يجلس بالقرب من مقدمة إحدى العربات.

سبوك.

***

سألت ڤين: «كيلسير، ماذا يحدث؟» وهي تركض في الشارع خلفه.

تباطأ قليلًا فقط، وأجاب: «لقد رأيت رينو وسبوك في تلك العربة الأولى. لا بُدَّ أن الوزارة قد هاجمت قافلة رينو؛ الناس في تلك الأقفاص هم الخدم والمُوظَّفون والحراس الذين استأجرناهم للعمل في القصر».

تفكَّرت ڤين: «القافلة... لا بُدَّ أن الوزارة قد علمت بأن رينو محتال. لقد اعترف مارش في نهاية المطاف».

غادر هام المبنى من خلفهما ونزل إلى الشارع، بينما احتاج بريز ودوكسون وقتًا أطول للوصول إليهم.

قال كيلسير، وهو يستعيد وتيرته السريعة مرة أخرى: «علينا العمل بسرعة!»

قالت ڤين، وهي تمسك بذراعه: «كيل! لا يمكنك إنقاذهم يا كيلسير. إنهم يخضعون لحراسةٍ مُشدَّدةٍ، ونحن في وضح النهار وفي قلب العاصمة. ستقتل نفسك!»

تردَّد كيلسير، وتوقَّف في الشارع، ثم استدار إلى ڤين التي تُمسكه بقبضتها. نظر في عينيها بخيبة أمل، وقال: «ألا تفهمين كل ما يدور من حولك يا ڤين؟ إنك لا تفهمينه أبدًا. لقد سمحت لكِ بإيقافي مرة من قبل، على سفح التل بجانب ساحة المعركة، ولكن ليس هذه المرة. هذه المرة يمكنني أن أفعل شيئًا».

- «لكن...».

أطلق ذراعه من قبضتها، وقال لها: «لا يزال هناك بعض الأشياء التي يجب أن تتعلِّميها عن الصداقة يا ڤين، أتمنَّى أن تدركيها يومًا ما».

ثم انطلق متجهًا نحو العربات. أسرع هام متجاوزًا ڤين في اتجاهٍ آخر؛ حيث دفع (السكا) الذين في طريقهم إلى الميدان.

تسمَّرت ڤين مكانها في غباءٍ لبضع لحظات، واقفةً في الرماد المُتساقط بينما أمسك بها دوكسون.

تمتمت: «هذا جنون، لا يمكننا القيام بذلك يا دوكس، نحن لسنا منيعين».

زمجر دوكسون قائلًا: «ولكننا لسنا عاجزين أيضًا».

أخذ بريز يلهث خلفهم، مُشيرًا إلى شارعٍ جانبي: «هناك، نحتاج إلى العثور على مكانٍ لي بحيث يمكنني فيه رؤية الجنود».

تركتهم فُين يجرونها معهم، وشعرت فجأة بمزيجٍ من الخزي والقلق.

كيلسير...

***

ألقى كيلسير زوجًا من القوارير الفارغة، بعد ابتلاع محتوياتهما للتو. توهَّجت القوارير في الهواء بجانبه، وسقطت مُتحطِّمة على الرصيف. توغَّل أخيرًا في أحد الأزقة، ليجد نفسه منطلقًا في طريقٍ فارغٍ بشكلٍ مخيفٍ.

اندفعت عربات السجناء نحوه، ودخلت في ساحة فناء صغيرة تتشكَّل من تقاطع شارعين، وقد أُحيطت كل عربة مستطيلة الشكل بالقضبان، وامتلأت جميعها بأشخاصٍ أصبحوا الآن مألوفين بشكلٍ واضحٍ. خدم، وجنود، ومدبرات منزل؛ بعضهم كانوا مُتمردين، وكثير منهم كانوا مجرد أشخاص عاديين. لم يكن أيٌّ منهم يستحق الموت.

قال لنفسه وهو يُشعِل معادنه: «لقد مات عددٌ كبيرٌ من (السكا) بالفعل. المئات، بل الآلاف، بل مئات الآلاف، ولكن ليس اليوم، لا مزيد من ذلك».

رمى عملة معدنية وقفز، دافعًا نفسه في الهواء في شكل قوسٍ عريضٍ. رفع الجنود رؤوسهم مُشيرين إليه. هبط كيلسير مباشرةً في وسطهم.

سادت لحظة من الصمت حيث استدار الجنود في مفاجأة، جثم كيلسير بينهم، وتساقطت جُسيْمات الرماد من السماء.

ثم قام بالدفع.

أشعل الفولاذ بصيحة، ثم نهض ودفع مرة أخرى، ولكن هذه المرة للخارج. ألقى انفجار القوة الألومانتيكية الجنود بعيدًا بدروعهم؛ مما أدى إلى سقوط العشرات من الرجال في الهواء؛ ليصطدموا برفاقهم والجدران.

صرخ الرجال. استدار كيلسير ودفع مجموعة من الجنود وأرسل نفسه طائرًا باتجاه عربة السجناء. بإشعال البيوتر، اصطدم بالعربة وأمسك ببابها المعدني بكلتا يديه.

تجمَّع السجناء في دهشة. ولأن البيوتر ما يزال مشتعلًا، استطاع كيلسير أن يخلع الباب، ثم يقذف به نحو مجموعة من الجنود المُقتربين.

قال للسجناء وهو يقفز من العربة ويهبط برشاقة إلى الشارع: «انطلقوا!»، ثم استدار.

وجد نفسه وجهًا لوجهٍ مع شخصٍ طويلٍ يرتدي رداءً بنيًّا. توقَّف كيلسير قليلًا، وتراجع عندما مدَّ ذلك الشخص الطويل يده لأعلى، وأنزل غطاء رأسه، وكشف عن عينين مثقوبتين بالمسامير.

ابتسم المُحقِّق، وسمع كيلسير وَقْع خطى تقترب من الأزقة الجانبية. العشرات، بل المئات.

***

قال بريز: «اللعنة!» عندما اكتسح الجنود الميدان، وسحب دوكسون بريز إلى زقاق. ثم تبعتهما ڤين للداخل، رابضةً في الظل، تستمع إلى الجنود وهم يصرخون في مفترق الطرق بالخارج.

سألت ڤين: «ماذا؟»

قال بريز مُشيرًا إلى الشخص الذي يرتدي رداءً ويقف أمام كيلسير: «المُحقِّق!»

قال دوكسون وهو ينهض من مكانه: «ماذا؟»

أدركت ڤين برعب: ، بينما بدأ الجنود يتجمَّعون في الميدان، ويظهرون من الشوارع الجانبية المخفية. «كيلسير، ابتعد عن هناك!»

***

دفع كيلسير أحد الحراس الساقطين، وألقى بنفسه إلى الخلف في قفزة فوق إحدى عربات السجناء. لقد هبط في وضع انحناء، متطلعًا إلى فرقٍ جديدةٍ من الجنود. كثير منهم يحملون هراوات ولا يرتدون أيّ دروع، إنهم مقاتلو الضباب.

دفع المُحقِّق نفسه عبر الهواء المليء بالرماد، وهبط مُحدِثًا دويًّا أمام كيلسير. ابتسم المخلوق.

إنه الرجل نفسه، المُحقِّق الذي واجهوه من قبل.

سأل المخلوق بهدوء: «أين الفتاة؟»

تجاهل كيلسير السؤال، وسأله: «لماذا أنت وحدك؟»

تعمَّقت ابتسامة المخلوق، وأجاب: «لقد فزت بالقُرعة».

أشعل كيلسير البيوتر، وانطلق إلى الجانب بينما كان المُحقِّق يُخرِج زوجًا من الفؤوس المصنوعة من حجر السبج. سرعان ما عجَّ الميدان بالجنود. كان بإمكانه سماع صراخ الناس من داخل العربات.

- «كيلسير! اللورد كيلسير! أرجوك!»

لعن كيلسير بينما ركض المُحقِّق بسرعة نحوه. مدَّ يده، وسحب إحدى العربات الممتلئة، ثم انقض في الهواء فوق مجموعة من الجنود. هبط ثم اندفع نحو العربة، عازمًا على تحرير السجناء بداخلها. لكن عند وصوله، اهتزَّت العربة. رفع كيلسير بصره في الوقت المناسب تمامًا ليرى وحشًا فولاذي العينين يبتسم له ابتسامةً عريضةً من فوق العربة.

دفع كيلسير نفسه للخلف، وشعر بفأسٍ تتأرجح بجانب رأسه. هبط بخفة، ولكنه اضطر على الفور إلى القفز عن جانبه؛ لتجنُّب هجوم مجموعة أخرى من الجنود. عندما هبط، مدَّ يده، وسحب إحدى العربات لتثبيت نفسه، ثم شدَّ الباب الحديدي الذي قذف به من قبل. طار الباب ذو القضبان في الهواء واصطدم بمجموعة من الجنود.

هاجم المُحقِّق من الخلف، ولكن كيلسير قفز. انزلق الباب، الذي ما زال يتداعى على الرصيف أمامه، وبينما تمكَّن من تجاوزه، اندفع كيلسير، مُرسِلًا نفسه في الهواء.

تفكَّر كيلسير بإحباط: «كانت ڤين محقة». أدناه، راقبه المُحقِّق، مُتتبعًا إياه بعينين غير طبيعيتين. «ما كان يجب أن أفعل هذا». أدناه، قامت مجموعة من الجنود باعتقال (السكا) الذين قام بإطلاق سراحهم. «عليَّ أن أهرب، وأن أحاول الإفلات من المُحقق. لقد فعلت ذلك من قبل».

لكنه... لم يستطع، ولن يفعل ذلك، ليس هذه المرة. لقد تخاذل مراتٍ عديدة من قبل، كان عليه أن يُطلق سراح هؤلاء السجناء، حتى لو كلَّفه ذلك كل شيءٍ آخر.

بعد ذلك، عندما بدأ في السقوط، رأى مجموعة من الرجال يندفعون نحو مفترق الطرق. كانوا يحملون أسلحة لكنهم لا يرتدون زيًّا رسميًّا. ركض في مقدمتهم شخصٌ مألوفٌ.

هام! إذن هذا هو المكان الذي ذهبت إليه.

***

تساءلت ڤين بقلق، وهي تشبُّ على أطراف أصابع قدميها لترى الميدان: «ماذا يحدث؟» في الأعلى، انقضَّ جسد كيلسير عائدًا إلى المعركة، وعباءته السوداء تتدلَّى من خلفه.

قال دوكسون: «إنها إحدى وحدات جنودنا! لا بُدَّ أن هام قد أحضرهم».

- «كم عددهم؟»

أجاب دوكسون: «لقد احتفظنا بهم في مجموعاتٍ تضم بضع مئات».

- «إذن سيفوقونهم عددًا».

أومأ دوكسون برأسه.

وقفت ڤين، وقالت: «سأخرج إليهم».

قال دوكسون بحزم، وأمسك بعباءتها وسحبها إلى الخلف: «لا، لن تخرجي. لا أريد تكرار ما حدث لكِ في المرة الأخيرة التي واجهتِ فيها أحد هؤلاء الوحوش».

- «لكن...»

قاطعها دوكسون: «سيكون كيل على ما يُرام. سيحاول فقط كسب الوقت لهام بما يكفي لتحرير السجناء، ثم يهرب. راقبي ما يحدث».

تراجعت ڤين.

عن جانبها، كان بريز يُتمتم في سره: «نعم، أنت خائفٌ. دعنا نركّز على ذلك. فلنخمد انفعالاتك، ولندعك مرعوبًا. هذا مُحقِّقٌ ووليد ضبابٍ يتقاتلان، أنت لا تريد توريط نفسك في معركةٍ كهذه...».

أعادت ڤين النظر إلى الميدان؛ حيث رأت جنديًّا يُلقي بسلاحه ويفرُّ هاربًا. أدركت: «هناك طرق أخرى للقتال»، ثم سألت وهي تجثو بجانب بريز: «كيف يمكنني المساعدة؟»

***

أفلت كيلسير من المُحقِّق مرة أخرى حينما اشتبكت وحدة هام مع الجنود الإمبراطوريين وبدأت في شقِّ طريقها نحو عربات السجناء.

صرف الهجوم انتباه الجنود النظاميين الذين بدوا سعداء للغاية بترك كيلسير والمُحقِّق في معركتهما الانفرادية.

على الجانب، أتُيح لـ كيلسير أن يرى (السكا) وهم يسدُّون الشوارع حول الفناء الصغير؛ حيث لفت القتال انتباه أولئك الذين ينتظرون في الأعلى في ميدان النافورة. كما أتُيح لـ كيلسير أن يرى فرقًا أخرى من الجنود الإمبراطوريين يحاولون التدافع للانضمام إلى القتال، لكن الآلاف من (السكا) المُحتشدين في الشوارع أبطأوا من تقدُّمهم بشكلٍ كبيرٍ.

هاجم المُحقِّق، لكن كيلسير استطاع المراوغة. بدأ المخلوق يشعر بالإحباطِ على نحوٍ واضحٍ. عن الجانب، وصلت مجموعة صغيرة من رجال هام إلى إحدى العربات وكسروا أقفالها، فتحرَّر السجناء بداخلها. أبقى بقية رجال هام الجنود الإمبراطوريين منشغلين أثناء فرار السجناء.

ابتسم كيلسير وهو ينظر إلى المُحقِّق المنزعج الذي أخذ يزمجر بهدوءٍ.

صاح صوتٌ ما: «ڤاليت!»

التفت كيلسير في صدمة. كان صاحب الصوت رجلًا نبيلًا حسن الملبس يشقُّ طريقه بين الجنود باتجاه مركز القتال. حمل بيده عصا مبارزة وقد تكلَّف بحمايته اثنان من الحراس الشخصيين المُحاصرين، لكنه تجنَّب الأذى غالبًا بحكم عدم تأكُّد أيٍّ من الجانبين من رغبتيهما في قتل رجلٍ ذي أصلٍ نبيلٍ بشكلٍ واضحٍ.

صاح إليند ڤينتشر مرة أخرى: «ڤاليت!» ثم التفت إلى أحد الجنود قائلًا: «من أمرك بمداهمة قافلة بيت رينو! من أذِن لك بهذا!»

تفكَّر كيلسير: «عظيم»، وهو ما يزال يراقب المُحقِّق بحذر، بينما حدَّق المخلوق إلى كيلسير بتعبيرٍ ملتوٍ ينضح بالبغضاء.

واصل كِيلسير التفكُّر: «استمر في كراهيتي فحسب! عليّ أن أصمد حتى يتمكن هام من إطلاق سراح السجناء، وبعد ذلك، يمكنني أن أزيحك بعيدًا عني».

مدَّ المُحقِّق يده وقطع رأس خادمة هاربة أثناء فرارها.

«لا!» صرخ كيلسير عندما سقطت الجثة عند أقدام المُحقِّق، وأمسك المخلوق بضحية أخرى ورفع فأسه.

قال كيلسير: «حسنًا!، وهو يتقدَّم للأمام، ويسحب زوجًا من القوارير من حزامه. «حسنًا، تريد أن تقاتلني؟ تعالَ!»

ابتسم المخلوق، ودفع المرأة المأسورة جانبًا وخطا نحو كيلسير.

أزال كيلسير السدّادات وابتلع القارورتين على الفور، ثم ألقى بهما جانبًا. اندلعت المعادن في صدره، محترقةً إلى جانب غضبه. مات شقيقه، ماتت زوجته، العائلة والأصدقاء والأبطال، جميعهم قد ماتوا.

حدَّث نفسه: «هل تدفعونني لأخذ الثأر؟ حسنًا، عليكم أن تتحمَّلوا ذلك!»

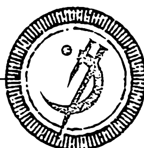
توقَّف كيلسير على بُعد بضعة أقدامٍ أمام المُحقِّق. شدَّ قبضتيه. وأشعل الفولاذة في دفعةٍ هائلةٍ. أُلقي الناس من حوله مرة أخرى بسبب الأجزاء المعدنية التي يرتدونها حيث أُصيبوا بموجةٍ مذهلةٍ وغير مرئية من القوة. انفتحت فجوة صغيرة في الميدان -الذي يزخر بالجنود الإمبراطوريين والسجناء والمتمردين- حول كيلسير والمُحقِّق.

قال كيلسير: «إذن، فلنفعل ذلك».

لم أرغب قط في أن أُصبح مصدر تخويف.

إذا كنتُ نادمًا على شيءٍ واحدٍ، فهو الخوف الذي سبَّبته. الخوف أداة الطغاة. وللأسف، عندما يكون مصير العالم على المحك، فإنك تستخدم كل الأدوات المتاحة مهما كانت.

الفصل الرابع والثلاثون



انهار القتلى والمحتضرون على الرصيف. احتشد (السكا) في الطُّرقات. راح السجناء يصرخون وينادون باسمه. ألهبت حرارة الشمس المفعمة بالدخان الشوارع.

وتساقط الرماد من السماء.

اندفع كيلسير إلى الأمام، مُحرقًا البيوتر ومُلوِّحًا بخناجره. أشعل الأتيوم، تمامًا كما فعل المُحقِّق، وربما كان لدى كليهما ما يكفي للاستمرار في قتالٍ مُطوَّلٍ.

سدَّد كيلسير ضربتين صوب المُحقِّق في الأجواء الساخنة، وتشوَّشت حركة ذراعيه. رواغ المخلوق وسط دوامة مجنونة من ظلال الأتيوم، ثم لوَّح بفأسه.

قفز كيلسير، وشحذ البيوتر قفزته غير البشرية؛ ليمر فوق السلاح المُتأرجِح. مدَّ يده واندفع باتجاه مجموعة من الجنود المقاتلين من ورائه، مُلقيًا بنفسه إلى الأمام. غرس كلتا قدميه في وجه المُحقِّق وركله بقوة، ثم انقلب إلى الخلف في الهواء.

ترنَّح المُحقِّق. عندما سقط كيلسير، سحب جنديًّا من قدميه بواسطة قوة السحب الحديدي؛ ليجد هذا الجندي نفسه يندفع نحو كيلسير، فطار كلا الرجلين في الهواء.

أشعل كيلسير الحديد، ساحبًا مجموعة من الجنود عن يمينه بينما استمر في سحب الجندي الوحيد، فكانت نتيجة ذلك القيام بدورانٍ أثناء تمركزه في المحور. طار كيلسير إلى الجانب، والجندي -كما لو أنه مربوطٌ بجسد كيلسير- يتأرجح في قوسٍ واسعٍ مثل كرة في نهاية سلسلة.

اصطدم الجندي سيئ الحظ بالمُحقِّق المُترنِّح؛ ليرتطم كلاهما بقضبان عربة السجناء الفارغة.

سقط الجندي على الأرض فاقدًا للوعي. ارتد المُحقِّق من القفص الحديدي وسقط على يديه وركبتيه. كان هناك خط من الدم يسيل على وجه المخلوق، عبر وشوم عينيه، لكنه نظر إلى الأعلى مبتسمًا، لم يبدُ حتى وكأنه يشعر بالدوار عندما نهض.

هبط كيلسير، لاعنًا هذا المخلوق في سره.

باندفاعٍ لا يُصدَّق من السرعة، أمسك المُحقِّق بالقفص الحديدي الفارغ ذي الشكل الصندوقي بواسطة زوجٍ من القضبان، ثم قام بخلعه بأكمله من عجلات العربة.

اللعنة!

استدار المخلوق وقذف بالقفص الحديدي الضخم باتجاه كيلسير، الذي كان يقف على بُعد بضعة أقدامٍ فقط. لم يكن هناك وقتٌ للمراوغة. لاح مبنى في الأفق خلفه مباشرةً. إذا دفع نفسه للخلف، فسيتم سحقه تمامًا.

طار القفص باتجاهه، فقفز على الفور، مستخدمًا قوة الدفع الفولاذي لتوجيه جسده عبر الباب المفتوح للقفص الدائر. انحنى داخل هذا القفص، مع القيام بالدفع للخارج في جميع الاتجاهات، ممسكًا بنفسه في مركز القفص المعدني بالضبط عندما اصطدم بالجدار، ثم ارتد بعيدًا.

تدحرج القفص، ثم بدأ في الانزلاق على الأرض. ترك كيلسير نفسه يسقط، ليهبط على الجانب السفلي من السقف بينما انزلق القفص ببطءٍ حتى توقَّف. من خلال القضبان، كان بإمكانه رؤية المُحقِّق يراقبه وسط بحرٍ من الجنود المقاتلين، بينما يُحيط بجسده سحابة ملتوية ومُتحرِّكة من صور الأتيوم. أومأ المُحقِّق برأسه إلى كيلسير في إشارة خافتة من الاحترام.

صرخ كيلسير أثناء قيامه بالدفع للخارج، وأشعل البيوتر ليحمي نفسه من السحق. انفجر القفص، وانجرف الجزء العلوي من المعدن في الهواء، وانخلعت القضبان وتطايرت إلى الخارج. سحب كيلسير القضبان من خلفه ودفع تلك التي أمامه، مرسلًا وابلًا من المعدن باتجاه المُحقِّق.

رفع المخلوق يده، مُفتِّتًا القذائف الكبيرة بخبرة، ولكن كيلسير تتبَّع القضبان بجسده، وأطلق نفسه نحو المُحقِّق باستخدام قوة الدفع الفولاذي. سحب المُحقِّق نفسه جانبًا، واستخدم جنديًّا سيئ الحظ كمرساة. صاح الرجل عندما انتُزع بعيدًا عن معركته الخاصة التي يخوضها لكن سرعان ما اختنق صراخه عندما قفز المُحقِّق ودفع بالجندي ليرتطم الرجل بالأرض.

انطلق المُحقِّق في الهواء، بينما أبطأ كيلسير نفسه من خلال دفع مجموعة من الجنود، متتبعًا المُحقِّق. ومن خلفه، تحطَّم الجزء العلوي من القفص على الأرض؛ لتتناثر شظايا من الحجارة. هاجم كيلسير وألقى بنفسه إلى الأعلى خلف المُحقِّق.

طفا فُتات الرماد بجانبه. وفي الأمام، استدار المُحقِّق، وسحب شيئًا ما أدناه، ثم غيَّر المخلوق مساره على الفور للاندفاع نحو كيلسير.

صدام وجهًا لوجه. ليست هذه فكرة سديدة بالنسبة لرجلٍ لا يمتلك مسامير في رأسه. سحب كيلسير أحد الجنود بشكلٍ محمومٍ، متأرجحًا لأسفل بينما مرَّ المُحقِّق قطريًّا فوق رأسه.

أشعل كيلسير البيوتر، ثم اصطدم بالجندي الذي كان قد سحبه نحوه. دار كلاهما في الجو. لحسن الحظ، لم يكن هذا الجندي من رجال هام.

قال كيلسير بنبرة حوارية ودودة: «آسف يا صديقي»، ثم دفع نفسه جانبًا.

انطلق الجندي بعيدًا، وفي النهاية ارتطم بجانب أحد المباني حيث استخدمه كيلسير للتحليق فوق ساحة المعركة. في الأسفل، وصلت فرقة هام الرئيسية أخيرًا إلى عربة السجناء الأخيرة، ولكن لسوء الحظ، شقَّت عدة مجموعات أخرى من الجنود الإمبراطورية طريقهم عبر حشود (السكا) المشدوهة.

تضمَّنت إحدى هذه المجموعات فريقًا كبيرًا من الرماة، الذي سُلِّحوا بسهامٍ ذات رؤوسٍ مصنوعةٍ من العقيق.

لعن كيلسير وترك نفسه يسقط. اتخذ الرماة وضعياتهم، واستعدوا بشكلٍ واضحٍ لإطلاق سهامهم على الحشد المتقاتل. من المُؤكَّد أنهم

سيقتلون بعض جنودهم، ولكن العبء الأكبر من هجومهم سيتحمَّله السجناء الهاربون.

انبطح كيلسير على الرصيف. مدَّ يده إلى الجانب وسحب بعض قضبان القفص الذي دمَّره للتو، فطاروا نحوه.

سحب الرماة سهامهم، لكنه كان بإمكانه أن يرى ظلالهم باستخدام الأتيوم. أطلق كيلسير القضبان ودفع نفسه جانبًا قليلًا، تاركًا القضبان تُحلِّق بين الرماة والسجناء الفارين.

أطلق الرماة سهامهم.

أمسك كيلسير بالقضبان، وأشعل كل من الفولاذ والحديد، ودفع طرفًا واحدًا من كل قضيب وسحب الطرف المقابل. تمايلت القضبان في الهواء، وبدأت على الفور في الدوران مثل طواحين الهواء الغاضبة والمجنونة. تناثرت معظم السهام الطائرة على الجانبين بواسطة قضبان الحديد الدائرة.

سقطت القضبان على الأرض وسط السهام المُبعثرة. وقف الرماة، مذهولين، بينما قفز كيلسير إلى الجانب مرة أخرى، ثم سحب القضبان بخفة، لتنقلب في الهواء أمامه. دفعها، وأرسلها لتصطدم بالرماة. استدار بينما كان الرجال يصرخون ويموتون، وأخذت عيناه تُفتِّشان عن عدوه الحقيقي.

أين يختبئ هذا المخلوق؟

التفت ليرى مشهدًا من الفوضى. الرجال يقاتلون، ويركضون، ويفرون، ويموتون، يحمل كلٌّ منهم ظلالًا مُتنبِّئةً من الأتيوم في عيني كيلسير. ولكن في هذه الأجواء، ضاعفت الظلال بشكلٍ فعالٍ من عدد

الأشخاص الذين يتحرّكون في ساحة المعركة، وعملت فقط على زيادة الشعور بالارتباك.

وصل المزيد والمزيد من الجنود. سقط العديد من رجال هام، وبدأ معظم الباقين يتراجعون. من حسن الحظ أنه يمكنهم ببساطة التخلُّص من دروعهم والاندماج في حشود (السكا). كان كيلسير أكثر قلقًا بشأن عربة السجناء الأخيرة التي تحمل بداخلها رينو وسبوك. وقد تطلَّب المسار الذي دخلت فيه مجموعة هام المعركة أن يتحرّكوا على طول صف العربات من الخلف إلى الأمام. وفي حال محاولة الوصول إلى رينو أولًا، فقد كان ذلك يتطلَّب منهم المرور بالعربات الخمس الأخرى، مع ترك رجالهم محبوسين.

من الواضح أن هام لم يكن ينوي المغادرة حتى يتحرَّر سبوك ورينو. وحيث قاتل هام، احتفظ الجنود المتمردون بمواقعهم. كان هناك سبب وراء تسمية (الأذرع البيوترية) باسم (السفَّاحين) أيضًا، لم يكن هناك دقة كبيرة في قتالهم، أو استخدام ذكي للسحب الحديدي أو الدفع الفولاذي. لقد هاجم هام ببساطة بكل قوته وسرعته، وألقى بجنود العدو بعيدًا عن طريقه، وألحق الأذى بصفوفهم، ثم قاد مجموعته المُكوَّنة من خمسين رجلًا نحو عربة السجناء الأخيرة. عندما وصلوا إليها، تراجع هام إلى الوراء لصد مجموعة من جنود العدو بمجرد أن كسر أحد رجاله قفل العربة.

ابتسم كيلسير بفخر، وما زالت عيناه تُفتِّشان عن المُحقِّق. كان عدد رجاله قليلًا، لكن يبدو أن جنود الأعداء أصبحوا مضطربين بشكلٍ واضحٍ بسبب تصميم متمردي (السكا)؛ حيث قاتل رجال كيلسير بشغف، وعلى الرغم من العوائق العديدة الأخرى، فإنهم ما زالوا يتمتَّعون بهذه الميزة.

حدَّث كيلسير نفسه: «هذا ما يحدث عندما تقنعهم أخيرًا بالقتال، هذا ما يختبئ بداخلهم جميعًا، من الصعب جدًّا إطلاق سراحه...».

نزل رينو من العربة، ثم تنحَّى جانبًا؛ ليتابع خدمه وهم يتحرَّرون من قفصهم. فجأة، ظهر شخصٌ يرتدي ملابس أنيقة من قلب المعمعة، وأمسك برينو من مقدمة بدلته.

سأل إليند ڤينتشر: «أين ڤاليت؟ في أيّ قفصٍ كانت؟»، ووصل صوته اليائس إلى آذان كيلسير المُعزَّزتين بالقصدير.

تفكَّر كيلسير، وهو يدفع بنفسه عبر الجنود ويركض باتجاه العربة: «لقد بدأت في إزعاجي حقًّا يا فتى».

ظهر المُحقِّق، الذي قفز من وراء مجموعة من الجنود. هبط على قمة القفص، وهزَّ الهيكل بأكمله، ثم أمسك بفأسٍ من حجر السبج في يديه اللتين تُشبهان المخلب. التقت عيناه بعيني كيلسير وابتسم، ثم نزل من أعلى القفص وأرشق فأسًا في ظهر رينو.

انتفض الكندرة، وانفتحت عيناه على اتساعهما. التفت المُحقِّق نحو إليند بعد ذلك. لم يكن كيلسير متأكِّدًا مما إذا كان المخلوق قد تعرَّف على الفتى أم لا، ربما اعتقد المُحقِّق أن إليند هو أحد أعضاء عائلة رينو، ربما لم يكترث أصلًا.

توقَّف كيلسير للحظة.

رفع المُحقِّق فأسه ليضربه.

إنها تحبه.

أشعل كيلسير الفولاذ بداخله حتى تأجَّج، واندلع غضبه حتى احترق صدره مثل جبال الرماد أنفسها. هاجم الجنود من ورائه؛ حيث أطاح

بالعشرات منهم، ثم توجَّه نحو المُحقِّق. اصطدم بالمخلوق عندما لوَّح بفأسه.

أحدثت الفأس قعقعة عند سقوطها على الرصيف على بُعد أمتارٍ قليلةٍ. أمسك كيلسير بالمُحقِّق من رقبته عندما ارتطم كلاهما بالأرض؛ ثم بدأ في خنقه باستخدام عضلاته المُعزَّزة بالبيوتر. رفع المُحقِّق يده وأمسك يدي كيلسير، في محاولة يائسة لإجباره على إزاحتهما بعيدًا.

تفكَّر كيلسير وسط الفوضى: «كان مارش محقًّا، إنه يخشى على حياته، يمكن قتله».

لهث المُحقِّق بحشرجة، وبرزت رؤوس المسامير المعدنية من عينيه على بُعد بوصاتٍ فقط من وجه كيلسير. إلى جانبه، رأى كيلسير إليند ڤينتشر يتعثَّر مرة أخرى.

قال كيلسير وهو يصرُّ على أسنانه: «الفتاة بخير! لم تكن على متن قوارب رينو. اذهب!»

توقَّف إليند متذبذبًا، ثم ظهر أحد حراسه الشخصيين، وترك الفتى نفسه ينجرف بعيدًا.

حدَّث كيلسير نفسه وهو يُكافح من أجل خنق المُحقِّق: «لا أُصدِّق أنني أنقذت للتو أحد النبلاء. يجدر بكِ أن تُقدِّري هذا أيتها الفتاة!»

ببطءٍ مع شد عضلاته، تمكَّن المُحقِّق من إزاحة يدَيْ كيلسير بعضهما عن بعض، ثم بدأ المخلوق يبتسم مرة أخرى.

إنهم أقوياء للغاية!

دفع المُحقِّق كيلسير بعيدًا، ثم سحب أحد الجنود، وبدأ في الانزلاق على الرصيف. اصطدم بجثة، ثم قام بقفزة خلفية، ونهض مرة أخرى على

قدميه. بدت رقبته حمراء من قبضة كيلسير، الذي مزَّق أجزاءً من لحمه بأظافره، ولكنه ما زال مبتسمًا.

دفع كيلسير أحد الجنود، وقام بقفزةٍ خلفيةٍ هو الآخر. إلى جانبه، رأى رينو متكئًا على العربة، التقت أعينهما، وأومأ برأسه قليلًا.

سقط رينو على الأرض متنهِّدًا، والفأس عالقةٌ في ظهره.

صاح هام فوق صخب الحشد: «كيلسير!»

قال له كيلسير: «اذهب! لقد مات رينو».

نظر هام إلى جسد رينو، ثم أومأ برأسه. التفت إلى رجاله؛ ليصدر لهم الأوامر.

قال صوتٌ خشنٌ: «الناجي!»

استدار كيلسير. تقدَّم المُحقِّق للأمام، مدعومًا بقوة البيوتر التي تمدُّه بالرشاقة، ومحاطًا بغيمة من ظلال الأتيوم.

قال: «أيها الناجي من هاتسين، لقد وعدتني بالقتال. هل عليّ أن أقتل المزيد من (السكا)؟»

أشعل كيلسير معادنه، وردَّ قائلًا: «لم أقل قطُّ أننا انتهينا». ثم ابتسم. كان يشعر بالقلق والألم، لكنه شعر بالحماس أيضًا. على مدار حياته، كان هناك جزءٌ منه يرغب دائمًا في النهوض والقتال.

لطالما أراد أن يعرف ما إذا كان بإمكانه التصدِّي لأحد المُحقِّقين.

***

وقفت ڤين، وهي تحاول يائسةً أن ترى الحشد.

سأل دوكسون: «ماذا؟»

أجاب: «خُيِّل لي أني رأيت إليند!»

- «هنا؟ هذا يبدو سخيفًا بعض الشيء، ألا تظنين ذلك؟»

احمرَّ وجه ڤين خجلًا. قالت في سرها: «ربما». ثم ردَّت عليه بصوتٍ عالٍ: «على أيّ حال، سأحاول الحصول على رؤية أفضل». أمسكت بجانب الزقاق.

قال دوكس: «توخَّي الحذر. إذا رآكِ هذا المُحقِّق...

أومأت ڤين برأسها، وهي تتسلَّق الأحجار. بمجرد أن وصلت إلى مستوٍ عالٍ بما يكفي، تفحَّصت مفترق الطرق بحثًا عن أشخاصٍ مألوفين.

كان دوكسون محقًّا. لم يظهر إليند في أيّ مكان. انقلبت إحدى العربات -التي خلع المُحقِّق القفص منها- على جانبها، بينما جفلت الخيل حولها، وحُوصرت بالمعركة وحشود (السكا).

سأل دوكس: «ماذا ترين؟»

قالت ڤين وهي تحدِّق وتحرق القصدير: «رينو مطروحٌ على الأرض، يبدو وكأن فأسًا مرشوقةً في ظهره».

علَّق دوكسون بشكلٍ غامضٍ: «ربما تقتله، وربما لا. فأنا لا أعرف الكثير عن الكندرة».

تفكَّرت ڤين: «كندرة؟!»

سألها مرة أخرى: «وماذا عن السجناء؟»

أجابت ڤين: «لقد تحرَّروا جميعًا. الأقفاص فارغة. دوكس، يوجد الكثير من (السكا) هناك!» يبدو الأمر كما لو أن جميع سكان ميدان النافورة قد احتشدوا في مفترق الطرق الصغير. شكَّلت المنطقة منخفضًا صغيرًا، وكان بإمكان ڤين رؤية الآلاف من (السكا) ينتشرون في الشوارع من جميع الاتجاهات.

تابعت ڤين: «تحرَّر هام! أنا لا أراه -حيًّا أو ميتًا- في أيّ مكان! هرب سبوك أيضًا».

سأل دوكسون بسرعة: «وكيل؟»

توقَّفت ڤين، ثم أجابت: «لا يزال يقاتل المُحقِّق».

***

أشعل كيلسير البيوتر، ولكم المُحقِّق، مع حرصه على تفادي الأقراص المعدنية المُسطَّحة التي تبرز من عينيه. تعثَّر المخلوق، وسدَّد كيلسير قبضته في معدته. زمجر المُحقِّق وصفع كيلسير على وجهه، وألقاه أرضًا بضربةٍ واحدةٍ.

هزَّ كيلسير رأسه، وسأل نفسه: «ما الذي يجب فعله لقتل هذا المخلوق؟» ثم دفع نفسه على قدميه قبل أن يتراجع.

تقدَّم المُحقِّق إلى الأمام، بينما حاول بعض الجنود تفتيش الحشد بحثًا عن هام ورجاله، لكن الكثير من الناس ظلوا في أماكنهم. كان القتال بين اثنين من الألومانسيين الأقوياء شيئًا يتهامسون به، لكن لم يسبق لهم مشاهدته في الواقع؛ لذلك وقف كلٌّ من الجنود والفلاحين مذهولين وهم يشاهدون المعركة المحتدمة في تهيُّب.

اعترف كيلسير لنفسه، وهو يراقب المُحقِّق بحذر: «إنه أقوى مني، ولكن القوة ليست كل شيء».

مدَّ كيلسير يده، وانتزع مصادر معدنية أصغر وسحبها بعيدًا عن أصحابها، كالخوذات المعدنية، والسيوف الفولاذية الرائعة، وأكياس النقود، والخناجر. قذف بها جميعًا على المُحقِّق، وتلاعب بها بحذر باستخدام الدفع الفولاذي والسحب الحديدي، وأبقى الأتيوم مشتعلًا بحيث أن كل عنصر يتحكَّم فيه سيكون له عددٌ كبيرٌ من صور الأتيوم في عيون المُحقِّق.

لعن المُحقِّق بهدوء، وهو يتملَّص من القطع المعدنية المحتشدة نحوها. ومع ذلك، استخدم كيلسير فقط دفعات المُحقِّق ضده، وسحب كل عنصر للخلف، ثم انهال بها على المخلوق. انفجر المُحقِّق، دافعًا جميع العناصر دفعة واحدة، وقد تركها كيلسير تمر إليه. وبمجرد أن توقَّف المُحقِّق عن الدفع، سحب كيلسير أسلحته للخلف مرة أخرى.

شكَّل الجنود الإمبراطوريون حلقة، وأخذوا يراقبون بحذر. تمكَّن كيلسير من استخدامهم؛ حيث دفع دروعهم الصدرية، وراح يتمايل في الهواء ذهابًا وإيابًا. سمحت له التغيُّرات السريعة في وضعيته بالتحرُّك باستمرار؛ مما أدى إلى إرباك المُحقِّق، فضلًا عن دفع قطعه المعدنية المختلفة المتطايرة حيثما يشاء.

***

طلب دوكسون وهو يتأرجح قليلًا ويتشبَّث بالأحجار بجانب ڤين: «راقبي إبزيم حزامي. لو سقطتُ، قومي بسحبي؛ لإبطاء السقوط، حسنًا؟»

أومأت ڤين برأسها، لكنها لم تكن تولي اهتمامًا كبيرًا بـ دوكس؛ حيث كانت تراقب كيلسير. «إنه لا يُصدَّق!»

ترنَّح كيلسير ذهابًا وإيابًا في الهواء، دون أن تلمس قدماه الأرض. حلَّقت قطعٌ من المعدن حوله، استجابةً لعمليات الدفع والسحب التي قام بها. لقد كان يتحكَّم فيها بمهارة فائقة، لدرجة أنه من الممكن أن يظن المرء أنها كائناتٌ حيةٌ.

دفعهم المُحقِّق بعيدًا بغضب، لكن من الواضح أنه يواجه صعوبة في تتبُّعهم جميعًا.

حدَّثت ڤين نفسها: «لقد قلَّلتُ من شأن كيلسير. افترضتُ أنه أقل مهارة من الضبابيين الآخرين؛ لأنه شتَّت نفسه بين العديد من المهارات،

لكن هذا لم يكن صحيحًا على الإطلاق. هذا هو تخصُّصه الذي يتفوَّق فيه عن غيره: الدفع والسحب والتحكم فيهما بمنتهى الخبرة.

لقد درَّبني على معدني الحديد والفولاذ بنفسه، ربما كان يفهم الأمور جيدًا منذ البداية».

***

استدار كيلسير وحلَّق وسط عاصفةٍ من المعدن. في كل مرة يصطدم فيها شيءٌ ما بالأرض، يلتقطه مرة أخرى. كانت العناصر تطير دائمًا في خطوطٍ مستقيمةٍ، لكنه استمر في التحرُّك، ودفع نفسه، وأبقاها في الهواء، مع إطلاقها بشكلٍ دوري نحو المُحقِّق.

دار المخلوق مرتبكًا. حاول دفع نفسه لأعلى، لكن كيلسير أطلق فوق رأسه عدة قطع معدنية أكبر، فاضطر إلى دفعها؛ مما جعله يفقد توازنه.

أصاب قضيبٌ حديديٌّ وجه المُحقِّق.

ترنَّح المخلوق، ولطَّخت الدماء الوشوم على وجهه، ثم ارتطمت خوذة فولاذية بجانبه؛ مما دفعه للخلف.

بدأ كيلسير ينهالِ عليه بالقطع المعدنية بسرعة شديدة، مستشعرًا تزايد غضبه وحنقه. صرخ: «هل أنت من قتل مارش؟»، لم يُكلِّف نفسه عناء الاستماع للحصول على إجابة. «هل كنت هناك عندما تمت إدانتي، منذ سنوات؟»

رفع المُحقِّق يدًا واقية، ودفع سربًا من المعادن بعيدًا. تراجع للخلف وهو يعرج، واتكأ بظهره على العربة الخشبية المقلوبة.

سمع كيلسير زمجرة المخلوق، واجتاحت قوة دفع مفاجئة الحشود، حتى أسقطت الجنود، وتسبَّب في إطلاق أسلحة كيلسير المعدنية بعيدًا.

أفلت كيلسير أسلحته، وهرع إلى الأمام نحو المُحقِّق المُرتبك، والتقط حجرًا مُفكّكًا من الرصيف.

استدار المخلوق نحوه، وصرخ كيلسير، وهو يُلوّح بالحجر بقوة يكاد يُغذيها الغضب أكثر من البيوتر.

أصاب المُحقِّق في عينيه مباشرةً. ارتدت رأس المخلوق إلى الوراء، لترتطم بأسفل العربة المقلوبة. ضرب كيلسير مرة أخرى، وصرخ، وأخذ يسحق وجه المخلوق بالحجر مرارًا وتكرارًا.

عوى المخلوق من الألم، ومدَّه يده التي تشبه المخالب إلى كيلسير، وأخذ يُحرِّكها كما لو كان يستعد للقفز إلى الأمام، ثم توقَّف فجأة بانتفاضة، فقد علقت رأسه بخشب العربة حيث انغرزت أطراف المسامير التي تبرز من مؤخرة جمجمته في الخشب تحت تأثير هجوم كيلسير.

ابتسم كيلسير بينما ظلَّ المخلوق يصرخ في حالة من الغضب، وهو يكافح لامتشاق رأسه من الخشب. استدار كيلسير عن جانبه، باحثًا عن جسمٍ كان قد رآه على الأرض قبل لحظاتٍ قليلةٍ. ركل جثة مُلقاة، وانتزع الفأس المصنوعة من حجر السبج من الأرض، وكان نصلها الحاد المُدبَّب يلمع في ضوء الشمس الأحمر.

قال بهدوء: «أنا سعيدٌ لأنك حرَّضتني على فعل هذا». ثم لوَّح بالفأس بكلتا يديه، ليضرب عنق المُحقِّق بنصلها حتى اخترق الخشب خلفه.

انهار جسد المخلوق على الرصيف. بقي رأسه في مكانه، وقد حدَّقت عيناه الموشومتان وغير الطبيعيتين بنظراتهما المُخيفة؛ حيث ثُبِّت على الخشب بالمسامير.

استدار كيلسير لمواجهة الحشد، وشعر فجأة بالإرهاق الشديد. تألم جسده من عشرات الكدمات والجروح، ولم يعرف حتى متى سقطت

عنه عباءته. واجه الحشود بتحدٍّ، ولكن ذراعه المشوَّهة بالندوب بدت واضحةً للعيان.

همس أحدهم: «الناجي من هاتسين!»

قال آخر: «لقد قتل مُحقِّقًا...».

ثم بدأ التهليل. انطلقت جموع (السكا) في الشوارع المحيطة في الهتاف باسمه. نظر الجنود حولهم وأدركوا برعبٍ أنهم محاصرون. تصارع الفلاحون للتقدُّم إلى الأمام، وشعر كيلسير بغضبهم وأملهم.

حدَّث كيلسير نفسه بنبرة انتصار: «ربما يجب ألا يسير هذا بالطريقة التي افترضتها، ربما ليس عليّ أن...

ثم قاطعه شيءٌ ما، مثل سحابة تمرُّ أمام الشمس، مثل عاصفة مفاجئة في ليلة هادئة، مثل زوجٍ من الأصابع يخمدان شمعة. قمعت يدٌ باطشة مشاعر (السكا) المتنامية. انكمش الناس وتلاشت صيحاتهم. كان اللهب الذي أشعله كيلسير بداخلهم جديدًا جدًّا.

تفكَّر: «قريب جدًّا...».

صعدت أمامه عربة سوداء وحيدة قمة التل، وبدأت في النزول إلى ميدان النافورة.

لقد وصل اللورد الحاكم.

***

كادت ڤين تُفلت قبضتها عندما اجتاحتها موجة الاكتئاب، لقد أشعلت نحاسها، ولكن -كما هو الحال دائمًا- لا يزال بإمكانها أن تشعر قليلًا بيد اللورد الحاكم الباطشة.

قال دوكسون: «اللورد الحاكم!» على الرغم من أن ڤين لم تستطع تحديد ما إذا كانت هذه لعنة أم تعليق.

تمكَّنت جموع (السكا) التي احتشدت لمشاهدة المعركة، بطريقةٍ ما، من إفساح المجال للعربة السوداء التي تدحرجت في ممرٍّ من الناس باتجاه الميدان المليء بالجثث المتناثرة.

انسحب الجنود، وابتعد كيلسير عن العربة المقلوبة، وتحرَّك لمواجهة العربة القادمة.

سألت ڤين: «ماذا يفعل؟»، وهي تلتفت نحو دوكسون، الذي ثبَّت نفسه على بروزٍ صغيرٍ. تابعت ڤين: «لماذا لا يركض؟ هذا ليس مُحقِّقًا. هذا ليس شيئًا يمكن قتاله!»

قال دوكسون بصوتٍ مرعوبٍ: «هذا هو الأمر، ڤين. هذا ما كان ينتظره. فرصة لمواجهة اللورد الحاكم. فرصة للتثُّبت من حقيقة أساطيره».

التفتت ڤين نحو الميدان. تدحرجت العربة حتى توقَّفت.

قالت بهدوء: «لكن... المعدن الحادي عشر. هل أحضره معه؟»

- «لا بُدَّ أنه فعل ذلك».

تفكَّرت ڤين: «لطالما قال كيلسير إنه سيتكَّفل بأمر اللورد الحاكم. لقد ترك لبقيتنا العمل على النبلاء، والحامية، والوزارة. لكن هذا.. لطالما خطَّط كيلسير للقيام بذلك بنفسه».

نزل اللورد الحاكم من عربته، بينما انحنت ڤين إلى الأمام، وأحرقت القصدير. لقد بدا وكأنه...

إنسانًا.

كان يرتدي زيًّا رسميًّا باللونين الأبيض والأسود فيما يشبه إلى حدٍّ ما بدلة النبلاء، لكنه أكثر بهرجة بكثير. وصل المعطف إلى قدميه، وتدلَّى خلفه وهو يمشي. لم تكن سترته مُلوَّنة، بل كانت شديدة السواد، مع

تزيينها بعلاماتٍ بيضاء لامعة. وكما سمعت ڤين تمامًا، تلألأت أصابعه بالخواتم، التي ترمز إلى قوته.

كأن الخواتم تُعلنها بوضوح: «إنني أقوى منكم بكثير، ولا يهمني ما إذا ارتديتُ المعادن أم لا».

بدا اللورد الحاكم وسيمًا، بشعرٍ أسود فاحم وبشرة شاحبة، كما اتسمَّ بطول قامته ونحافته وثقته بنفسه. كما كان صغيرًا، أصغر مما توقَّعت ڤين، حتى أنه أصغر من كيلسير. سار عبر الميدان مُتجنِّبًا الجثث، وتراجع جنوده للخلف وأجبروا (السكا) على الابتعاد.

وفجأة، اقتحمت مجموعة صغيرة من الشخصيات صفوف الجنود. كانوا يرتدون دروع المتمردين غير المتطابقة، كما بدا الرجل الذي يقودهم مألوفًا بعض الشيء. لقد كان أحد (سفَّاحي) هام.

قال (السفَّاح) ممسكًا برمحٍ واستعد لتصويبه: «من أجل زوجتي!»

صاح الأربعة الآخرون: «من أجل اللورد كيلسير!»

قالت ڤين في سرها: «أوه، لا...».

لكن اللورد الحاكم تجاهل هؤلاء الرجال. جأر قائد المتمردين في تحدٍّ، ثم سدَّد رمحه في صدر اللورد الحاكم.

واصل اللورد الحاكم المشي فحسب، متجاوزًا الجندي، وظلَّ الرمح عالقًا في جسده.

توقَّف المتمرد، ثم انتزع رمحًا من أحد أصدقائه، وأرشق هذا الرمح في ظهر اللورد الحاكم.

تجاهل اللورد الحاكم الرجال مُجدَّدًا، وكأن أسلحتهم لا تستحق حتى ازدراءه.

تراجع قائد المتمردين إلى الوراء، ثم استدار عندما بدأ أصدقاؤه بالصراخ تحت فأس أحد المُحقِّقين؛ ليلتحق بهم بعد قليل، بينما وقف المُحقِّق فوق الجثث للحظة، وهو يُقطِّعهم بابتهاج.

استمر اللورد الحاكم في التقدُّم، مع بروز الرمحان من جسده، كما لو أنه لم يلاحظهما أصلًا. وقف كيلسير منتظرًا. بدا رث الهيئة في ملابس (السكا) المُهترئة التي يرتديها، ولكنه كان فخورًا، فلم ينحني أو يخضع تحت وطأة تهدئة اللورد الحاكم.

توقَّف اللورد الحاكم على بُعد أقدامٍ قليلةٍ، حتى كاد أحد الرماح أن يلمس صدر كيلسير. تساقط الرماد الأسود بشكلٍ طفيفٍ حول كلا الرجلين، بينما تعرَّجت أجزاء منه وتطايرت في الرياح الخفيفة. أطبق على الميدان صمتٌ رهيبٌ، حتى المُحقِّق أوقف عمله الشنيع. انحنت ڤين إلى الأمام، مُتشبِّثة بشكلٍ غير مستقرٍّ بالأحجار الخشنة.

افعل شيئًا يا كيلسير! استخدم المعدن!

ألقى اللورد الحاكم نظرة على المُحقِّق الذي قتله كيلسير، وقال: «إن هؤلاء من الصعب جدًّا استبدالهم». انتقل صوته ذو النبرة المُشدَّدة بسهولة إلى آذان ڤين المُعزَّزتين بالقصدير.

على الرغم من بُعد المسافة، استطاعت أن ترى ابتسامة كيلسير.

قال اللورد الحاكم، وهو يلتفت إلى كيلسير: «لقد قتلتُك من قبل».

ردَّ كيلسير بصوتٍ عالٍ وحازمٍ، يتردَّد عبر الميدان: «لقد حاولتَ، ولكن لا يمكنك قتلي أيها الطاغية، إنني أُمثِّل الشيء الذي لا يمكنك قتله مهما حاولت جاهدًا، أنا الأمل».

نخر اللورد الحاكم بازدراء، ثم رفع ذراعه بشكلٍ عرضي، ووجَّه ضربة قوية جدًّا بظهر يده إلى كيلسير لدرجة أن ڤين تستطيع أن تسمع صدى اللطمة يتردَّد عبر الميدان.

ترنَّح كيلسير واستدار، بينما تدفَّق الدم منه وهو يسقط أرضًا.

صاحت ڤين: «لا!»

امتشق اللورد الحاكم أحد الرماح من جسده، ثم غرسه في صدر كيلسير. وقال: «لتبدأ عمليات الإعدام»، واستدار نحو عربته وانتزع الرمح الثاني، ثم رماه جانبًا.

تبع ذلك فوضى عارمة. بإيعاز من المُحقِّق، استدار الجنود وهاجموا الحشد. ظهر مُحقِّقون آخرون من أعلى الميدان، يمتطون صهوة الخيول السوداء، ويحملون بأيديهم فؤوسًا من خشب الأبنوس تلمع في ضوء الظهيرة.

تجاهلت ڤين كل شيء، وصرخت: «كيلسير!» رقد جسده مكان سقوطه، والرمح يبرز من صدره، والدم القرمزي يتجمَّع حوله.

قفزت من المبنى وهي تصرخ: «لا لا لا!»، واندفعت ضد بعض الناس وألقت بنفسها فوق المذبحة. لقد هبطت في وسط الميدان الفارغ بشكلٍ غريبٍ. غادر اللورد الحاكم، وبقي المُحقِّقون منشغلين بقتل (السكا). تمايلت إلى جانب كيلسير.

لم يتبقَّ شيءٌ تقريبًا من الجانب الأيسر من وجهه، لكن الجانب الأيمن... لا يزال يبتسم على نحوٍ خافتٍ، وعين واحدة ميتة تُحدِّق إلى السماء ذات اللون الأحمر والأسود، بينما تناثرت بعض رقائق الرماد بخفة على وجهه.

قالت ڤين، والدموع تنهمر على وجهها: «كيلسير، لا...».

تفحصَّت جسده؛ لاستشعار النبض، لكن لم يكن هناك شيء.

انتحبت: «لقد قلت إنك لا يمكن أن تُقتل! ماذا عن خططك؟ ماذا عن المعدن الحادي عشر؟ ماذا عني؟»

لم يتحرَّك. واجهت ڤين صعوبة في الرؤية من خلال دموعها. حدَّثت نفسها: «هذا مستحيل! لطالما قال إننا لسنا منيعين... لكن لا بُدَّ أنه كان يقصدني بذلك، ليس هو، ليس كيلسير، لقد كان كيلسير منيعًا. كان يجب ألا يُقهر».

أمسكها شخصٌ ما، فتلوَّت، وصرخت.

قال هام: «حانِ وقت الرحيل يا فتاة».

توقَّف، ناظرًا إلى كيلسير؛ ليتأكَّد بنفسه أن زعيم عصابته قد مات، ثم جرَّها بعيدًا.

استمرت ڤين في المقاومة بضعف، لكنها شعرت بالخدر ينتابها. في مؤخرة عقلها، سمعت صوت رين يهمس:

- «أترين! لقد أخبرتكِ أنه سيتركُكِ، لقد حذَّرتكِ.

لقد توعَّدتكِ بذلك...».

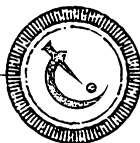
نهاية الجزء الرابع


الجزء الخامس
المؤمنون في عالمٍ منسيٍّ

أعرف ما سيحدث إذا اتخذتُ القرار الخاطئ، يجب أن أكون قويًّا، يجب ألا أستأثر بالسُّلطة لنفسي.

لأنني رأيتُ ما سيحدث إذا فعلتُ ذلك.

الفصل الخامس والثلاثون



كان كيلسير يقول: «لتعملي معي، أطلب منكِ أن تعديني بشيءٍ واحدٍ فقط، وهو أن تثقي بي».

علقت ڤين بلا حراك في الضباب الذي انساب حولها مثل جدول مياه هادئ. أحاط بها الضباب من أعلاها، وأسفلها، وأمامها وعلى كل جانبيها.

قال: «ثقي بي يا ڤين، لقد وثقتِ بي بما يكفي للقفز من أعلى الجدار، وأمسكتُ بكِ. سيكون عليكِ أن تثقي بي هذه المرة أيضًا».

سأمسك بكِ.

سأمسك بكِ...

بدا الأمر وكأنها ليست بأيّ مكانٍ، بل إنها بين الضباب وبداخله.

كم تحسد هذا الضباب! إنه لا يُفكِّر، لا يقلق.

لا يتألَّم.

حدَّثت نفسها: «لقد وثقتُ بك يا كيلسير، لقد فعلتُ ذلك بالفعل، لكنك تركتني أسقط. لقد وعدتني أن عصابتك لا تعرف الخيانة، فماذا عن هذا؟ ماذا عن خيانتك؟»

تعلَّقت، وأخمدت قصديرها حتى يُتاح لها رؤية الضباب بشكلٍ أفضل. كان مُبلَّلًا قليلًا، وباردًا على بشرتها. مثل دموع رجلٍ ميتٍ.

تفكَّرت وهي ترنو ببصرها إلى الأعلى: «ما أهمية ذلك بعد الآن؟ ما أهمية أيّ شيء أصلًا؟ ماذا قد قلت لي يا كيلسير؟ أنني لن أفهم أبدًا؟ أنني ما زلت بحاجة إلى معرفة المزيد عن الصداقة؟ وماذا عنك؟ إنك لم تقاتله حتى!»

وقف أمامها مرة أخرى، في ذهنها. ضربه اللورد الحاكم ضربةً مُحتقِرةً. لقد مات الناجي مثل أيّ رجلٍ آخر.

ألهذا كنتَ مُتردِّدًا جدًّا في الوعد بأنك لن تتخلَّى عني؟

تمنَّت لو أنها تستطيع فقط... الرحيل. الطفو بعيدًا. أن تُصبح ضبابًا. لقد تمنَّت الحرية فيما مضى، ثم افترضت أنها عثرت عليها. لقد كانت مخطئة. لم تكن هذه هي الحرية بل هذه هي الحسرة، إنها الفجوة بداخلها.

عاد الأمر كما كان من قبل. عندما تخلَّى عنها رين. ما هو الفرق؟ على الأقل، كان رين صادقًا. لطالما وعدها بأنه سيتركها. بينما قادها كيلسير للأمام، وعلَّمها أن تثق وأن تُحب، لكن رين كان دائمًا هو الأصدق.

همست إلى الضباب: «لا أريد أن أفعل هذا بعد الآن. ألا يمكنك أن تأخذني فقط؟»

لم يُعطِها الضباب أيّ إجابة. استمر فقط في الدوران بمرح، وبلامبالاة. إنه يتغيَّر دائمًا، ولكن بطريقةٍ ما، يبدو دائمًا كما هو.

نادى صوتٌ مرتبكٌ من الأسفل: «سيدتي؟ هل أنتِ هناك في الأعلى؟»

تنهَّدت ڤين، وأحرقت القصدير، ثم أطفأت الفولاذ وتركت نفسها تسقط. رفرفت عباءتها الضبابية وهي تنحدر عبر الضباب؛ هبطت بهدوءٍ على سطح وكرهم السري. وقف سازد على بُعد مسافة قصيرة، بجانب السلم الذي يستخدمه المُراقبون للوصول إلى أعلى المبنى.

سألت بنبرةٍ مُرهقةٍ: «نعم، يا سازد؟»، ومدَّت يدها لسحب العملات المعدنية الثلاث التي استخدمتها كمراسٍ لتثبيتها مثل أرجل حاملٍ ثلاثي القوائم. كانت إحداها ملتوية ومنحنية، العملة نفسها التي استخدمتها هي وكيلسير في مباراة الدفع منذ عدة أشهر.

قال سازد: «أنا آسف يا سيدتي، كنتُ فقط أتساءل أين ذهبتِ».

هزَّت ڤين كتفيها.

تابع سازد: «أظن أنها ليلةٌ هادئةٌ بشكلٍ غريبٍ».

- «إنها ليلةٌ حزينة». لقد ذُبح المئات من (السكا) بعد وفاة كيلسير، بينما سُحق المئات غيرهم أثناء اندفاعهم للفرار.

قالت ڤين بهدوء: «أتساءل عما إذا كان لموته أيّ معنى، ربما أنقذنا أقل بكثيرٍ مما قُتِل منا».

- «لقد قُتِلوا على يد رجالٍ أشرار يا سيدتي».

- «كثيرًا ما يتساءل هام عما إذا كان هناك شيءٌ يُسمَّى «الشر» أصلًا».

ردَّ سازد: «السيد هاموند يحب طرح الأسئلة، ولكنه حتى لا يُشكِّك في الإجابات. يوجد رجالٌ أشرارٌ... مثلما يوجد رجالٌ طيبون».

هزَّت ڤين رأسها. «لقد كنتُ مخطئةً بشأن كيلسير. لم يكن رجلًا طيبًا، بل كان مجرد كاذب، لم يكن لديه خطة لهزيمة اللورد الحاكم».

قال سازد: «ربما، وربما لم تتَح له الفرصة قط لتنفيذ هذه الخطة، وربما لا نفهم الخطة فحسب».

قالت ڤين: «يبدو أنك ما زلت تؤمن به»، ثم استدارت وسارت نحو حافة السقف المُسطَّح، مُحدِّقةً إلى المدينة الهادئة المظلمة.

ردَّ سازد: «أجل، يا سيدتي».

سألته: «كيف؟ كيف يمكنك ذلك؟»

هزَّ سازد رأسه، وتقدَّم للوقوف بجانبها، ثم أجاب: «أعتقد أن الإيمان ليس مجرد شيء مقصور على الأوقات الجميلة والأيام المشرقة فحسب. ما هو الإيمان؟ وكيف يكون إيمانًا إذا لم تستمر فيه بعد الفشل؟»

عبست ڤين.

تابع سازد: «يمكن لأيِّ شخصٍ أن يؤمن بشخصٍ ما، أو بشيءٍ ما، دائمًا ما ينجح يا سيدتي، لكن عند الفشل... آه، الآن، هذا يجعل من الصعب الإيمان به، عن يقينٍ وتصديقٍ. أعتقد أنه صعب بما يكفي لمنحه القيمة».

هزَّت ڤين رأسها، وقالت: «كيلسير لا يستحق ذلك».

ردَّ سازد بهدوء: «أنتِ لا تعنين ذلك حقًّا يا سيدتي، إنكِ فقط غاضبة بسبب ما حدث. أنت مجروحة».

قالت ڤين وهي تشعر بالدموع تنساب على خدها: «بل أعني ذلك، إنه لا يستحق إيماننا، لم يستحقه قط».

- «يُفكِّر (السكا) بشكلٍ مختلفٍ. أساطيرهم حوله تنمو بسرعة. يجب أن أعود إلى هنا قريبًا وأجمعها».

عبست ڤين، وتساءلت: «هل ستجمع قصصًا عن كيلسير؟»

أجاب سازد: «بالطبع، أنا أجمع كل الأديان».

زمجرت ڤين. «هذا ليس دينًا نتحدَّث عنه يا سازد، هذا هو كيلسير».

ردَّ سازد: «أنا أعترض، إنه بالتأكيد شخصية دينية بالنسبة لـ (السكا)».

قالت ڤين: «لكننا عرفناه، لم يكن نبيًّا ولا إلهًا، لقد كان مجرد إنسان».

قال سازد بهدوء: «أعتقد أن الكثير منهم كذلك».

هزَّت ڤين رأسها فحسب، بينما وقف كلاهما هناك صامتين للحظة يشاهدان الليل.

سألت ڤين أخيرًا: «ماذا عن الآخرين؟»

أجاب سازد: «إنهم يناقشون ما يجب فعله بعد ذلك، أعتقد أنه قد تقرَّر أنهم سيغادرون لوثاديل بشكلٍ منفصلٍ، ويبحثون عن مأوى لهم في مدنٍ أخرى».

- «و... ماذا عنك؟»

- «يجب أن أسافر شمالًا إلى وطني؛ حيث مكان الحفظة، حتى أتمكَّن من مشاركة المعارف التي أمتلكها. عليّ أن أُخبر إخوتي وأخواتي بأمر المذكرات. خاصةً تلك الكلمات المُتعلِّقة بأسلافنا، والرجل الذي يُسمَّى راشك. أعتقد أن هناك الكثير لنتعلَّمه عن هذه القصة».

توقَّف ثم نظر إليها. وأردف: «هذه ليست رحلة يمكنني القيام بها مع شخصٍ آخر يا سيدتي، يجب أن تبقى مواقع الحفظة سرية، حتى بالنسبة لكِ».

حدَّثت ڤين نفسها: «بالطبع، بالطبع سيرحل هو الآخر».

وعدها قائلًا: «سأعود مرة أخرى».

بالتأكيد ستعود. تمامًا مثل كل الآخرين.

جعلها أفراد العصابة تشعر بأنها مطلوبة لوقتٍ معينٍ، ولكنها كانت تعلم دائمًا أن ذلك الوقت سينتهي. حان الوقت للعودة إلى الشوارع، حان الوقت للانقلاب وحيدة مرة أخرى.

قال سازد ببطء: «سيدتي... هل تسمعين ذلك؟»

هزَّت ڤين كتفيها، لكن... كان هناك شيءٌ ما.. أصوات. عبست ڤين، وسارت نحو الجانب الآخر من المبنى. تعالت الأصوات، وأصبحت مُميَّزة بسهولة حتى بدون القصدير. أطلَّت برأسها من فوق جانب السطح.

وقفت مجموعة من رجال (السكا)، ربما يبلغ عددهم عشرة، في الشارع بالأسفل. تساءلت ڤين عندما انضم إليها سازد: عصابة لصوص؟ بدأت أعداد المجموعة تتزايد حينما غادر المزيد من (السكا) مساكنهم بخطواتٍ خجلى.

قال رجلٌ من (السكا) يقف في مقدمة المجموعة: «هيا! لا تخافوا من الضباب! ألم يسمِّ الناجي نفسه سيد الضباب؟ ألم يقل إنه ليس لدينا ما نخشاه؟ في الواقع، سيحمينا الضباب، ويمنحنا الأمان، ويمدُّنا بالقوة أيضًا!»

مع مغادرة المزيد والمزيد من (السكا) لمنازلهم دون تداعياتٍ واضحة، بدأت المجموعة تتزايد أكثر.

قالت ڤين لـ سازد: «اذهب وأحضِر الآخرين».

قال سازد: «هذه فكرة جيدة»، ثم اتجه بسرعة إلى السلم.

قال رجلٌ من (السكا) وهو يضيء فانوسًا يحمله: «أصدقاؤكم وأبناؤكم وآباؤكم وأمهاتكم وزوجاتكم وأحباؤكم. إنهم يرقدون قتلى في الشارع على بُعد نصف ساعةٍ من هنا. ليس لدى اللورد الحاكم حتى من الذوقيات ما يجعله يُنظِّف آثار مذبحته!»

بدأ الحشد يتمتم بعبارات الاتفاق.

تابع الرجل: «حتى عندما يحدث التنظيف. هل يد اللورد الحاكم هي التي تحفر القبور؟ كلا، إنها أيدينا. لقد تحدَّث اللورد كيلسير عن هذا أيضًا».

وافق عدة رجال: «اللورد كيلسير!» تزايدت المجموعة الآن أكثر؛ حيث انضم إليها النساء والشباب.

أعلنت القعقعة على السلم وصول هام. انضم إليه بعد قليل سازد، ثم بريز، ودوكسون، وسبوك، حتى كلوبز.

هتف الرجل بالأسفل: «اللورد كيلسير!» أشعل الآخرون المشاعل؛ مما أضاء الضباب. «اللورد كيلسير قاتل من أجلنا اليوم! لقد قتل مُحقِّقًا خالدًا!»

تعالت صيحات الحشد بالموافقة.

صرخ أحدهم: «لكنه مات بعد ذلك!»

صمت.

سأل الرجل الزعيم: «وماذا فعلنا لمساعدته؟ كان الكثير منا هناك. الآلاف منا. هل ساعدناه؟ كلا! انتظرنا واكتفينا بالمشاهدة، حتى وهو يحارب من أجلنا. وقفنا ببلاهة وتركناه يسقط. شاهدناه وهو يموت! أم لم نفعل ذلك؟ ماذا قال الناجي؟ هل قال لنا أن اللورد الحاكم لا يمكن أن يقتله حقًّا؟ كيلسير هو سيد الضباب! أليس هو معنا الآن؟»

التفتت ڤين إلى الآخرين. كان هام يراقب بعناية، لكن بريز هزَّ كتفيه، وقال: «من الواضح أن الرجل مجنون. مجرد مُتعصِّب ديني».

صاح الرجلَ بالأسفل: «أقول لكم أيها الأصدقاء!» كان الحشد لا يزال ينمو، بينما يشتعل المزيد والمزيد من المشاعل. «الحق أقول لكم، لقد ظهر لي اللورد كيلسير هذه الليلة، وقال إنه سيكون معنا دائمًا. هل سنخذله مرة أخرى؟»

جاء الرد على الفور: «لا!»

هزَّ بريز رأسه، وقال: «لم أكن أظن أن لديهم هذا بداخلهم. من المؤسف إنه صغيرٌ جدًّا...».

سأل دوكسون: «ما هذا؟»

استدارت ڤين، عاقدةً حاجبيها. كان هناك وهجٌ من الضوء يلوح في الأفق. مثل... مشاعل مضاءة في الضباب. ظهر واحدٌ آخر في الشرق، بالقرب من أحد أحياء (السكا) الفقيرة، ثم ظهر ثالث، ثم رابع. في غضون لحظات، بدا أن المدينة بأكملها مُتوهِّجة بالضوء.

همس دوكسون: «أيها العبقري المجنون...».

سأل كلوبز، عابسًا: «ما هذا؟»

قال دوكسون: «لقد فاتنا ذلك. الأتيوم، والجيش، والنبلاء... لم تكن هذه هي العملية التي خطَّط لها كيلسير، بل كانت هذه هي عمليته

الحقيقية. لم يكن من المفترض أبدًا بعصابتنا أن تُطيح بالإمبراطورية النهائية. لقد كنا محدودين جدًّا، ولكن عندما يجتمع سكان مدينة بأكملها...».

سأله بريز: «هل تقول إنه فعل ذلك عن قصد؟»

قال سازد من ورائهم: «لطالما سألني السؤال نفسه، لطالما سأل عما يمنح الأديان قوةً كبيرةً. وفي كل مرة، كنتُ أُجيب عليه الإجابة نفسها...». نظر سازد إليهم، وأمال رأسه قائلًا: «أخبرته أن السبب في ذلك هو أن لدى المؤمنين شيئًا ما يشعرون بالشعف بتجاهه، شيئًا ما... أو شخصًا ما».

سأل بريز: «ولكن لماذا لم يخبرنا؟»

قال دوكسون بهدوء: «لأنه كان يعلم، كان يعلم الشيء الذي لن نوافق عليه أبدًا، كان يعلم أنه سيتعيَّن عليه الموت».

هزَّ بريز رأسه، وقال: «أنا لا أُصدِّق ذلك. لماذا كلَّف نفسه هذا العناء معنا إذن؟ كان بإمكانه فعل ذلك بمفرده».

تفكَّرت ڤين: «لماذا كلَّف نفسه هذا العناء يا دو كس؟» ثم استدارت وتساءلت: «أين المستودع الذي استأجره كيلسير، ذلك المكان الذي عقد فيه اجتماعات المخبرين؟»

توقَّف دوكسون قليلًا، ثم أجاب: «في الحقيقة إنه ليس بعيدًا، على مسافة شارعين فقط. قال إنه يريد أن يكون بالقرب من الوكر السري».

قالت ڤين وهي تتسلَّق جانب المبنى: «أرِني إياه!» بينما واصلت جموع (السكا) الصياح، وكل صيحة أعلى من سابقتها. أُضيئت النيران في الشارع بأكمله بالمصابيح والمشاعل الوامضة التي حوَّلت الضباب المُغبش إلى ضبابٍ مُتوهِّجٍ.

قادها دوكسون عبر الشارع، بينما تبعهما بقية أفراد العصابة. كان المستودع عبارة عن مبنى كبير متهالك يقع في القسم الصناعي بالأحياء الفقيرة. وصلت ڤين إلى هناك، وأشعلت البيوتر، ثم حطَّمت القفل.

انفتح الباب ببطء. حمل دوكسون فانوسًا، كشف ضوؤه عن أكوام معدنية لامعة. أسلحة، وسيوف، وفؤوس، وهراوات، وخوذ تلمع مع انعكاس الضوء عليها. كنز فضي لا يُصدَّق.

حدَّق أفراد العصابة إلى الغرفة باندهاش.

قالت ڤين بهدوء: «هذا هو السبب، لقد احتاج إلى التستُّر وراء واجهة رينو لشراء أسلحة بمثل هذه الأعداد الكبيرة. كان يعلم أن تمرده سيحتاج إلى هذه الأسئلة إذا أرادوا الاستيلاء على العاصمة».

تساءل هام: «ولماذا حشد جيشًا إذن؟ هل كان ذلك مجرد واجهة أيضًا؟»

ردَّت ڤين: «أظن ذلك».

قال صوتٌ ما: «خطأ». وتردَّد صدى صوته في المستودع المُجوَّف. «بل كان هناك ما هو أكثر من ذلك بكثير».

انتفضت العصابة، وسرعان ما أشعلت ڤين معادنها... حتى تعرَّفت على الصوت، وتساءلت: «رينو؟»

رفع دوكسون فانوسه إلى أعلى. وقال: «أظهِر نفسك أيها المخلوق».

تحرَّك جسمٌ ما في الجزء الخلفي البعيد من المستودع، وبقي في الظل. ولكن عندما تحدَّث، كان صوته لا لبس فيه. «لقد احتاج إلى الجيش لتزويد التمرد بنواة من الرجال المُدرَّبين، ولكن تسبَّبت الأحداث في إعاقة هذا الجزء من خطته... ولكن لم يكن هذا سوى جزءٍ واحدٍ فقط من سبب حاجته إلى الجيش. وقد كان على بيوت النبلاء أن

تسقط لتترك فراغًا في الهيكل السياسي. كما كان على الحامية مغادرة المدينة حتى لا يُذبح (السكا)».

قال هام بدهشة: «إنه خطَّط لكل هذا منذ البداية. كان كيلسير يعلم أن (السكا) لن ينتفضوا أبدًا. لقد تعرَّضوا للضرب المبرح على مدى أزمانٍ طويلةٍ، وتكيَّفوا مع أن اللورد الحاكم يمتلك أجسادهم وأرواحهم، لقد أدرك أنهم لن يتمردوا أبدًا... إلا إذا منحهم إلهًا جديدًا».

قال رينو وهو يتقدَّم إلى الأمام: «نعم». انعكس الضوء على وجهه، وشهقت ڤين من المفاجأة.

صرخت: «كيلسير!»

أمسك هام بكتفها، وقال: «انتبهي يا فتاة، إنه ليس هو».

نظر إليها المخلوق. كان يرتدي وجه كيلسير، لكنَّ عينيه... كانتا مُختلفتين. لم يحمل الوجه ابتسامة كيلسير المُميَّزة. بدا مُصمتًا.. ميتًا.

قال: «معذرة، كان هذا هو الجزء الخاص بي في الخطة، وهذا هو سبب تعاقد كيلسير معي في الأصل. كان عليّ أن أخذ عظامه بمجرد وفاته، ثم أظهر لأتباعه لمنحهم الإيمان والقوة».

سألت ڤين: «ما حقيقتك؟»

نظر إليها رينو-كيلسير، ثم أبرق وجهه، وأصبح شفافًا. استطاعت أن ترى عظامه من خلال الجلد الهُلامي. ذكَّرها بـ...

- «شبح ضبابي».

قال المخلوق الذي فقد جلده شفافيته: «كندرة، يمكنكِ أن تقولي شبح ضبابي... قد كبر».

ابتعدت ڤين في اشمئزاز، مُتذكِّرةً المخلوقات التي رأتها في الضباب. آكلو الجيف كما قال كيلسير... تلك المخلوقات التي تهضم جثث

الموتى، وتسرق هياكلهم العظمية وصورهم. حدَّثت نفسها: «بدت الأساطير أكثر صدقًا مما ظننت».

قال الكندرة: «لقد كنتم جزءًا من هذه الخطة أيضًا، كلكم تتساءلون لماذا احتاج كيلسير إلى فريق؟ لقد احتاج إلى رجالٍ يتحلون بالفضيلة. رجال يمكنهم أن يهتموا بأمر الناس أكثر من اهتمامهم بالنقود. لقد وضعكم أمام الجيوش والحشود؛ ليتيح لكم ممارسة القيادة. كان يستخدمكم... لكنه كان يُدِّربكم أيضًا».

نظر المخلوق إلى دوكسون، وبريز، ثم هام، وقال: «بيروقراطي، وسياسي، وجنرال. لكي تولد أمة جديد، يحتاج الأمر إلى رجالٍ يتمتَّعون بمواهبكم الفردية. أومأت الكندرة برأسه إلى ورقةٍ كبيرةٍ مُثبَّتةٍ على طاولةٍ على بُعد مسافة قصيرة. «هذه تعليماتٌ عليكم اتباعها، لديّ أعمالٌ أخرى يجب القيام بها».

استدار كما لو أنه سيغادر، ثم توقَّف بجانب ڤين، والتفت نحوها بوجهه الذي يشبه كيلسير بشكلٍ مثيرٍ للإزعاج، لكن المخلوق نفسه لم يكن يشبه رينو أو كيلسير، بدا خاليًا من العاطفة.

حمل الكندرة حقيبة صغيرة، وقال: «لقد طلب مني أن أعطيك هذا». أسقط الحقيبة في يدها، ثم واصل السير، وأفسح له أفراد العصابة الطريق ليغادر المستودع.

انطلق بريز نحو الطاولة أولًا، لكن هام ودوكسون سبقوه. نظرت ڤين إلى الحقيبة. كانت... تخشى أن ترى محتوياتها، لكنها سارعت إلى الأمام، وانضمت إلى العصابة.

كانت الورقة عبارة عن خريطة للعاصمة، تم نسخها على ما يبدو من تلك التي أرسلها مارش. وقد كُتب في الجزء العلوي بعض الكلمات.

- «أصدقائي، لديكم الكثير من العمل، ويجب عليكم القيام به بسرعة شديدة. لا بُدَّ من تنظيم وتوزيع الأسلحة التي في هذا المستودع، ثم عليكم أن تفعلوا الشيء نفسه في مستودعين آخرين مثله يقعان في الأحياء الفقيرة الأخرى. هناك خيول في غرفة جانبية لتسهيل التنقل.

بمجرد توزيع الأسلحة، سيتعيَّن عليكم تأمين بوابات العاصمة وإخضاع بقية أفراد الحامية. سيتولى فريقك ذلك يا بريز. انطلق إلى الحامية أولًا، حتى تتمكنوا من وضع أيديكم على البوابات بسلام.

هناك أربعة بيوت كبرى تحتفظ بوجود عسكري قوي في العاصمة. لقد ميَّزتهم على الخريطة. سيتعامل فريقك معهم يا هام. لا نريد قوة مُسلحة غير قوتنا داخل العاصمة.

دوكسون، ابقَ في المؤخرة أثناء حدوث الهجمات الأولية. سيأتي المزيد والمزيد من (السكا) إلى المستودعات بمجرد أن ينتشر الخبر. سيشمل جيش بريز وهام القوات التي درَّبنها، بالإضافة إلى التعزيزات -كما آمل- من (السكا) المُتجمِّعين في الشوارع. عليك التأكد من تسليح (السكا) العاديين، حتى يتمكن كلوبز من قيادة الهجوم على القصر نفسه.

يجب أن تكون محطات التهدئة قد تلاشت بالفعل. قام رينو بإصدار الأمر المناسب لفرق الاغتيالات لدينا قبل إحضاركم إلى هنا. إذا كان لديك متسعٌ من الوقت، أرسِل بعض (سفَّاحي) هام لتفقُّد تلك المحطات. بريز، سنحتاج إلى أتباعك من (المُهدِّئين) بين (السكا) لتشجيعهم على التحلي بالبسالة والإقدام.

أعتقد أن هذا كل شيء. لقد كانت عملية ممتعة، أليس كذلك؟ عندما تتذكروني، رجاءً تذكروا ذلك، تذكّروا أن تبتسموا. الآن، تحرَّكوا بسرعة.
أرجو أن تحكموا بحكمة».

***

قسَّمت الخريطة العاصمة، مع تسمية الأقسام المختلفة بأسماء أعضاء العصابة المختلفين. لاحظت ڤين أنه تم استبعادها هي وسازد.

قال كلوبز بصوتٍ مُتذمِّرٍ: «سأعود إلى تلك المجموعة التي تركناها بالقرب من منزلنا. سأحضرهم إلى هنا للحصول على الأسلحة». ثم غادر وهو يعرج.

قال هام، مُلتفتًا: «لا أقصد الإهانة، ولكن... لماذا ضمَّك إلى قادة الجيش؟ ما الذي تعرفه عن الحرب؟»

زمجر كلوبز، ثم رفع البنطال عن ساقه؛ كاشفًا عن الندبة الطويلة المُتعرِّجة التي تمتد على جانب ساقه وفخذه؛ من الواضح أنها مصدر عرجه، ردَّ قائلًا: «من أين تظن أنني حصلت على هذه؟»، ثم بدأ في المغادرة.

استدار هام مندهشًا، وقال: «لا أُصدِّق أن هذا يحدث».

هزَّ بريز رأسه، وقال: «وأنا الذي كنت أفترض أنني أجيد التلاعب بالناس. هذا... هذا مذهل. الاقتصاد على وشك الانهيار، والنبلاء الذي سيبقون على قيد الحياة سيخوضون حربًا مفتوحة في الريف قريبًا. أوضح لنا كيل كيف يمكننا أن نقتل المُحقِّقين. علينا فقط أن نطرحهم أرضًا ونقطع رؤوسهم. أما بالنسبة للورد الحاكم...».

التفتت جميع العيون إلى ڤين. نظرت إلى الحقيبة التي في يدها وفتحتها. سقط كيسٌ صغيرٌ مترع بشكلٍ واضح بخرز الأتيوم في يدها، تبعه قضيبٌ صغير من المعدن مُغلَّفٌ بورقة.. المعدن الحادي عشر.

فكَّت ڤين غلاف الورقة.

أخذت ڤين تقرأ مضمونها:

«كانت المهمة التي يُفترض أن تضطلعي بها منذ الليلة هي اغتيال كبار النبلاء المُتبقِّين في العاصمة، ولكن، حسنًا، لقد أقنعتِني أنه ربما ينبغي أن يعيشوا.

لم أستطع قط أن أتخيَّل كيف يُفترض أن يعمل هذا المعدن اللعين. من الآمن إحراقه -لن يقتلك- ولكن يبدو أنه بلا أيِّ منفعة. إذا كنتِ تقرئين هذه الرسالة، فإن ذلك يعني أنني فشلت في معرفة كيفية استخدامه عندما واجهت اللورد الحاكم. لا أعتقد أنه ذو أهمية. كان الناس فقط بحاجة إلى شيءٍ يؤمنون به، وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة لمنحهم ذلك.

أرجوكِ لا تغضبي مني لتخليِّ عنكِ. لقد عشت عمرًا زائدًا على عمري. كان يجب أن أموت بدلًا من ماري منذ سنوات. وقد كنت مستعدًّا لذلك.

سيحتاج إليكِ الآخرون. أنتِ وليدة الضباب الوحيدة الآن؛ لذا سيتعيَّن عليكِ حمايتهم في الأشهر القادمة. سيرسل النبلاء القتلة لاغتيال حُكام مملكتنا الوليدة.

وداعًا. سأخبر ماري عنكِ، لطالما أرادت أن يكون لها ابنة».

سأل هام: «ماذا تقول هذه الرسالة يا ڤين؟»

- «إنها... تقول إنه لا يعرف الطريقة التي يعمل بها المعدن الحادي عشر. وإنه آسف، فلم يكن متأكِّدًا من كيفية هزيمة اللورد الحاكم».

قال دوكسون: «لدينا مدينة كاملة مليئة بالناس لمحاربته. أشكُّ بجدية في أنه بإمكانه أن يقتلنا جميعًا. إذا لم نتمكَّن من تدميره، فسنقوم بشد وثاقه، وإلقائه في زنزانة تحت الأرض».

أومأ الآخرون برؤوسهم.

تابع دوكسون: «حسنًا! بريز وهام، عليكما الذهاب إلى تلك المستودعات الأخرى والبدء في تسليم الأسلحة. سبوك، اذهب لإحضار المُتدرِّبين، سنحتاج إليهم لإيصال الرسائل. هيا بنا!»

تفرَّق الجمع. سرعان ما اندفعت جموع (السكا) التي رأوها سابقًا إلى المستودع، حاملين مشاعلهم عاليًا، ينظرون في تهيُّب إلى ثروة الأسلحة. عمل دوكسون بكفاءة؛ حيث طلب من بعض الوافدين الجُدد أن يكونوا مُوزِّعين، وأرسل آخرين لحشد أصدقائهم وعائلاتهم. بدأ الرجال في الاستعداد وجمع الأسلحة. كان الجميع مشغولين باستثناء ڤين.

نظرت إلى سازد، فابتسم لها. قال: «أحيانًا يجب علينا فقط أن ننتظر طويلًا يا سيدتي، ثم نكتشف لماذا بالضبط ظلَّلنا مؤمنين. هناك قول مأثور كان السيد كيلسير مغرمًا به».

همست ڤين: «هناك دائمًا سرٌّ آخر لم يُكتشف بعد، ولكن يا سازد، كل شخص هنا لديه ما يفعله إلا أنا، كان من المفترض في الأصل أن أغتال النبلاء، لكن كيل لا يريدني أن أفعل ذلك بعد الآن».

قال سازد: «يجب تحييدهم، لكن هذا لا يعني بالضرورة قتلهم، ربما كان دورك ببساطة إظهار هذه الحقيقة لـ كيلسير؟»

هزَّت ڤين رأسها، وردَّت قائلةً: «لا، يجب أن أفعل المزيد يا سازد».
أمسكت الحقيبة الفارغة بإحباط. هناك شيءٌ ما مُجعَّد بداخلها.

نظرت إلى الأسفل، وفتحت الحقيبة، ولاحظت قصاصة من الورق لم ترها من قبل. أخرجتها وفتحتها برفق. كانت الرسمة التي أراها إياها كيلسير؛ صورة لزهرة. دائمًا ما كانت ماري تحتفظ بها، وهي تحلم بمستقبلٍ حيث لا تكون فيه الشمس حمراء، وحيث تُصبح النباتات خضراء...

رفعت ڤين بصرها.

حدَّثت نفسها: «بيروقراطي، وسياسي، وجندي... هناك شيء آخر تحتاج إليه كل مملكة.

ألا وهو قاتل ماهر».

استدارت، وسحبت قارورة من المعدن وشربت محتوياتها، مُستخدِمةً السائل لابتلاع خزرتين من الأتيوم. مشيت باتجاه كومة الأسلحة، والتقطت حزمة صغيرة من السهام. كانت ذات رؤوسٍ حجريةٍ، بدأت في كسر الرؤوس، وتركت حوالي نصف بوصة من الخشب متصلة بها، وتخلَّصت من قضبانها المُفلطحة.

سأل سازد بقلق: «سيدتي؟»

سارت ڤين بجانبه، وهي تُفتِّش في الأسلحة، حتى عثرت على ما تريده في قطعة درع تشبه القميص، مصنوعة من حلقات كبيرة من المعدن المتشابك، ثم خلعت مقبضها باستخدام خنجر بالإضافة إلى أصابعها المُعزَّزة بالبيوتر.

سألها سازد: «ماذا تفعلين يا سيدتي؟»

اتجهت ڤين نحو صندوقٍ بجانب الطاولة؛ حيث رأت مجموعة كبيرة من مساحيق المعادن. عبَّأت حقيبتها بعدة حفنات من غبار البيوتر.

قالت: «أنا قلقة بشأن اللورد الحاكم»، وأخذت مبردًا معدنيًّا من الصندوق وكشطت بعض نشارة المعدن الحادي عشر. توقَّفت ناظرةً إلى المعدن الفضي غير المألوف، ثم ابتلعت النشارة بجرعة من قارورتها، ووضعت بعض الشظايا الأخرى في إحدى قواريرها المعدنية الاحتياطية.

قال سازد: «من المؤكَّد أن التمرد يمكنه التعامل معه. أعتقد أنه ليس قويًّا بدون كل خدمه».

ردَّت ڤين وهي تنهض وتسير نحو الباب: «أنت مخطئ، إنه قويٌّ يا سازد. لم يستطع كيلسير أن يشعر به مثلما شعرت به، لم يكن يعلم».

سألها سازد من ورائها: «إلى أين أنتِ ذاهبة؟»

توقَّفت ڤين عند الباب، والتفتت، بينما التفَّ الضباب من حولها. قالت: «توجد غرفة داخل مجمع القصر، يحميها الجنود والمُحقِّقون. حاول كيلسير دخولها مرتين». ثم استدارت نحو الضباب الداكن، وأردفت: «الليلة، سأكتشف ما بداخلها».

لقد خلصتُ إلى أنني ممتن لكراهية راشك، إنه لمن الأفضل لي أن أتذكَّر أن هناك أشخاصًا يمقتونني، فدوري ليس السعي وراء الشعبية أو الحب، وإنما دوري هو ضمان بقاء الجنس البشري.

الفصل السادس والثلاثون



سارت ڤين بهدوء باتجاه قصر (كريديك شو). كانت السماء من خلفها مشتعلة، والضباب يعكس وينشر ضوء آلاف المشاعل، بدا ذلك مثل قبة مُشعة فوق المدينة.

ظهر الضوء باللون الأصفر، ذلك اللون الذي لطالما قال كيلسير إنه ما يجب أن تكون عليه الشمس.

وقف أربعة حراس مُتوتِّرين عند مدخل القصر نفسه الذي سبق أن هاجمته هي وكيلسير من قبل. راقبوا اقترابها. خطت ڤين ببطء وبهدوء على الرصيف المُبلَّل بالضباب، وحفيف عباءتها الضبابية يُضفي عليها المهابة.

وجَّه أحد الحراس رمحًا عليها، وتوقَّفت ڤين أمامه مباشرة.

قالت ڤين: «أنا أعرفكم، لقد تحمَّلتم أعمال المصانع، والمناجم، وورشات الحدادة. كنتم تعلمون أنهم سيقتلونكم يومًا ما، ويتركون

عائلاتكم تتضوَّر جوعًا؛ لذا ذهبتم إلى اللورد الحاكم -شاعرين بالذنب ولكن حازمين- وانضممتم إلى حراسه».

نظر الرجال الأربعة بعضهم إلى بعض في حَيْرةٍ من أمرهم.

تابعت: «الضوء الذي خلفي ينبعث من تمرد (السكا) الهائل. إن العاصمة بأكملها تنتفض ضد اللورد الحاكم. لا ألومكم يا رجال على اختياراتكم، لكن حان الآن وقت التغيير. يمكن لهؤلاء المتمردين الاستفادة من تدريبكم وخبرتكم. اذهبوا إليهم، إنهم يجتمعون في ميدان الناجي».

سأل أحد الجنود: «ميدان... الناجي؟»

أجابت: «المكان الذي قُتل فيه الناجي من هاتسين صباح اليوم».

تبادل الرجال الأربعة النظرات المُتردِّدة.

أجَّجت ڤين مشاعرهم قليلًا، وقالت: «لم يعد عليكم أن تعيشوا شاعرين بالذنب بعد الآن».

أخيرًا، تقدَّم أحد الرجال إلى الأمام، ومزَّق الشعار الذي يُزيِّن زيه العسكري، ثم سار بحزمٍ في ظُلمة الليل. توقَّف الثلاثة الآخرون، ثم تبعوه، تاركين ڤين في مدخل القصر المفتوح.

سارت ڤين عبر الممر، مرورًا في النهاية بنفس غرفة الحراسة كما حدث من قبل. تقدَّمت إلى الداخل مُتخطِّيةً مجموعة من الحراس الذين يتحدَّثون دون إيذاء أيٍّ منهم، ودخلت الردهة الخلفية. من خلفها، انتفض الحراس من المفاجأة، وصرخوا في ذعر. ركضوا نحو الممر، لكن ڤين قفزت ودفعت أقواس الفانوس، وألقت بنفسها في الردهة.

ابتعدت أصوات الرجال، فحتى لو ركضوا لن يستطيعوا اللحاق بها. وصلت إلى نهاية الردهة، ثم تركت نفسها تسقط برفق على الأرض،

وعباءتها تلتف حول جسدها. حافظت على وتيرتها الصارمة وغير المُتعجِّلة. لم يكن ما يدعو للركض، فقد كانوا ينتظرونها على أيّ حال.

مرَّت عبر المدخل، ودلفت إلى الغرفة المركزية ذات السقف المُقبَّب. تزيَّنت الجدران بالجداريات الفضية، واشتعلت المجامر النحاسية في الزوايا، بينما تغطَّت الأرضيات بالرخام الأسود.

وقف مُحقِّقان يعترضان طريقها.

سارت ڤين بهدوء عبر الغرفة، تقترب من المبنى الداخلي للمبنى الذي كان هدفها.

قال أحد المُحقِّقين بصوتٍ مُتحشرجٍ: «كنا نبحث عنكِ طوال هذا الوقت، وها أنتِ تأتين إلينا للمرة الثانية».

توقَّفت ڤين على بُعد نحو عشرين قدمًا من هذين الشخصين اللذين يلوحان في الأفق -وكل واحدٍ منهما أطول منها بقدمين تقريبًا- مبتسمين وواثقين من أنفسهما.

أحرقت الأتيوم، ثم مدَّت يدها من تحت عباءتها، وقذفت حفنة مزدوجة من رؤوس السهام في الهواء. أشعلت الفولاذ، ودفعت بقوة الحلقات المعدنية التي تحيط بالقضبان المكسورة لرؤوس السهام بشكلٍ فضفاض. انطلقت القذائف إلى الأمام متناثرةً عبر الغرفة. ضحك المُحقِّق الأكبر، ورفع يده ودفع القذائف بازدراء.

تسبَّب دفعه في تفكيك الحلقات غير المرتبطة بالقضبان، فارتدت القطع المعدنية للخلف. ومع ذلك، استمرت رؤوس السهام نفسها في التقدُّم إلى الأمام، لم يعد يتم دفعها من الخلف، ولكنها لا تزال تحمل زخمًا مميتًا.

فتح المُحقِّق فمه مشدوهًا عندما ضربه أكثر من عشرين رأسًا من رؤوس السهام؛ حيث اخترق العديد منها جسده تمامًا، كما استمرت في الاندفاع نحو الجدار الحجري خلفه. وقد أصاب بعضها رفيقه في ساقيه.

تشنَّج المُحقِّق الأكبر، وبدأ ينهار، بينما زأر المُحقِّق الآخر، وظلَّ واقفًا على قدميه، لكنه ترنَّح قليلًا على ساقه الضعيفة. اندفعت ڤين إلى الأمام، وأحرقت البيوتر. تحرَّك المُحقِّق لمنعها، لكنها مدَّت يدها إلى داخل عباءتها وألقت حفنة كبيرة من غبار البيوتر.

توقَّف المُحقِّق، مرتبكًا. لم ترَ «عيناه» سوى مزيج متشابك من الخطوط الزرقاء، كل خط منها يؤدي إلى ذرة من المعدن. مع وجود العديد من مصادر المعدن المُركَّزة في مكانٍ واحدٍ، فإن هذه الخطوط ستعميه تقريبًا.

استدار المُحقِّق غاضبًا، بينما انطلقت ڤين أمامه. دفع المخلوق الغبار ونفخه بعيدًا، ولكن أثناء قيامه بذلك، سحبت ڤين خنجرًا زجاجيًّا، وصوَّبته نحوه. في وسط هذه الفوضى المُربكة من الخطوط الزرقاء وظلال الأتيوم، لم ينتبه إلى الخنجر، الذي أصابه مباشرةً في فخذه. سقط المُحقِّق، وهو يلعن بصوتٍ مُتشنِّجٍ.

حدَّثت ڤين نفسها: «لحسن الحظ أن هذا قد نجح»، وقفزت فوق جسد المُحقق الأول الذي ما زال يئن. «لم أكن متأكدةً من عيونهم تلك».

ألقت بثقلها على الباب، مُشعِلةً البيوتر، وقذفت بحفنة أخرى من الغبار لمنع المُحقِّق المُتبقِّي من استهداف أيّ معادن يحملها جسدها.

لم تعد إلى الوراء لتقاتل الاثنين أكثر، تجنبًا للمتاعب التي سبَّبها أحد هؤلاء المخلوقات لـ كيلسير. ولم يكن هدفها من هذا التسلُّل هو القتل، بل جمع المعلومات، ثم الهروب.

اقتحمت ڤين المبنى الداخلي للمبنى، وكادت تتعثَّر على بساطٍ مصنوعٍ من نوعٍ غريبٍ من الغراء. عقدت حاجبيها، وتفحَّصت الغرفة على نحوٍ عاجلٍ، بحثًا عن أيّ شيءٍ يخفيه اللورد الحاكم بداخلها.

حدَّثت نفسها بيأسٍ: «يجب أن يكون هنا، ذلك السر الذي سيساعدنا على هزيمته. سبيلنا الوحيد للفوز بهذه المعركة». كانت تُعوِّل على تشتُّت انتباه المُحقِّقين بسبب جروحهم لفترة طويلة تكفيها للبحث عن سر اللورد الحاكم والهروب من المكان.

اشتملت الغرفة على مخرجٍ واحدٍ فقط -المدخل الذي دخلت منه- ومدفأة مُشتعلة في وسطها. بينما زُيِّنت الجدران بزخارف عجيبة؛ حيث يتدلَّى الفراء من معظم الأماكن، وقد صُبغ هذا الفراء بأنماطٍ غريبةٍ. كانت هناك بعض اللوحات القديمة التي بهتت ألوانها، وأصبحت رسوماتها صفراء.

بحثت ڤين بسرعة وباستعجال عن أيّ شيءٍ يمكن أن يكون سلاحًا ضد اللورد الحاكم، ولكن لسوء الحظ، لم ترَ شيئًا مفيدًا، بدت الغرفة ذات طابعٍ غريبٍ، وإن كانت عادية. في الواقع، تميَّزت الغرفة بأجواء منزلية مريحة، مثل المكتب وركن الخلوة كما كانت مليئة بالأشياء والزخارف الغامضة مثل قرون بعض الوحوش الأجنبية وزوجٍ غريبٍ من الأحذية بنعالٍ عريضةٍ ومُسطَّحةٍ للغاية. كانت هذه غرفة لتجميع المقتنيات، مجرد مكان للاحتفاظ بذكريات الماضي.

قفزت عندما تحرَّك شيءٌ ما بالقرب من وسط الغرفة؛ حيث استدار كرسي دوَّار بجانب المدفأة ببطءٍ؛ ليكشف عن الرجل العجوز المنكمش الذي يجلس عليه. كان أصلع، وجلده مُرقَّطًا بالبقع البُنية، ويبدو أنه في السبعينيات من عمره، وقد ارتدى ملابس داكنة باهظة الثمن، وأخذ يتجهَّم في وجه ڤين بغضب.

حدَّثت ڤين نفسها: «هذا هو كل شيء، لقد أخفقت، لا يوجد شيءٌ هنا، حان الوقت للخروج من هنا».

وبينما كانت تدور لتفرّ هاربةً، أمسكتها اليدان الخشنتان من الخلف. أخذت ڤين تلعن، وتكافح وهي تنظر إلى ساق المُحقِّق المُلطَّخة بالدماء. حتى مع حرق البيوتر، لا ينبغي أن يكون قادرًا على المشي عليها. حاولت التملُّص، لكن المُحقِّق أحكم قبضته عليها.

سأل الرجل العجوز، وهو ينهض على قدميه: «ما هذا؟»

أجاب المُحقِّق باحترام: «أنا آسف أيها اللورد الحاكم».

اللورد الحاكم! لكنني... رأيته، لقد كان رجلًا شابًّا.

قال الرجل العجوز وهو يُلوِّح بيده: «اقتلها».

قال المُحقِّق: «مولاي، هذه الفتاة... ذات أهمية خاصة. هل يمكنني الاحتفاظ بها لفترة من الوقت؟»

سأل اللورد الحاكم، وهو يتنهَّد ويجلس مرة أخرى: «أيّ أهمية خاصة؟»

قال المُحقِّق: «نرغب في تقديم التماس لك أيها اللورد الحاكم بخصوص فرع الأرثوذكسية».

سأل اللورد الحاكم بضجر: «هذا مرة أخرى؟»

قال المُحقِّق: «أرجوك يا سيدي». بينما واصلت ڤين كفاحها، وأحرقت بيوترها، لكن المُحقِّق ثبَّت ذراعيها على جانبيها، ولم تكن لركلاتها الخلفية تأثيرٌ كبيرٌ. حدَّثت نفسها بإحباط: «إنه قويٌّ جدًّا!»

ثم تذكَّرته.. المعدن الحادي عشر؛ حيث تُشكِّل قوته الكامنة بداخلها مخزونًا غير مألوف. رفعت بصرها، مُحدِّقةً إلى الرجل العجوز، وأحرقت المعدن الحادي عشر، وهي تقول في نفسها: «من الأفضل أن يعمل هذا!».

لم يحدث أيّ شيءٍ على الإطلاق.

كافحت ڤين بإحباط؛ حيث استحكم اليأس بقلبها، ثم رأته. رجلًا آخر يقف بجانب اللورد الحاكم. من أين أتى؟ لم تَرَه يدخل.

كان الرجل ملتحيًا، ويرتدي ثوبًا سميكًا مصنوعًا من الصوف مع عباءة مُبطَّنة بالفراء، لم تكن ملابسه فاخرة، ولكنها مُصمَّمة بشكلٍ جيدٍ. وقف بهدوء، وبدا... مسرورًا. ابتسم بسعادة.

أمالت ڤين رأسها. ثمة شيءٌ مألوف في هذا الرجل. بدت ملامحه مشابهةً جدًّا لملامح ذلك الرجل الذي قتل كيلسير. ومع ذلك، كان هذا الرجل أكبر سنًّا و... أكثر حيوية.

استدارت ڤين إلى جانبها؛ لترى رجلًا آخر مجهول الهوية بجوارها، نبيلٌ شابٌّ، ويبدو من مظهر بدلته أنه تاجرٌ ذو ثراءٍ فاحشٍ.

ما الذي يجري؟

نفد المعدن الحادي عشر. تلاشى كلا الوافدين الجديدين كالأشباح.

قال اللورد الحاكم العجوز وهو يتنهَّد: «حسنًا، أوافق على طلبك، سنلتقي في غضون ساعاتٍ قليلةٍ. لقد طلب تيفديان بالفعل اجتماعًا لمناقشة الأمور التي تجري خارج القصر».

ردَّ المُحقِّق الثاني: «آه. نعم... سيكون من الجيد أن يكون حاضرًا، هذا أمرٌ جيدٌ حقًّا».

استمرت ڤين في التلوّي بينما دفعها المُحقِّق على الأرض، ثم رفع يده، وهو يمسك بشيءٍ لم تستطع رؤيته. لوَّح به، وانفجر الألم في رأسها.

على الرغم من بيوترها، أصبح كل شيء أسود.

***

وجد إليند والده عند المدخل الشمالي، وهو مدخل أصغر وأقل مهابةً لقلعة ڤينتشر، مقارنةً بالقاعة الكبرى المهيبة.

سأل إليند، وهو يشدُّ معطفه، وبدا شعره أشعث من آثار النوم: «ماذا يحدث هنا؟» وقف اللورد ڤينتشر مع قادة حرسه وقباطنة قواربه، بينما تناثر الجنود والخدم في الردهة ذات اللونين الأبيض والبني، واندفعوا في جوٍّ يوحي بالقلق والخوف.

تجاهل اللورد ڤينتشر سؤال إليند، واستدعى الخيول لركوبها إلى مرافئ النهر الشرقية.

كرَّر إليند سؤاله: «ماذا يحدث يا أبي؟»

صاح اللورد ڤينتشر: «تمرد (السكا)».

تساءل إليند بينما لوَّح اللورد ڤينتشر لمجموعة أخرى من الجنود للاقتراب: «ماذا؟ مستحيل. تمرد (السكا) في لوثاديل نفسها.. هذا غير معقول... لم يكن لديهم النزعة التي تدفعهم إلى تجربة مثل هذه الحركة الجريئة، لقد كانوا مجرد...

حدَّث نفسه: «ڤاليت هي واحدة من (السكا)، عليك أن تتوقَّف عن التفكير مثل النبلاء الآخرين يا إليند، عليك أن تفتح عينيك».

لقد غادرت الحامية لتذبح مجموعة مختلفة من المتمردين. وأُجبرت جموع (السكا) على مشاهدة تلك الإعدامات الشنيعة منذ أسابيع، ناهيك عن المذبحة التي حدثت هذا اليوم. لقد تعرَّضوا لضغوط شديدة قادتهم إلى نقطة الانهيار.

أدرك إليند: «لقد تنبأ تيمادري بذلك، فضلًا عن ستة من المُنظِّرين السياسيين الآخرين. قالوا إن الإمبراطورية النهائية لا يمكن أن تدوم إلى الأبد. سواء أكان اللورد الحاكم على رأسها أم لا، سينتفض الناس يومًا ما... هذا يحدث أخيرًا. وهأنذا أعيشه الآن!

ولكنني... أقف في الجانب الخطأ».

سأل إليند: «لماذا قباطنة القوارب هنا؟»

أجاب اللورد ڤينتشر باقتضاب: «نحن نغادر العاصمة».

سأل إليند: «ونتخلَّى عن القلعة؟ أين الشرف في ذلك؟»

زمجر اللورد ڤينتشر: «هذا ليس وقت الشجاعة يا فتى، بل هو وقت النجاة. هؤلاء (السكا) يهاجمون البوابات الرئيسية، ويذبحون بقايا الحامية. ليس لديّ أيّ نية في الانتظار حتى يأتوا لتصفية حساباتهم مع كبار النبلاء».

- «ولكن...».

هزَّ اللورد ڤينتشر رأسه قائلًا: «كنا سنغادر على أيّ حال، لقد وقع... شيءٌ ما في المناجم قبل بضعة أيام، ولن يكون اللورد الحاكم سعيدًا عندما يكتشف ذلك». تراجع إلى الوراء مُلوِّحًا لقبطان زورقه.

حدَّث إليند نفسه، وهو ما يزال مذهولًا بعض الشيء: «تمرد (السكا). ما الذي حذَّر منه تيمادري في كتاباته؟ عندما يندلع تمردٌ حقيقيٌّ في

النهاية، فإن (السكا) سيذبحون كل من في طريقهم دون تمييز... وعندها ستكون حياة كل نبيلٍ عرضة لهذا المصير».

لقد تنبَّأ بأن التمرد سينتهي بسرعة، لكنه سيُخلِّف في أعقابه أكوامًا من الجثث، الآلاف من القتلى، بل عشرات الآلاف.

سأل اللورد ڤينتشر: «حسنًا يا فتى؟ اذهب وأحضِر أغراضك».

تفاجأ إليند نفسه عندما ردَّ قائلًا: «لن أذهب».

عبس اللورد ڤينتشر، وسأل: «ماذا؟»

رفع إليند بصره قائلًا: «لن أذهب يا أبي».

قال اللورد ڤينتشر وهو يرمق إليند بإحدى نظراته الحادة: «بل ستذهب».

نظر إليند في هاتين العينين اللتين كانتا غاضبتين، ليس لأنهما اهتمتا حقًّا بسلامة إليند، ولكن لأنه تجرأ على تحديهما، والغريب أن إليند لم يشعر بأيّ رهبة. كان على شخصٍ ما أن يُوقف هذا. يمكن للتمرد أن يكون ذا منافع، ولكن فقط إذا لم يصر (السكا) على ذبح حلفائهم. وهذا ما ينبغي أن يكون عليه النبلاء، أن يتحالفوا معهم ضد اللورد الحاكم، إنه عدونا أيضًا.

قال إليند: «أنا جادٌّ يا أبي، سأبقى هنا».

- «اللعنة يا فتى! هل يجب أن تصرَّ على الاستخفاف بي».

ردَّ إليند: «الأمر لا يتعلَّق بالحفلات ولا مآدب الغداء يا أبي، بل يتعلَّق بشيءٍ أكثر أهمية».

توقَّف اللورد ڤينتشر وتساءل: «لا توجد تعليقات ساخرة؟ لا هراء؟»

هزَّ إليند رأسه.

فجأة ابتسم اللورد ڤينتشر، وقال: «إذن، فلتبقَ يا فتى، إنها فكرة جيدة، يجب أن يحافظ شخصٌ ما على وجودنا هنا بينما أذهب لحشد قواتنا. نعم... هذه فكرة جيدة جدًّا».

توقَّف إليند، عابسًا قليلًا من الابتسامة التي تلمع في عيون والده. وحدَّث نفسه قائلًا: «الأتيوم... إن أبي يُورِّطني للوقوع بدلًا منه! حتى لو لم يقتلني اللورد الحاكم، فإنه يفترض أنني سأهلك في التمرد. في كلتا الحالتين، سيتخلَّص مني. إنني حقًّا لستُ جيدًا في هذا، أليس كذلك؟!»

استدار اللورد ڤينتشر، وهو يضحك بينه وبين نفسه.

قال إليند: «على الأقل، اترك لي بعض الجنود».

ردَّ اللورد ڤينتشر: «يمكنك الحصول على معظمهم. سيكون من الصعب خروجنا جميعًا بقاربٍ واحدٍ وسط هذه المعمعة. حظًّا مُوفَّقًا يا فتى، بلِّغ تحياتي للورد الحاكم في غيابي». ضحك مرة أخرى، وهو يتجه نحو الحصان الذي كان مُحمَّلًا ومُجهَّزًا للخروج.

وقف إليند في القاعة، وفجأة أصبح محور الاهتمام. التفت الحراس والخدم المُتوتِّرين -بعد أن أدركوا أنه تم التخلي عنهم- إلى إليند بعيون يائسة.

حدَّث نفسه مصدومًا: «أنا... في موضع المسؤولية، ما العمل الآن؟» في الخارج، رأى الضباب مشتعلًا مع وهج ألسنة اللهب. وراح العديد من الحراس يصرخون بشأن اقتراب حشود (السكا).

سار إليند نحو الباب المفتوح، مُحدِّقًا إلى الفوضى. هدأت القاعة خلفه؛ حيث أدرك الناس المذعورين مدى خطورة الموقف.

وقف إليند للحظة طويلة، ثم استدار نحو قائد الحرس قائلًا: «أيها القائد، اجمع قواتك وجميع الخدم الباقين، لا تترك أحدًا وراءك، ثم انطلق بهم إلى قلعة ليكال».

تساءل الرجل: «قلعة... ليكال يا سيدي؟»

ردَّ إليند: «إنها أكثر تحصُّنًا، بالإضافة إلى أن كلينا لديه عددٌ قليلٌ من الجنود، إذا كنا منفصلين بعضنا عن بعض، فسنُدَمَّر، ولكنا إذا اجتمعنا معًا ربما نستطيع الصمود. سنُقدِّم رجالنا إلى آل بيت ليكال في مقابل حماية شعبنا».

قال الجندي: «ولكن... يا سيدي، آل ليكال هم أعداؤكم».

أومأ إليند برأسه، وأجاب: «نعم، ولكن على شخصٍ ما أن يأخذ الخطوة الأولى. الآن، هيا تحرَّك!»

أدَّى إليه الرجل التحية، ثم انطلق بسرعة.

استدرك إليند: «أوه، أيها القائد!»

توقَّف الجندي.

– «تخيَّر خمسة من خيرة جنودك ليكونوا حرسي الشرفيين، سأترك لك المسؤولية؛ لأن لديّ أنا وهؤلاء الخمسة مهمة أخرى».

سأل قائد الحرس بارتباك: «سيدي؟ ما هذه المهمة؟»

التفت إليند مرة أخرى نحو الضباب وقال: «سنقوم بتسليم أنفسنا».

***

استيقظت ڤين مستشعرةً البلل. سعلت، ثم تأوهت، وشعرت بألمٍ حادٍّ في مؤخرة جمجمتها. فتحت عينيها الزائغتين –لمحت الماء الذي أُلقي عليها– وعلى الفور أحرقت البيوتر والقصدير؛ لتستيقظ تمامًا.

رفعها زوجٌ من الأيدي الخشنة في الهواء. سعلت عندما دفع المُحقِّق شيئًا ما في فمها.

أمرها وهو يلوي ذراعها: «ابتلعي!»

صرخ ڤين، وهي تحاول مقاومة الألم ولكن دون جدوى.

في النهاية، استسلمت وابتلعت القطعة المعدنية.

أمر المُحقِّق، وهو يلوي ذراعها بمزيدٍ من القسوة: «الآن، أحرقيها»، إلا أن ڤين قاومت، مستشعرةً مخزون المعدن غير المألوف بداخلها. ربما يحاول المُحقِّق حملها على حرق معدن عديم الفائدة من شأنه أن يُصيبها بالمرض... والأسوأ من ذلك أن يقتلها.

تفكَّرت ڤين وهي تتعذَّب: «ولكن، هناك طرق أسهل بكثير لقتل أحد الأسرى». شعرت بألمٍ شديدٍ في ذراعها التي بدت وكأنها ستنفصل عن جسدها. في نهاية المطاف، رضخت ڤين وأحرقت المعدن.

على الفور، اختفت جميع مخزوناتها المعدنية الأخرى.

قال المُحقِّق وهو يدعها تسقط على الأرض: «جيد». كانت الحجارة مبللة حيث غمرها دلوٌ من الماء. استدار المُحقِّق وخرج من الزنزانة مُغلِقًا بابها ذا القضبان، ثم اختفى في مدخل على الجانب الآخر من الغرفة.

زحفت ڤين على ركبتيها، ودلكت ذراعها، مُحاوِلةً استيعاب ما حدث. بحثت بيأسٍ داخل نفسها عن معادنها، لكنها لم تجد شيئًا. لم تستطع الشعور بأيّ معدن، ولا حتى ذلك الذي تناولته قبل لحظات.

ماذا كان هذا؟ أهناك معدن ثاني عشر؟ ربما لم يكن الألومانسي محدودًا كما أكَّد لها كيلسير والآخرون دائمًا.

أخذت عدة أنفاسٍ عميقةٍ، واستنهضت على ركبتيها، لتهدئة نفسها. كان هناك شيءٌ ما... يدفعها. حضور اللورد الحاكم. شعرت به، على

الرغم من أنه لم يكن قويًّا مثل السابق، عندما قتل كيلسير. ومع ذلك، لم يكن لديها نحاس لتحرقه، ولم يعد لديها طريقة للاختباء من يد اللورد الحاكم القوية ذات القدرة شبه الكلية. شعرت بالاكتئاب يكتنفها، ويطالبها بالاستلقاء والاستسلام...

حدَّثت ڤين نفسها: «لا! عليّ أن أخرج من هنا، يجب أن أبقى قوية!»

أجبرت نفسها على النهوض وتفقُّد محيطها.

كان سجنها أشبه بقفص منه إلى زنزانة. اشتمل على قضبان ممتدة على ثلاثة من الجوانب الأربعة، ولم يشتمل على أيّ أثاث ولا حتى حصيرة للنوم. كان هناك قفصان آخران في الغرفة على كلا جانبيها.

لقد قاموا بتجريدها من ملابسها، وتركوها فقط بملابسها الداخلية. ربما يرجع الغرض من هذه الحركة إلى التحقُّق من أنها لا تملك أيّ معادن مخفية. ألقت نظرة على الغرفة من حولها. كانت مرتفعة وضيقة، ولها جدران حجرية صلبة. بدت الغرفة فارغة تمامًا إلا من كرسي في أحد الزوايا.

لو تعثر فقط على القليل من المعدن...

بدأت في البحث. أحرقت الحديد، بشكلٍ غريزي، مُتوقِّعةً ظهور الخطوط الزرقاء، لكن -بالطبع- لم يكن لديها حديد لتحرقه. هزَّت رأسها استنكارًا لهذه البادرة الحمقاء التي كشف عن مدى اعتمادها على الألومانسي. شعرت... بالعمى. لم تستطع حرق القصدير لتسمع الأصوات. لم تستطع حرق البيوتر لتقوى على احتمال شدة آلام ذراعها ورأسها. لم تستطع حرق البرونز للبحث عن الألومانسيين القريبين.

لا شيء، لم يكن لديها أيّ شيءٍ على الإطلاق.

أخبرت نفسها بصرامة: «لقد عملتِ بدون الألومانسي من قبل. يمكنكِ القيام بذلك الآن».

ومع ذلك، فقد فتَّشت في أرضية زنزانتها الجرداء، على أمل أن تعثر هناك على دبوس أو مسمار مهمَل. لم تجد شيئًا؛ لذلك وجهَّت انتباهها إلى القضبان، ولكن لم تستطع التفكير في طريقة للحصول حتى على شظية من الحديد.

تفكَّرت بإحباط: «يوجد الكثير من المعادن هنا، ولكن لا يمكنني استخدام أيّ منها!»

جلست على الأرض، مُلتفة حول الجدار الحجري، ترتجف بهدوء في ملابسها المُبلَّلة. وما يزال الظلام في الخارج؛ فقد سمحت لها نافذة الغرفة بدخول بضع خيوطٍ من الضباب بشكلٍ عرضي. ماذا حدث للتمرد؟ ماذا حدث لأصدقائها؟ خُيِّل لها أن الضباب بالخارج يبدو أكثر سطوعًا من المعتاد. ضوء المشاعل في الليل؟ بدون القصدير كانت حواسها أضعف من أن تخبرها بما يجري.

حدَّثت نفسها بيأس: «ما الذي فكرتُ فيه؟ هل ظننتُ أنني سأنجح فيما فشل فيه كيلسير؟ كان يعلم أن المعدن الحادي عشر عديم الفائدة».

لقد فعل شيئًا ما حقًّا، ولكنه بالتأكيد لم يقتل اللورد الحاكم. جلست تُفكِّر وتحاول اكتشاف ما حدث. ثمة شعورٌ غريبٌ بالألفة حيال الأشياء التي أظهرها لها المعدن الحادي عشر. ليس بسبب الطريقة التي ظهرت بها الرؤى، ولكن بسبب ما شعرت به فَين عندما أحرقت المعدن.

الذهب! تبدو اللحظة التي أحرقت فيها المعدن الحادي عشر مشابهة لتلك اللحظة التي جعلني فيها كيلسير أحرق الذهب.

هل يمكن أن يكون المعدن الحادي عشر ليس هو «الحادي عشر» حقًّا؟» لقد بدا دائمًا كلٌّ من الذهب والأتيوم مقترنين بشكلٍ غريبٍ بالنسبة إلى ڤين. شكّلت جميع المعادن الأخرى أزواجًا متشابهة؛ معدن أساسي، ثم سبيكة له، وكل معدن منها يقوم بأشياء مُعاكسة. الحديد يسحب، والفولاذ يدفع.. الزنك يسحب، والنحاس الأصفر يدفع. كل شيء منطقي، باستثناء الأتيوم والذهب.

ماذا لو كان المعدن الحادي عشر عبارة عن سبيكة من الأتيوم أو الذهب؟ هذا يعني... أن الذهب والأتيوم غير مقترنين، أي أنهما يقومان بشيئين مختلفين.. شيئين متشابهين، ولكنهما مختلفين أيضًا، إنهما مثل...

مثل المعادن الأخرى التي تم تجميعها في قواعد مُكوَّنة من أربعة معادن. فهناك المعادن المادية: الحديد والفولاذ والقصدير والبيوتر. وهناك المعادن العقلية: البرونز والنحاس والزنك والنحاس الأصفر. و... هناك أيضًا المعادن ذات التأثير الزمني: الذهب وسبيكته، والأتيوم وسبيكته.

هذا يعني أن هناك معدنًا آخر.. معدنًا لم يتم اكتشافه، ربما لأن الأتيوم والذهب قيمان للغاية بحيث لا يمكن تشكيلهما في سبائك مختلفة.

لكن ما جدوى هذه المعرفة؟ ربما كان معدنها الحادي عشر مجرد زوج مقابل للذهب، ذلك المعدن الذي أخبرها كيلسير أنه أقل معدن فائدة من بين جميع المعادن. أظهر الذهب لـ ڤين نفسها، أو على الأقل، نسخة مختلفة من نفسها تبدو حقيقية بما يكفي للمسها، لكنها كانت مجرد رؤية لما كان يمكن أن تصبح عليه، لو كان الماضي مختلفًا.

لقد فعل المعدن الحادي عشر شيئًا مماثلًا: بدلًا من إظهار ماضي ڤين لنفسها، فقد أظهر لها صورًا مماثلةً لأشخاصٍ آخرين. ولم يخبرها ذلك بأيِّ شيءٍ على الإطلاق. ما الفرق الذي أحدثته رؤيتها لما كان يمكن أن يكون عليه اللورد الحاكم؟ فقد أصبح بالفعل الرجل الحالي، الطاغية الذي يحكم الإمبراطورية النهائية، والذي كان عليها هزيمته.

ظهر شخصٌ ما في المدخل، مُحقِّق يرتدي رداءً أسود، وغطاء الرأس. بدا وجهه مُظلَّلًا، لكن رؤوس المسامير تدلَّت من مقدمة قلنسوته.

قال: «حان الوقت». انتظر مُحقِّق آخر في المدخل حيث أخرج المخلوق الأول مجموعة من المفاتيح وتحرَّك لفتح باب ڤين.

ارتعدت ڤين. دار المفتاح في الباب. قفزت واقفةً على قدميها، وهي تتدفع إلى الأمام.

تفكَّرت برعب: «هل كنتُ دائمًا بطيئة بدون البيوتر؟» أمسك المُحقِّق ذراعها بقوة وهي تمر بجواره، وبدت حركاته غير مبالية، عفوية تقريبًا، ويمكنها أن ترى السبب؛ حيث تحرَّكت يديه بسرعة خارقة للطبيعة؛ مما جعلها تبدو أكثر تباطؤًا بالمقارنة.

سحبها المُحقِّق وأدارها ثم حملها بسهولة. ارتسمت ابتسامةٌ شريرة على وجهه المليء بالندوب.. الندوب التي بدت وكأنها...

تفكَّرت بصدمة: «جروح رؤوس السهام، لكن... هل التأمت بالفعل؟ كيف يمكن أن يحدث ذلك؟»

كافحت، لكنها جسدها الضعيف الخالي من البيوتر لم يكن يضاهي قوة المُحقِّق. حملها المخلوق نحو المدخل، وتراجع المُحقِّق الثاني إلى الوراء، وهو يُطالعها من خلال المسامير التي تطلُّ من قلنسوته. وعلى

الرغم من ابتسام المُحقِّق الذي يحملها، فإنه لم تظهر أيّ تعابير على فم الثاني.

بصقت ڤين على المُحقِّق الثاني أثناء مرورها، وقد أصاب بصاقها أحد رؤوس مساميره. حملها آسرها خارج الغرفة وعبر ممرٍّ ضيقٍ. صرخت طلبًا للنجدة، مع علمها بأن صراخها -في قلب (كريديك شو) نفسه- لن يكون مجديًا، ولكنها على الأقل نجحت في إزعاج المُحقِّق؛ لأنه قام بليِّ ذراعها.

قال لها وهي تنخر من الألم: «اصمتي!»

صمتت ڤين، وركَّزت بدلًا من ذلك على موقعهم، ربما كانوا في أحد الأقسام السفلية من القصر، فقد بدت الممرات طويلة جدًّا بحيث لا يمكن أن يكونوا في برج أو قمة مستدقة. كانت الزخارف فخمة، لكن الغرف بدت... غير مستهلكة. تميَّز السجاد بنظافته، كما لم يحمل الأثاث أيّ علامات خدوش أو اهتراء. تسلَّل إلى ڤين شعورٌ بأن اللوحات الجدارية نادرًا ما تُرى، حتى من قِبل أولئك الذي يمرون كثيرًا عبر الغرف.

في النهاية، دخل المُحقِّقان إلى بئر السلم، ثم بدآ في الصعود. خمنَّت أنهما في طريقهما إلى أحد الأبراج.

مع كل خطوة يصعدونها، شعرت ڤين بأن اللورد الحاكم يقترب. تسبَّب مجرد وجوده في إخماد انفعالاتها، وسلب إرادتها، وإفقادها الإحساس بأيّ شيء إلا بالاكتئاب وحده. استسلمت تحت قبضة المُحقِّق، ولم تعد تكافح. تطلَّب الأمر استجماع كل طاقتها لمقاومة ضغط اللورد الحاكم على روحها.

بعد قضاء وقتٍ قصيرٍ في درجٍ يشبه النفق، حملها المُحقِّقان إلى غرفة دائرية كبيرة. ورغم قوة تهدئة اللورد الحاكم وزياراتها السابقة إلى قِلاع النبلاء، فإن فين لم تستغرق سوى لحظاتٍ قصيرةٍ للتحديق إلى محيطها؛ لتدرك أنه أشدُّ فخامة من أيّ شيءٍ رأته من قبل.

بدت الغرفة ضخمة وأسطوانية الشكل، بينما صُنع الجدار -الذي كان واحدًا فقط يمتد في دائرة شاسعة- بالكامل من الزجاج. وقد أُضيئت الغرفة بمشاعل من الخلف؛ لتتوهَّج بالضوء الطيفي. كان الزجاج مُلوَّنًا على الرغم من أنه لم يُصوِّر مشهدًا مُحدَّدًا، بل بدا مُصمَّمًا من طبقة واحدة، واندمجت الألوان معًا في خطوطٍ طويلةٍ رفيعةٍ، مثل...

تُفكِّرت مُتعجِّبة: «مثل الضباب. تيارات مُلوَّنة من الضباب تدور في دائرةٍ حول الغرفة بأكملها».

جلس اللورد الحاكم على عرشٍ مرتفعٍ في وسط الغرفة، لم يكن ذلك اللورد الحاكم العجوز، بل النسخة الأصغر منه، ذلك الرجل الوسيم الذي قتل كيلسير.

أهذا نوعٌ من الانتحال؟ لا، يمكنني أن أشعر به، تمامًا كما شعرت به من قبل. إنهما نفس الرجل. هل يمكنه تغيير مظهره إذن؟ يظهر بمظهرٍ أكثر شبابًا عندما يريد أن يبدو وسيم الوجه؟

وقفت مجموعة صغيرة من المُلتزمين بأرديتهم الرمادية ووشوم أعينهم يتحدَّثون في الجانب الآخر من الغرفة، بينما وقف سبعة مُحقِّقين منتظرين، مثل صفٍّ من الظلال ذات العيون الحديدية، هذا يجعل عددهم تسعة باحتساب الاثنين اللذين اصطحبا فين. سلَّمها آسرها ذو الوجه المليء بالندوب إلى مُحقِّق آخر، أمسكها بقبضة مُماثلة لا مفر منها.

قال اللورد الحاكم: «دعونا نبدأ بهذا الأمر».

تقدَّم أحد المُلتزمين العاديين، وانحنى إلى الأمام. سرت قشعريرة في جسد ڤين، وأدركت أنها تعرَّفت عليه.

تفكَّرت وهي تتطلَّع إلى الرجل الأصلع النحيل: «كبير الكهنة (البريلان). تيفديان... أبي».

قال تيفديان: «سامحني يا مولاي، لكنني لا أفهم، لقد ناقشنا هذا الأمر بالفعل».

ردَّ اللورد الحاكم بصوتٍ مُنهكٍ: «يقول المُحقِّقون أن لديهم المزيد ليضيفوه».

حدَّق تيفديان إلى ڤين، وقطَّب جبينه بارتباك. حدَّثت نفسها: «إنه لا يعرفني، لم يكن يعرف أنه أب».

قال تيفديان وهو يشيح ببصره بعيدًا عنها: «مولاي! انظر خارج نافذتك! أليس لدينا أشياء أكثر أهمية لنناقشها؟ لقد نشب التمرد في المدينة بأكملها. أضاءت مشاعل (السكا) الليل، وتجرؤوا على الخروج في الضباب، إنهم يُجدِّفون بك في أعمال الشغب، ويهاجمون قِلاع النبلاء».

ردَّ اللورد الحاكم بصوتٍ غير مكترث: «دعهم». بدا... مرهقًا جدًّا. جلس بقوة على عرشه، لكن ما يزال هناك سأمٌ في نبرة صوته.

قال تيفديان: «لكن يا مولاي! البيوت الكبرى تتداعى!»

لوَّح اللورد الحاكم بيدٍ مُستنكرة: «إنه لأمرٌ جيد أن يتم تطهيرهم كل قرن أو نحو ذلك. هذا يُعزِّز عدم الاستقرار، ويمنع الطبقة الأرستقراطية من أن تزداد ثقةً. عادةً ما أتركهم يقتل بعضهم بعضًا في إحدى حروبهم الحمقاء، لكن أعمال الشغب هذه ستفي بالغرض».

- «وماذا... إذا جاء (السكا) إلى القصر؟»

ردَّ اللورد الحاكم بهدوء: «إذن سأتعامل معهم، لا يمكنك أن تُشكِّك في ذلك».

قال تيفديان، وهو ينحني ويتراجع إلى الخلف: «أجل يا مولاي».

قال اللورد الحاكم، ملتفتًا إلى المُحقِّقين: «الآن، ما الذي ترغبون في استعراضه؟»

تقدَّم المُحقِّق ذو الندوب إلى الأمام، وأوضح: «مولاي اللورد الحاكم، نود أن نلتمس نزع قيادة وزارتك من هؤلاء... الرجال ومنحها للمُحقِّقين بدلًا منهم».

ردَّ اللورد الحاكم: «لقد ناقشنا هذا الأمر، ثمة حاجة إليك وإلى إخوتك للقيام بمهامّ أكثر أهمية. أنتم ذوو قيمة كبيرة بحيث لا يمكن إهداركم في المهام الإدارية البسيطة».

قال المُحقِّق: «لكن بالسماح للرجال العاديين بإدارة وزارتك، فقد سمحت عن غير قصدٍ للفساد والرذيلة بالدخول إلى قلب قصرك المُقدَّس!»

انفعل تيفديان: «ادعاءات باطلة! كثيرًا ما تقول مثل هذه الأشياء يا كار، لكنك لا تُقدِّم أبدًا أيّ دليلٍ على ما تقول».

استدار كار ببطء، ولمعت ابتسامته المخيفة تحت ضوء النافذة المُلوَّن والمُتعرِّج. ارتجفت ڤين. كانت تلك الابتسامة مقلقة تمامًا مثل تهدئة اللورد الحاكم.

سأل كار: «دليل؟ حسنًا، أخبرني يا كبير الكهنة (البريلان)، هل تعرف تلك الفتاة؟»

قال تيفديان وهو يُلوِّح بيده: «سحقًّا، بالطبع لا! ما علاقة فتاة من (السكا) بقيادة الوزارة؟»

قال كار، وهو يلتفت إلى ڤين: «كل شيء. أوه، نعم... كل شيء. أخبري اللورد الحاكم من هو والدكِ يا فتاة».

حاولت ڤين التملُّص، ولكن قوة ألومانسي اللورد الحاكم كانت قاهرة للغاية، كما كانت يد المُحقِّق قوية جدًّا. تمكَّنت من أن تقول عبر أسنانها المُصطكة: «لا أعرف».

اشرأب عنق اللورد الحاكم قليلًا، مستديرًا نحوها، ومنحنيًا إلى الأمام.

قال كار بصوتٍ هادئ وخشن: «لا يمكنكِ أن تكذبي على اللورد الحاكم يا فتاة، لقد عاش لقرون، وتعلَّم أن يستخدم الألومانسي كما لم يستخدمه إنسان بشري، يمكنه رؤية الأشياء بالطريقة التي ينبض بها قلبكِ، ويمكنه قراءة مشاعركِ من خلال عينيكِ، كما يمكنه الإحساس باللحظة التي تكذبين فيها. إنه يعلم... أوه، نعم، إنه يعلم».

قالت ڤين بعناد: «لم أعرف والدي قط». إذا أراد المُحقِّق معرفة شيءٍ ما، فإن الاحتفاظ به سرًّا تبدو فكرة جيدة. «أنا مجرد قنفذ شوارع».

سأل كار: «قنفذ شوارع من وليدي الضباب. حسنًا، هذا مثيرٌ للاهتمام. أليس كذلك يا تيفديان؟»

صمت كبير الكهنة (البريلان)، وتفاقم عبوسه. وقف اللورد الحاكم ببطء، ونزل على درج منصته مُتجهًا نحو ڤين.

قال كار: «نعم يا مولاي. لقد شعرت بقوتها الألومانتيكية من قبل، وتعلم أنها وليدة ضبابٍ كاملة، وأنها قوية بشكلٍ مذهل. ومع ذلك، تدعى أنها نشأت في الشوارع. أيّ بيتٍ نبيل كان سيتخلَّى عن مثل هذه الفتاة؟ حسنًا، حتى تتمتَّع بمثل هذه القوة، يجب أن تنتمي إلى سلالة

نقية للغاية، على الأقل... يجب أن يكون أحد والديها من سلالة نقية جدًّا».

سأل تيفديان بوجهٍ شاحبٍ: «إلامَ تُلمِّح؟»

تجاهل اللورد الحاكم كليهما. تقدَّم عبر الألوان المُتدفِّقة المنعكسة على الأرضية، ثم توقَّف أمام ڤين مباشرة.

تفكَّرت ڤين: «قريبٌ جدًّا». كانت تهدئته قوية جدًّا لدرجة أنها لم تستطع حتى الشعور بالرعب، كل ما شعرت به هو الحزن العميق المهيمن الرهيب.

مدَّ اللورد الحاكم يديه الرقيقتين، وتحسَّس خديها، ورفع وجهها لأعلى بحيث تلتقي عينيها بعينيه، ثم سألها بهدوء: «من هو والدكِ يا فتاة؟»

«أنا...» التوى اليأس بداخلها، داهمها الحزن، والألم، والرغبة في الموت.

أمسك اللورد الحاكم بوجهها وقرَّبه من وجهه، ونظر في عينيها. في تلك اللحظة، عرفت الحقيقة، يمكنها أن ترى قطعة منه، يمكنها استشعار قوته، قوته... الإلهية.

لم يكن قلقًا بشأن تمرد (السكا). لماذا عليه أن يقلق؟ يمكنه، إذا شاء، أن يذبح جميع مَن في المدينة بنفسه. عرفت ڤين أن هذه هي الحقيقة. قد يستغرق الأمر وقتًا، لكنه بإمكانه أن يُقتِّل في الناس بلا كلل إلى الأبد. ليس هناك ما يدعوه للخوف من التمرد.

ليس هناك ما يدعوه لذلك على الإطلاق، لقد ارتكب كيلسير خطأً فادحًا وشنيعًا.

أصرَّ اللورد الحاكم: «من والدكِ يا فتاة؟» بدا سؤاله مثل الثقل المادي على روحها.

تحدَّثت فُين على الرغم من نفسها: «أخبرني... أخي أن والدي هو ذلك الرجل هناك. كبير الكهنة (البريلان)». انهمرت الدموع على خديها، على الرغم من أنه بمجرد تنحي اللورد الحاكم بعيدًا عنها، لم تستطع تذكُّر سبب بكائها.

قال تيفديان، وهو يتراجع إلى الخلف: «إنها فِرْية يا مولاي! ماذا تعرف؟ إنها مجرد طفلة ساذجة».

قال اللورد الحاكم، وهو يمشي ببطءٍ نحو المُلتزم: «أخبرني بصدقٍ يا تيفديان، هل سبق لك أن نمت مع امرأة من (السكا)؟»

صمت المُلتزم قليلًا، ثم قال: «لقد اتبعت القانون! لقد كنت أقتلهم دائمًا بعد ذلك».

قال اللورد الحاكم، كما لو كان متفاجئًا: «أنت... تكذب، إنك غير متأكِّدٍ من ذلك».

بدأ تيفديان يرتجف بشكلٍ واضحٍ. ردَّ قائلًا: «أنا... أعتقد أنني تخلَّصت منهم جميعًا يا مولاي. كانت هناك واحدة... ربما تساهلت معها للغاية. لم أكن أعرف أنها من (السكا) في بادئ الأمر، لقد كان الجندي الذي أرسلته لقتلها متساهلًا للغاية، وتركها تذهب، لكنني عثرت عليها».

سأله اللورد الحاكم: «أخبرني، هل أنجبت هذه المرأة أطفالًا؟»

خيَّم الصمت على الغرفة.

قال كبير الكهنة: «نعم، يا مولاي».

أغمض اللورد الحاكم عينيه، وهو يتنهَّد، ثم عاد إلى عرشه، وقال للمُحقِّقين: «هو لكم».

على الفور، اندفع ستة مُحقِّقين عبر الغرفة، وراحوا يصيحون بفرح، ثم سحبوا خناجر السبج من أغمادها تحت أرديتهم. رفع تيفديان ذراعيه، صارخًا عندما انقضَّ المُحقِّقون عليه، مبتهجين بوحشيتهم. تطايرت الدماء وهم يُغرقون خناجرهم مرارًا وتكرارًا في الرجل المُحتضر. تراجع المُلتزمون الآخرون، وهم ينظرون في رعب.

بقي كار في الخلف، مبتسمًا وهو يشاهد المذبحة، وكذلك فعل المُحقِّق الذي يقبض على ڤين. بقي مُحقِّق آخر أيضًا مكانه، على الرغم من أن ڤين لم تعرف السبب.

قال اللورد الحاكم، وهو يجلس على عرشه بضجر: «لقد ثبتت صحة وجهة نظرك يا كار. يبدو أنني قد وثقت كثيرًا في... طاعة البشر. أنا لم أخطئ، أنا لم أخطئ قط. ومع ذلك، فقد حان الوقت للتغيير. اجمعوا كبار الكهنة (البريلان)، وأحضروهم إلى هنا. قوموا بإيقاظهم من فراشهم، إذا لزم الأمر؛ ليشهدوا على أنني أمنح القيادة والسلطة على الوزارة لفرع مكاتب التحقيق».

اتسعت ابتسامة كار.

تابع اللورد الحاكم: «يجب تدمير هذه الفتاة المُهجَّنة».

قال كار: «بالطبع يا سيدي، لكن... هناك بعض الأسئلة التي أود طرحها عليها أولًا. لقد كانت جزءًا من فريق (السكا) الضبابيين. إذا كان بإمكانها مساعدتنا في تحديد مكان الآخرين...

قاطعه اللورد الحاكم قائلًا: «حسنًا جدًّا، هذا هو واجبك، على أيِّ حال».

هل هناك شيءٌ أجمل من الشمس؟ كثيرًا ما أشاهدها وهي تشرق؛ لأن نومي المضطرب يُوقظني عادةً قبل مطلع الفجر.

مع كل مرة أرى ضوءها الأصفر الهادئ يلوح في الأفق، أُصبح أشد عزمًا وأكثر أملًا. بطريقةٍ ما، كانت الشمس هي الشيء الذي يدفعني للمواصلة طوال هذا الوقت.

الفصل السابع والثلاثون



تفكَّر دوكسون وهو يُدوِّن الملاحظات على الخريطة المفرودة على الطاولة: «كيلسير، أيها المجنون اللعين، لماذا تتنحَّى بعيدًا، وتتركني للتعامل مع عبثك؟» ومع ذلك، كان يعلم أن إحباطه ليس حقيقيًّا، بل مجرد وسيلة لتشتيت انتباهه عن موت كيل. بدت هذه الوسيلة فعَّالة.

انتهى دور كيلسير في الخطة، والذي تمثَّل في: الرؤية، والقيادة الجذابة. والآن حان دور دوكسون. لقد أخذ إستراتيجية كيلسير الأصلية وقام بتعديلها؛ حيث حرص على إبقاء الفوضى عند مستوى قابل للإدارة، مع تخصيص أفضل المعدات للرجال الذين بدوا أكثر استقرارًا. كما أرسل فرقًا للاستيلاء على النقاط الإستراتيجية -مخازن الطعام والماء- قبل نهبها في أعمال الشغب العامة.

باختصار، لقد فعل ما كان يفعله دائمًا: جعل أحلام كيلسير حقيقة واقعة.

صدرت جلبة من مقدمة الغرفة، فرفع دوكسون بصره بينما هرع رسولٌ إلى الداخل. سعى الرجل على الفور إلى دوكسون في وسط المستودع.

سأل دوكسون عندما اقترب الرجل: «ما الأخبار؟»

هزَّ الرسول رأسه. كان شابًّا يرتدي زيًّا إمبراطوريًّا، على الرغم من خلعه للسترة ليجعل نفسه يبدو أقل بروزًا. قال الرجل بهدوء: «أنا آسف يا سيدي. لم يرَها أيٌّ من الحراس وهي تخرج من هناك، و... حسنًا، ادعى أحدهم أنه رآها تُحمل نحو زنزانات القصر».

سأل دوكسون: «هل يمكنك إخراجها؟»

شحب وجه الجندي، غورادل، الذي كان قبل وقتٍ قصيرٍ من ذلك أحد رجال اللورد الحاكم. في الحقيقة، لم يكن دوكسون متأكِّدًا من مدى ثقته في الرجل؛ ومع ذلك، يمكن للجندي -بصفته حارسًا سابقًا للقصر- الدخول إلى أماكن لا يستطيع باقي (السكا) الوصول إليها. حيث لم يعرف حلفاؤه السابقون أنه قد غيَّر موقفه.

تفكَّر دوكسون: «هذا على افتراض أنه قد غيَّر موقفه حقًّا». لكن... حسنًا، كانت الأمور تتحرَّك بسرعة كبيرة الآن بما لا يدع له مجالًا حتى للشك في نفسه. قرَّر دوكسون استخدام هذا الرجل، كان عليه أن يثق في غرائزه البدائية.

كرَّر دوكسون: «حسنًا؟»

هزَّ غورادل رأسه. «هناك مُحقِّق يحتجزها في المحبس يا سيدي، لا يمكنني تحريرها، لا أمتلك السلطة لفعل ذلك. أنا... لا...»

تفكَّر دوكسون: «اللعنة على هذه الفتاة الحمقاء! كان يجب أن يكون لديها المزيد من الحس السليم. لا بُدَّ أن شخصية كيلسير قد طبعت عليها».

لوَّح للجندي بالانصراف، ثم نظر إلى الأعلى بينما كان هاموند يدخل حاملًا على كتفه سيفًا كبيرًا بمقبض مكسورٍ.

قال هام: «انتهى الأمر، سقطت قلعة إيلاريل للتو، ولكن يبدو أن قلعة ليكال ما تزال صامدة».

قال دوكسون: «سنحتاج إلى إرسال رجالك إلى القصر قريبًا». ثم حدَّث نفسه قائلًا: «كلما اقتحمنا المكان مبكرًا، كانت لدينا فرصة أكبر لإنقاذ ڤين». ومع ذلك، أخبرته غرائزه أن الأوان سيكون قد فات على تقديم المساعدة لها؛ حيث سيستغرق تجميع وتنظيم القوات الرئيسية ساعاتٍ؛ لأنه يريد مهاجمة القصر بجميع جيوشهم في آنٍ واحدٍ. الحقيقة أنه في الوقت الحالي لم يكن بإمكانه تحمُّل إهدار أرواح الرجال في عملية الإنقاذ. ربما كان كيلسير سيذهب لنجدتها، لكن دوكسون لم يسمح لنفسه باتخاذ مثل هذه الخطوة المُتهوِّرة. فقد كان دائمًا ما يقول: «يجب أن يكون هناك شخصٌ ما واقعي في العصابة». فلم يكن القصر مكانًا للهجوم دون استعداداتٍ صارمة، وقد أثبت ذلك بشدة فشل ڤين التي عليها فقط أن تعتني بنفسها في الوقت الحالي.

قال هام، وهو يومئ برأسه ويلقي سيفه جانبًا: «سأُجهِّز رجالي، ولكنني سأحتاج إلى سيفٍ جديدٍ».

تنهَّد دوكسون، وقال: «أنتم أيها (السفَّاحون) دائمًا ما تُدمِّرون الأشياء. اذهب إذن لترى ما يمكنك أن تعثر عليه».

انسحب هام بعيدًا.

هتف دوكسون: «إذا رأيت سازد، أخبره بأن...». توقَّف دوكسون، ولفت انتباهه مجموعة من متمردي (السكا) الذين ساروا إلى الغرفة، وهم يسحبون أسيرًا مُقَيَّدًا وعلى رأسه كيس من القماش.

سأل دوكسون: «ما هذا؟»

قام أحد المتمردين بدفع أسيره بمرفقه، وأجاب: «أظن أنه شخصٌ مهم يا سيدي، لقد جاء إلينا أعزل وطلب منا إحضاره إليك. لقد وعدنا بالذهب إذا فعلنا ذلك».

رفع دوكسون حاجبه. نزع الجندي غطاء الرأس؛ ليكشف عن إليند ڤينتشر.

رمش دوكسون متفاجئًا، وسأل: «أنت؟»

نظر إليند حوله. بدا متوجِّسًا، ولكنه تماسك بشكلٍ جيدٍ، بالنظر إلى طبيعة الموقف. سأل: «هل تقابلنا؟»

أجاب دوكسون: «ليس بالضبط». ثم حدَّث نفسه قائلًا: «سحقًّا، ليس لدي وقت للأسرى الآن». ولكنه ابن عائلة ڤينتشر.. سيحتاج دوكسون إلى نفوذٍ قويٍّ للتعامل مع النبلاء الأقوياء عندما تضع الحرب أوزارها.

قال إليند ڤينتشر: «جئتُ لأعرض عليك هدنة».

سأل دوكسون: «... معذرة؟»

قال إليند: «بيت ڤينتشر لن يقاومك، وربما يمكنني إقناع بقية النبلاء للاستماع إليك أيضًا، إنهم خائفون، لا داعي لذبحهم».

نخر دوكسون قائلًا: «لا يمكنني إطلاقًا ترك قوات مُسلَّحة مُعادية في المدينة».

قال إليند: «إذا دمَّرت النبلاء، فلن تقدر على الصمود لفترةٍ طويلةٍ جدًّا. نحن نتحكَّم في الاقتصاد، والإمبراطورية ستنهار بدوننا».

ردَّ دوكسون: «وهذا هو الهدف من كل ذلك نوعًا ما. اسمع، ليس لديّ وقت...».

قال إليند ڤينتشر بيأس: «يجب أن تسمعني. إذا بدأت تمردك بالفوضى وإراقة الدماء، فسوف تخسره. لقد درست هذه الأشياء، إنني أعرف ما أتحدَّث عنه! عندما ينفد زخم صراعك الأوليّ، سيبدأ الناس في البحث عن أشياء أخرى ليُدمِّروها، سوف ينقلبون على أنفسهم. يجب أن تحافظ على السيطرة على جيوشك».

صمت دوكسون. لقد افترض بـ إليند ڤينتشر الحُمق والسفه، لكنه بدا الآن... جادًّا.

تابع إليند: «سأساعدك، دعك من قِلاع النبلاء، وركِّز جهودك على الوزارة واللورد الحاكم، إنهم أعداؤك الحقيقيون».

قال دوكسون: «اسمع، سوف أسحب جنودي بعيدًا عن قلعة آل ڤينتشر، ربما ليست هناك حاجة إلى قتالهم الآن...».

ردَّ إليند: «لقد أرسلت جنودي إلى قلعة ليكال. اسحب رجالك بعيدًا عن كل النبلاء. إنهم لن يهاجموا أجنحتك، فقط سيختبئون في قصورهم مذعورين».

من المحتمل أنه محقٌّ في ذلك. «سنُفكِّر في الأمر...». ثم قطع دوكسون كلامه، عندما لاحظ أن إليند لم يعد منتبهًا له الآن. من الصعب التحدُّث مع هذا الرجل اللعين.

أخذ إليند يُحدِّق إلى هاموند، الذي عاد حاملًا سيفًا جديدًا. عقد إليند حاجبيه، وفتح عينيه على مصراعيها وقال: «أنا أعرفك! أنت من أنقذ خدم اللورد رينو من عمليات الإعدام!»

التفتت إليند إلى دوكسون بحماسٍ مفاجئٍ، وسأل: «هل تعرف ڤاليت إذن؟ إنها ستخبرك أن تستمع إليّ».

تبادل دوكسون وهام النظر.

سأل إليند: «ماذا؟»

قال دوكسون: «ڤين... ڤاليت... لقد ذهبت إلى القصر قبل بضع ساعات. أنا آسف يا فتى. من المحتمل أنها في زنزانات اللورد الحاكم الآن. هذا على افتراض أنها لا تزال على قيد الحياة».

***

ألقى كار ڤين مرة أخرى في زنزانتها. اصطدمت بالأرض بقوة وتدحرجت، بينما التفَّ قميصها الداخلي الفضفاض حولها، وارتطم رأسها بالجدار الخلفي للزنزانة.

ابتسم المُحقِّق وهو يغلق الباب، ثم قال من خلال القضبان: «شكرًا جزيلًا لكِ. لقد ساعدتِنا في تحقيق شيءٍ كنا ننتظره منذ زمنٍ طويلٍ».

رفعت ڤين بصرها للتحديق إلى وجهه، وقد بدأت آثار تهدئة اللورد الحاكم في التلاشي.

قال كار: «إنه لأمرٌ مؤسفٌ أن بندال ليس هنا الآن. لقد لاحق أخاكِ لسنواتٍ، وأقسم أن تيفديان قد أنجب طفلةً مُهجَّنةً من (السكا). يا له من مسكين بندال! لو أن اللورد الحاكم فقط قد ترك لنا الناجي حتى نتمكَّن من الانتقام منه!»

نظر إليها، وهو يهزُّ رأسه ذات العينين المثقوبتين بالمسامير، وتابع: «آه، حسنًا. ثبتت صحة هذا الكلام أخيرًا. لقد صدَّق بقيتنا أخاكِ، لكن بندال... لم يقتنع حتى ذلك الحين... ثم عثر عليكِ في النهاية».

سألت ڤين، وهي تتدافع للنهوض على قدميها: «أخي؟ هل باعني؟»

قال كار: «باعكِ؟ لقد مات وهو يُقسم لنا بأنكِ قد مُتِّ من الجوع منذ سنوات! صرخ بذلك ليلًا ونهارًا تحت أيدي جلَّادي الوزارة. من الصعب الصمود تحت وطأة آلام تعذيب المُحقِّقين... كما ستكتشفين ذلك قريبًا». ابتسم، ثم استدرك: «ولكن دعيني أريكِ شيئًا أولًا».

جرَّت مجموعة من الحراس شخصًا عاريًا ومُكبَّلًا بالأغلال إلى الغرفة. تعثَّر الرجل المكدوم النازف على الأرضية الحجرية عندما دفعوه إلى الزنزانة المجاورة لزانزنة ڤين.

صاحت ڤين، وهي تهرع نحو القضبان: «سازد؟»

استلقى الرجل التيريسي مُترنِّحًا بينما ربط الجنود يديه وقدميه بحلقة معدنية صغيرة مُثبَّتة بالأرضية الحجرية. لقد تعرَّض للضرب المبرح لدرجة أنه بالكاد بدا واعيًا، كما أنه كان عاريًا تمامًا. أشاحت ڤين ببصرها بعيدًا حتى لا ترى عريه، ولكن ليس قبل أن تلمح البقعة بين ساقيه؛ ندبة بسيطة فارغة حيث كان من المفترض أن تكون علامة رجولته.

لقد سبق وأخبرها أن جميع المُرافقين التيريسين خصيان. لم يكن هذا الجرح جديدًا، لكن الكدمات والجروح والخدوش كانت حديثة.

قال كار: «لقد عثرنا عليه يتسلَّل إلى القصر خلفك، يبدو أنه كان يخشى على سلامتك».

سألت بهدوء: «ماذا فعلتم به؟»

أجاب كار: «أوه، القليل جدًّا... حتى الآن. الآن قد تتساءلين لماذا أخبرتكِ عن أخيكِ. ربما تظنين أنني أحمق لأنني اعترفت بأنه عقله قد انهار قبل أن نكتشف سره، لكن -كما ترين- أنا لست أحمق لدرجة أنني لن أعترف بخطئي. كان يجب أن نُطيل من عذاب أخيكِ... أن نجعله يعاني لفترة أطول. كان هذا خطأً فادحًا بالفعل».

ابتسم ابتسامةً شريرةً، وأومأ برأسه إلى سازد، ثم أردف: «لن نرتكب هذا الخطأ مُجدَّدًا يا فتاة. كلا، سنحاول هذه المرة أن نتبع أسلوبًا مختلفًا. سندعك تشاهديننا نُعذِّب الرجل التيريسي. سنتوخَّى الحذر للغاية، ونتأكَّد من أن ألمه دائمٌ ونابضٌ بالحياة». وعندما تخبريننا بما نريد أن نعرفه، سنتوَّقف».

ارتجف ڤين في رعب. «لا... أرجوك...».

قال كار: «أوه، نعم. لماذا لا تأخذين بعض الوقت للتفكير فيما سنفعله به؟ لقد استدعاني اللورد الحاكم للحضور إليه؛ لذا فإنني بحاجة إلى الذهاب وتسلّم القيادة الرسمية للوزارة. سنبدأ عندما أعود».

استدار، ورفل بردائه الأسود على الأرض. تبعه الحراس الذين سيتخذون مواقعهم على الأرجح في غرفة الحراسة على الجانب الآخر من الزنزانة مباشرة.

قالت ڤين وهي تركع على ركبتيها بجوار قضبان قفصها: «أوه، سازد».

قال سازد بصوتٍ واضحٍ بشكلٍ مفاجئٍ: «حسنًا، يا سيدتي، ماذا قُلنا لكِ عن الركض بملابسك الداخلية؟ لو أن السيد دوكسون هنا، لكان سيُوبِّخكِ بالتأكيد».

رفعت ڤين بصرها، مصدومةً. كان سازد يبتسم لها.

قالت بهدوء، وهي تنظر إلى الاتجاه الذي سلكه الحراس: «أنت مستيقظ؟»

ردَّ سازد: «مستيقظٌ جدًّا». تناقض صوته الهادئ القوي تناقضًا صارخًا مع جسده المكدوم.

قالت ڤين: «أنا آسفة يا سازد. لماذا لحقت بي؟ كان يجب أن تبقى في الخلف وتدعني أتغابى بمفردي».

أدار رأسه المكدوم نحوها، تورَّمت إحدى عينيه، بينما نظرت الأخرى في عينيها. قال بنبرةٍ جادةٍ: «يا سيدتي، لقد أقسمت للسيد كيلسير أنني سأحافظ على سلامتك. قسم الرجل التيريسي ليس شيئًا يُستهان به».

قالت وهي تخفض بصرها في خزي: «ولكن... كان يجب أن تعلم أنك ستتعرَّض للأسر».

ردَّ قائلًا: «بالطبع كُنت أعرف يا سيدتي، وإلا كيف جعلتهم يحضرونني إليكِ؟»

سألته وهي ترفع بصرها: «يحضرونك...إليَّ؟»

أجاب: «نعم، يا سيدتي. أعتقد أن هناك شيئًا واحدًا مشتركًا بين الوزارة وشعبي، وهو أن كليهما يُقلِّل من شأن الأشياء التي يمكننا تحقيقها».

أغمض عينيه، ثم تغيَّر جسده بعد ذلك. بدا وكأنه... ينكمش، وعضلاته تزداد ضعفًا وهشاشة، ولحمه يتدلَّى على عظامه.

«سازد!» صرخت ڤين، وهي تدفع بنفسها على القضبان، مُحاولِةً الوصول إليه.

قال بصوتٍ خافتٍ وضعيفٍ بشكلٍ مخيفٍ: «لا بأس يا سيدتي، أنا فقط بحاجة إلى لحظة... لاستجماع قوتي».

استجماع قوتي!... توقَّفت ڤين، وأنزلت يدها، وأخذت تراقب سازد ليضع دقائق. هل يمكن أن يكون...

بدا ضعيفًا جدًّا كما لو أن قوته وعضلاته قد سُحبت تمامًا بعيدًا عنه. أو ربما... تم تخزينها في مكانٍ ما؟

فُتحت عينا سازد. عاد جسده إلى طبيعته، ثم استمرت عضلاته في النمو حتى أصبحت كبيرة وقوية، أكبر حتى من عضلات هام.

ابتسم لها سازد من رأسٍ يعلو عنقًا عضليًّا عريضًا، ثم كسَّر قيوده بسهولة. وقف، وبدا رجلًا ضخمًا مفتول العضلات غير إنساني، يختلف تمامًا عن العالِم النحيف الهادئ الذي عرفته.

تفكَّرت بدهشة: «لقد تحدَّث اللورد الحاكم عن قوتهم في مذكراته. قال إن الرجل المُسمَّى راشك قد رفع صخرة بمفرده وأزاحها بعيدًا عن طريقهم».

قالت ڤين: «ولكنهم أخذوا كل مجوهراتك! أين أخفيت المعادن؟»

ابتسم سازد، وهو يُمسك بالقضبان التي تفصل بين قفصيهما، وقال: «لقد اتبعتُ مثالكِ يا سيدتي، وابتلعتها». في أثناء ذلك قام بخلع القضبان.

ركضت إلى القفص، واحتضنته. «شكرًا جزيلًا لك».

قال وهو يدفعها جانبًا برفق: «على الرحب»، ثم ضرب براحة يده العملاقة باب زنزانته، فكسر القفل؛ مما أدى إلى فتح الباب.

قال سازد: «هيا بسرعة الآن يا سيدتي، يجب أن نوصلك إلى بر الأمان».

ظهر في المدخل الحارسان اللذان ألقيا سازد في زنزانته بعد ثانية. تجمَّدا وحدَّقا إلى الوحش الضخم الذي حلَّ محل الرجل الضعيف الذي أبرحاه ضربًا.

قفز سازد إلى الأمام، ممسكًا بأحد القضبان من قفص ڤين، ولكن من الواضح أن الفيروكيمياء منحته القوة فقط بلا سرعة. تقدَّم بخطًى متثاقلة، واندفع الحارسان بعيدًا وهما يصرخان طلبًا للمساعدة.

قال سازد وهو يقذف بالقضيب جانبًا: «هيا يا سيدتي، قوتي لن تدوم طويلًا. المعدن الذي ابتلعته لم يكن كبيرًا بما يكفي ليحمل الكثير من الشحنات الفيروكيميائية».

حتى في أثناء حديثه، بدأ في التقلُّص. تحرَّكت ڤين أمامه، وتدافعت للخروج من الزنزانة. كانت غرفة الحراسة في الخلف صغيرة جدًّا، ولم يكن بها سوى زوجٍ من الكراسي.

ومع ذلك، فقد عثرت تحت أحد الكراسي على عباءة ملفوفة حول إحدى وجبات الحراس المسائية. شدَّت ڤين العباءة، وألقت بها إلى سازد.

قال: «شكرًا لكِ يا سيدتي».

أومأت برأسها، وانتقلت إلى المدخل، وأطلَّت على الخارج. كانت الغرفة الخارجية الأكبر فارغة، يتفرَّع منها ممران، أحدهما يقود إلى اليمين، والآخر يمتد إلى الأمام عبر الجهة المقابلة لها. غُطِّي الجدار عن يسارها بألواحٍ خشبية، بينما اشتمل وسط الغرفة على طاولة كبيرة. ارتجفت ڤين عندما رأت الدم الجاف ومجموعة الأدوات الحادة مُلقاة في صفٍّ على جانب الطاولة.

حدَّثت نفسها وهي تُلوِّح لـ سازد للمضي قدمًا: «هذا هو المكان الذي سينتهي إليه كلانا إذا لم نتحرَّك بسرعة».

تجمَّدت في منتصف الطريق عندما ظهرت مجموعة من الجنود في الممر البعيد، يقودهم أحد الحارسين اللذين سبق لها رؤيتهما من قبل. لعنت ڤين بهدوء، لو كان لديها الآن القصدير، لكانت قد سمعتهم مبكرًا وهم يأتون.

نظرت إلى الوراء. كان سازد يعرج في غرفة الحراسة. لقد تلاشت قوته الفيروكيميائية، ومن الواضح أن الجنود ضربوه بشدة قبل أن يقذفوا به في الزنزانة، حتى إنه أصبح بالكاد يستطيع المشي.

قال وهو يُلوِّح لها للمضي قدمًا: «اذهبي يا سيدتي! اهربي!»

همس صوتٍ كيلسير في ذهنها: «لا يزال هناك بعض الأشياء التي يجب أن تتعلميها عن الصداقة يا ڤين، أتمنَّى أن تدركيها يومًا ما...

لا يمكنني أن أتركه! لن أتركه!

اندفع ڤين نحو الجنود. سحبت زوجًا من خناجر التعذيب من على الطاولة، وكان الفولاذ المصقول اللامع يتلألأ بين أصابعها. قفزت فوق الطاولة، ثم انقضت على الجنود القادمين.

لم يكن لديها أيّ قوة ألومانتيكية، لكنها طارت بشكلٍ صحيحٍ على أيّ حال، ساعدتها شهور الممارسة على الرغم من افتقارها للمعادن. رشقت خنجرًا في رقبة جنديٍّ متفاجئٍ عندما سقطت. اصطدمت بالأرض بقوة أكبر مما توقَّعت، لكنها تمكَّنت من تفادي الجندي الثاني الذي لعنها ولوَّح بسيفه نحوها.

ارتطم السيف بالحجارة خلفها. استدارت ڤين، وانحنت لتضرب جنديًّا آخر بين فخذيه. ترنَّح الرجل إلى الوراء من الألم.

تفكَّرت: «عددٌ كبيرٌ جدًّا». كان هناك ما لا يقل عن عشرين من الجنود. حاولت الانقضاض على جنديٍّ ثالث، لكنّ رجلًا آخر لوَّح بهراوته، ثم ضرب جانب ڤين بسلاحه.

تأوَّهت ڤين من الألم، وألقت بخنجرها عندما سقطت مُلقاةً على جانبها. لم يكن لديها بيوتر يمدُّها بالقوة ويمنعها من السقوط. دوّى صوت الارتطام عندما اصطدمت بالحجارة الصلبة، وتدحرجت حتى توقَّفت في حالة ذهول بجانب الجدار.

كافحت، دون جدوى، من أجل النهوض. بالكاد استطاعت أن تلمح سازد ينهار عن جانبها عندما أصبح جسده ضعيفًا فجأة. حاول تخزين القوة مرة أخرى، لكن لم يكن لديه ما يكفي من الوقت؛ حيث من المفترض أن ينقض عليه الجنود قريبًا.

«لقد حاولتُ على الأقل». هكذا قالت لنفسها وهي تسمع مجموعة أخرى من الجنود يهرولون في الممر أقصى اليمين. «لم أتخل عنه على الأقل، أظن... أظن أن هذا هو ما قصده كيلسير».

هتف صوتٌ مألوفٌ: «ڤاليت!»

رفعت ڤين بصرها في دهشة لترى إليند وستة جنود آخرين يقتحمون الغرفة. ارتدى إليند زي النبلاء الذي يبدو مُهلهلًا قليلًا، وحمل عصا مبارزة في يده.

سألت ڤين، مذهولةً: «إليند؟»

قال بقلقٍ وهو يتقدَّم نحوها: «هل أنتِ بخير؟» ثم لاحظ جنود الوزارة الذين بدوا مرتبكين قليلًا لأنهم يواجهون أحد النبلاء، لكنهم ما يزالون يتفوَّقون من الناحية العددية.

قال إليند: «سآخذ الفتاة معي!» كانت كلماته شجاعة، لكن من الواضح أنه لم يكن جنديًّا، لم يحمل بيده سوى عصا النبلاء كسلاح، ولم يرتدِ درعًا. كان خمسة من الرجال الذي جاؤوا معه يرتدون زي آل ڤينتشر الأحمر، إنهم رجالٌ من قلعة إليند، ولكن أحدهم -الذي كان يقودهم عندما اقتحموا الغرفة- يرتدي زي حرس القصر. أدركت ڤين أنها تعرفه بشكلٍ غامضٍ. خلت سترته الرسمية من الشعار الذي يوجد على الكتف. حدَّثت نفسها وهي تغرق في الذهول: «إنه الرجل الذي واجهته من قبل، الرجل الذي أقنعته بتغيير موقفه».

يبدو أن قائد حرس الوزارة قد اتخذ قراره. لوَّح باقتضاب، متجاهلًا أمر إليند وبدأ الجنود في التحرُّك في جميع أنحاء الغرفة لتطويق مجموعة إليند.

حثَّها إليند، وهو يرفع عصاه: «ڤاليت، عليكِ أن تذهبي!»

قال سازد الذي وقف بجانبها، ومدَّ يده لمساعدتها على النهوض: «هيا يا سيدتي».

قالت ڤين: «لا يمكننا التخلي عنهم».

ردَّ سازد: «بل علينا أن نفعل ذلك».

قالت: «لكنك أتيت من أجلي، علينا أن نفعل الشيء نفسه من أجل إليند!»

هزَّ سازد رأسه قائلًا: «كان ذلك مختلفًا يا فتاة، كنت أعلم أن لديّ فرصة لإنقاذك، ولكنك لا يمكنك تقديم المساعدة هنا. ثمة جمال في التعاطف، لكن على المرء أن يتعلَّم الحكمة أيضًا».

تركت نفسها تنهض على قدميها بينما تحرَّك جنود إليند في إذعانٍ للأوامر من أجل عرقلة جنود الوزارة. وقف إليند أمامهم، ومن الواضح أنه مصممٌ على القتال.

تفكَّرت ڤين بيأس: «لا بُدَّ أن هناك وسيلة أخرى... لا بُدَّ أن...

ثم رأته مرميًّا في أحد الصناديق بمحاذاة الجدار. شريطٌ مألوف من القماش الرمادي، شُرابة واحدة تتدلَّى من جانب الصندوق.

تملَّصت من سازد عندما هاجم جنود الوزارة. صرخ إليند من ورائها، وسرعان ما قعقعت أصوات الأسلحة.

انتزعت ڤين قطع القماش العلوية -سروالها وقميصها- من الصندوق. وهناك، في الأسفل، رأت عباءتها الضبابية. أغمضت عينيها ومدَّت يدها إلى جيب العباءة الجانبي.

عثرت أصابعها على قارورة زجاجية واحدة، وما تزال السدّادة في مكانها، سحبت القارورة للخارج، واستدارت نحو المعركة. تراجع جنود الوزارة قليلًا. استلقى اثنان منهم جرحى على الأرض، لكن ثلاثة من رجال إليند قد سقطوا. لحسن الحظ، أدى الحجم الصغير للغرفة إلى حماية رجال إليند من الخضوع للمحاصرة في البداية.

وقف إليند يتصبَّب عرقًا حيث أُصيب بجرحٍ في ذراعه، وتكسَّرت عصاه وتصدَّعت. انتزع السيف من الرجل الذي أسقطه، ممسكًا بالسلاح بيدٍ غير مُتمرِّسة، مُحدِّقًا إلى قوة أكبر منه بكثير.

قال سازد بهدوء: «كنتُ مُخطئًا في ذلك يا سيدتي، أنا... أعتذر».

ابتسمت ڤين ثم أزالت السدَّادة عن قارورتها وابتلعت المعادن في جرعة واحدة.

تفجَّرت آبار القوة بداخلها. اشتعلت النيران واستعرت المعادن، وعادت القوة إلى جسدها الضعيف المنهك مثل شروق الشمس. بدت الآلام تافهة، واختفى الدوار، وأصبحت الغرفة أكثر إشراقًا، والحجارة أكثر واقعية تحت أصابع قدميها.

هاجم الجنود مرة أخرى، ورفع إليند سيفه بعزم، ولكن دون أمل. بدا مصدومًا تمامًا عندما طارت ڤين في الهواء فوق رأسه.

هبطت وسط الجنود، بدفعة خارجية من الدفع الفولاذي. اصطدم الجنود على جانبيها بالجدران. قام أحد الرجال بالتلويح بهراوته نحوها، لكنها صدَّت ضربته بيدٍ مُزدرية، ثم سدَّدت قبضتها في وجهه، لتدور رأسه إلى الوراء مُحدِثةً هدَّة مُدوِّية.

قبضت على هراوته أثناء سقوطها، ودورانها، صفعت بها رأس الجندي الذي يهاجم إليند. انكسرت الهراوة، وتركتها ڤين تسقط مع الجثة. بدأ الجنود في الخلف يصرخون، واستداروا وركضوا بعيدًا عندما دفعت اثنين آخرين من مجموعة الرجال نحو الجدران. استدار آخر جندي بقي في الغرفة، متفاجئًا، وسحبت ڤين خوذته المعدنية إلى يديها. ثم دفعتها باتجاهها مرة أخرى؛ لتضربه بها في صدره وتُثبِّت نفسها من الخلف. طار الجندي في الممر باتجاه رفاقه الفارين؛ ليصطدم بهم.

لهثت ڤين من الإثارة، ووقفت بعضلاتٍ مشدودةٍ وسط الرجال المُتأوِّهين. يمكنني... أن أفهم كيف كان كيلسير مهووسًا بذلك.

نادى إليند، مصعوقًا: «ڤاليت؟»

قفزت ڤين واحتضنته في عناقٍ مفعمٍ بالفرح، تشبَّثت به بإحكام ودفنت وجهها في كتفه. همست: «لقد عُدت، عُدت، عُدت...».

قال: «امم، نعم، و.... أرى أنكِ من وليدي الضباب. هذا مثيرٌ للاهتمام إلى حدٍّ ما، ولكن كما تعلمين من آداب اللياقة العامة إخبار الأصدقاء بأشياء من هذا القبيل».

تمتمت وهي ما تزال متشبِّثةً به: «أنا آسفة».

قال، وبدا أنه مُشتَّتٌ للغاية: «حسنًا، إذن. امم، ڤاليت؟ ماذا حدث لملابسك؟»

قالت، وهي ترفع بصره لتنظر إليه: «إنها هناك على الأرض. إليند، كيف عرفت مكاني؟»

أجاب: «أخبرني صديقك السيد دوكسون أنه أُلقي القبض عليكِ في القصر. حسنًا، لقد تصادف أن هذا الرجل المحترم هنا -النقيب غورادل، أظن أن اسمه كذلك- جنديٌّ من جنود القصر، وكان يعرف الطريق هنا. بفضل مساعدته وبصفتي نبيلًا رفيع المستوى تمكَّنت من الدخول إلى المبنى دون مشاكلَ كبيرة، ثم سمعنا بعد ذلك صراخًا ينطلق من هذا الممر... امم، ڤاليت؟ ألا تظنين أنه من الأفضل أن ترتدي ملابسك؟ هذا... يُشتِّت انتباهي نوعًا ما».

ابتسمت في وجهه، وقالت: «لقد عثرت عليّ».

قال بسخريةٍ مريرةٍ: «على الرغم من كل ما فعلناه، لكن يبدو أنكِ لستِ بحاجة إلى مساعدتنا كثيرًا...».

ردَّت قائلةً: «هذا لا يهم، لقد عُدت، لم يعد أحدٌ من قبل».

نظر إليها إليند عابسًا قليلًا.

اقترب سازد، حاملًا ملابس ڤين وعباءتها، ثم قال: «سيدتي، يجب أن نغادر».

أومأ إليند برأسه. «الوضع ليس آمنًا في أيّ مكانٍ في المدينة. (السكا) يتمردون»، توقَّف للحظة، ونظر إليها، ثم استدرك: «لكن، آه، ربما تعرفين ذلك بالفعل».

أومأت ڤين برأسها، وأطلقت سراحه أخيرًا، ثم قالت: «لقد ساعدت في بدء هذا التمرد، لكن أنت محقٌّ بشأن الخطر فعلًا. اذهب مع سازد. إنه معروفٌ لدى العديد من قادة المتمردين. لن يؤذوك طالما أنه يضمنك».

عبس كلٌّ من سازد وإليند بينما كانت ڤين ترتدي سروالها. في الجيب، وجدت قرط والدتها. لبسته مرة أخرى.

سأل إليند: «أذهب مع سازد؟ ولكن ماذا عنكِ؟»

ارتدت ڤين قميصها الفضفاض، ثم رفعت رأسها لأعلى... أحسَّت به من خلال الحجارة، واستشعرت إياه فوقها، كان هناك.. قويًّا جدًّا. الآن، بعد أن واجهته مباشرةً، أصبحت متأكِّدةً من قوته. إن تمرد (السكا) محكومٌ عليه بالفشل ما دام اللورد الحاكم عائشًا.

قالت وهي تأخذ عباءتها الضبابية من سازد: «لديّ مهمة أخرى يا إليند».

سألها سازد: «هل تعتقدين أنكِ تستطيعين هزيمته يا سيدتي؟»

أجابت: «عليّ أن أحاول، لقد عمل المعدن الحادي عشر يا سازد. لقد رأيت... شيئًا ما. كان كيلسير مقتنعًا أنه سيكشف لنا السر».

- «لكن... اللورد الحاكم يا سيدتي...».

قاطعته ڤين بحزم: «لقد مات كيلسير من أجل بدء هذا التمرد، ويجب أن أراه ينجح. هذا هو دوري يا سازد. لم يكن كيلسير يعرف ما هو بالضبط، لكنني أعرف. عليّ أن أوقف اللورد الحاكم».

سأل إلِيند مصدومًا: «اللورد الحاكم؟ كلا يا ڤاليت، إنه خالد!»

مدَّت ڤين يدها، وأمسكت برأس إليند وجذبته بالقرب منه لتقبيلها، ثم سألته: «إليند، لقد سلَّمت عائلتك الأتيوم إلى اللورد الحاكم، هل تعلم أين يحتفظ به؟»

ردَّ بارتباك: «نعم، إنه يحتفظ بالخرز في مبنى الخزانة الذي يقع شرق هنا مباشرة، لكن...».

قالت ڤين: «عليك أن تحصل على هذا الأتيوم يا إليند، ستحتاج الحكومة الجديدة إلى تلك الثروة والقوة حتى لا تتعرّض للغزو من قبل أول نبيل يمكنه حشد جيشٍ».

قال إليند وهو يهزُّ رأسه: «كلا يا ڤاليت، يجب أن أوصلكِ إلى بر الأمان».

ابتسمت له، ثم التفت إلى سازد. أومأ لها الرجل التيريسي برأسه.

سألته: «ألن تخبرني ألا أذهب؟»

أجاب بهدوء: «كلا، أخشى أنكِ على حق يا سيدتي، إذا لم يُهزم اللورد الحاكم... حسنًا، لن أمنعك، ولكنني سأتمنَّى لكِ حظًّا طيبًا، سوف آتي لمساعدتكِ بمجرد أن أرى ڤينتشر الشاب قد وصل إلى بر الأمان».

أومأت ڤين، وابتسم لـ إليند القلِق، ثم رفعت رأسها نحو القوة المظلمة المُنتظِرة بالأعلى، والتي تنبض بالاكتئاب المُرهِق.

أحرقت النحاس، وصدَّت تهدئة اللورد الحاكم.

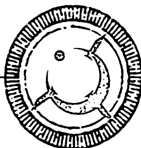
قال إليند بهدوء: «ڤاليت...».

التفت إليه مرة أخرى، وقالت: «لا تقلق، أعتقد أنني أعرف كيف أقتله».

هذه هي مخاوفي التي تختلجني وأنا أكتب بقلم مكسوٍ بالجليد عشية ميلاد العالم من جديد، بينما يراقبني راشك وقلبه ينضح بكراهيتي. والكهف يقبع أمامي نابضًا، وأصابعي ترتعش، ولكن ليس من البرد.

غدًا سينتهي كل هذا.

الفصل الثامن والثلاثون



دفعت ڤين نفسها في الهواء فوق (كريديك شو). ارتفعت الأبراج والقمم المستدقة حولها مثل الأشواك المُظلَّلة لبعض الوحوش الوهمية الكامنة في الأسفل. مظلمة، ومستقيمة، ومشؤومة، لسببٍ ما جعلتها تُفكِّر في كيلسير، وهو يرقد ميتًا في الشارع، ورمحًا برأسٍ من السبج يبرز من صدره.

دار الضباب والتفَّ بينما هي تمرُّ من خلاله. كان لا يزال سميكًا، لكن القصدير سمح لها برؤية بريقٍ خافتٍ في الأفق. كان الصباح قريبًا.

أسفلها، كان هناك ضوءٌ أكبر يتصاعد. أمسكت ڤين ببرجٍ رفيع، وسمحت لها قوة الدفع بالدوران حول المعدن الزلق؛ مما منحها رؤية شاملة للمنطقة.

اشتعلت آلاف المشاعل في الليل، اختلطت واندمجت ببعضها مثل الحشرات المُضيئة، وقد نُظِّمت في موجاتٍ كبيرةٍ، وأخذت تتقارب من القصر.

تفكَّرت: «لن يكون لدى حراس القصر أيّ فرصة أمام مثل هذه القوة، لكن من خلال القتال للدخول إلى القصر، سيقضي جيش (السكا) على نفسه بالهلاك».

استدارت إلى الجانب، وشعرت ببرودة البرج المُبلَّل بالضباب تحت أصابعها. في المرة الأخيرة التي قفزت فيها عبر أبراج (كريديك شو)، كانت تنزف وشبه فاقدة للوعي. جاء سازد لينقذها، لكنه لن يتمكَّن من مساعدتها هذه المرة.

على بُعد مسافة قصيرة، كانت ترى برج العرش. لم يكن من الصعب رصده؛ حيث أُضيء من الخارج بحلقة من النيران المشتعلة، وأُضيء من الداخل بنافذة واحدة من النوافذ الزجاجية المُلوَّنة. يمكنها أن تشعر به في الداخل. انتظرت بضع لحظات، على أمل أنها —ربما– ستتمكَّن من الهجوم بعد أن يغادر المُحقِّقون الغرفة.

تفكَّرت: «لقد اعتقد كيلسير أن المعدن الحادي عشر هو مفتاح السر».

كان لديها فكرة واحدة فقط. سيعمل هذا المعدن، لا بُدَّ من ذلك.

***

أعلن اللورد الحاكم بصوتٍ عالٍ: «اعتبارًا من هذه اللحظة، يُمنح فرع مكاتب التحقيق السيادة التنظيمية على الوزارة. التحقيقات التي كانت تُوجَّه إلى تيفديان، يجب أن تُحوَّل الآن إلى كار».

ساد الصمت غرفة العرش. وصُدمت مجموعة المُلتزمين رفيعي المستوى بأحداث الليل. لوَّح اللورد الحاكم بيده، مُشيرًا إلى أن الاجتماع قد انتهى.

حدَّث كار نفسه: «أخيرًا». رفع رأسه، وعيناه المثقوبتان بالمسامير تخفقان كالعادة؛ لتُسبِّب له الألم، ولكن -في هذه الأمسية- كان ألم الفرح. لقد انتظر المُحقِّقون قرنين من الزمان، يمارسون الألاعيب السياسية بعناية، ويُشجعّون على الفساد والخلاف بين المُلتزمين العاديين ببراعة. وأخيرًا، آتت أعمالهم أُكلها. لن ينحني المُحقِّقون بعد الآن أمام إملاءات الرجال الأقل شأنًا منهم.

استدار وابتسم وهو ينظر تجاه مجموعة كهنة الوزارة، وهو يعلم جيدًا الانزعاج الذي يمكن أن تُسبِّبه نظرة المُحقِّق. لم يعد بإمكانه الرؤية، ليس كما كان من قبل، لكنه حصل على شيء أفضل. إتقان الألومانسي ببراعة وتفصيلٍ شديدٍ للغاية، بحيث يمكنه تمييز العالم من حوله بدقة مذهلة.

لقد اشتمل كل شيءٍ تقريبًا على معدنٍ بداخله؛ الماء، والحجارة، والزجاج... بل حتى أجساد البشر. كان تركيز هذه المعادن أضعف من أن يؤثر عليها الألومانسي نظرًا لتناثرها. في الواقع، لم يتمكَّن معظم الألومانسيين حتى من استشعارها.

ولكن بأعين المُحقِّق التي يمتاز بها، تمكَّن كار من رؤية الخطوط الحديدية لهذه الأشياء، كانت الخيوط الزرقاء جيدة، وغير مرئية تقريبًا، لكنها حدَّدت العالم بالنسبة له. بدا المُلتزمون أمامه كتلة مُتكدِّسة من الخيوط الزرقاء، وتنعكس انفعالاتهم -الانزعاج والغضب والخوف- على مظهرهم.

الانزعاج والغضب والخوف... رائعٌ جدًّا. الانفعالات الثلاثة كلها رائعة. اتسعت ابتسامة كار على الرغم من تعبه.

ظلَّ مستيقظًا لفترة طويلة. إن الحياة كمُحقِّق تستنزف الجسد، وكان عليه أن يرتاح كثيرًا. أخذ إخوته يغادرون بالفعل الغرفة، ويتجهون نحو استراحاتهم، التي كانت تقع -بشكلٍ مقصود- بالقرب من غرفة العرش. سوف ينامون على الفور. فمع عمليات الإعدام التي وقعت في وقتٍ مُبكرٍ من النهار والأحداث المثيرة بالليل، لا بُدَّ أنهم سيكونون مُرهقين للغاية.

ومع ذلك، تخلَّف كار بعدما غادر كلٌّ من المُحقِّقين والمُلتزمين. سرعان ما بقي هو واللورد الحاكم، واقفين في غرفةٍ مضاءةٍ بخمسة مواقد هائلة. انطفأت النيران الخارجية ببطء، بعدما أخمدها الخدم، تاركين البانوراما الزجاجية مظلمة وسوداء.

قال اللورد الحاكم: «حصلتَ أخيرًا على ما تريد، ربما يمكنني الآن أن أحظى بالسلام بشأن هذا الأمر».

قال كار، وهو ينحني: «نعم أيها اللورد الحاكم، أعتقد أن...». انطلق صوتٌ غريب في الهواء.. نقرة خفيفة. رفع كار رأسه لأعلى، عابسًا حينما ارتد قرصٌ معدنيٌّ صغير على الأرض، ثم تدحرج في النهاية ليتوقَّف عند قدمه. التقط العملة، ثم نظر إلى النافذة الضخمة، مُشيرًا إلى الفتحة الصغيرة التي اخترقت من خلالها.

ماذا؟

تدفقَّت العشرات من العملات المعدنية الأخرى عبر النافذة؛ مما أدى إلى نثرها بالثقوب. تردَّدت صلصلة المعدن وتكسُّر الزجاج في الهواء. تراجع كار إلى الوراء متفاجئًا.

تحطَّم الجزء الجنوبي من النافذة بالكامل، وانفجر إلى الداخل، وتصدَّع الزجاج بسبب العملات المعدنية لدرجة أن أيّ جسم مُحلِّق أصبح بإمكانه الاختراق.

دارت شظايا من الزجاج المُلوَّن في الهواء، وتطايرت أمام شخصية صغيرة ترتدي عباءة ضبابية مُرفرفة وتحمل زوجًا من الخناجر السوداء اللامعة. هبطت الفتاة في وضع الانحناء، وانزلقت على مسافة قصيرة من قطع الزجاج، بينما تسلَّل الضباب من الفتحة خلفها. انجذب إلى قوتها الألومانتيكية، ودار حول جسدها. جثمت للحظة في الضباب، كما لو كانت رسول الليل نفسه.

ثم قفزت إلى الأمام، وانطلقت مباشرةً نحو اللورد الحاكم.

***

أحرقت ڤين المعدن الحادي عشر. ظهر ماضي اللورد الحاكم نفسه كما كان قبل، وتشكَّل وكأنه مخلوقٌ من الضباب، ليقف على المنصة بجانب العرش.

تجاهلت ڤين المُحقِّق. لحسن الحظ، كان رد فعل المُخلوق بطيئًا، فقد وقفت في منتصف الطريق فوق درج المنصة قبل أن يُفكِّر في مطاردتها. ومع ذلك، ظلَّ اللورد الحاكم ساكنًا، وهو يراقبها بتعبيرٍ مهتمٍّ قليلًا.

تفكَّرت ڤين وهي تقفز من آخر المسافة إلى قمة المنصة: «إنه لم ينزعج حتى من رمحَينِ مرشوقَينِ في صدره، فليس لديه ما يخشاه من خناجري».

لهذا السبب لم تعتزم مهاجمته بالخناجر. وبدلًا من ذلك، رفعت أسلحتها؛ لتُغرقهم مباشرةً في قلب الذات الماضية.

أرشقت خناجرها، ومرت عبر الرجل، كما لو أنه لم يكن هناك. تعثَّرت ڤين للأمام، وانزلقت مباشرةً عبر الصورة، حتى كادت تزِل قدماها من على المنصة.

استدارت، وضربت الصورة مُجدَّدًا. مرت الخناجر من خلالها مرة أخرى دون أن تُحدِث أيّ ضرر. لم يتزعزع ولم تَشُبْهُ شائبة.

حدَّثت نفسها بإحباط: «لقد تمكنت من لمس صورتي الذهبية، فلماذا لا يمكنني لمس هذا؟!»

من الواضح أن هذا المعدن لا يعملِ بنفس الطريقة. وقف الظِلُّ ساكنًا، متغافلًا تمامًا عن هجماتها. لقد اعتقدت أنها ربما إذا قتلت النسخة الماضية من اللورد الحاكم، فإن شخصيته الحالية ستموت أيضًا. لسوء الحظ، بدا ظِلُّ الماضي وكأنه غير جوهري مثل ظِلِّ الأتيوم.

لقد فشلت.

اندفع كار نحوها، وأمسك كتفيها بقبضته الجبارة، وأزاحت بها قوة دفعه بعيدًا عن المنصة. تدحرج كلاهما على الدرج.

زمجرت ڤين، وأشعلت البيوتر، وقالت في نفسها بتصميم: «أنا لست تلك الفتاة الضعيفة التي احتجزتها في السجن منذ وقتٍ قصيرٍ يا كار». وركلته وهما يرتطمان بالأرض خلف العرش.

زمجر المُحقِّق أيضًا، فركلتها قذفته في الهواء وأزالت قبضته من على كتفها. وقع طرف عباءتها الضبابية بين يديه، لكنها نهضت على قدميها واندفعت بعيدًا.

صاح اللورد الحاكم وهو ينهض من عرشه: «أيها المُحقِّقون! هلموا إليَّ!»

صرخت ڤين عندما ضرب الصوت القوي بألم أذنيها المُعزَّزتين بالقصدير.

حدَّثت نفسها وهي تترنَّح: «عليّ أن أخرج من هنا، يجب أن أتوصَّل إلى طريقةٍ مختلفةٍ لقتله...».

عرقلها كار من الخلف. وهذه المرة لفَّ ذراعيه بالكامل حولها، وضغط عليها. صرخت ڤين من الألم وأشعلت بيوترها، وأرادت أن تدفعه للوراء، لكن كار أجبرها على الوقوف على قدميها، ولفَّ إحدى ذراعيه ببراعة حول حلقها بينما كان يُثبِّت ذراعيها خلف ظهرها بذراعه الأخرى. قاتلت بشراسة، وأخذت تتملَّص وتكافح لكن القبضة كانت محكمة. حاولت إزاحة يديه بعيدًا عنها باستخدام الدفع الفولاذي المفاجئ على مزلاج الباب، لكن المرساة كانت ضعيفة للغاية، وبالكاد تعثَّر كار. وظلَّ ممسكًا بقبضته عليها.

قهقه اللوردِ الحاكم وهو يجلس على عرشه مرة أخرى، وقال: «لن تفلحي كثيرًا مع كار يا فتاة، لقد كان جنديًّا منذ سنواتٍ عديدةٍ. إنه يعرف كيف يُمسِك أيّ شخص بحيث لا يتمكَّن أبدًا من كسر قبضته، مهما كانت قوة الشخص».

استمرت ڤين في كفاحها، وهي تلهث لالتقاط أنفاسها، ومع ذلك ثبتت صحة الكلمات التي نطق بها اللورد الحاكم للتو. حاولت أن تُسدِّد إلى كار ضربة رأسية خلفية، ولكنه كان مستعدًّا لها. استطاعت أن تسمع تنفُّسه السريع في أذنها، وقد بدا... متحمسًا وهو يخنقها. في انعكاس النافذة، رأت الباب من خلفهم ينفتح. دخل مُحقِّقٌ آخر إلى الغرفة، وكانت مساميره تلمع في الانعكاس المنحرف، ورداؤه الداكن ينتفخ.

«هذا هو كل شيء». هكذا حدَّثت نفسها في لحظة سريالية وهي تراقب الضباب أمامها حيث أخذ يتسلَّل عبر جدار النافذة المُحطِّم، ويتدفَّق على الأرض. الغريب أنه لم يلتفّ حولها كما يحدث عادةً، كما لو أن شيئًا ما دفعه بعيدًا عنها. بالنسبة إلى ڤين، بدا الأمر بمثابة الشهادة الأخيرة على هزيمتها.

أنا آسفة يا كيلسير، لقد خذلتك.

تحرَّك المُحقِّق الثاني إلى جانب رفيقه.

ثم مدَّ يده وانتزع شيئًا من ظهر كار.

كان هناك صوتُ تمزُّقٍ.

سقطت ڤين على الأرض فورًا، وهي تلهث لالتقاط أنفاسها. تدحرجت، وسمح لها البيوتر بالتعافي بسرعة.

وقف كار فوقها مُترنِّحًا، ثم تلوَّى جانبه بضعف، وانهار على الأرض. وقف المُحقِّق الثاني خلفه، مُمسكًا بما يبدو أنه مسمار معدني كبير، تمامًا مثل تلك المسامير الموجودة في عيون المُحقِّقين.

نظرت ڤين نحو جسد كار مشلول الحركة. تمزَّق الجزء الخلفي من ردائه، وكشف عن ثقبٍ دمويٍّ بين لوحَي الكتف. ثقب دموي كبير بما يكفي لمسمار معدني. بدا وجه كار المليء بالندوب شاحبًا، هامدًا بلا حياة.

تفكَّرت ڤين مُتعجِّبةً: «مسمار آخر!» انتزعه المُحقِّق الثاني أيضًا من ظهر كار، ومات. «هذا هو السر!».

جأر اللورد الحاكم وهو ينهض من عرشه: «ما هذا؟!» وقذفت الحركة المفاجئة بعرشه إلى الوراء. تدحرج الكرسي الحجري على الدرج؛ مما أدى إلى تشقُّق الرخام وتكسُّره. «خيانة! من واحدٍ من رجالي!»

اندفع المُحقِّق الجديد نحو اللورد الحاكم، وبينما هو يركض، سقطت قلنسوة ردائه إلى الوراء؛ مما سمح لـ ڤين برية رأسه الأصلع. كان هناك شيءٌ ما مألوفٌ في وجه الوافد الجديد على الرغم من رؤوس المسامير التي تجحظ أمامه، وأطراف المسامير الفظيعة التي تبرز من الخلف من جمجمته. على الرغم من رأسه الأصلع وملابسه غير المألوفة، بدا الرجل مثل كيلسير قليلًا.

أدركت: «كلا، ليس كيلسير».

إنه مارش!

انطلق مارش نحو المنصة في خطوتين فقط، مُتحرِّكًا بسرعة خارقة للطبيعة تليق بُمحقِّق. كافحت ڤين للوقوف على قدميها، متجاهلةً الآثار الناجمة عن تعرُّضها للاختناق، لكن كان من الصعب عليها أن تتجاهل هذه المفاجأة. إن مارش ما يزال على قيد الحياة!

بل إنه أصبح مُحقِّقًا!

لم يكن المُحققون يستقصون عنه؛ لأنهم اشتبهوا فيه، بل لأنهم كانوا يعتزمون تجنيده! والآن يبدو وكأنه ينوي محاربة اللورد الحاكم. يجب أن أساعده! ربما... ربما يعرف سر قتل اللورد الحاكم. لقد اكتشف طريقة قتل المُحققين رغم كل شيء.

وصل مارش إلى قمة المنصة.

صاح اللورد الحاكم: «أيها المُحقِّقون! هلموا إلـ...

تجمَّد اللورد الحاكم عندما لاحظ شيئًا ما خارج الباب. كانت هناك مجموعة صغيرة من المسامير الفولاذية، تمامًا مثل تلك التي سحبها مارش من ظهر كار، مُتكوِّمةً على الأرض. يبدو أن هناك نحو سبعة منها.

ابتسم مارش، ويبدو التعبير بشكلٍ مخيفٍ كإحدى ابتسامات كيلسير.

وصلت ڤين إلى أسفل المنصة ودفعت بنفسها عبر قطعة معدنية، ثم انطلقت نحو أعلى المنصة.

ضربتها القوة الهائلة والكاملة لغضب اللورد الحاكم في منتصف الطريق. تسرَّب دفع الاكتئاب -الذي يغذيه الغضب والاختناق- إلى روحها من خلال نحاسها، واصطدم بها مثل القوة الجسدية. أشعلت النحاس، وهي تلهث قليلًا، لكنها لم تستطع إزاحة اللورد الحاكم بعيدًا تمامًا عن مشاعرها.

ترنَّح مارش قليلًا، ولوَّح اللورد الحاكم بضربة بظهر يده تشبه إلى حدٍّ كبيرٍ تلك التي قتلت كيلسير. لحسن الحظ، استفاق مارش ليتفاداها في الوقت المناسب. استدار حول اللورد الحاكم، ومدَّ يده لانتزاع الزي الإمبراطوري الأسود -الذي يشبه الرداء- من الخلف. شدَّ مارش الثوب وتمكَّن من تمزيقه على امتداد الخياطة الخلفية.

تجمَّد مارش، وبدت تعابير عينيه المثقوبتين بالمسامير غير قابلة للقراءة. استدار اللورد الحاكم، وضربه في معدته بمرفقه؛ ليُطيح بالمُحقِّق عبر الغرفة. عندما التفت اللورد الحاكم، تمكَّنت ڤين من رؤية ما رآه مارش.

لا شيء. ظهر طبيعي وإن كان عضليًّا. فعلى عكس المُحقِّقين، لم يكن لدى اللورد الحاكم أيّ مسامير تخترق عموده الفقري.

حدَّثت ڤين نفسها باكتئابٍ ساحقٍ: «آوه، يا مارش، لقد كانت فكرة ذكية، بل إنها أكثر ذكاءً بكثيرٍ من محاولتي الحمقاء باستخدام المعدن الحادي عشر، ولكنها أثبتت عدم جدواها بنفس القدر».

ارتطم مارش بالأرض أخيرًا، وارتجَّ رأسه، ثم انزلق عبر الأرض حتى ارتمى على الجدار البعيد. رقد مستلقيًا على النافذة الضخمة بلا حراك.

صرخت ڤين: «مارش!». قفزت ودفعت نفسها نحوه، ولكنها عندما طارت، رفع اللورد الحاكم يده على نحوٍ مُشتِّت.

شعرت ڤين بـ... شيءٍ ما قويٍّ يصطدم بها، بدا ذلك مثل دفعة فولاذية، تضرب المعادن الموجودة داخل بطنها، لكن بالطبع لا يمكن أن يكون الأمر كذلك. لقد أقسم لها كيلسير بأنه لا يمكن لأيِّ ألومانسي أن يؤثر على المعادن الموجودة بداخل جسد شخصٍ آخر.

لكنه قال أيضًا إنه لا يمكن لأيِّ ألومانسي أن يؤثر على مشاعر الشخص عندما يحرق النحاس.

اندفعت العملات المعدنية المُلقاة بعيدًا عن اللورد الحاكم، وتناثرت على الأرض. كما انخلعت الأبواب عن مفصلاتها، وتحطَّمت وانفصلت عن الغرفة.

وبشكلٍ لا يُصدَّق، اهتزَّت شظايا الزجاج المُلوَّن، وانزلقت بعيدًا عن المنصة.

وجدت ڤين نفسها مُلقاة على جانبها حيث هدَّدت المعادن الموجودة في بطنها بتمزيق جسدها لتتحرَّر منه. ارتمت على الأرض حيث كادت الضربة التي تلقَّتها تفقدها الوعي تقريبًا.

استلقت في حالة ذهول، ودوار، وارتباك، ولم تستطع أن تُفكِّر سوى في شيءٍ واحدٍ فقط.

يا لها من قوة!

تردَّد صوت النقرات بينما كان اللورد الحاكم يسير على درج المنصة. تحرَّك بهدوء، ثم خلع معطفه وقميصه المُمزَّق، تاركًا نفسه عاريًا من

الخصر إلى أعلى باستثناء المجوهرات المتلألئة على أصابعه ومعصميه. لاحظت أن العديد من الأساور الرفيعة تخترق جلد ساعديه.

تفكَّرت وهي تكافح للوقوف على قدميها: «يا له من ذكي، هذا لحمايته من الدفع والسحب».

هزَّ اللورد الحاكم رأسه بأسف، ووَقْع خُطاه يتردَّد في الضباب البارد الذي يتدفَّق عبر الأرض من النافذة المكسورة. بدا قويًّا جدًّا وصدره منتفخًا بالعضلات، كما اتسمَّ بوجهه الوسيم. كان بإمكانها أن تشعر بقوته الألومانتيكية وهي تغزو مشاعرها التي يجاهد النحاس لحمايتها بصعوبةٍ شديدةٍ.

سأل اللورد الحاكم بهدوء: «ماذا كنتِ تظنين إنك ستفعلين يا فتاة؟ أنكِ ستهزمينني؟ هل أنا مُحقِّق عادي ذو قوى ممنوحة ومصطنعة؟»

أشعلت ڤين البيوتر، ثم استدارت واندفعت بعيدًا؛ عازمةً على حمل جسد مارش ثم القفز عبر الزجاج في الجانب الآخر من الغرفة.

ولكنه كان هناك. يتحرَّك بسرعة شديدة لدرجة تجعل الرياح العاتية والأعاصير الغاضبة تبدو بطيئة بالنسبة له. حتى مع الإشعال الكامل للبيوتر، لم تستطع ڤين التغلُّب عليه. لقد بدا أمرًا عاديًّا وهو يمدُّ يده وأمسك بكتفها وشدَّها إلى الخلف.

رفعها مثل دمية، وقذف بها نحو أحد الأعمدة الضخمة في الغرفة. بحثت ڤين بشكلٍ يائسٍ عن مرساة، لكنه أقصى جميع المعادن بعيدًا عن الغرفة. باستثناء...

سحبت أحد الأساور الخاصة باللورد الحاكم، تلك التي لم تخترق جلده. قام على الفور برفع ذراعه، فتفادى سحبها؛ مما جعلها تدور بشكلٍ محرجٍ في الهواء، ثم ضربها بدفعات قوية أخرى، ألقت بها إلى

الوراء. تلوَّت المعادن في بطنها، واهتزَّ الزجاج، كما انخلع قرط والدتها من أذنها.

حاولت أن تدور مرة أخرى وتركله بقدمها، لكنها اصطدمت بعمودٍ حجري بسرعةٍ رهيبةٍ، وخذلها البيوتر. سمعت صوت طقطقة مُروِّعة، ثم شعرت بطعنة من الألم في ساقها اليمنى.

انهارت على الأرض. لم تكن لديها الإرادة للنظر، لكن الألم الذي أصاب جذعها أخبرها أن ساقها تتدلَّى من تحت جسدها، وقد كُسِرت بزاوية حرجة جدًّا.

هزَّ اللورد الحاكم رأسه. أدركت ڤين أنه ليس قلقًا بشأن ارتداء المجوهرات. فبالنظر إلى قدراته وقوته، يجب أن يكون الرجل أحمق -كما كانت ڤين كذلك- لمحاولة استخدام مجوهرات اللورد الحاكم كمرساة. لقد سمح له ذلك فقط بالتحكُّم في قفزاتها.

تقدَّم للأمام، وقدماه تنقران على الزجاج المكسور. قال: «هل تظنين أن هذه هي المرة الأولى التي يحاول فيها شخصٌ ما قتلي يا فتاة؟ لقد نجوت من الحرق وقطع الرؤوس، لقد طُعِنت وشُرِّحت وسُحِقت وقُطِّعت أوصالي، حتى إنني تعرَّضت للسلخ ذات مرة قرب البداية».

استدار نحو مارش وهو يهزُّ رأسه. بغرابة، عاد انطباع ڤين السابق عن اللورد الحاكم. بدا... متعبًا ومنهكًا. لم يظهر ذلك على جسده، كان ما يزال مفتول العضلات، ولكن بدا ذلك فقط في... روحه. حاولت الوقوف على قدميها، مستخدمةً العمود الحجري ليُوفِّر لها الاستقرار.

قال: «أنا الإله».

إنه يختلف للغاية عن ذلك الرجل المُتواضع في المذكرات.

تابع: «لا يمكن أن يُقتل الإله، لا يمكن أن يُطاح به. هل تظنين أنني لم أر ما يشبه تمردكم هذا من قبل؟ هل تظنين أنني لم أقم بتدمير جيوشٍ كاملةٍ بمفردي؟ ماذا يحتاج الناس ليتوقَّفوا عن التشكيك في ذلك؟ كم قرنًا يجب أن أثبت نفسي حتى ترى جموع (السكا) الحمقاء الحقيقة؟ كم عدد الذين يجب أن أقتلهم منكم؟»

صرخت ڤين عندما انثنت ساقها بطريقة خاطئة. أشعلت البيوتر، لكن الدموع انذرفت من عينيها على أيّ حال. كانت تستنفد معادنها، سيتلاشى بيوترها قريبًا، ولم تكن هناك طريقة أخرى لتظلَّ واعيةً بدونه. اتكأت على العمود، وضغط عليها ألومانسي اللورد الحاكم. نبض الألم في ساقها.

قالت لنفسها بيأس: «إنه قويٌّ جدًّا، إنه محقٌّ، هو الإله. ماذا كنا نظن أننا فاعلون؟»

سأل اللورد الحاكم، وهو يرفع جسد مارش خائر القوى بيدٍ مُرصَّعةٍ بالجواهر: «كيف تجرؤ؟» تأوّه مارش قليلًا، وهو يحاول رفع رأسه.

كرَّر اللورد الحاكم سؤاله: «كيف تجرؤ على ذلك؟ بعد ما منحته لك؟ لقد جعلتك مُتفوِّقًا عن الرجال العاديين! لقد جعلتك مسيطرًا!»

رفعت ڤين رأسها على الرغم من غيمة الألم واليأس، أثار شيءٌ ما ذكرى بداخلها.

- «لا يكف عن التأكيد على أن شعبه يجب أن يكون «مسيطرًا»».

توصَّلت إلى داخل ذاتها، وشعرت بآخر جزءٍ صغيرٍ لديها من مخزون المعدن الحادي عشر. أحرقته، ونظرت بعينيها الغائمتين بالدموع بينما كان اللورد الحاكم يمسك مارش بقبضة يدٍ واحدةٍ، وظهرت النسخة الماضية من اللورد الحاكم بجانبه. رجل يرتدي عباءة من الفراء وحذاءٍ

سميك، ورجل ملتحٍ مفتول العضلات. ليس أرستقراطيًّا ولا طاغية، ليس بطلًا ولا حتى محاربًا. رجل يرتدي الملابس التي تكفل له العيش في الجبال الباردة، راعٍ

أو ربما عتَّال.

همست ڤين: «راشك».

استدار اللورد الحاكم نحوها في مفاجأة.

كرَّرت ڤين مرة أخرى: «راشك. هذا اسمك، أليس كذلك؟ لست أنت الرجل الذي كتب المذكرات، أنت لست البطل الذي أُرسل لحماية الناس... أنت خادمه. العتَّال الذي كان يكرهه».

توقَّفت للحظة، ثم همست: «لقد... قتلتَه، هذا ما حدث في تلك الليلة! ولهذا توقَّفت المذكرات فجأة! لقد قتلتَ البطل وأخذتَ مكانه. ذهبتَ إلى الكهف بدلًا منه، واستوليتَ على السلطة لنفسك، لكن... بدلًا من أن تنقذ العالم، سيطرتَ عليه».

صاح بأعلى صوته، وما يزال يحمل جسد مارش بيدٍ واحدة: «أنتِ لا تعرفين شيئًا! أنت لا تعرفين شيئًا عن ذلك!»

قالت ڤين: «لقد كرهته، كنت تعتقد أن البطل يجب أن يكون من تيريس. لم تستطع تحمُّل حقيقة أن -رجلًا من البلدة التي اضطهدت بلدتك- يُحقِّق أساطيرك».

رفع اللورد الحاكم يده، وشعرت ڤين فجأة بثقل هائل يضغط عليها. الألومانسي يدفع المعادن في بطنها وجسدها، ويُهدِّدها بالسحق مرة أخرى في العمود. صرخت، وأشعلت آخر قطعة من البيوتر، وهي تكافح من أجل البقاء واعية. التفَّ الضباب حولها، وتسلَّل إلى الأرض عبر النافذة المكسورة.

في الخارج، من خلال النافذة المكسورة، كان بإمكانها سماع صوت خافت في الهواء. بدا الأمر وكأنه... مثل الهتاف. صيحات الفرح، آلاف الأصوات في جوقة. بدا الأمر وكأنهم يهتفون لها.

سألت نفسها: «ماذا يهم في ذلك؟ أعرف سر اللورد الحاكم، لكن ما الفائدة من معرفة أنه كان عتّالًا؟ أو خادمًا؟ أو رجلًا تيريسيًّا؟»

فيرو كيميائيًّا.

نظرت بعينيها الشاردتين، ورأت مرة أخرى زوجًا من الأساور يتلألأ على ذراعي اللورد الحاكم، أساور مصنوعة من المعدن، تخترق جلده في بعض المواضع. إذن... هذا لكي لا يتأثَّر بالألومانسي. لماذا يفعل ذلك؟ من المفترض أنه كان يرتدي المعادن كدليلٍ على التغطرس. لم يخشَ من قيام الناس بسحب معادنه أو دفعها.

أو أن هذا ما يدعيه، ولكن ماذا لو كانت جميع المعادن الأخرى التي يرتديها -الخواتم والأساور والأزياء التي شقَّت طريقها إلى طبقة النبلاء- مجرد تمويه؟ تمويه لمنع الناس من التركيز على هذا الزوج من الأساور التي تلتف حول ساعديه. تساءلت: «هل من المعقول أن الأمر بهذه البساطة؟»، بينما كان ثقل اللورد الحاكم يُهدِّد بسحقها.

أوشك بيوترها على النفاد. بالكاد يمكنها التفكير، ومع ذلك فقد أحرقت الحديد. كان بإمكان اللورد الحاكم أن يخترق السحب النحاسية. يمكنها ذلك أيضًا. بدا كلاهما متشابهين بطريقةٍ ما. إذا كان بإمكانه التأثير على المعادن داخل جسم الشخص، فيمكنها ذلك أيضًا.

أشعلت الحديد. ظهرت خطوطٌ زرقاء تشير إلى خواتم وأساور اللورد الحاكم، كلها ما عدا تلك الموجودة على ذراعيه، التي تخترق جلده.

أجَّجت قبس الحديد، مُركِّزة، وبدأت الدفع بأقصى ما تستطيع. لقد أبقت بيوترها مشتعلًا، وكافحت من أجل حماية نفسها من السحق،

وعرفت بطريقةٍ ما أنها لم تعد تتنفَّس. كانت القوة التي تدفعها قوية جدًّا. لم تستطع تحريك صدرها صعودًا وهبوطًا.

دار الضباب حولها، وتراقص بسبب الألومانسي الذي تستخدمه. كانت تحتضر. لقد عرفت ذلك. لم تعد تشعر بالألم بعد الآن. تم سحقها، واختنقت.

انجذبت إلى الضباب.

ظهر خطان جديدان. صرخت وهي تسحب بقوة لم تعرفها من قبل. أشعلت حديدها أكثر وأكثر. دفع اللورد الحاكم؛ مما أعطاها القدرة التي تحتاج إليها لسحب أساوره. اختلط الغضب واليأس والعذاب بداخلها، وأصبح السحب محور تركيزها الوحيد الآن.

نفد بيوترها.

لقد قتل كيلسير!

انخلعت أساوره. صرخ اللورد الحاكم من الألم بصوتٍ خافتٍ بعيدٍ بالنسبة لآذان ڤين. أطلق الثقل سراحها فجأة، وسقطت على الأرض، وهي تلهث، ورؤيتها مُشوَّشة. ضربت الأساور المُلطَّخة بالدماء الأرض، مُتحرِّرةً من قبضته؛ لتنزلق عبر الأرض الرخامية أمامها. رفعت بصرها لأعلى، مُستخدمةً القصدير لتوضيح رؤيتها.

وقف اللورد الحاكم حيث كان من قبل، وعيناه تتسعان من الرعب، وذراعاه مُلطَّختان بالدماء. أسقط مارش على الأرض، واندفع نحوها ونحو الأساور التي انفصلت عنه. ومع ذلك، بآخر جزءٍ من قوتها -حيث تلاشى البيوتر- دفعت ڤين الأساور وأطلقتها لتتجاوز اللورد الحاكم، الذي دار في رعب وهو يشاهد الأساور تتطاير خارج النافذة المكسورة للجدار.

من بعيد، لاحت الشمس في الأفق. سقطت الأساور أمام ضوئها الأحمر، متلألئةً للحظة قبل أن تغرق في المدينة.

صرخ اللورد الحاكم وهو يركض نحو النافذة: «لا!»

ارتخت عضلاته، وانكمشت مثل عضلات سازد. التفت إلى ڤين مرة أخرى غاضبًا، ولكن وجهه لم يعد وجه رجلٍ شابٍّ، بل كان في منتصف العمر، حيث نضجت ملامحه الشابة.

خطا نحو النافذة. اشتعل رأسه شيبًا، وتشكَّلت التجاعيد حول عينيه مثل الشبكات الصغيرة.

ضعفت خُطاه، وبدأ يرتجف تحت وطأة الشيخوخة، وانحنى ظهره، وترهَّل جلده، وتساقط شعره.

ثم انهار على الأرض.

انحنت ڤين إلى الوراء، وعقلها يغمره الألم. استلقت هناك... للحظة. لم تستطع التفكير.

قال صوت: «سيدتي». وبعد ذلك، رأت سازد بجانبها، تصبَّب جبينه بالعرق. مدَّ يده، وسكب شيئًا ما في حلقها، فابتلعته.

عرف جسدها ما يجب القيام به. أشعلت البيوتر بشكلٍ غريزي، لتقوية جسدها. أوقدت القصدير، وصدمتها الزيادة المفاجئة في الحساسية. أخذت تلهث وهي تتطلَّع إلى وجه سازد القلِق.

قال، وهو يتفقَّد ساقها: «انتبهي يا سيدتي. العظم مكسور، رغم أن الكسر يبدو في مكانٍ واحدٍ فقط».

قالت بنبرة مُنهكة: «مارش، انظر إلى مارش».

سأل سازد: «مارش؟» ثم رأى المُحقِّق يتقلَّب قليلًا على الأرض على بُعد مسافةٍ منه.

قال سازد، وهو يتحرَّك إلى جانب مارش: «بحق الآلهة المنسية!»

تأوَّه مارش، ثم جلس، وأمسك بطنه بذراعٍ واحدةٍ. تساءل: «ما... هذا؟»

نظرت ڤين إلى الجسم المنكمش على الأرض على بُعد مسافةٍ قصيرةٍ. «إنه هو، اللورد الحاكم، لقد مات».

عبس سازد بفضول، واقفًا على قدميه. كان يرتدي رداءً بنيًّا، وقد أحضر معه رمحًا خشبيًّا بسيطًا. هزت ڤين رأسها استنكارًا لفكرة مواجهة المخلوق الذي كاد يقتلها هي ومارش بمثل هذا السلاح البائس.

بطبيعة الحال، كنا جميعًا عديمي الفائدة، بطريقةٍ ما، كان يجب أن نكون أمواتًا، لا اللورد الحاكم.

لقد خلعت أساوره. لماذا يمكنني القيام بالأشياء التي يمكن للورد الحاكم القيام بها؟

لماذا أنا مختلفة؟

قال سازد ببطء: «سيدتي، أعتقد إنه لم يمت، إنه لا يزال على قيد الحياة».

سألت ڤين، عابسةً: «ماذا؟» بالكاد تستطيع التفكير في هذه اللحظة. سيكون هناك وقتٌ لمناقشة تساؤلاتها لاحقًّا. كان سازد محقًّا. لم يمت الشخص العجوز بعد. في الواقع، كان يتحرَّك على الأرض بطريقة مثيرة للشفقة، ويزحف نحو النافذة المكسورة؛ حيث اختفت أساوره.

تعثَّر مارش على قدميه مُلوِّحًا بيده لرفض إسعافات سازد. قال: «سأُشفى بسرعة، اعتنِ بالفتاة».

قالت ڤين: «ساعدني على النهوض».

قال سازد باستنكار: «سيدتي...».

- «أرجوك يا سازد».

تنهَّد سازد، وسلَّم إياها الرمح الخشبي. «هنا، استندي على هذا». أخذته، وساعدها على الوقوف على قدميها.

انحنت ڤين على العصا، وسارت وهي تعرج مع مارش وسازد نحو اللورد الحاكم.

كان الشخص الزاحف قد وصل لتوه إلى نهاية الغرفة، وبدأ يطلُّ على المدينة من خلال النافذة المُحطَّمة.

تفتَّت شظايا الزجاج تحت أقدام ڤين. هتف الناس مرة أخرى في الأسفل، رغم أنها لم تستطع رؤيتهم، ولا تمييز ما يهتفون به.

قال سازد: «اسمع يا من كنت تزعم أنك إلهنا. هل تسمعهم يهتفون؟ هذه الهتافات ليست لك. لم يهتف لك هذا الشعب هذا. لقد وجدوا زعيمًا جديدًا هذا المساء.. فخرًا جديدًا».

همس اللورد الحاكم: «أتباعي... المُلتزمون...».

قال مارش: «سوف ينساك أتباعك المُلتزمون. سأعتني بذلك. لقد مات المُحقِّقون الآخرون، قتلتهم بيدي، ومع ذلك فقد رآك الكهنة (البريلان) المُجتمعون تنقل السلطة إلى فرع مكاتب التحقيق. أنا المُحقِّق الوحيد المُتبقِّي في لوثاديل، أنا من أحكم كنيستك الآن».

همس اللورد الحاكم: «لا...».

أحاط مارش وڤين وسازد بالرجل العجوز وأخذوا يُحدِّقون إليه. في ضوء الصباح أدناه، يمكن لـ ڤين أن ترى مجموعة هائلة من الناس يقفون أمام منصة كبيرة، يرفعون أسلحتهم احترامًا. حملق اللورد الحاكم في الحشد، وبدا أنه أدرك أخيرًا فشله. نظر مرة أخرى إلى حلقة الناس الذين هزموه.

قال بصوتٍ مبحوحٍ: «أنتم لا تفهمون! إنكم لا تعرفون ما أفعله للبشرية. أنا إلهكم، حتى لو لم تستطيعوا أن تستوعبوا ذلك. إذا قتلتموني، فأنتم تحكمون على أنفسكم بالهلاك...».

نظرت ڤين إلى مارش وسازد. أومأ كل منهم برأسه ببطء. بدأ اللورد الحاكم يسعل، ويبدو أنه سيتقدَّم في السن أكثر فأكثر.

انحنت ڤين على سازد، وجزَّت على أسنانها من ألم ساقها المكسورة، ثم قالت بهدوء: «أود أن أحمل لك رسالةً من صديقٍ لنا، لقد أرادك أن تعرف أنه لا يموت، ولا يمكن أن يُقتل... إنه الأمل».

ثم رفعت الرمح وغرسته مباشرةً في قلب اللورد الحاكم.

من الغريب أنني أشعر أحيانًا بسلام داخليّ كبير. قد تعتقد أنه بعد كل ما رأيته -بعد كل ما عانيتُه- أنّ روحيً ستُصبح خليطًا مُشوَّهًا من التوتُّر والحَيْرة والكآبة، ولا شيء غير ذلك في كثيرٍ من الأحيان.

ولكن بعد ذلك، هناك السلام.

أشعر به أحيانًا، كما هو الحال الآن، وأنا أُحدِّق إلى المنحدرات المُتجمِّدة والجبال الزجاجية في سكون الصباح، أشاهد شروق الشمس المهيب لدرجة أنني أعرف أنه لن يكون هناك مثيلٌ لذلك على الإطلاق.

إذا كانت هناك نبوءات، وإذا كان هناك بطلٌ للعصور، فإن عقلي يهمس بأنه يجب أن يكون هناك شيءٌ يُوجِّه طريقي، شيءٌ ما يراقب، شيءٌ ما يكترث. هذه الهمسات الهادئة تخبرني بحقيقةٍ أود أن أصدِّقها بشدة.

إذا فشلت، فسيأتي شخصٌ آخر لإنهاء مهمتي.

خاتمة

قال سازد: «إن الاستنتاج الوحيد الذي يمكنني استخلاصه يا سيد مارش، هو أن اللورد الحاكم كان فيروكيميائيًّا وألومانسيًّا في آنٍ واحدٍ».

عبست ڤين وهي تجلس فوق مبنى فارغ بالقرب من حافة أحد أحياء (السكا) الفقيرة، بينما تدلَّت ساقها المكسورة -التي قام سازد بتجبيرها بعناية- على شفير السطح، مُعلَّقةً في الهواء.

لقد نامت معظم اليوم، كما هو الحال ظاهريًّا مع مارش، الذي وقف بجانبها. حمل سازد رسالة إلى جميع أفراد العصابة، يخبرهم فيها بنجاة ڤين. على ما يبدو، لم تكن هناك خسائر فادحة بين الآخرين، وهو الأمر الذي أسعد ڤين بشدة. لم تذهب إليهم بعد، ولكن سازد أخبرهم أنها بحاجة إلى الراحة، وقد كانوا منشغلين بتشكيل حكومة إليند الجديدة.

قال مارش بنبرة تأمُّلية: «فيروكيميائي وألومانسي». لقد تعافى بسرعة بالفعل، وعلى الرغم من أن ڤين لا تزال مُصابة بكدماتٍ وكسورٍ وجروحٍ من القتال، فإنه يبدو وكأنه شُفي بالفعل من ضلوعه المكسورة. انحنى إلى الأسفل، ووضع إحدى ذراعيه على ركبته، مُحدِّقًا إلى المدينة بالمسامير بدلًا من عينيه.

تساءلت ڤين: «كيف يرى حتى؟!»

أوضح سازد: «نعم يا سيد مارش، كما ترى، الشباب هو أحد الأشياء التي يمكن أن يُخزِّنها الفيروكيميائيون. إنها عملية عديمة الجدوى إلى حدٍّ ما، فمن أجل تخزين القدرة على الشعور والظهور بأنك أصغر سنًّا بعامٍ واحدٍ، يجب أن تقضي جزءًا من حياتك وأنت تشعر وتظهر أكبر سنًّا بعامٍ واحدٍ. في كثيرٍ من الأحيان، يستخدم الحفظة هذه القدرة كتمويه، ويُغيِّرون أعمارهم لخداع الآخرين أو للاختباء. ولكن بخلاف ذلك، لم يسبق لأحد أن رأى جدوى كبيرة لهذه القدرة.

تابع سازد: «ومع ذلك، إذا كان الفيروكيميائي أيضًا ألومانسيًّا في آنٍ واحدٍ، فقد يقدر على حرق مخزونات معادنه، وإطلاق الطاقة بداخله بمعدل عشرة أضعاف. لقد حاولت السيدة ڤين حرق معادني من قبل، ولكنها لم تتمكَّن من الوصول إلى الطاقة، ولكن إذا كنت قادرًا على إنشاء مخازن فيروكيميائية بنفسك، ثم حرقها للحصول على طاقةٍ إضافيةٍ...».

عبس مارش، وقاطعه قائلًا: «أنا لا أفهمك يا سازد».

قال سازد: «أعتذر عن ذلك، ربما يكون هذا شيئًا يصعب فهمه بدون خلفية نظرية عن كلٍّ من الفيروكيمياء والألومانسي؟»

أجاب مارش: «في الألومانسي تُستمد القوة من المعادن، بينما في الفيروكيمياء تُستمد القوة من جسد الشخص».

قال سازد: «بالضبط؛ لذا فإن ما فعله اللورد الحاكم -كما أفترض- هو الجمع بين هاتين المقدرتين. لقد استخدم واحدة فقط من الخواص المتاحة في الفيروكيمياء -تلك الخاصية التي تُغيِّر عمره- لكنه غذَّاها بالألومانسي بدلًا من ذلك. ومن خلال حرق مخزون فيروكيميائي كان قد أنشأه بنفسه، صنع بشكلٍ فعَّالٍ معدنًا ألومانتيكيًّا جديدًا لنفسه، ذلك المعدن الذي يجعله أصغر سنًّا عندما يحرقه. إذا كان تخميني صحيحًا، فقد حصل على قدرٍ غير محدودٍ من الشباب؛ لأنه كان يستمد معظم قوته من المعدن نفسه، بدلًا من جسده. كان كل ما عليه فعله هو قضاء بعض الوقت في سن الشيخوخة ليمنح لنفسه مخزونات فيروكيميائية ليحرقها ويبقى شابًّا».

قال مارش: «إذن، هل مجرد حرق تلك المخزونات يجعله أصغر مما كان عليه عندما بدأ؟»

أوضح سازد: «أعتقد أنه كان عليه وضع هذا الفائض من الشباب داخل مخزن فيروكيميائي آخر. كما ترى، الألومانسي مذهلٌ للغاية، وقوته بشكلٍ عامٍ تأتي في شكل دفعات. لم يرِد اللورد الحاكم كل هذا القدر من الشباب دفعة واحدة؛ لذلك كان يخزنه داخل قطعة معدنية يمكن أن يستنزفها ببطء، مع الحفاظ على شبابه».

- «الأساور؟»

- «أجل يا سيد مارش، ومع ذلك فإن للفيروكيمياء عوائد متناقصة؛ حيث يتطلَّب الأمر أكثر قدر متناسب من القوة، مثلًا، لتجعل نفسك أقوى أربعة أضعاف الرجل العادي، بدلًا من مجرد ضعفين فقط. في حالة اللورد الحاكم، كان هذا يعني أنه كان عليه إنفاق المزيد والمزيد من الشباب للوقاية من الشيخوخة. عندما سرقت السيدة ڤين الأساور، تقدَّم في السن بسرعة كبيرة لأن جسده كان يحاول العودة إلى حيث ما كان ينبغي أن يكون عليه».

جلست ڤين في أجواء المساء الباردة، ورنا بصرها إلى قلعة ڤينتشر. كانت مُتوهِّجة بالضوء، فلم يمر يومٌ واحدٌ، حتى اجتمع إليند مع زعماء (السكا) والنبلاء، لصياغة مدونة قوانين لأمته الجديدة.

جلست ڤين بهدوء، وهي تشير بإصبعها إلى قرطها. كانت قد عثرت عليه في غرفة العرش، وأعادته إلى أذنها المُمزَّقة عندما بدأت تلتئم. لم تكن متأكِّدةً من سبب احتفاظها به، ربما لأنه كان رابطًا لها بـ رين، وبأمها التي حاولت قتلها، أو ربما لأنه كان مجرد تذكير بالأشياء التي لا ينبغي لها أن تقدر على فعلها.

ومع ذلك، كان هناك الكثير لتتعلَّمه عن الألومانسي. على مدى ألف عام، كان النبلاء يثقون ببساطة فيما يخبرهم به المُحقِّقون واللورد الحاكم. ما الأسرار التي طمسوها؟ وما المعادن التي أخفوها؟

قالت أخيرًا: «اللورد الحاكم. إذن، لقد... استخدم الحيلة فقط ليكون خالدًا. هذا يعني أنه لم يكن إلهًا حقًّا قط، أليس كذلك؟ لقد كان محظوظًا فقط. يمكن لأيّ شخص يتمتَّع بأنه فيروكيميائي وألومانسي في آنٍ واحدٍ أن يفعل ما فعله».

قال سازد: «يبدو الأمر كذلك يا سيدتي، وربما كان هذا هو سبب خوفه كثيرًا من الحفظة. لقد طارد وقتل الفيروكيميائيين؛ لأنه كان يعلم أن هذه المهارة وراثية، تمامًا مثل الألومانسي، وأنه إذا اختلطت أنساب التيريسيين بأنساب النبلاء الإمبراطوريين، فقد تكون النتيجة ميلاد طفلٍ يمكنه تحديه».

عقَّب مارش: «من هنا جاءت برامج التربية».

أومأ سازد برأسه. «لقد احتاج إلى التأكُّد من أنه لم يُسمح للتيريسيين بالاختلاط مع السكان العاديين، خشية أن ينقلوا لهم القدرات الفيروكيميائية الكامنة».

هزَّ مارش رأسه. «شعبه، لقد ارتكب بهم مثل هذه الفظائع لمجرد الاحتفاظ بسلطته».

قالت ڤين عاقدةً حاجبيها: «لكن لو جاءت قوى اللورد الحاكم من اختلاط الفيروكيمياء بالألومانسي، فما الذي حدث في بئر المعراج؟ ما القوة التي كان من المفترض أن يجدها ذلك الرجل -أيًّا كان من هو- الذي كتب المذكرات؟

ردَّ سازد بهدوء: «لا أعرف يا سيدتي».

قالت ڤين وهي تهزُّ رأسها: «إن تفسيراتك لا تُجيب عن كل شيء». لم تتحدَّث عن قدراتها الغريبة، لكنها تحدَّثت عما فعله اللورد الحاكم في غرفة العرش، فأردفت: «لقد كان قويًّا يا سازد، يمكنني أن أشعر بقدراته الألومانتيكية. إنه استطاع أن يدفع المعادن داخل جسدي! ربما كان بإمكانه تعزيز قدراته الفيروكيميائية عن طريق حرق مخزوناته، ولكن كيف أصبح قويًّا جدًّا إلى هذا الحد في استخدام الألومانسي؟»

تنهَّد سازد وقال: «أخشى من أن الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه الإجابة عن هذه الأسئلة قد مات هذا الصباح».

توقَّفت ڤين. كان اللورد الحاكم قد أخفى الأسرار المُتعلِّقة بديانة تيريس التي كانت شعب سازد يبحثون عنها منذ قرونٍ. قالت: «أنا آسفة، ربما ما كان يجب أن أقتله».

هزَّ سازد رأسه. «كانت شيخوخته ستقتله قريبًا على أيّ حالٍ يا سيدتي. ما فعلتِه كان صحيحًا. بهذه الطريقة، يمكنني أن أُدوِّن في السجلات أن اللورد الحاكم قد سقط على يدٍ واحدةٍ من أفراد طبقة (السكا) التي لطالما اضطهدها».

احمرَّ وجه ڤين، وسألته: «تُدوِّن في السجلات؟»

ردَّ سازد: «بالطبع، فأنا ما زلتُ واحدًا من الحفظة، يجب أن أنقل هذه الأشياء؛ التاريخ والأحداث والحقائق».

«لن... تقول الكثير عني، أليس كذلك؟» لسببٍ ما، جعلتها فكرة قيام أشخاصٍ آخرين بسرد قصصٍ عنها تشعر بعدم الارتياح.

قال سازد مبتسمًا: «لا تقلقي كثيرًا يا سيدتي، فأظن أنني وإخوتي سنكون مشغولين للغاية. لدينا الكثير لاستعادته، والكثير لنقوله للعالم... أشكُّ في نقل التفاصيل المُتعلِّقة بكِ في أيّ توقيتٍ عاجلٍ. سوف أُسجِّل ما حدث، لكنني سأحتفظ به لنفسي لبعض الوقت، إذا كنتِ ترغبين في ذلك».

ردَّت ڤين وهي تومئ برأسها: «شكرًا لك».

قال مارش مُتكهِّنًا: «تلك القوة التي وجدها اللورد الحاكم في الكهف. ربما كانت الألومانسي فقط، لقد قلتَ إنه لا يوجد أيّ تاريخ عن الألومانسيين قبل المعراج».

ردَّ سازد: «هذا أمرٌ محتملٌ بالفعل يا سيد مارش. هناك عددٌ قليلٌ جدًّا من الأساطير حول أصول الألومانسي، وجميعها تقريبًا تتفق على أن الألومانسيين الأوائل قد ظهروا مع الضباب».

عبست ڤين. لطالما افترضت أن سبب ظهور لقب «وليدو الضباب» يرجع إلى أن الألومانسيين يميلون إلى القيام بعملهم في الليل. لم تظن قطُّ أنه من الممكن أن يكون هناك ارتباط أقوى.

يتفاعل الضباب مع الألومانسي. حيث يدور عندما يستخدم الألو مانسيو ن قدراتهم في مكانٍ قريب. و... بماذا شعرتُ في النهاية؟ بدا الأمر و كأنني أستمد شيئًا من الضباب.

مهما فعلت، لم تستطع تكرار ذلك.

تنهَّد مارش ووقف. لقد استيقظ منذ ساعاتٍ قليلةٍ فقط، لكنه بدا متعبًا بالفعل. أمال رأسه قليلًا، كما لو أن ثقل المسامير يشدُّها إلى أسفل.

سألته: «هل هي... مؤلمة يا مارش؟ أقصد المسامير؟»

صمت للحظة، ثم أجاب: «نعم، المسامير الأحد عشر كلها.... تخفق. يتفاعل الألم مع مشاعري بطريقةٍ ما».

سألت ڤين متفاجئةً: «أحد عشر؟»

أومأ مارش برأسه. «اثنان في الرأس، وثمانية في الصدر، وواحد في الظهر لربطهم معًا. هذه هي الطريقة الوحيدة لقتل المُحقِّقين: عليك فصل المسامير العلوية عن السفلية. قام كيل بذلك من خلال قطع الرأس، ولكن من الأسهل فقط نزع المسمار الأوسط».

قالت ڤين: «ظننتك قد قُتلت. عندما وجدنا الجثة والدماء في محطة التهدئة».

أومأ مارش برأسه. «كنت سأرسل رسالة عن نجاتي، لكنهم راقبوني عن كثبٍ إلى حدٍّ ما في ذلك اليوم الأول. لم أتوقَّع أن يتخذ كيل هذا الإجراء بسرعةٍ شديدةٍ».

ردَّ سازد: «ولا نحن يا سيد مارش. لم يتوقَّع أيٌّ منا ذلك على الإطلاق».

قال مارش وهو يهزُّ رأسه مُتعجِّبًا: «لقد فعلها حقًّا، أليس كذلك؟ هذا اللقيط! هناك شيئان لن أسامحه أبدًا عليهما؛ الأول هو سرقة حلمي في الإطاحة بالإمبراطورية النهائية، ثم النجاح في ذلك بالفعل».

توقَّفت ڤين وسألته: «والثاني؟»

التفت إليها مارش برأسه المثقوب بالمسامير، ثم أجاب: «قتل نفسه للقيام بذلك».

قال سازد: «إذ جاز لي أن أسأل يا سيد مارش، من كانت تلك الجثة التي اكتشفتها السيدة ڤين والسيد كيلسير في محطة التهدئة؟»

التفت مارش إلى المدينة مرة أخرى. «في الواقع، كان هناك العديد من الجثث. عملية ترسيم مُحقِّق جديد... فوضوية. أفضِّل عدم التحدُّث عن ذلك».

قال سازد، وهو يحني رأسه: «بالطبع».

قال مارش: «ولكن أخبرني عنن المخلوق الذي استخدمه كيلسير لتقليد اللورد رينو».

أجاب سازد: «الكندرة؟ أخشى من أننا نحن الحفظة لا نعرف سوى القليل عنهم. إنهم مرتبطون بأشباح الضباب. ربما يكونون حتى المخلوقات نفسها، ولكنهم أكبر سنًّا فقط. وبسبب سمعتهم، يُفضِّلون

عمومًا أن يظلوا غير مرئيين، على الرغم من أن بعض بيوت النبلاء تُوظِّفهم في بعض الأحيان».

عبست ڤين، وسألت: «ولماذا لم يجعل كيلسير هذا الكندرة ينتحل شخصيته ويموت بدلًا منه؟»

أجاب سازد: «آه، كما ترين يا سيدتي، لكي يقوم الكندرة بانتحال شخصية أحدهم، يجب عليه أولًا أن يلتهم لحم هذا الشخص، ويمتص عظامه. فالكندرة مثل أشباح الضباب، ليس لديهم هياكل عظمية خاصة بهم».

ارتجفت ڤين، وقالت: «آه».

قال مارش: «أتعلمين أنه قد عاد. لم يعد هذا المخلوق يستخدم جسد أخي -لديه جسدٌ آخر الآن- لكنه جاء يبحث عنكِ يا ڤين».

سألت ڤين: «يبحث عني؟»

أومأ مارش برأسه، ثم أوضح: «لقد تحدَّث عن أن كيلسير نقل عقده إليكِ قبل وفاته. أعتقد أن الوحش يراكِ سيدته الآن».

ارتجفت ڤين. إن هذا المخلوق... قد التهم جسد كيلسير. قالت: «أنا لا أريده جواري، سآمره بالمغادرة».

قال سازد: «لا تتخذي مثل هذا القرار المُتسرّع يا سيدتي. الكندرة من الخدم باهظي الثمن. يجب أن يحصلوا على رواتبهم بالأتيوم. إذا حصل كيلسير على عقدٍ طويل الأجل لأحدهم، فسيكون من الحماقة إضاعة خدماته. قد يكون الكندرة حليفًا مفيدًا جدًّا في الأشهر القادمة».

هزَّت ڤين رأسها قائلةً: «أنا لا يعنيني ذلك، لا أريد هذا المخلوق، ليس بعد ما فعله».

صمت ثلاثتهم. أخيرًا، وقف مارش مُتنهِّدًا، وقال: «على أيّ حال، إذا سمحتم لي، يجب أن أذهب للحضور في القلعة. الملك الجديد يريدني أن أُمثِّل الوزارة في مفاوضاته».

عبست ڤين، وقالت: «لا أفهم لماذا تستحق الوزارة أن يكون لها أيّ رأيٍ في مثل هذه الأمور».

ردَّ سازد: «ما زال المُلتزمون أقوياء للغاية يا سيدتي، فهم القوة البيروقراطية الأكثر كفاءةً وتدريبًا في الإمبراطورية النهائية. سيكون من الحكمة أن يحاول جلالة الملك أن يجذبهم إلى جانبه، وإقرار مكانة السيد مارش قد يساعد في تحقيق ذلك».

هزَّ مارش كتفيه، ثم قال: «بالطبع، بافتراض أنه يمكنني السيطرة على فرع الأرثوذكسية، فيجب... أن تتغيَّر الوزارة خلال السنوات القليلة المقبلة. سوف أتحرَّك ببطءٍ وبحذرٍ، ولكن بحلول الوقت الذي أنتهي فيه من عملي، لن يدرك المُلتزمون ما خسروه، ولكن يمكن أن يُمثِّل المُحقِّقون الآخرون مشكلةً».

أومأت ڤين، وتساءلت: «كم عدد أولئك الموجودين خارج لوثاديل؟»

أجاب مارش: «لا أعرف، لم أكن عضوًا في النظام لفترة طويلة قبل أن أُدمِّره، ولكنّ الإمبراطورية النهائية مكان كبير للغاية. يتحدَّث الكثيرون عن وجود نحو عشرين مُحقِّقًا في الإمبراطورية، لكنني لم أتمكَّن قطّ من الحصول على رقمٍ دقيقٍ من أيّ شخص».

أومأت ڤين برأسها بينما غادر مارش. ومع ذلك، فإن المُحقِّقين -وإن كانوا خطرين حقًّا- لم يعدوا يُقلقونها كثيرًا الآن بعد أن اكتشفت سرهم، بل كانت أكثر اهتمامًا بشيءٍ آخر.

- «أنتم لا تفهمون! إنكم لا تعرفون ما أفعله للبشرية. أنا إلهكم، حتى لو لم تستطيعوا أن تستوعبوا ذلك. إذا قتلتموني، فأنتم تحكمون على أنفسكم بالهلاك...».

كانت هذه هي كلمات اللورد الحاكم الأخيرة. ظنَّت في وقتها أنه كان يُشير إلى الإمبراطورية النهائية على أنها الشيء الذي فعله «للبشرية»، ومع ذلك، لم تعد متأكِّدة بعد الآن. كان هناك... خوف في عينيه عندما قال هذه الكلمات، وليس افتخار.

سألت: «سازد؟ ما هي الأعماق؟ الشيء الذي كان من المفترض أن يهزمه البطل في الكتاب؟»

قال سازد: «أتمنَّى لو أننا نعرف ذلك يا سيدتي».

- «لكنها لم تأتِ، أليس كذلك؟»

أجاب سازد: «على ما يبدو لا. تتفق الأساطير على أنه لم يتم إيقاف الأعماق، لكان العالم قد تدمَّر. بطبيعة الحال، ربما تمت المبالغة في هذه القصص، ربما كان خطر «الأعماق» في الحقيقة هو اللورد الحاكم نفسه، ربما كانت معركة البطل هي مجرد معركة ضمير. كان عليه أن يختار ما بين السيطرة على العالم أو تركه حرًّا».

لم يكن ذلك صحيحًا بالنسبة إلى فين. كان هناك المزيد. تذكَّرت ذلك الخوف في عيني اللورد الحاكم، بل الرعب.

لقد قال «ما أفعله للبشرية». لا «ما فعلته للبشرية». هذا يعني أنه كان ما يزال يفعل ذلك، أيًّا كان ما يفعله.

- «فأنتم تحكمون على أنفسكم بالهلاك...».

ارتجفت ڤين في هواء المساء. كانت الشمس تغرب؛ مما يُسهِّل رؤية قلعة ڤينتشر المُضيئة، وهي المكان الذي اختاره إليند كمقرٍّ مؤقتٍ حاليًا، رغم أنه من المفترض أن ينتقل إلى (كريديك شو). لم يُقرِّر بعد.

قال سازد: «يجب أن تذهبي إليه يا سيدتي. إنه يحتاج إلى التأكُّد من أنكِ بخير».

لم ترد ڤين في الحال. كانت تُحدِّق إلى المدينة. تراقب الضوء الساطع في السماء المُظلمة. سألت: «هل كنت هناك يا سازد؟ هل سمعت خطابه؟»

أجاب سازد: «نعم، يا سيدتي. بمجرد أن اكتشفنا أنه لا يوجد أيّ أتيوم في تلك الخزانة، أصرَّ اللورد ڤينتشر على أن نذهب لنجدتك. كنتُ أميل إلى الاتفاق معه، رغم أنه لم يكن أيٌّ منا محاربًا، كما لم يكن لدي مخزونات فيروكيميائية».

تفكَّرت: «لا يوجد أيّ أتيوم! بعد كل هذا، لم نعثر على ذرة واحدة منه. ماذا فعل اللورد الحاكم بكل ذلك المخزون؟ هل وصل إلى هناك شخصٌ آخر أولًا؟»

تابع سازد: «عندما رأيتُ أنا والسيد إليند الجيش، كان المتمردون يذبحون جنود القصر، وقد حاول بعضهم الاستسلام، لكن جنودنا لم يسمحوا لهم بذلك. لقد كان... مشهدًا مزعجًا يا سيدتي. وحبيبك إليند... لم يعجبه ما رآه. عندما وقف هناك أمام (السكا)، ظننتُ أنهم سيقتلونه أيضًا بكل بساطة».

توقَّف سازد، وأمال رأسه قليلًا، ثم أكمل: «لكن... الأشياء التي قالها يا سيدتي... أحلامه بتشكيلٍ حكومةٍ جديدةٍ، وإدانته لإراقة الدماء

والفوضى... حسنًا، يا سيدتي، لا أستطيع أن أُكرِّرها. أتمنَّى لو كان لديّ وقتها عقلي المعدني، حتى أتمكَّن من حفظ كلماته بالضبط».

تنهَّد وهو يهزُّ رأسه، ثم أردف: «بغض النظر عن ذلك، أعتقد أن السيد بريز كان مؤثرًا جدًّا في المساعدة على تهدئة أعمال الشغب هذه. بمجرد أن بدأت مجموعة واحدة في الاستماع إلى السيد إليند، استمع الآخرون أيضًا. ومنذ ذلك الحين... حسنًا، أعتقد أنه من الجيد أن ينتهي المطاف بأحد النبلاء كملك. أضفى السيد إليند الشرعية على سعينا للسيطرة على السلطة، وأعتقد أننا سنرى مزيدًا من الدعم من النبلاء والتجار الذين معه لصفنا».

ابتسمت ڤين، وقالت: «كيل سوف يغضب منا، كما تعلم. لقد قام بكل هذا العمل، ولكننا أعدنا الكَرَّة ببساطة ووضعنا نبيلًا على العرش».

هزَّ سازد رأسه، وقال: «آه، ولكنني أعتقد أن هناك شيئًا أكثر أهمية يجب الالتفات إليه، ألا وهو أننا لم نضع فقط نبيلًا على العرش، بل وضعنا رجلًا طيبًا على العرش».

قالت ڤين: «رجلٌ طيبٌ... لقد صادفتُ القليل من هؤلاء الآن».

***

جثمت ڤين في الضباب فوق قلعة ڤينتشر. صعَّبت ساقها المكسورة من حركتها ليلًا، لكن معظم الجهد الذي بذلته اعتمد على الألومانسي. كان عليها فقط أن تتأكَّد من هبوطها بسلاسة.

حلَّ الليل وحاصرها الضباب. حماها، وأخفاها، ومنحها القوة.

جلس إليند ڤينتشر على مكتبه بالأسفل، تحت كوة السقف التي لم يتم ترميمها منذ ذلك الوقت الذي ألقت فيه ڤين بجثة من خلالها. لم يلاحظها وهي تجلس القرفصاء في الأعلى. من كان بإمكانه أن يفعل؟

من سيرى وليدة ضبابٍ في ركنها. كانت، بطريقةٍ ما، مثل إحدى الصور الظلية التي يُنشئها المعدن الحادي عشر. شيءٌ معنوي، حقًّا مجرد شيء يمكن أن يكون.

شيء يمكن أن يكون.

بدت أحداث اليوم الماضي صعبة بما يكفي لاستيعابها؛ لم تحاول ڤين حتى فهم المشاعر، والتي كانت أكثر فوضوية بكثير. لم تكن قد ذهبت بعد إلى إليند، لم تستطع ذلك.

خفضت بصرها نحوه، كان جالسًا تحت ضوء الفانوس، يقرأ على مكتبه ويُدوِّن الملاحظات في كتابه الصغير. يبدو أن اجتماعاته التي جرت في وقتٍ سابقٍ قد سارت بشكلٍ جيدٍ. بدا أن الجميع على استعداد لقبوله ملكًا عليهم، ولكن مارش همس بأن هناك ألاعيب سياسية وراء الدعم. رأى النبلاء إليند دمية يمكنهم السيطرة عليها، كما بدأت الفصائل تتشكَّل بالفعل بين زعماء (السكا).

ومع ذلك، فقد أُتيح لإليند أخيرًا فرصة لصياغة مدونة القوانين التي كان يحلم بها. يمكنه أن يحاول إنشاء الأمة المثالية، ويُطبِّق الفلسفات التي درسها لفترةٍ طويلةٍ. ستكون هناك عقبات، واشتبهت ڤين في أنه سيتعيَّن عليه في النهاية أن يقبل بشيءٍ أكثر واقعية من حلمه المثالي. لم يكن هذا مهمًّا حقًّا، المهم أنه سيُصبح هناك ملكٌ صالحٌ.

بطبيعة الحال، عند المقارنة باللورد الحاكم، فإن أيّ كومة من السخام ستبدو أكثر صلاحًا منه...

أرادت أن تذهب إلى إليند، وتهبط إلى الغرفة الدافئة، ولكن... شيئًا ما منعها من العودة إليه. لقد مرَّت بالعديد من التقلُّبات الأخيرة في أقدارها، والعديد من التوتُّرات العاطفية، سواء الألومانتيكية وغير الألومانتيكية. لم

تعد مُتأكِّدةً بعد مما تريده الآن. لم تعد متأكِّدة مما إذا كانت هي ڤين أم ڤاليت، أو حتى أيهما تتمنَّى أن تكون عليه.

شعرت بالبرودة في الضباب، في الظلام الدامس. حماها الضباب وأخفاها ومنحها القوة... حتى عندما لم تكن تريد حقًّا أيًّا من هذه الأشياء الثلاثة.

لا أستطيع القيام بذلك. تلك النبيلة التي كانت معه، إنها ليست أنا. كانت وهمًا، حلمًا. أنا تلك الطفلة التي تربَّت في الظل، الفتاة التي يجب أن تكون بمفردها. أنا لا أستحق ذلك.

أنا لا أستحقه.

انتهى الأمر، كما توقَّعت، وتغيَّر كل شيء. في الحقيقة، لم تُجِدْ قط دور المرأة النبيلة. لقد حان الوقت لكي تعود إلى ما كانت تجيده.. مخلوق الظلال، وليس الحفلات والتجمُّعات.

لقد حان الوقت للرحيل.

استدارت لتغادر، متجاهلةً دموعها، ومُحبطةً من نفسها. تركته وكتفاها تتدليان وهي تعرج عبر السقف المعدني وتختفي في الضباب.

لكن بعد ذلك...

لقد مات وهو يُقسم لنا بأنكِ قد مُتِّ من الجوع منذ سنوات!

مع كل هذه الفوضى العارمة، كادت أن تنسى كلمات المُحقِّق عن رين. جعلتها هذه الذكرى تتوقَّف الآن. اكتنفها الضباب، ولفَّها، وداعبها.

لم يتخلَّ عنها رين، لقد أُلقي القبض عليه من قِبل المُحقِّقين الذين يبحثون عن ڤين، الطفلة غير الشرعية لعدوهم. لقد عذَّبوه.

وقد مات وهو يحميها.

ريم لم يخنّي، لقد وعد دائمًا بأنه سيفعل ذلك، لكنه في النهاية لم يفعل. لقد كان بعيدًا عن كونه أخًا مثاليًّا، لكنه كان يحبها رغم ذلك.

جاء صوتٌ هامسٌ من مؤخرة عقلها، يتحدَّث بصوتِ رين: عودي!

قبل أن تتمكَّن من إقناع نفسها بخلاف ذلك، اندفعت عائدةً إلى كوة السقف المُحطَّمة، وأسقطت عملة معدنية على الأرض بالأسفل.

التفت إليند بفضول، ناظرًا إلى العملة المعدنية، وأمال رأسه. نزلت ڤين بعد ثانية، دافعةً نفسها لأعلى لإبطاء السقوط، وهي تهبط على ساقها السليمة فقط.

قالت وهي تقف: «إليند ڤينتشر، هناك شيءٌ كنتُ أنوي إخبارك به منذ فترة»، توقَّفت برهة، وكفكفت دموعها، ثم واصلت: «إنك تقرأ كثيرًا، خاصةً في حضور السيدات».

ابتسم، ودفع كرسيه إلى الخلف، واحتضنها في عناقٍ قويٍّ. أغمضت ڤين عينيها، وشعرت فقط بدفء احتضانه لها.

وأدركت أن هذا هو كل ما أرادته حقًّا.

مرجع المعادن الألومانتيكية

النحاس الأصفر (معدن الدفع العقلي الخارجي): يمكن لأيِّ شخصٍ يحرق النحاس الأصفر أن يُؤجِّج مشاعر شخصٍ آخر، كما يمكنه إثارة مشاعر مُعينَّة بحيث يجعلها أشدَّ قوة. لا يسمح هذا المعدن للشخص بقراءة العقول أو حتى المشاعر. يُعرف الضبابي الذي يحرق النحاس الأصفر باسم (المُؤجِّج).

الزنك (معدن السحب العقلي الخارجي): يمكن لأيِّ شخصٍ يحرق الزنك أن يُهدِّئ مشاعر الآخرين ويُثبِّطها ويُقلِّل من قوة مشاعر مُعيَّنة. كما يمكن للألومانسي الدقيق أن يُهدِّي جميع المشاعر ما عدا شعورًا واحدًا فقط؛ مما يجعل الشخص يشعر بما يريده أن يشعر به بالضبط. ومع ذلك، لا يسمح الزنك للألومانسيين بقراء العقول أو حتى المشاعر تمامًا كالنحاس الأصفر. يُعرف الضبابي الذي يحرق الزنك باسم (المُهدِّئ).

البرونز (معدن الدفع العقلي الداخلي): يمكن لأيِّ شخصٍ يحرق البرونز أن يستشعر الألومانسي عندما يستخدمه الأشخاص القريبون منه، حيث تنبعث من الألومانسيين الذي يحرقون المعادن في مكانٍ قريبٍ منه (نبضاتٍ ألومانتيكية)؛ إنها شيءٌ يشبه قرع الطبول الذي لا يسمعه

إلا شخص يحرق البرونز. يُعرف الضبابي الذي يحرق البرونز باسم (الباحث).

النحاس (معدن السحب العقلي الداخلي): تنبعث من الشخص الذي يحرق النحاس سحابة غير مرئية تحمي أيّ شخصٍ بداخلها من حواس (الباحثين). أثناء وجودهم داخل واحدة من هذه (السُّحب النحاسية)، يمكن للألومانسيين أن يحرقوا أيّ معدن يريدونه، دون قلق من أن يشعر أيّ شخصٍ يحرق البرونز بنبضاتهم الألومانتيكية. وكتأثيرٍ جانبي، فإن الأشخاص الذين يحرقون النحاس هم أنفسهم مُحصَّنون ضد أيّ شكلٍ من أشكال التلاعب الألومانتيكي العاطفي (التهدئة أو التأجيج). يُعرف الضبابي الذي يحرق النحاس باسم (المُدخِّن).

البيوتر (معدن الدفع المادي الداخلي): تتعزَّز الخواص الجسدية لجسم الشخص الذي يحرق البيوتر. بحيث يُصبح أشدّ قوة وأكثر متانة وأقدر على التحمُّل. كما يشحذ البيوتر إحساس الجسم بالتوازن والقدرة على التعافي من الإصابات والجروح. يُعرف الضبابي الذي يحرق البيوتر باسم (السفَّاح) و(الأذرع البيوترية).

القصدير (معدن السحب المادي الداخلي): يكتسب الشخص الذي يحرق القصدير حواسًّا مُعزَّزةً، فيمكنه أن يرى لمسافاتٍ أبعد، وأن يشمَّ بدقة أكبر، كما تُصبح حاسة اللمس لديه أكثر حدة. كتأثيرٍ جانبي، يُسمح لهؤلاء الألومانسيين باختراق الضباب؛ مما يتيح لهم رؤية أبعد

بكثيرٍ في الليل مما كان ينبغي أن تُوفِّر لهم حواسهم المُعزَّزة. يُعرف الضبابي الذي يحرق القصدير باسم (العين القصديرية).

الحديد (معدن السحب المادي الخارجي): يمكن لأيّ شخص يحرق الحديد أن يرى خطوطًا زرقاءَ شفافة تُشير إلى مصادر معدنية قريبة. يعتمد حجم الخط وسطوعه على حجم وقربْ المصدر المعدني. تعرض هذه الخطوط جميع أنواع المعادن، وليست المصادر الحديدية فقط. يمكن للألومانسيين بعد ذلك أن يجذبوا أحد هذه الخطوط عقليًّا لسحب المصدر المعدني تجاههم. يُعرف الضبابي الذي يحرق الحديد باسم (المُمغنط).

الفولاذ (معدن الدفع المادي الخارجي): بعد حرق الحديد ورؤية الخطوط الزرقاء الشفافة التي تُشير إلى المصادر المعدنية القريبة، يمكن للألومانسيين بعد ذلك دفع أحد هذه الخطوط عقليًّا باستخدام الفولاذ لإرسال المصدر المعدني بعيدًا عنهم. يُعرف الضبابي الذي يحرق الفولاذ باسم (قاذف العملات).

المحتويات



كيان للنشر والتوزيع

أفضل دار نشر مصرية ٢٠٢١

للتواصل معنا :

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زوروا موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01001872290/ 01000405450

وللاطلاع على كُتُبنا، ومتابعة إصداراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كُتّابنا الثقافية، يمكنكم متابعتنا على حسابات التواصل الاجتماعي التالية:

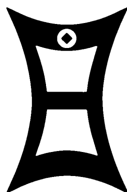


KayanPublishing

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

جميع الحقوق محفوظة ©





أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

MISTBORN

وليدو الضباب

براندون ساندرسون

على مدار ألف سنة، تساقط الرماد ولم تتفتّح أي زهور. استُعبِدت طائفة (السكا) فذاقت البؤس وعاشت في خوف. على مدار ألف سنة، فرض اللورد الحاكم (عين الخلود) حكمه بقوة ورعب مطلقين؛ بحيث بات من المستحيل قهره. بعد ذلك، عندما ضاع الأمل لأزمانٍ طويلة حتى فَنِي تماماً من الذاكرة، اكتشف كيلسير، نصف (السكا) الملكوب محطّم القلب، في نفسه قوى وليدي الضباب خلال حبسه في غياهب سجن اللورد الحاكم الجحيمي.

لقد كان كيلسير لصاً عبقرياً وزعيماً بالفطرة؛ لذا عمل على تجنيد نُخبة عالم الإجرام، أذكى الألوماسيين وأكثرهم جدارةً بالثقة، ممن يشترك كل واحدٍ منهم معه في إحدى قواه العديدة ويستمتعون بخوض التحديات شديدة الخطورة. عندها فقط يكشف كيلسير عن حلمه الأكبر: ليست فقط أكبر عملية سرقة في التاريخ، ولكن سقوط الطاغية الإلهي.

ولكن حتى مع حشد أفضل عصابة إجرامية على الإطلاق، ما تزال خطة كيلسير تبدو ضرباً بعيد المنال، حتى يتوقعه الحظ في فتاةٍ مستضعفة تُدعى فين. إنها مثله، يتيمة ونصف (سكا)، لكنها عاشت حياةً أقسى بكثير. لقد تعلّمت فين أن تتوقع الخيانة من كل شخص تصادفه. سيتعيّن عليها أن تتعلّم الثقة إذا أرادت أن يساعدها كيلسير على إتقان استخدام قواها التي لم تحلم بها قط.

يجرؤ براندون ساندرسون، أحد أعظم كُتّاب روايات الفانتازيا في العالم، على قلب هذه النوعية الأدبية رأساً على عقبٍ عبر طرح سؤالٍ بسيط: ماذا لو فشل بطل النبوءة المنتظر في هزيمة سيد الظلام؟ ستجد الإجابة في ثلاثية (وليدو الضباب)، وهي ملحمةٌ مليئةٌ بالمفاجآت تبدأ بالكتاب الذي بين يديك. حيث لن تعود الفانتازيا كما كانت من قبل.





